المواجهة بين النبي

وبين المنافقين

رصد قرآني

تأليف

الشيخ عبد الكريم النيري

تحقيق

السيد محمد شجاع فاخر

الجزء الثالث

دار

انوار العلم

شبكة الفكر
alfeker.net

المواجهة بين النبي (ص)

وبين المنافقين (رصد قراني)

هوية الكتاب

عنوان الكتاب: المواجهة بين النبي (ص) وبين المنافقين (رصد قراني)

تأليف: .... الشيخ عبد الكريم نيّري

تحقيق: .... السيد محمد شعاع فاخر

سنة الطبع: .... ٢٠١٣ ميلادية

المطبعة: ....

عدد صفحات الكتاب: ....٥١٧ صفحة

الإخراج الفني: .... السيد عبد الله الهاشمي

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

المواجهة بين النبي (ص)

وبين المنافقين (رصد قراني)

تأليف

الشيخ عبد الكريم نيري

تحقيق

السيد محمد شعاع فاخر

بسم الله الرحمن الرحيم

القسم التاسع عشر

تحقيق الآيات الاستثنائية الواقعة

في سورة المائدة

بيان موضح عن آيات سورة المائدة

سورة المائدة: بناءً على التحقيق المذكور من الكتاب أنْ تكون آخر سورة نزولاً على النبيّ(ص)، وهي ذات مائة آية وعشرين آية، نصفها يختصّ بأهل الكتاب من اليهود والنصارى، ونصفها الآخر يختصّ بالأحكام التي نزلت على النبيّ أواخر حياته مبتدأة أو مفصّلة، والنصف المختصّ بأهل الكتاب هنا يختلف عن الآيات المختصّة بهم والنازلة في السور الثلاث: البقرة وآل عمران والنساء، فوجه الخطاب فيها أكثره في اليهود وبيان انحرافهم عن جادّة الصواب، وفي هذه السورة يتوجّه الخطاب إلى كلا الطائفتين من اليهود والنصارى بالسويّة، بفارقٍ واحد وهو رعاية جانب النصارى واحترامهم، مضافاً إلى التركيز على انحرافهم العقيديّ أكثر من سواها من السور الأخرى،كما يظهر للمتابع أنّ مسألة ألوهيّة المسيح قد انجرّ الحديث عنها في أربع مواضع من السورة مصحوبة بردّها.

وأمّا النصف الآخر من الآيات فيختصّ بأحكام التكليف التي نزل تشريعها ابتداءً، أو كانت نازلة بصورة مجملة، فجرى الحديث عنها هنا بالتفصيل نظير الآيات التي أوضحت المحللات من اللحوم أو الأطعمة بصورة مفصّلة، ومن ذلك بيان كيفيّة الوضوء، وحدّ المحارب لله ورسوله، وحدّ السارق والسارقة، والقصاص في الأعضاء وسائر الجوارح، وكفّارة اليمين، وتحريم الخمر والميسر، ولزوم الشهادة على الوصيّة، وغير ذلك من الأحكام النازلة في السورة.

وقد ألمحنا فى فصل سابقٍ من الكتاب حيث دار البحث هناك حول تحديد آخر السور نزولاً من القرآن، بعقد موازنة بين سورة التوبة وسورة المائدة. وبان لنا من خلال مائة وعشرين آية من سورة المائدة أنّ عدداً محدوداً منها لايتجاوز الآيات الأربع يختصّ بذكر المنافقين وباقي آياتها ليس لها صلة مباشرة بهم.

ولكنّ الموضوع الذي يدعو إلى الاهتمام ويحمل على التوجّه، أنّ عدداً من الآيات توجد في هذه السورة ليس لها نظير بصورة مطلقة في سائر السور ولارأي مشابه لها أبداً، وفي هذا القسم من الكتابنجري بحثاً لهذه الآيات وتحقيقاً معمّقاً لها.

حصيلة موجزة عن مفاد آية الولاية

الآيات ٥٤ إلى ٥٦ سورة المائدة

من الآيات التي اكتسبت جنبة استثنائيّة من سورة المائدة، ولابدّ من تحقيقها، واحدة منها قوله تعالى:يَا ﴿أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَن يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الغَالِبُونَ﴾.

يظهر من ترابط الآيات فيما بينها بصورة واضحة أنّ نوعاً من الارتداد وطيّ الكشح قد حدث لأكثر المسلمين في حياة النبيّ(ص) عن موضوع ولاية الله ورسوله... وظهرت بوادره في الأفق.

حصيلة مفاد آية التبليغ

الآية ٦٧ سورة المائدة

الآية التالية من الآيات الاستثنائيّة في سورة المائدة الشريفة:

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

في هذه الآية المعروفة بـ«آية التبليغ» يبدو لنا الخطاب الربّاني للنبيّ شديداً بحيث خاطب النبيّ(ص) بنغمة لم يكن ليخاطبه بها فيما عرفناه من خطاباته:«أيّها النبيّ، ما نزل إليك من ربّك بلّغه لأنّك إن لم تفعل فكأنّك لم تبلّغ رسالته مطلقاً، وإن كنت حذراً من شرّ الناس فإنّ الله حاميك منهم وراعيك. والله تعالى لايهدي القوم الظالمين».

والإنسان عندما يصيخ سمعه إلى هذا الخطاب الشديد الذي تغلب عليه صفة التهديد يدرك أنّ التبليغ هذا منوط بأمر حسّاس جدّاً ومهمّ للغاية، وهو تكليف يترتّب عليه مستقبل الرسالة لذلك أمر الله نبيّه(ص) بتبليغه في آخر عمره، وكان النبيّ(ص) يتوجّس خيفة في نفسه من تبليغه للناس، أليس هذا النبيّ(ص) هو الذي لم يخفه تبليغ أمر مهمّ طيلة ثلاثة وعشرين عاماً من عمر رسالته، ولم يهب الناس وهو يؤدّي لهم ما أمره الله بتأديته، وإن كان ثقيلاً عليهم صعباً لديهم..

ولمّا كان في مكّة أعلنها حرباً شعواء على الأوثان وعبّادها، وحارب عقائد المكّيين المخالفة للتوحيد.

ولمّا هاجر إلى المدينة ما زال يشنّ الحرب تلو الحرب على كفّار العرب كلّهم وعلى اعتقاداتهم الباطلة. ويفعل نفس الفعل مع أهل الكتاب مسفّهاً مذاهبهم، ومذرّياً عقائدهم الفاسدة في الريح، لاسيّما اليهود منهم والنصارى.

فما الذي جرى اليوم وقد امتدّ الإسلام قويّاً حتّى طبق الجزيرة العربيّة كلّها، وجمع الكفر أدواته وكاد أن ينعق بالرحيل منها، ورضخ أهل الكتاب ـ لاسيّما اليهود منهم ـ تحت سلطان الإسلام، وخضعوا لحكومته.

وفي ظروف كهذه الظروف المواتية للإسلام يتساءل المرء عن أيّ مهمةٍ استثقال عنها النبيّ(ص) في تبليغه، وطلب من ربّه الإعفاء؟ ومَن هؤلاء الناس الذين حذرهم النبيّ(ص) على الدعوة عسى أن تبدر منهم بادرة خبيثة تؤدّي بها، لذلك استعمل منتهى الحذر في التبليغ حتّى نزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ وَإِن لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي القَوْمَ الكَافِرِينَ﴾، فكان النبيّ مخاطباً بهذا الخطاب الشديد المتّصف بصفة التهديد والوعيد في الآية التي سلفت؟

ولكي تتضح لنا الإجابة الصحيحة عن ذلك نقول: لاريب في أنّ هذا الحكم الذي قرّرته آية التبليغ شأنه شأن الأحكام والتكاليف الأخرى التي عهد إلى النبيّ(ص) بتبليغها مدّة بعثته، خلا أنّه الحكم

الأهمّ والأجلّ من جميع الأحكام، ندرك من هذا أنّه يشكّل لظاهر الشريعة بؤرة حياتيّة كما لم يكن غيره من الأحكام، وأنّه يضفي على الأحكام والفرائض الدينيّة معانيها المخصّصة لها. وهو المحكّ الذي يتميّز به المؤمن إيماناً واقعيّاً من غيره.

بيان ذلك:

عندما يقارن المرء بين آيات سورة المائدة وآيات السور الأخرى النازلة قبلها، والمتّفقة معها في المحتوى والمضمون يشاهد هذه النكتة ظاهرة للعيان أنّ جميع آيات سورة المائدة ـ ما عدا عدد قليل منها، وقد عرضناها هنا للبحث، كآية الولاية وآية التبليغ وغيرهما ـ يرى تشابهاً مفهوميّاً بينها.. والمعنى الذي نذهب إليه هو أنّنا نلاحظ الآيات التي تعرّضت لبيان وضع أهل الكتاب وأوضحت للملأ انحرافاتهم العقائديّة تطابق الآيات المتضمّنة لنفس المعنى والواردة في غير سورة المائدة، ووحدة الموضوع بين آيات سورة المائدة وآيات السور الأخرى في المفهوم الواحد بادية للعيان، مشاهدة بالحسّ والوجدان.

وهكذا تبدو الحال بالنسبة إلى النصف الآخر من آيات سورة المائدة المختصّة بالأحكام والتكاليف، فإنّها تتّحد موضوعاً مع نظائرها من آيات الأحكام في السور الأخرى.

هذا، وإنْ جاءت في سورة المائدة بعض تلك المضامين والأحكام بصورة أكثر تفصيلاً إلى حدّ ما، أو تضمّنت بعض الأحكام جديدة التشريع ـ كما رأينا المحلّلات من اللحوم والمحرّمات منها ومن سائر الأطعمة ـ نزلت في هذه السورة مفصّلة بأكثر منها في سور غيرها،

كما أنّ الوهيّة المسيح وردّها في هذه السورة تعقّبها الله بأكثر من غيرها. كذلك نجد أحكاماً جديدة وردت في السورة، مثل حدّ السارق والسارقة، وغيرها من الأحكام، إلاّ أنّه يوجد نظير لها بشكل أو بآخر في السور الأخرى على أيّة حال، وتتحد المطالب والأحكام المذكورة في جميع السور على نسق واحد.

نفهم من وحدة المضمون والتشابه المفهوميّ بين الآيات من سورة المائدة والآيات من سور غيرها النازلة قبلها ذات المعنى الواحد، أنّ الخطاب التهديديّ لآية التبليغ والأمر الصارم فيها ليس له صلة بإبلاغ أي واحد من هذه المضامين، لأنّنا نشاهد المضامين عينها والمطالب نفسها أو مشبهاتها في آيات السور النازلة قبل المائدة على رسول الله (ص)، وقد قام بتبليغها على المعنيّ بها من أهل الكتاب أو الكفّار أو المسلمين، ولم يلابس أحداً من الناس خوف أو فزع.

وبعبارة أخرى: أنّ الحكم المنظور إبلاغه في آية التبليغ لم يرجع إلى إبلاغ أي فرض من الفرائض الأصليّة (كالتوحيد والنبوّة والمعاد وغيرها، ولا الفرعيّة من فروع الدين مثل: الصلاة والصيام والزكاة وغيرها)، وكذلك ليس هو من قبيل الأحكام الخاصّة بأهل الكتاب وبيان انحرافاتهم؛ لأنّ جميع هذه الأحكام ونظائرها قد نزلت على رسول الله (ص) في غير سورة المائدة كما نزلت فيها، يضاف إليها آيات من جنسها ومحتواها.

ومثل ذلك يقال في الموضوعات المتماثلة في جميع السور والتي يراد من النبيّ(ص) إبلاغها وقد أبلغها ولم يداخله الخوف من أحد من الناس، كما داخله من تبليغ هذا الحكم المعهود ﴿وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾.

لقد بان ممّا سبق أنّ الخطاب في آية التبليغ ولهجة العقاب فيها له ارتباط جدّ وثيق بتبليغ فريضة نسبتها إلى سائر الأحكام والفرائض الدينيّة كنسبة المعنى إلى اللفظ، والروح إلى الجسم، ومعنى ذلك أنّها كانت بمنزلة سامية بحيث لو لم يبلّغها فإنّ الأحكام والفرائض المبلّغة تفقد أثرها التكميليّ، لاتنفع في إيصال الإنسان إلى الهدف المنشود أو السعادة المرجوّة ﴿وَإِن لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾.

الولاية ... أساس التوحيد الحق:

من الضروريّ اعتبار فريضة لها هذا الدخل القويّ في مجموع الدين، هي فريضة الولاية ليس إلا؛ لأنّ الولاية وحدها والمحبّة ووطيد الصلة بصاحب الشرع، هي التي تكسب جميع الفرائض الأصليّة والفرعيّة للدين معناها الحقيقي ومدلولها الواقعيّ، وتجعلها قادرة على التأثير في الإنسان من أجل دفعه إلى تحقيق شروط الكمال، وينال من ذلك الثمار التي غرست هذه الشجرة من أجلها.

وينتج من ذلك أنّ «الولاية» والمحبّة ووله القلوب في الحقّ إذا صاحبت التوحيد، فإنّ الاعتقاد بالوحدانيّة يقع موقع التأثير في إسعاد الإنسان وتكميل نموّه المعنويّ، وإلاّ كان هذا التوحيد نفسه موجباً لخسران صاحبه وهبوطه إلى الدرك الأسفل، كما رأينا الحال في طريد رحمة الله إبليس (لعنه الله)، فقد كان الاعتقاد بالوحدانيّة وتوحيد الله تعالى واقعاً منه موقع الشهود، فإنّه لم ينفعه شيئاً وبقى مصرّاً على عصيانه وتمرّده، وهو في حالة الكشف والشهود ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ * قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ (١).

(١)ص ٣٨: ٧٥ و ٧٦.

الولاية وأصالة الاعتقاد بالنبوة:

وهكذا بالنسبة للاعتقاد بنبوّة النبيّ(ص)إذا لم تماشه الولاية والمحبّة والعشق له بحيث يصبح النبيّ(ص) أحبّ إليه من روحه ويكون النبيّ(ص) قائماً على قلبه ونفسه متسلطاً عليهما، فإنّ مجرّد اليقين بنبوّة النبيّ(ص) لا تجدي فتيلاً في بلوغ الإنسان مرحلة الكمال ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾(١).

انظروا إلى فرعون وملئه، فقد كانوا يؤمنون بنبوّة موسى(ع) بصدق واعتقاد، ولكنّهم في نفس الوقت لم ينتفعوا بهذا الإيمان وظلّوا متشبّثين بسماجة كفرهم.

أجل إنّ هذا الموضوع يجري في الأحكام الشرعيّة والفرائض الدينيّة كلّها. ويظهر لنا من هذا أنّ الصلاة إذا صاحبتها الولاية تكون عندئذ معراج المؤمن، وإلاّ فـ﴿وَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاَتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ * وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾(٢).

إذ تلاحظ هنا كيف صار المصلّي الفاقد لموضوع الولاية والمحبّة وعشق الحقّ تعالى سالكاً طريق الدجل والرياء، وقد تخلّت ذاته من الرحمة والرأفة، وكانت عاقبته الهويّ في اتون جهنّم.

---

(١)النمل ٢٧: ١٤.
(٢)الماعون ١٠٧: ٤ ـ ٧.

الولاية ... وأداء الفرائض:

ومثل ذلك يقال في الصوم والزكاة والحجّ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغير ذلك إلى ختام الفرائض كلّها، والتكاليف الدينيّة مثلها إذا عدّت، فإذا كانت كلّها مصحوبة بالولاية والمحبّة والوله بصاحب الشرع، فإنّها تعطي الأثر المطلوب في سياق التكميل الذاتيّ للإنسان، ويبلغ بها أسمى مراتب الكمال والعزّ والجلال، وإلاّ كانت بمثابة الهيكل الخالي من الروح، فإنّ حظّه من ذلك أن يكون جيفة نتنة يزكم الأنوف ويؤذي الأرواح «**فما نودي بشيء كما نودي بالولاية**»(١).

و«هل الدين إلاّ المحبّة»؟! وبناءً على هذا فإنّنا بعد أن اتّضح لنا بالعيان ومشاهدة الوجدان أنّ ما يكسب جميع الفرائض والأحكام الأصليّة والفرعيّة للدين معناها الحقيقي اللائق بها هو الولاية والمحبّة وله القلوب بصاحب الشرع، بحيث لاتقبل من المكلف الفرائض والتكاليف الشرعيّة والدينيّة إلاّ بها، فعلم علماً يقيناً انّ الأساس لرسالة الرسول(ص) ينحصر في إبلاغ هذا المطلب، وإذا لم يبلّغه للناس فكأنّه لم يبلّغ الرسالة كلّها ﴿وَإِن لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾.

أجلْ، هذا وإن جاء قبل نزول سورة المائدة منذ بدء البعثة ونزول الوحي خلال الآيات القرآنيّة الشريفة التأكيد على الولاية

---

(١)الحقائق الناظرة: ١٨: ٤٢٣. كتاب الطهارة للأنصاريّ: ٢: ٣٥٣. المحاسن للبرقي: ١: ٢٨٦. الكافي للكليني: ٢: ١٨ و ٢١ ، ط. دار الكتب الإسلاميّة ـ طهران. وسائل الشيعة: ١: ١٨ ، ط. آل البيت ـ ١: ١١ ط. الإسلاميّة.

والمحبّة بصورة منتظمة، وجاءت الوصيّة في مورد تسليم القلب إلى الله ورسوله في أمثال هذه الآيات الشريفة:

﴿يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ * إِلاَّ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (١).

﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ (٢).

---

(١) الشعراء ٢٦: ٨٨ و ٨٩.
(٢) النساء ٤: ٦٥.

الولاية هي التسليم:

أنّ الميزان الذي يميّز به الإيمان الواقعيّ والنجاة من الوقوع في النار إنّما هو «الولاية» نفسها وتسليم القلب وتفويضه إلى الله والرسول لهكذا مورد عرّفت الولاية ومشتقّاتها.

ولكن تبدو لنا نكتة ظاهرة للعيان، أنّ موضوع الولاية في سورة المائدة والسور النازلة قبلها لم يكن باعثاً على الخوف قبل نزول «آية التبليغ»، وكان النبيّ (ص) يبلغ ما نزل عليه من شؤن الولاية لله ورسوله بثقة واطمئنان دون أن يلابس ذاته الكريمة تردّد في هذا التبليغ، ويطيع الله بما يوحيه إليه ويبلّغه ولايخشى أحداً من عباده، ولم نره أظهر التردّد والخشية إلاّ في التبليغ من سورة المائدة، فنراه وقد أشرف على لقاء الله يستعفيه من تبليغ الآية ويخامر ذاته الشريفة الخشية والخوف عندما أمر بتبليغها، ويبالغ في الاحتياط حتّى أدّى ذلك منه إلى نزول آية التبليغ وخوطب بها خطاباً مباشراً: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ وَإِن لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾، يدرك الإنسان من هذا التفاوت إدراكاً جيّداً أنّ أمراً آخر نزل على النبيّ(ص) غير الولاية والمحبّة والعشق، وقد آذنه ربّه بقرب اللقاء وهو غير المحبّة القلبيّة، بل قبول ولاية فرد أو أفراد آخرين، ضمّت إلى ما تقدّمها من شؤن الولاية القلبيّة بحيث أصبح النبيّ(ص)خائفاً من تبليغها للناس، وأخذ بالاحتياط التامّ في مواجهة الأمّة بها، وإلاّ لو اقتصرت هذه الولاية على المحبّة وحدها، والعشق بمفرده، والشؤن

القلبيّة لاغيرها فقد رأيناه أدّى ما عليه في تبليغ ولاية الله ورسوله أداءاً رشيداً متقبّلاً من ربّه، في غير سورة «المائدة»، وما برح يبلّغ الوحي بولاية الله ورسوله، كلّما وافاه من الله سبحانه مكرّراً، ولم ينازعه خوفٌ أو خشية.

أجل إنّ هذا الموضوع ينطبق تماماً على ما رواه الشيعة عن أئمّتهم مجمعين على ذلك، وجاء في روايات العامّة أيضاً عن الصحابة، مثل: زيد بن أرقم، أبي سعيد الخدريّ، جابر بن عبدالله الأنصاريّ، البراء بن عازب، ابن مسعود، ابن عبّاس، وغيرهم.

إنّ آية التبليغ: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ...**﴾ ترتبط بواقعة غدير خمّ، وأمر الله نبيّه بأن يولي عليّاً(ع) إماماً وخليفة من بعده.

وبناءً على هذا أنّه من الواضح الذي لالبس فيه أنّ ولاية عليّ(ع) وقيادته وقبول إمامته أضيفت إلى ولاية الله ورسوله في أواخر أيّام النبيّ(ص)، وابّان موعد لقائه مع ربّه، فكانت فريضة اُخرى يعهد بوجوبها إلى المكلفين، فكان خوف النبيّ(ص) من تبليغ حكم كهذا الحكم، لأنّه يخشى أن لايقبله المسلمون، وأن يبدوا صدوداً عنه، ويتّهموا النبيّ(ص) بانصياعه في نصب ابن عمّه وزوج بَضعته إلى الوساوس الشخصيّة والميول الخاصّة بذوي الرحم الواحد، وهذا الظنّ يرمي الدين في الصميم ويأتي على بنيانه من القواعد.

ومن أجل هذا نزلت آية التبليغ، وحتّم الله تعالى على نبيّه إبلاغ ولاية عليّ(ع) وإمامته، وأخبره بأنّه حافظه وعاصمه وحاميه،

وعلى أساس ما تقدّم نلاحظ مفاد الآية الشريفة: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ وَإِن لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

ومفهوم الآيات الشريفة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لاَئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَن يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾(١) يكون واحداً من حيث السياق، فإنّ مفهوم «آية التبليغ» هو إبلاغ هذا المطلب الذي أنزل على النبيّ(ص)وألزم بتبليغه، وكان من قبل قد عهد إلى الناس بـ«آية الولاية»، وأوصاهم بإجراء مفهومها وحذّرهم من الوقوع في وادي الضلالة والتيه.

أجل، إنّ من المسلم به أنّ الفريضة التي أمر النبيّ(ص) بإبلاغها والحكم الذي نزل جبرئيل على النبيّ(ص) به، ودلّت عليه «آية التبليغ» ما هو إلاّ فريضة «ولاء عليّ بن أبي طالب(ص) ومحبّته»، وقبول إمامته، وليس شيء غيره.

ومن أجل هذا النبأ العظيم أدركت النبيّ(ص) الخشية على مصير المسلمين؛ لأنّه خشي أن يرتدّوها، وأن يحمل النبيّ(ص) في تقديمه بالخلافة والإمامة على الأغراض الشخصيّة، وأن يقال عنه

(١)المائدة ٥٤ ـ ٥٦.

في هذا الشأن لم يكن أمراً من السماء، وإنّما هو بدافع الرحم بينهما.

الخشية لماذا ؟ :

من أجل هذا تمهّل النبيّ(ص) في إبلاغها بزمن بعد نزولها، وبالغ في الاحتياط من ألسن الناس حتّى نزلت آية التبليغ وأمر النبيّ(ص) بالتعجيل في إبلاغ الناس بإمامة عليّ(ع) وولايته، واتّصفت المسألة بصفة الأوامر الإلـهيّة، واكتست ثياب الوحي. وأصل الحكاية كما يلي:

رأينا النبيّ(ص) منذ بدء البعثة وقد نزل عليه الخطاب بهذه الصورة: ﴿**يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ * وَلاَ تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ * وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ**﴾(١)، فلم يتمهّل في إبلاغ الفرائض النازلة عليه طيلة عهد النبوّة ولا مرّة واحدة، ولم يخش المشركين من العرب، ولا أهل الكتاب طرفة عين، ولم يقصّر في إبلاغ أيّ حكم من أحكام الإسلام.

إنّما هذه هي المرّة الأولى يقف متمهّلاً في الإبلاغ، حيث أمر بحمل المسلمين على ولاية عليّ بن أبي طالب(ع) وإمامته، وقد آذنه إليه بقرب موعد لقائه، وأمره بتثبيتها على شكل ميثاق دينيّ، فكان يخشى المنافقين وضعيفي الإيمان من المسلمين، لاسيّما «المنافقون المحترفون..» منهم، الذين رسخت لهم جذور في المجتمع المسلم وتميّزت لهم أحجام وهيئات، وصارت لهم مكانة دينيّة عند جلّ

(١)المدثر ٧٤: ١ ـ ٧.

المسلمين، ضعيفي اليقين، لأنه خاف أن تنطلق ألسنتهم ويخوضوا بهذا الشأن فيصوّرونه للناس على أنّه محاباة من ذي رحم إلى رحمه، وأنّ ولاية عليّ(ع) ليست شأناً إلـهيّاً، بل ممالأة بينهما.

وبناءً على هذا، فقد انكشف الأمر، وبان الحقّ لذي عينين، فلم يكن خوف النبيّ(ص) على نفسه أن يتعرّض له متعرّض منهم بالقتل أو الاغتيال؛ لأنّه ليس من المعقول أن يحرص النبيّ(ص) على حياته بعد بعثته نبيّاً من الله أكثر من حرصه على تبليغ أوامره الموحى بها إليه، فيتراجع عن تقديم نفسه في سبيل المهمّة الموكل إليه بتبليغها.

وظهر أيضاً بأنّ الفريق الذي يخشاه النبيّ(ص) على ولاية عليّ(ع) - حتّى تمهّل في الإبلاغ - لم يكن سوى فريق المنافقين المحترفين، والمتعاقدين معهم تعاقداً سياسيّاً؛ لأنّ المخالفين لإمامة عليّ وأولاده الطاهرين هم أولئك المسلمون ظاهراً الذين لهم خلفيّة شركيّة وأسلاف كافرون، وليس أحد سواهم، وإلاّ فإنّه من البديهيّ أنّ عابدي الأصنام من العرب وأهل الكتاب في جزيرتهم لم تكن لهم تلك القوّة التي يخشاهم النبيّ(ص) من أجلها في تثبيت إمامة عليّ(ع).

البحث في آية إكمال الدين وإتمام النعمة

الآية الثالثة من سورة المائدة التي لها صفة استثنائيّة، وينبغي أن نُبحث بحثاً معمقاً هي الآية الشريفة التالية: ﴿...اليَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ اليَوْمَ أكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسْلامَ دِيناً...﴾.

وإذا أردنا الوقوف عند هذهِ الآية الكريمة نجد أنَّ قوله تعالى: ﴿...يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ﴾ بمعنى يئس الكافرون من استثمار دين المؤمنين لمصالحهم، لابمعنى يأس الكافرين من الغلبة على دين المؤمنين ومحوه من عرصة الوجود؛ لأنّ إعطاء الجملة ﴿يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ معنى «يئس الذين كفروا من الغلبة على دينكم»، وهو معنى خلاف الظاهر، وإلاّ فينبغي أن يكون هذا المعنى صالحاً في كلّ آية جاءت على نفس الأسلوب والصيغة:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ وَلِقَائِهِ أولئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأولئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ ألِيمٌ﴾(1).

﴿يَا أيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسوا مِنَ الآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الكُفَّارُ مِن أصْحَابِ القُبُورِ﴾(2).

﴿يَا بَنِيَّ اذهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأخِيهِ وَلا تَيْأسُوا مِن

---

(1) العنكبوت ٢٩: ٢٣.

(2) الممتحنة ٦٠: ١٣.

رَّوْحِ اللهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَوْحِ اللهِ إِلاَّ القَوْمُ الكَافِرُونَ﴾ (١).

حيث نلاحظ أنّ المعنى السالف ـ وهو:«اليأس من الغلبة والحقّ...» ـ ليس له وجه معقول في أي واحدة من هذه الآيات الثلاثة، بل في كلّها لايصلح إلاّ معنى اليأس من الانتفاع والاستثمار، وهو المقصود. وبناءً على هذا يكون معنى يأس الكافرين المعنيّين في الجملة: ﴿**الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ**﴾ هو يأسهم من أن ينتفعوا ويكونوا مستثمرين لهذا الدين لنرَ بعد هذا من هؤلاء الكافرون الذين عناهم الله في الآية الشريفة.

وعلى أية حال، فلكي نعرف المصداق الواقعيّ لمفردة ﴿**الْيَوْمَ**﴾ المذكور في الآية الشريفة: ﴿**الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً**﴾ يلزمنا أن نلاحظ القيود الواردة في الآية نفسها، ولنبذل جهداً آخر في معرفة الحقيقة المقصودة من كلمة ﴿**الْيَوْمَ**﴾. فقد اتصفت هذهِ المفردةبوصفين، فهو:«يوم إكمال الدين» و «يوم إتمام النعمة»، وبناءً على هذا فهو اليوم الذي لبسة به آخر فريضة وآخر حكم دين ثياب الوجود وتم تفعلهما.

---

(١)يوسف ١٢: ٨٧.

آخر الفرائض:

والدين وهو مجموع العقائد والأحكام التي نزلت على النبيّ(ص) عن طريق الوحي قد تمّ بإبلاغ آخر فريضة، وبيان آخر حكم عند المسلمين فلم يبقَ فيه نقص أو حاجة لإكمال.

من جهة أخرى لمّا وجدنا أنّ يوم الإكمال هو عينه «يوم إتمام النعمة» علمنا أنّ آخر فريضة بها كمل الدين وآخر حكم لهما تعلّق وارتباط بالولاية والمحبّة وعشق الحقّ؛ لأنّه من اليقين الثابت أنّ الفريضة الوحيدة التي تعطي لأحكام الشرع وجهها، وأنّها تقع فاعلة ومؤثّرة في مسيرة الإنسان التكامليّة ليست إلاّ فريضة الولاية والمحبّة والعشق للحق.

وحين تجلى لنا أنّ آخر فريضة بها كمل الدين وآخر حكم تمّت به النعمة هي فريضة الولاية، وعلمنا من قبل في بيان «آية التبليغ» أنّ فريضة الولاية والمحبّة والعشق لله ورسوله ، إنّما نزلت على النبيّ(ص) في أوّل نزول الوحي، وتكرّر ذكرها بعناوين مختلفة في الآيات الشريفة، يظهر لنا من جميع هذه النكات أنّه وإن كانت فريضة الولاية هي التي كمل بها الدين، وأنّها هي الفريضة الأخيرة التي لم يكمل الدين إلاّ بها، فلا ينبغي أن يقصر الأمر عليها بتفسيرها ولاية لله ورسوله وحدهما، بل ينبغي أن ينضمّ إليها ولاية شخص آخر ومحبّته وقبول إمامته، أو أشخاص آخرين معه، بحيث كانت ولاية هذا الثالث هي آخر فريضة فرضت في الدين، وصار قبولها أو ردّها حاكياً عن الإيمان الواقعيّ أو ردّه بمثابة الميزان الأصيل

الذي يقاس به الإيمان.

وعلى هذه الرويّة أنّ آخر فريضة وآخر حكم بهما كمل الدين هما على التحقيق الفريضة ذاتها التي نزلت «آية التبليغ» بشأنها ودلت عليها، أي أنّ آخر فريضة من فرائض الدين هي تثبيت العهد الديني والميثاق الإلهي على ولاية عليّ بن أبي طالب(ع) وقبول إمامته، التى ضمّت إلى ولاية الله وولاية رسوله في آخر عمر النبيّ(ص) وأمر بإبلاغها.

نعم، أدّى النبيّ(ص) مهمّته بعد نزول آية التبليغ وأخذ الميثاق منهم على ولاية عليّ بن أبي طالب وقبول إمامته(ع)، بحيث نزلت الآية الشريفة عقيب ذلك: ﴿...**الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً...**﴾، وأخبرت عن إكمال الدين وإتمام النعمة،كما أثبت ذلك الفريقان في رواياتهم حول واقعة الغدير، (وسوف نوافيكم ببحث الروايات المتّصلة بالموضوع إن شاء الله تعالى).

المفادات الثلاثة:

وبناءً على هذا، فإنّه يظهر واضحاً جليّاً بأنّ مفاد «آية الإكمال، وآية التبليغ، وآية الولاية» واحد، وهي جميعاً في سورة المائدة، وترتبط بقضيّة متميّزة معلومة، وبالبيان مقصودة، ويمكن أن نختصرها بقولنا: تثبيت ولاية عليّ بن أبي طالب(ع)وخلافته بعد النبيّ(ص) بلا فصل، بفارق واحد وهو أنّ هذا المطلب في آية الولاية اتّصف بعنوان الوصيّة للناس والأمر الموجّه إليهم والمطلوب منهم قبوله، وفي «آية التبليغ» اكتسب حتميّة التبليغ بالنسبة للنبيّ(ص)، وصار تبليغه فريضة لازمة عليه، وفي «آية الإكمال» جاء الخبر من الله تعالى باكمال الدين وإتمام النعمة بعد إثباتها، وحين يتجلى المطلب على هذه الوتيرة، فإنّه يتّضح حينئذ بصورة طبيعيّة النظام الترتيبيّ لهذه الآيات الثلاث المذكورة (آية التبليغ، وآية الإكمال، وآية الولاية)، فإنّها واردة جميعها في سورة «المائدة»، وينبغي أن ترتّب في موضعها طبقاً لنظام نزولها، أي أنّ نظامها الترتيبيّ في آيات سورة «المائدة» يكون على النحو التالي: ابتداءاً نزول «آية الولاية»، وبعدها «آية التبليغ»، وفي آخرها:«آية الإكمال»، على أنّها وضعت في النظام الترتيبيّ في القرآن المتداول اليوم «آية الإكمال» أوّلاً ووضعت في وسط الآية الثالثة، ثمّ تلتها «آية الولاية» فكانت هي الآية الخامسة والخمسون، وجاءت في آخرها «آية التبليغ» وهي السابعة والستّون من مجموع آيات السورة، وهكذا وضعت هذه الآيات على هذا التنظيم في السورة.

أجل، إنّ الإنسان بوعيه الخاصّ يدرك السرّ في مثل هذا التصرّف في الوضع والترتيب.

وهنا لابدّ من بيان مسألة خطيرةٍ مهمةٍ من «آية الإكمال» يجب بحثها وتحقيقها، وهي: ما المقصود بـ﴿ **الَّذِينَ كَفَرُوا** ﴾ الوارد ذكرهم في الآية الشريفة: ﴿ **الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً** ﴾، فمَن هم هؤلاء؟

فمَن هؤلاء الذين حالفهم اليأس من استثمار الدين وتثبيت ميثاق الولاية وعهدها وإقرار محبّة أمير المؤمنين(ع) والاعتراف بإمامته وقبولها، وبذلك وقعوا في دائرة القنوط واليأس؟ !

لاشكّ أنّ المقصود من الذين كفروا المذكورين في «آية الإكمال» هم المنافقون المحترفون والمتّفقون معهم ومنتهجو سياستهم؛ لأنّ هؤلاء اتّخذوا من الإسلام وسيلة للوصول إلى آمالهم وأحلامهم الحزبيّة، وصيّروا أنفسهم بتظاهرهم برعاية شؤون المسلمين والغيرة عليهم والسعي في مصالحهم بمظهر صالح أمام أعين الناس، واكتسبوا المكانة بينهم والوجاهة فيهم، وهيّأوا المناخ المواتي لهم للوثوب على كرسيّ الحكم، ونيل الخلافة والرئاسة على المسلمين بما عقدوا من تحالفات سياسيّة.

ومن الضروريّ أن يكونوا بمنأىً عن تناول هذه الآمال، وتحقيق هذه الأحلام بعد تثبيت عهد الولاية وميثاقها، فقد سدّ الباب في وجوههم، ونالوا اليأس من جني المنافع من الإسلام، وتسخير دين

المؤمنين لأغراضهم الشخصيّة، ورأوا أحلامهم قد أصبحت سراباً بقيعة يحسبه الظمآن ماءاً ﴿**الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ**﴾.

نعم، المقصود من الذين كفروا هم المنافقون المحترفون وأحلافهم السياسيّون، وإلاّ فإنّ كفّار جزيرة العرب لم يكونوا عند نزول «آية الإكمال» بتلك القوّة الضاربة بحيث يلابسهم الوهم بالغلبة والتسلّط على الإسلام لكي يخبرنا الوحي عن يأسهم وقنوطهم؛ لأنّ سراة قريش والمشركين من العرب والوثنيّين منهم اختاروا الإسلام في تلك الفترة إن قسراً أو رضاً، ولم يكونوا حينئذ من الكفّار، ولايصحّ إطلاق هذا اللفظ عليهم.

وكذلك الحال بالنسبة إلى أهل الكتاب، فقد أيسوا من التغلّب على الإسلام بعد الهزائم التي صارت نصيباً لهم وقدراً مقدوراً في غزوات بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة، لاسيّما الهزيمة الماحقة التي لحقت بهم من حرب خيبر، وأصبحوا في طاعة حكومة الإسلام، وقد سبقت هذه الحالة نزول «آية الإكمال» منذ عهد بعيد.

هذا ما كان من شأن الكفّار وأهل الكتاب القاطنين في جزيرة العرب، وأمّا دول الكفّار وأهل الكتاب خارج حدود الجزيرة (إيران، الروم، و...) فإنّ اليأس لم ينزل بساحتهم من غلبة الإسلام والتسلّط عليه حتّى آخر لحظات نزول الوحي..

مضافاً إلى هذا ـ وبغضّ النظر عمّا تقدّم ـ إن قبلنا مصطلح ﴿**الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ وطبّقناه على الكفّار وأهل الكتاب فينبغي أن يكون معنى الآية هكذا: «يئس الذين كفروا من الغلبة على دينكم..» بينما

ثبت لنا أنّ هذا المعنى مخالف لظاهر القرآن ولغة الوحي.

وعلى أي حال، فليس من شكّ ولاتردّد في أنّ المقصود من قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في الآية الشريفة «آية إكمال الدين» هم فريق المنافقين المحترفين أنفسهم، وحلفاؤهم السياسيّون؛ لأنّه لم يكن غيرهم على الساحة في تلك الفترة، بحيث طمعوا بالإسلام وراحت تراودهم الأحلام العريضة، والآمال الواسعة في سبيل الانتفاع منه والاستفادة من دين المؤمنين على النحو الذي يتخيّلونه، وانحصرت القضيّة في هذا الفريق وحده وحلفاءه السياسيّين.

إنّ منافقي قريش والعرب وأهل الكتاب وإن كانوا مسلمين في الظاهر، وأنّهم اختاروا الإسلام بمحض إرادتهم، واندمجوا في غمار المسلمين، ودخلوا في عِدادهم، إلاّ أنّهم تكتّلوا بجماعتهم، واعتزلوا على شكل حزب يؤلفونه، وراحوا يعدّون العدّة بتهيئة المناخ الصالح للانتزاء على كرسيّ الخلافة الإسلاميّة، وأقبلوا على الناس يتّخذون من بعضهم أحلافاً سياسيّين يعينونهم على غصب الخلافة واحتقاب(١) الأمر بعد رسول الله(ص).

ومن الضروريّ التأكيد بأنّ اليأس ركبهم بعد تثبيت النبيّ(ص) «الولاية» والقيادة والخلافة لعليّ بن أبي طالب(ع) في غدير خم، فقد أحسّوا فجأة باليأس ينيخ في ساحتهم، وينزل في دائرتهم، ويراودهم القنوط من الوصول إلى شاطئ أحلامهم، وراحت كلّ جهودهم أدراج الرياح، وباءت خططهم بالإخفاق.

---

(١)احتقب فلان الإثم: كأنه جمعه. الصحاح في اللغة.

أجل، ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ﴾.

والآن كلما يجد من ابتلاء وفتنة في مسيرة الخلافة الإسلاميّة، فالمسؤول عنها المؤمنون أنفسهم، لأنّهم تركوا طريق التقوى الواضح، وراحوا بدلاً من خوفهم من الله واتّقائهم سخطه وغضبه، ووحشتهم من تركهم أمره وطاعته، يخافون من فريق المنافقين هؤلاء، فلذلك أعانوهم على إنكار الحقّ وحرفه عن أهله، وماشوهم في غصب الخلافة، وداروهم على ذلك. ﴿فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ﴾ من اليوم فصاعداً لا تخافوا منهم، فإنّهم منافقون، وخافوا منّي فأنا إلـهكم، وإيّاكم أن تسلكوا غير الطريق الذي اختططته لكم في أمر الولاية، فإنّكم لو ارتكبتم ذلك فإنّ عذابي حالّ بكم، وغضبي نازل عليكم.. ونازعٌ عن قلوبكم وسرائركم نعمة الولاية والمحبّة وعشق الله ورسوله، ومزيل عن قلوبكم مثول أولئك الطاهرين الذين هم المركز الأصيل في الدين. صدق الله العليّ العظيم.

أجل، إنّ المسؤولية كلها أنيطت بالمؤمنين، وألقيت مهمّة تثبيت ولاية عليّ بن أبي طالب(ص) بعد إقرارها بعهدتهم، لأنّه عندما شاهد المؤمنون لغة الوحي في «آية التبليغ» توصيهم بولاية عليّ(ع)، ثمّ نزل الأمر الحتميّ بتبليغها في «آية التبليغ»، واشتدّ الوحي في حمل النبيّ(ص) على لزوم إبلاغها للناس، وقام النبيّ(ص)في غدير خم على تعريفها للناس على أنّها عهد دينيّ وميثاق إلهيّ، وأثبتها بما لايقبل الشكّ والاحتمال، وفي آخر «آية

الإكمال» جاء الخبر صريحاً عن يأس المخالفين وإكمال الدين وإتمام النعمة. «نعمة الولاية» بعد هذه الأحداث المتتابعة.

فعلى المؤمنين التمسّك الجادّ بولاية عليّ بن أبي طالب ومحبّته وعشق الوليّ المطلق الحقّ عليّ بن أبي طالب، وعليهم بطاعته، وأن يقفوا في نصرته وأرواحهم على راحاتهم، وأن يكبحوا جماح مخالفي إمامته، وردّهم على أعقابهم.

ولكن يا حسرة عليهم، وأكثرهم مؤمنون مبتدئون أو ضعفاء الإيمان، وقد خدعوا بالظاهر المخادع لإيمان رؤوس المنافقين المحترفين، وتعاونوا معهم بصورة رسميّة.

والمصيبة الأكبر تتجلى في طائفة اُخرى من المؤمنين ـ تعتبر أفضل توجّهاً وإدراكاً من المؤمنين البدائيّين ـ عندما شاهدوا الجمّ الغفير من الناس يأخذهم الهلع من شوكة المنافقين المحترفين، فانحازوا إليهم، والتفوا حولهم، لذلك أخلدوا إلى السكون، ووضعوا يداً على يد بانتظار ما تتمخّض عنه النتيجة، ولم تبق إلاّ طائفة نادرة تعدّ أفرادها بأصابع اليد الواحدة من المؤمنين الواقعيّين شمّروا عن ساعد الجدّ ووقفوا أنفسهم على نصرة عليّ(ع)، ومن الضروريّ العلم بأنّ القضيّة المهدورة لايمكن أن تنتصر بهم وحدهم.

اليوم المشهود:

لقد انتقل النبيّ(ص)إلى الرفيق الأعلى، واشتغل أمير المؤمنين وأهل بيته وأعوانه بتجهيزه(ص)، وما يزال النبيّ لم يقبر بعد وإذا بالمنافقين المحترفين وحلفائهم السياسيّين في «سقيفة بني ساعدة» قلبوا الأمور إلى صالح خلافة رئيسهم أبي بكر بن أبي قحافة، وجاءوا به يخبون ويهرولون إلى المسجد ورفعوه إلى مقام النبيّ(ص)، وقد قصّر المؤمنون في حماية خليفة النبيّ الحقّ، والوقوف إلى جانبه، كما ذكرنا ذلك توّاً، وخرجت الخلافة عن مدارها الربّانيّ.

والمصيبة العظمى بعد هذا الحدث أنّ رئيس المنافقين المحترفين اُقيم مقام النبيّ، واستلم أعضاء حزبه السلطة، وأصبحوا قادتها الفعليّين، وأتتهمالحكومة الإسلاميّة، وخضعت لهم نواميس الخلافة، وهنا حلّ المكر والحيلة محلّ الصفاء والرفعة، والعداوة والبغضاء محلّ الولاية والمحبّة، والجاهل المدّعي محلّ العالم المبرّء من الادّعاء، والباطل محلّ الحقّ، والمنافق محلّ المؤمن، والأرضيّ محلّ السماويّ، والدنيويّ محلّ الأخرويّ، والجسد المتعفّن محلّ الروح المنزّه الطاهر، وهكذا دواليك.

وظاهر هذا كلّه مزيّن بغشاء الإيمان، وما زال صاحبه يتظاهر بحسن النيّة وطلب رضاية الحقّ، وابتغاء الخير للمسلمين، فمَن ذا الذي يشكّ في هذا الظاهر المتصنّع ويحمله على الغشّ والكذب؟!

وهكذا اتّخذ ظاهراً منحازاً إلى جانب الزهد، وترك الدنيا،

والمحافظة على أوقات الصلاة والعبادات، فيخرج بثياب بسيطة إلى الناس دونما دبدبة أو كبكبة ويجالس فقراء المسلمين ومساكينهم، وبدا في طعامه ولباسه ومسكنه وجميع أوضاعه بحالة من الزهد بحيث خدع جميع مَن يخدع بمشاهدة الظاهر، ويؤسر بمثل هذا الرياء، إلاّ أنّه في حقيقة الأمر أنّ التظاهر بترك الدنيا هو حبالة لاصطيادها، والعزوف عن شهوات الجسد اتّخذه سبيلاً إلى حبّ الرئاسة والتعالي على الناس.

نعم، إنّ شيطانه لم يكن شيطاناً بسيطاً، بل شيطانه هو ذلك الشيطان الأكبر جدّاً، والذي هو شيطان القدرة، إنّه ترك شهوات الجسد وخيال الغنى والثروة لكي يصل إلى سدّة القدرة، وعزف عن الدنيا الرذيلة إلى الدنيا العليا، وتعني عنده الحكومة على مشاعر الناس. إنّه إبليس نفسه، وهو الشيطان الخفيّ، الذي احتزم للإغواء ولاستثمار الخلائق، واتّخذ من الدين وسيلة لبلوغ أهدافه الخاصّة.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ * مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾(١).

---

(١)سورة الناس.

كان الدين قبل وفاة النبيّ(ص) يسير بمنجاه نحو الإنسان الأعلى الذي هو نبيّه المصطفى(ص) وراء هذه الدنيا، والآن ينحدر بمنحاه إلى الإنسان الأدنى في الدنيا، وهو أبو بكر، كان الدين قبل انتقال المصطفى إلى الرفيق الأعلى يهدف إلى صفاء الخيال من هذه الدنيا، واليوم والنبيّ يسار به إلى الجنّة، انقلب إلى دين دنيويّ صرف، فهوا يتحرّك في هذا الاتّجاه، فالدين قبل الوفاة والدين بعدها!!

هذا ما كان من أمر الآيات الاستثنائيّة التي وضعت مفرّقة في سورة «المائدة»، وأبعد بعضها عن بعض ليتفكّك سياقها، وليس لها مشابه في القرآن كلّه، وقد شاهدنا في عمليّة التحقيق هذه أنّ الآيات الثلاث «آية الولاية، وآية التبليغ، وآية الإكمال» متّصل بعضها ببعض، وآخذ بعضها برقاب بعض، وتتّحدث كلّها عن موضوع واحد وهو «فريضة الولاية»، وقبول قيادة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب وأولاده الطاهرين وإمامتهم، لاسيّما الآيتان منها:«آية التبليغ والإكمال» النازلتين في تثبيت عهد الولاية، وإقرار ميثاقها الدينيّ حول إمامة أمير المؤمنين نفسه، وقد نزلت في غدير خم، والآن نبدأ ـ أوّلاً ـ بحديث الغدير طبقاً للمرويّات العامّيّة والأدلّة المأخوذة من مجموع تصوّرهم، ثمّ نواصل بحثها وتحقيقها ونعطف عليها ما انتظم معها بنسق هذا الموضوع، ثمّ نسلّط البحث على النظام التركيبيّ لآيات القرآن وسوره، ونستجلي موقع الآيتين «آية التبليغ» و «آية الإكمال» من حيث وقوعهما في المجال التنظيميّ للقرآن بلحاظ ارتباطهما بالسابق عليهما من الآيات واللاحق بهما.

واقعة الغدير

واستخراج مفهوم الولاية المذكور فيها

أمر النبيّ في السنة العاشرة من الهجرة بدعوة الناس للاشتراك في موسم الحجّ، ونوى الحجّ هذا العام بنفسه الشريفة، فاستعدّ المهاجرون والأنصار وجماعة المسلمين المعروفين في المدينة وأطرافها للحضور في موسم الحجّ هذا العام، وسمّي حجّ هذا العام بأسماء شتّى، فهو «حجّة الوداع» و «حجّة الإسلام» و «حجّة البلاغ» و «حجّة الكمال» و«حجّة التمام»، فخرج من المدينة يوم السبت في الخامس والعشرين من ذي القعدة ـ أو الرابع والعشرين منه ـ ومعه مرافقوه، فأحرم من ذي الحليفة وتوجّه صوب مكّة فقطع المسافة بين مكّة والمدينة في عشرة أيّام، فدخل مكّة في الرابع ـ أو الخامس ـ من ذي الحجّة، ولم يكن في حجّاج هذا العام إلاّ المسلم، وكان المشاركون في هذا العامّ ليس لهم نظير من حيث كثرة الاجتماع في الأعوام الماضية لأنّه علاوة على كثرة الجمعيّة التي صاحبت النبيّ من المدينة وأطرافها، فإنّ المقيمين بمكّة وتوابعها وكذلك أولو الشأن والثروة من أهل البداوة لحقوا بهم لوجود النبيّ(ص) بين ظهرانيهم في حجّ هذا العام، وكذلك لحق به الجماعة الذين قدموا مع الإمام عليّ بن أبي طالب وأبي موسى الأشعريّ من اليمن.

فأدّى النبيّ(ص) مناسك الحجّ مع هذه الجموع الغفيرة، وعرّف الناس بآداب الحجّ الكامل، وفقههم في مناسكه المشرّعة، فلمّا أتمّ تلك المناسك وقفل عائداً إلى المدينة ومعه جماعة المسلمين الكثيرة وصل إلى غدير خم (١) في اليوم الثامن عشر من ذي الحجّة. وفي هذا الموضع بالذات أوحى الله تعالى إلى نبيّه الآية الشريفة: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ وَإِن لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**﴾، وأمره الله أن ينصب عليّاً بن أبي طالب من بعده للولاية والإمامة بأمر الله تعالى.

فأمر رسول الله المسلمين ـ بناءً على ما نزل عليه من الأمر وعهد إليه من الشأن ـ بعودة المسلمين إلى مياه الغدير بعد أن جاوزه إلى الجحفة، ولحق بهم من تخلّف عنهم، وحينئذ دار المسلمون بالغدير برمّتهم، وكان يوماً شديد الحرّ قائضاً بحيث بنوا للنبيّ سقيفة لشدّة الحرّ، وكان المسلمون قد استظلوا ببعض أرديتهم ووضعوا بعضها الآخر تحت أقدامهم.

فلمّا تعالى النهار وزالت الشمس صلّى بهم النبيّ(ص) فريضة الظهر، وبعد الفراغ منها تقدّم إلى مكان قد رفعوه له في وسط الجمعيّة، وخطبهم خطبة جامعة بليغة بحيث بلغ صوته أسماعهم كلها، وأخبرهم بعد حمد الله والثناء عليه عن قرب فراقه لهذه الدنيا، ثمّ قال:**إنّي مسئول وأنتم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون؟**

---

(١)غدير خم موضع بالقرب من الجحفة، وهو مشرف على منعطف تلتقي به طرق ثلاث يسلك بها السالك إلى المدينة وإلى مصر والعراق، وفيه تتفرّق السبل إلى هذه الأمصار الثلاثة.

فقالوا بأجمعهم، نقول: قد أدّيت الرسالة، ونصحت للأمّة، وبذلت الغاية في إرشادها وهدايتها.

فقال(ص): ألستم تشهدون أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمّداً عبده ورسوله، وأنّ جنّته حقّ، وناره حقّ، وأنّ الموت حقّ، وأنّ الساعة آتية لاريب فيها، وأنّ الله يبعث مَن في القبور؟

فأجابوه: نعم، نشهد بهذا كلّه.

فرفع النبيّ(ص) يديه إلى الله وقال: **اللّهمّ اشهد عليهم ما الذي قالوا.**

ثمّ قال لهم: **أيّها الناس، ألاتسمعون؟**

فأجابوه: نعم، كلّنا نسمعك.

فقال:**سوف تردون عليَّ الحوض، وعرضه ما بين صنعاء**(عاصمة اليمن) وبصرى (قصبة من أعمال الشام)**حول كؤوس كثيرة كنجوم السماء وضعت للشاربين، فاستعدّوا بماذا تجيبوني حين أسألكم عن الثقلين.**

فصاح من بينهم رجل وقال: يا رسول الله، وما الثقلان؟

فقال:**أحدهما كتاب الله إن تمسّكتم به لن تضلّوا، والآخر عترتي أهل بيتي، وأنّ اللطيف الخبير نبّأني أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض، فلا تفارقوهما فتهلكوا.**

ثمّ أخذ بضبع عليّ بن أبى طالب(ع) ورفعه إليه حتّى بان بياض إبطيهما، ورأى الحاضرون جميعاً عليّاً.

وقال النبيّ(ص): **أيّها النّاس، من أوْلى الناس بالمؤمنين من أنفسهم؟!**

فقالوا: الله ورسوله أعلم.

فقال: **الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين، وأنا أوْلى بهم من أنفسهم**(يعني لااختيار للمؤمنين في قبال أوامر الله وأوامر رسوله من أنفسهم، ويجب عليهم الطاعة التامّة لأوامرهما).

ثمّ قال: **مَن كنت مولاه فعليّ مولاه.** وأعاد هذه الجملة ثلاث مرّات أو أربع.

ثمّ قال بعد ذلك: **اللّهمّ والِ مَن والاه، وعادِ مَن عاداه، وأحبَّ مَن أحبّه، وابغض مَن أبغضه، وانصر مَن نصره، واخذل مَن خذله، وأدر الحقّ معه حيث دار.**

ثمّ قال: **ألافليبلّغ الشاهد الغائب.**

وأوصلوا ولاية عليّ وخلافته وإمامته إلى جميع الناس وبلّغوهم.

وما زال الناس على اجتماعهم لم يتفرّقوا حتّى نزلت الآية الشريفة: **﴿...الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً...﴾.**

فقال النبيّ(ص): **الله أكبر على إكمال الدين، وإتمام النعمة ورضا الربّ برسالتي والولاية لعليّ من بعدي.**

وأخذت الجماعة تدخل على عليّ زرافات ووحداناً لتهنئته.. وأول مَن بادر إلى تهنئته وسبق الناس بها أبو بكر وعمر، فقد قالاله كلمتهما المشهورة: «.. بخ بخ لك يابن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة..» (١) .

واستأذن حسّان بن ثابت شاعر الأنصار المعروف النبيّ(ص) ليقول شعراً في مناسبة الغدير وتنصيب عليّ(ع) للخلافة والإمامة، فأذن له النبيّ(ص) فقال:

يناديهم يوم الغدير نبيّهم ... يناديهم يوم الغدير نبيّهم ... بخمّ وأسمع بالرسول مناديا
فقال فمن مولاكم ونبيكم ... فقال فمن مولاكم ونبيكم ... فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا
إلهك مولانا وأنت نبيّنا ... إلهك مولانا وأنت نبيّنا ... ولم تلق منا في الولاية عاصيا
فقال له قم يا عليّ فإنني ... رَضيتُك مِنْ بَعدي إماماً وهاديا
فمن كنت مولاه فهذا وليّه ... فمن كنت مولاه فهذا وليّه ... فكونوا له أتباع صدق مواليا
هناك دعا اللهم وال وليّه ... هناك دعا اللهم وال وليّه ... وكن للذي عادى عليّاً معاديا (٢)

وهذا موجزٌ مفيد لواقعة الغدير، وقد جمعناه من مجموع الروايات التي جاءت عن طريق أهل السنّة وفي كتبهم.

---

(١)رسائل المرتضى: ٤: ١٣٢. مسارّ الشيعة للمفيد: ٢١. كنز الفوائد: ٢٣٣. العمدة لابن بطريق: ١٠٦. أضواء على الصحيحين: ٣٣٣. معالم المدرستين: ١: ٣٠٥. شواهد التنزيل: ١: ٢٠١. تاريخ بغداد: ٨: ٢٨٥ز تاريخ دمشق: ٤٢: ٢٣٣.

(٢)رسائل المرتضى: ٤: الأمالي للصدوق: ٦٧١. خصائص الأئمة: ٤٢. المسترشد: ٤٧٠. أقسام المولى: ٣٥. نظم درر السمطين: ١١٣.

وإن كانت بعض الجمل الواردة في هذا السرد موضع للانتقاد، ويستظهر عوارها في تصوير أصل الواقعة المطبق على البحوث القرآنيّة، إلاّ أنّ أصل الواقعة على كلّ حال المختصّ بموضوع الغدير ثابت، وجزء من التاريخ مسلم به.

ورواته من الصحابة الذين نقل التاريخ لنا مشاهد من رواياتهم وهي مبثوثة اليوم في كتب العامّة قد نيّفوا على المائة صحابي، وقد ذكرهم مولانا الأمينيّ مع ذكر المصادر الحاويّة لأقوالهم في صفحة ١٤ إلى ٦١ من المجلد الأوّل لكتاب الغدير، ولن تجدوا حكماً من أحكام الإسلام أو قضيّة من قضاياه، سواء في الأصول أو الفروع، لها مثل هذا العدد من الصحابة الرواة.

ولا نقول: هذا العدد كثير لأنّكم لاحظتم أنّ عدد الشهود لأصل الواقعة هم المهاجرون والأنصار وباقي المسلمين ذوي الشأن في ذلك العهد، لكنّ الذي ينبغي أن يقال: إنّه مع وجود المضادّين للغدير وصاحبه والمعارضين لوقوعه وثبوته من رجال الحزب الحاكم والخلفاء، الذين بذلوا أقصى الجهد في طمسه ومحو أثره، وكلّ واحد منهم جادّ في طرح قضيّة الغدير من الأقوال والأسماع ومن الكتب أيضاً.

مع كلّ هذا فأنت لو أردت قياس سند هذه الواقعة الحيّ إلى سائر الوقائع الإسلاميّة في عصر النبوّة أو قياسه إلى سائر الأحكام الإسلاميّة من أصليّة وفرعيّة لوجدته أشدّ إحكاماً وأقوى دعامة منها جميعاً بمراتب.

أجل، إنّ بذل الجهد في تأمّل النصّ لواقعة الغدير نفسه يكفي الإنسان في معرفة معنى «الولاية» المذكور فيها، ولاحاجة به إلى البحوث المطوّلة في علم الكلام وما من داع يدعو لبحث كون «مفعل بمعنى افعل» إلى أيّة درجة اشتهر بين العلماء واستعمل في هذا المعنى.

هل أنّ مفعل بمعنى فعيل صحيح الاستعمال أو لا؟

وهذه البحوث كلها تتضمّن معنىً جدليّاً وأخيراً انّ كلا المتقابلين في النقض والإبرام يجرّ النار إلى قرصه فيما يسوق من الحجج..

إنّ الذي يجعل تفهّم المعنى أمراً ميسوراً وسهلاً مقبولاً أن يدخل الانسان بحال هذا النصّ بذهن فارغ وبعيد عن كلّ بحث وجدل ويتناول النصّ بروح محايدة لكي يفهم معناه بيسر دونما عناء.

لاريب أنّ شخصاً كهذا يعلم بالقطع أنّ الولاية هذه هي الولاية نفسها الثابتة للنبيّ(ص) على اُمّته في القرآن وعلى المسلمين جميعاً رعايتها والاعتراف بها، وعليهم ولاية الله ورسوله ومحبّتهما.

ومن الظاهر أنّ الحبّ لايختصّ بظاهر الجسد للمحبوب، بل ينبغي أن يتعدّى ذلك إلى الولاية على القلوب والحكم عليها، وعندما تثبت ولاية كهذه الولاية لعليّ بن أبي طالب(ص) وتكون فريضة ولايته واجبة بنفس الحدود التي وجبت بها ولاية الله ورسوله، يكون البحث في «هل أنّ مفعل بمعنى أفعل» بالتبادر الأوّليّ، أو هل أنّ «مفعل بمعنى فعيل» أمراً زائداً على الحاجة وإضافي لاضرورة تقتضيه.

أجل، إنّ ولاية عليّ وإمامته التي تثبتها له «آية الولاية» و «حديث الغدير» أعلى رتبة وأجلّ مقاماً من الولاية الظاهريّة الثابتةللحكام المدنيّين والسلاطين وزعماء الجماعات الآخرين؛ لأنّ ولاية السلطان وحكومته وكذلك الزعيم السياسيّ قائمة على أساس «العقد الاجتماعيّ» وتتعرّض في كلّ آن لخطر النقض، بينما تكون ولاية عليّ وإمامته الظاهريّة قائمة على أساس «الولاية المعنويّة» ومقامه مقام خليفة الله، وهي بمثابة مقام الرسالة لشخص الرسول(ص)، ولكن للأسف الشديد أنّ المسلمين في عصر النبيّ(ص) لاسيّما ذوو القدرة منهم الذين حضروا يوم الغدير لقربهم من العصر الجاهليّ ولوجود جذور الجاهليّة من حيث الصفات والنفسيّات كامنة في أعماق روحهم، ومالئة لقلوبهم، وحاكمة عليهم.

فلم يكون اكفاءاً للاتّعاظ بأوامر الله ورسوله ونصائحهما فيرهنون قلوبهم عند المولى بحبّ وشغف، ويحيطون بسنا غرّته وتعاليمه كما تحيط الفراشات.

وسبب ذلك تنافر وجودهم مع وجود النبيّ(ص) وعليّ من جهة، ومماثلتهم للمنافقين المحترفين واستلاب قلوبهم منهم من جهة أخرى، ومن جهة ثالثة أخذت التحالفات السياسيّة للمنافقين المحترفين مع شتّى الفرق دورها في غصب الخلافة من صاحبها.

وهذه الأسباب استدعت بعد وفاة الرسول(ص) أن تغيّر وجه الخلافة، فيحلّ الجاهل محلّ العالم، والباطل محلّ الحقّ، وأن تتلوّث الخلافة بكلّ قذرات الدنيا فتجلس مجلس الطهر والفضيلة.. وتبتلي الأمّة

الإسلاميّة بما ابتليت به الأمم الأخرى بعد وفاة أنبيائهم. والآن ونحن نشرف على ختام البحث المرتبط بروايات الغدير يلزمنا التذكير بنكتتين سوف نوضّحهما في الفصلين القادمين إنْ شاء الله تعالى.

ضبط أصل واقعة الغدير طبقا للبحث القرآني

ما كتبناه سلفاً من حديث الغدير إنّما هو مفاد أكثر الروايات الخاصّة به المنقولة عن طرق العامّة، ولكنّنا عندما نضع حديث الغدير مساوقاً لنسق الآيات ومفسّراً على ضوء تعابيرها نجد تشابه كلّ الواقعة مع الآية وارتباط الولاية بها ارتباطاً تامّاً، ويظهر من خلال ذلك تفوّق حكم الولاية على جميع الأحكام، والبرهنة من الآيات على أهمّيّتها، وينبغي أن نضع بين أيدينا عدّة جهات ونفحصها بشكل حتميّ:

أوّلاً: خطبة النبيّ(ص) الغرّاء التي خطبها قبل إبلاغ ولاية عليّ(ع) وإمامته، فحمد الله حمداً يليق بجنابه، وأثنى عليه ثناءاً في أعلى مستويات الفصاحة والبلاغة، ثمّ أبان في الخطبة عن ضرورة نصب عليّ للولاية وإمامة المؤمنين بشكل مشرق.

ثانياً: لمّا اتّخذ إبلاغ ولاية عليّ وإمامته بإعلام «آية التبليغ» الصفة العمليّة لزم بناءً على ذلك أن يتكلّم النبيّ(ص) وهو يتلو «آية التبليغ» عن المنافقين المحترفين، والخوف منهم ومن الفتنة التي يثيرونها بعد نصب أمير المؤمنين للخلافة والإمامة.

ثالثاً: ينبغي أن يتمحّض الحديث في خطبة الغدير لمسألة الولاية وحدها وأن يسبق ذكر هذه الفريضة ذكر كلّ فريضة حتّى يتجلّى كما تجلّى في القرآن سموّ هذه الفريضة على غيرها من الفرائض، ويعلم بذلك الجميع ولا يتبادر إلى ذهن إنسان أنّ فريضة أخرى تضارعها

وتساويها.

رابعاً: ينبغي أن يظهر النبيّ(ص) في خطبته الغديريّة قبل كلّ شيء مناقب الإمام عليّ بن أبي طالب(ص) وخصائصه المعنويّة، وأيضاً ينبغي أن يشير إلى الآيات النازلة في حقّه، حتّى يهيّئ المناخ لتبليغ الولاية والإمامة بصفة تامّة، وتكون إمامته(ع) مؤسّسة على دعامة فضائله وكمالاته الذاتيّة، وتوضع ولايته للناس على هذا الصرح الرفيع.

خامساً: لمّا كانت «آية الولاية» غير مقتصرة على شخص عليّ بن أبي طالب(ص) وحده، بل أشركت معه الأئمّة من أهل البيت(ع)، فينبغي أن ينوّه النبيّ(ص) بهم في خطبة الغدير، وينصّ عليهم إلى جنب نصّه على إمامة عليّ وولايته، ولكن برتبة دون رتبته(ع)، وقد فعل(ص).

سادساً: لمّا كانت فريضة الولاية أجلّ قدراً، وأسمى منزلة من جميع الفرائض والتكاليف الدينيّة (كما جاء ذلك في البحث القرآنيّ المتقدّم) كان على النبيّ(ص)في تلك الظهيرة من يوم الغدير والتي اجتمع فيها المسلمون من كلّ حدب وصوب، ودعوا إلى هذا الاجتماع، وقد اصطفّوا هناك لأداء فريضة الظهر أقول: ولو تهيأت ظروف التبليغ للنبي(ص) لأعلن ولاية عليّ بن أبي طالب وإمامته، وينصبه من بعده بلا فصل، ثمّ يقيم بعد ذلك فريضة الظهر ليعلم تقدّم أمر الولاية على فريضة الصلاة عملاً، ولكي يعلم الجميع أنّ رعاية أمر الولاية أعلى واجب وتكليف يخصّهم.

سابعاً: لمّا كانت ولاية عليّ وإمامته أعظم حادثة تقع بعد رسالة النبيّ(ص)وثبت بأنّها أسمى الفرائض وأعلاها مع ما شاهدناه من إحاطة نصب أمير المؤمنين(ع)للإمامة والإمارة على المسلمين بالمشاكل والأخطار يظهر من مجموع هذه القرائن أنّ النبيّ فور أدائه للمهمّة في الغدير، دعا الناس إلى بيعته وتهنئته بإمرة المؤمنين، وبقي في تلك المفازة حتّى بايعه المجتمعون وهنّأوه واحداً واحداً، وأخذ عليهم العهد بقبول إمامته وولايته، لم يستثن منهم أحداً.

الفقرات أعلاه وردت في أصل «واقعة غدير خم» بشكل حتميّ وكساها النبيّ(ص) لباس الوجود، ولكنّنا نرى ـ والألم يحزّ في نفوسنا ـ أنّ أكثر الروايات قد حذف منها السمات الدالّة على ذلك، وأنّ أكثر الرواة اكتفوا بنقل الجملة المعروفة:«**مَن كنت مولاه فعليّ مولاه**».

أجل، وإن كان بمعونة التفصيل المتقدّم أنّ هذه الجملة المعروفة المشهورة كافية في إثبات أصل المطلب، إلاّ أنّ فقرات الحديث إذا ذكرت بمجموعها دونما حذف فإنّ إفهامه يكون سهلاً ومعرفة مراميه تكون ميسورة للجميع.

وعلى أيّة حال، فأحسن رواية عامّيّة نقلت مع ما لها من الجهات المحذوفة في غيرها الرواية التالية:

أخرج أبو جعفر محمّد بن جرير الطبريّ (المتوفّى ٣١٠هـ) بإسناده في كتاب الولاية في طرق حديث الغدير عن زيد بن أرقم، قال:«لمّا نزل النبيّ(ص) بغدير خمّ في رجوعه من حجّة الوداع،

وكان في وقت الضحى وحرّ شديد، أمر بالدوحات فقمن، ونادى الصلاة جامعة، فاجتمعنا، فخطب خطبة بالغة، ثمّ قال:إنّ الله تعالى أنزل إليَّ﴿ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ وَإِن لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾،وقد أمرني جبرئيل عن ربّي أن أقوم في هذا المشهد، وأعلم كلّ أبيض وأسود أنّ عليّ بن أبي طالب، أخي، ووصيّي، وخليفتي، والإمام بعدي، فسألت جبرئيل أن يستعفي لي ربّى لعلمي بقلّة المتّقين، وكثرة المؤذين لي، واللائمين لكثرة ملازمتي لعليّ، وشدّة إقبالي عليه، حتّى سمّوني أذن، فقال تعالى:﴿ وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ ﴾(١) ،ولو شئت أن أسمّيهم وأدلّ عليهم لفعلت، ولكنّي بسترهم قد تكرّمت، فلم يرضَ الله إلاّ بتبليغي فيه.

فاعلموا ـ معاشر الناس ـ ذلك، فإنّ الله قد نصبه لكم وليّاً وإماماً، وفرض طاعته على كلّ أحد، ماض حكمه، جائز قوله، ملعون مَن خالفه، مرحوم مَن صدّقه، اسمعوا وأطيعوا، فإنّ الله مولاكم وعليّ إمامكم، ثمّ الإمامة في ولدي من صلبه إلى القيامة، لاحلال إلاّ ما أحلّه الله ورسوله، ولاحرام إلاّ ما حرّمه الله ورسوله وهم، فما من علم إلاّ وقد أحصاه الله فيَّ ونقلته إليه، فلا تضلّوا عنه، ولاتستنكفوا منه، فهو الذي يهدي إلى الحقّ ويعمل به، لن يتوب الله على أحدٍ نكره، لن يغفر له حتماً على الله أن يفعل ذلك أن يعذّبه عذاباً نكراً أبد الآبدين، فهو أفضل الناس بعدي ما نزل الرزق

(١)التوبة ٩: ٦١.

وبقي الخلق، ملعون مَن خالفه، قولي عن جبريل عن الله، فلتنظر نفس ما قدّمت لغد.

افهموا محكم القرآن ولاتتبعوا متشابهه، ولن يفسّر نلك لكم إلاّ من أنا آخذ بيده، وشائلٌ بعَضُده، ومُعلِمكم: أنَّ مَن كنتُ مولاه فهذا ـ فعليٌّ ـ مولاه، وموالاته من الله عزّ وجلّ أنزلها عليَّ.

ألا وقد أدّيتُ، ألا وقد بلّغتُ، ألا وقد أسمعتُ، ألا وقد أوضحتُ، لا تحلُّ إمرةُ المؤمنين بعدي لأحد غيره.

معاشر الناس، آمنوا بالله ورسوله والنور الذي أُنزل معه من قبل أن نطمس وجوهاً فنردّها على أدبارهم أو نلعنهم كما لعنّا أصحاب السبت (١)، النور من الله فيّ، ثمّ في عليّ، ثمّ في النسل منه إلى القائم المهديّ.

معاشر الناس، سيكون من بعدي أئمّة يدعون إلى النار ويوم القيامة لاينصرون، وأنّ الله وأنا بريئان منهم، إنّهم وأنصارهم وأتباعهم في الدرك الأسفل من النار، وسيجعلونها ملكاً اغتصاباً، فعندها يفرغ لكم أيّها الثقلان (٢)، ويرسل عليكما شواظ من نار فلا تنتصران (٣).

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُم مِن قَبْلِ أَن نَطْمِسَ وُجُوهاً فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ﴾ النساء ٤: ٤٧.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾ الرحمان ٥٥: ٣١.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِن نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ﴾ الرحمان ٥٥: ٣٥.

معاشر الناس، قولوا أعطيناك على ذلك عهداً عن أنفسنا، وميثاقاً بألسنتنا، وصفقة بأيدينا، نؤدّيه إلى أولادنا وأهالينا، لانبتغي بذلك بدلاً، وأنت شهيد علينا، وكفى بالله شهيداً.

قولوا ما قلت لكم، وسلّموا على عليّ بامرة المؤمنين، وقولوا: ﴿الحَمْدُ للهِ الّذِي هَدَانَا لِهذَا وَمَا كُنّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلاَ أنْ هَدَانَا اللهُ﴾ (١)، فإنّ الله يعلم كلّ صوت، وخائنة كلّ نفس، ﴿فَمَن نَكَثَ فَإنّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَن أوْفَى بِمَاعَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أجْراً عَظِيماً﴾ (٢)، وقولوا ما يرضي الله عنكم.

قال زيد بن أرقم: فعند ذلك بادر الناس بقولهم: نعم، سمعنا وأطعنا على أمر الله ورسوله بقلوبنا، وكان أوّل مَن صافق النبيّ عليّاً (كذا) أبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير، وباقي المهاجرين والأنصار، وباقي الناس إلى أن صلّى الظهرين في وقت واحد، وامتدّ ذلك إلى أن صلّى العشائين في وقت واحد، وأوصلوا البيعة والمصافقة ثلاثاً...» (٣).

ومع أنّ هذه الرواية لاتخلو بعض فقراتها من المؤاخذات، ولكنّها أفضل رواية عاميّة على كلّ حال التي يسم البحث القرآنيّ المتقدّم بعض مطالبها بميسم الصحّة، ثمّ إنّها سالمة من الانتقادات الموجّهة إلى متن واقعة الغدير، بالصفة التي ذكرت !

---

(١)الأعراف ٧: ٤٣.

(٢)الفتح ٤٨: ١٠.

(٣)الغدير: ١: ٢١١ و ٢٧٠.

قصة المنع من رواية حديث النبي وتدوينه

لمّا كان حديث الغدير ونظائره من الأحاديث الأخرى في مناقب أهل البيت أو مثالب أعدائهم ومناوئيهم يرد على النبيّ(ص) وينتهي بخزي المنافقين المحترفين، وهدم أهدافهم السياسيّة، عمد الفريق المشار إليه في حياة النبيّ(ص) وبعد وفاته بمعاذير مختلفة وسبل متفاوتة إلى مكافحة تلك الأحاديث، فبذلوا أقصى الجهد في وأدها وإخفائها، ويمرّ بكم أدناه نماذج ممّا ذكرنا:

١ـ سعوا ـ والنبيّ(ص) على قيد الحياة ـ أن لايجمع أحد أحاديث النبيّ(ص)، بخاصّة تلك الأحاديث التي فيها شبه إشادة أو قدح ببعض الأشخاص، وكانوا يقفون في وجه ذلك بصرامة، ونحن ننقل جانباً من ذلك على شكل نموذجيّ جاء في «سنن أبي داود ـ كتاب العلم»، باب كتابة العلم «مسند أحمد» (١) و«مستدرك الحاكم» (٢): عن عبدالله بن عمرو بن العاص، الرواية التالية:«قال: كنت أكتب كلّ شيء أسمعه من رسول الله(ص) أريد حفظه، فنهتني قريش وقالوا: أتكتب كلّ شيء تسمعه؟! ورسول الله بشر يتكلّم في الغضب والرضا؟!

فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول الله(ص) فأومأ بإصبعه إلى فيه فقال:

---

(١) مسند أحمد: ١٢: ١٦٢.

(٢) المستدرك على الصحيحين: ١: ١٠٥.

«اكتب، فوالذي نفسي بيده، ما يخرج منه إلاّ الحقّ».

انظر كيف منع المعروفون من قريش -وهم المنافقون المحترفون أنفسهم عبدالله بن عمرو بن العاص- من كتابة أحاديث المدح والقدح التي لاتوافق ميولهم، والأدهى من ذلك أنّهم حملوا أقوال النبيّ(ص) -نعوذ بالله- على الأغراض الشخصيّة، وجرّدوا أحاديث النبيّ(ص) عن قيمتها.

٢ ـ ولمّا توفّي النبيّ(ص) ما أن وصل المنافقون المحترفون إلى كرسيّ الحكم حتّى قام الخلفاء الثلاثة كلّ بنحو من المعاذير يحول بين نشر الأحاديث التي سمعها الصحابة من فم النبيّ(ص) بين الناس.

ذكر الذهبيّ في «تذكرة الحفّاظ» في ترجمة أبي بكر بن أبي قحافة القول التالي ينقله:

«إنّ أبا بكر جمع الناس بعد وفاة نبيّهم فقال: إنّكم تحدّثون عن رسول الله(ص)أحاديث تختلفون فيها، والناس بعدكم أشدّ اختلافاً، فلا تحدّثوا عن رسول الله(ص) شيئاً ، فمَن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله، فاستحلّوا حلاله، وحرّموا حرامه»(١).

نلاحظ هنا أنّ هذا الرجل -أبو بكر بن أبي قحافة- نهى عن حديث النبيّ(ص)بحجّة اختلاف الصحابة وخشيته من ذلك، وأحيا شعار «حسبكم كتاب الله».

ويروي قرظة بن كعب -وهو أحد العشرة الذين أرسلهم عمر

---

(١)تذكرة الحفّاظ: ٢، ترجمة أبي بكر.

مع عمّار بن ياسر إلى الكوفة ـ حكاية نهي عمر عن نشر أحاديث النبيّ بالسياق التالي:

«قال: خرجنا نريد العراق، فمشى معنا عمر بن الخطّاب إلى صرار، فتوضّأ ثمّ قال: أتدرون لِم مشيت معكم؟

قالوا: نعم، نحن أصحاب رسول الله(ص) مشيت معنا.

قال: إنّكم تأتون أهل قرية لهم دويّ بالقرآن كدويّ النحل، فلا تبدونهم بالأحاديث فيشغلونكم، جرّدوا القرآن، وأقلّوا الرواية عن رسول الله، وامضوا وأنا شريككم.

فلمّا قدم قرظة قالوا: حدّثنا؟

قال: نهانا ابن الخطّاب».

وفي رواية أخرى:«أنّ قرظة قال: فلم أحدّث بعد نهي عمر بحديث واحد»(١).

وهنا تشاهدون أنّ عمر بن الخطّاب تذرّع في عهده بالمحافظة على أنس الناس بالقرآن؛ لأنّ الحديث يقصيهم عنه، لذلك نهى عن نقله وجمعه تحت شعار «حسبنا كتاب ربّنا».

أجل، إنّ هذا المنع كلّه إنّما كان للأحاديث التي يضرّ نشرها بحكومة عمر وحزب الخلفاء، مثل حديث الغدير، وحديث الثقلين و... غيرهما، لاالأحاديث التي تتضمّن الأحكام والتكاليف العمليّة،

(١)المستدرك على الصحيحين: ١: ١٠٢. تذكرة الحفّاظ: ١: ٧. الطبقات الكبرى: ٦: ٧. تهذيب الكمال: ٢٣: ٥٦٥ ، الحديث ٤٨٦٤.

فإنّ النهي لم يجرِ عليها، كما ورد ذلك في تاريخ ابن كثير[1] عن عمر بن الخطّاب، فقد أعلن ذلك بصورة رسميّة:

عن الزهريّ، قال:«قال عمر: أقلوا الرواية عن رسول الله، إلا فيما يُعمل به»، إنّهم لايخافون من انتشار الأحاديث التي تتضمّن الطهارة أو النجاسة، أو الغسل والوضوء، والصلاة وأمثالها، وإنّما خوفهم الأكبر أن يبلغ سمع الناس ما قاله النبيّ في غدير خمّ حين جعل عليّاً خليفته، وأنّه منه بمنزلة هارون من موسى بن عمران، أو أنّه جعل أهل بيته عِدلاً للقرآن.

وللحيلولة دون انتشار أحاديث من هذا القبيل فإنّهم يجعلون الأصحاب الواعين وذوي الضمير اليقض إذا انطلقوا من المدينة إلى أحد البلدان الإسلاميّة تحت المراقبة التامّة بحيث ينقل المراقبون له أدنى تخلّف منهم في منع رواية الحديث.

نعم، من أجل هذا عمد عمر إلى ردّ الصحابة المخالفين له في هذا المضمار إلى المدينة بعد أن ثبت تخلّفهم وحكم عليهم بالإقامة الجبريّة ما دام حيّاً، ولم يأذن لأحد منهم بالخروج.

ويخبرنا عبدالرحمان بن عوف عن هذه الواقعة بالأمر التالي: «.. ما مات عمر بن الخطّاب حتّى بعث إلى أصحاب رسول الله(ص) فجمعهم من الآفاق، عبدالله بن حذيفة، وأبا الدرداء، وأبا ذرّ، وعقبة بن عامر، فقال: ما هذه الأحاديث التي أفشيتم في الآفاق؟!

---

(١)تاريخ ابن كثير: ٨: ١٠٧.

قالوا: تنهانا؟

قل: لا، أقيموا عندي، لاوالله لاتفارقوني ما عشت، فنحن أعلم نأخذ منكم ونردّ عليكم، فما فارقوه حتّى مات» (١).

ومثل ما فعل بهؤلاء فعل بنظرائهم من أمثال عبدالله بن مسعود، وأبي مسعود الأنصاري (٢).

وكذلك عثمان عندما تربّع على دست الخلافة قال في منع رواية أحاديث النبيّ(ص): «لايحلّ لأحد يروي حديثاً لم يسمع به على عهد أبي بكر ولا على عهد عمر..» (٣).

هذا ما كان من نموذج المنع عن رواية حديث النبيّ(ص) وتدوينه في عهد الخلفاء الثلاثة الأول، وقد رأينا معاذيرهم، فهي أحياناً: الخوف من الاختلافات الذي يحدث بين الرواة والناقلين، وأحياناً الحرص على القرآن من إقبال الناس على الحديث وترك الإقبال عليه واستدباره، وأحياناً برفع شعار «حسبنا كتاب ربّنا» وأمثال ذلك، فقد منعوا من رواية الحديث وتدوينه وضبطه من أيّ وجه كان، ومنعوا من انتشاره.

وفي مقابل ذلك نشاهد هؤلاء الخلفاء تركوا الحبل على الغارب لأهل الكتاب المتظاهرين بالإسلام الذين يجرون على هواهم،

---

(١)كنز العمّال: ١٠: ١٨٠. منتخب الكنز هامش مسند أحمد: ٤: ٦٢.

(٢)تذكرة الحفاظ في ترجمة عمر بن الخطاب: ١: ٧. المستدرك على الصحيحين: ١: ١١٠.

(٣)كنز العمّال: ١٠: ١٨٢. منتخب الكنز: ٤: ٦٤. طبقات ابن سعد: ٣: ٣٣٦. تاريخ دمشق: ٣٩: ١٨٠.

ويماشونهم في دعواهم، فقاموا في المساجد أحراراً لايحدّهم شيء ولايصدّهم صادّ، وفي المجتمعات العامّة ينقلون الأحاديث والقصص الدينيّة التي أكثرها ملبّسة بلباس أهل الكتاب وعليها طابعهم وتنشر أفكارهم، واستعانوا بهم على ترويض الناس لهم، وامتدّت الاستفادة من هؤلاء القصّاصين وعلماء أهل الكتاب ورواة الإسرائيليّات طيلة عهود الخلفاء الثلاثة، ومن بعدهم أيضاً. اللهمّ إلاّ في أيّام الخلافة الظاهريّة لأمير المؤمنين(ع) فقد طردهم من المساجد، ومنعهم من القصص، ولم يأذن لهم بذلك.

لقد لاحظنا في منطق الخلفاء أنّ ناقلي الإسرائيليّات مثل عبدالله بن سلام، وتميم الداريّ، وكعب الأحبار لا تؤدّي إسرائيليّاتهم إلى الإضرار بالإسلام، ولاتوجب حدوث الاختلاف في العقائد بين المسلمين، ولكنّ رواية أحاديث رسول الله بواسطة أمثال أبي ذرّ وعمّار بن ياسر وابن مسعود وأبي الدرداء وغيرهم، تحدث الاضطرابات في المسلمين وتقصيهم عن القرآن الكريم.

٣ ـ ولمّا جاء الدور إلى معاوية ونال دست الخلافة جرى على غير سنن أبي بكر وعمر وعثمان الذين تذرّعوا بأعذار مختلفة وواهية لاتقنع إلاّ العوام، وهي أساساً لخداعهم واللعب عليهم، في منع رواية أحاديث النبيّ(ص) وتدوينها، فقد صرّح معاوية بالعلّة الأصليّة لهذا المنع، وأوعز إلى جميع عمّاله وحكّام الولايات والأقاليم أن يقفوا بصرامة في وجه انتشار الأحاديث في مناقب عليّ وفضائله ومناقب أهل بيته، وفي مقابل ذلك أن يقوموا بصياغة أحاديث من نفس النمط في الخلفاء الثلاثة وغيرهم من الأصحاب الموالين لهم،

ويضعوها على لسان النبيّ(ص)، ونضع بين يديك نموذجاً لذلك من كتاب «الإحداث» لأبي الحسن المدائنيّ، وهو من العلماء المعروفين في أواخر القرن الثاني ومطلع القرن الثالث الهجري، كما نقل ذلك ابن أبي الحديد في كتاب شرح نهج البلاغة(١)، قال: «.. روى أبو الحسن عليّ بن محمّد بن أبي يوسف المدائنيّ في كتاب الإحداث، قال: كتب معاوية نسخة واحدة إلى عمّاله بعد عام الجماعة: أن برئت الذمّة ممّن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته(٢).

وكتب إليهم: أن انظروا مَن قِبَلكم من شيعة عثمان، ومحبّيه، وأهل بيته، والذين يروون فضائله ومناقبه، فأدنوا مجالسهم، وقرّبوهم، واكتبوا لي بكلّ ما يروي كلّ رجل منهم، واسمه، واسم أبيه، وعشيرته..، ففعلوا ذلك حتّى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه لما كان يبعثه إليهم معاوية ويفيضه عليهم، وكثر ذلك في كلّ مصر، وتنافسوا في المنازل والدنيا، فليس يجيئ أحد مردود من الناس عاملاً من عمّال معاوية فيروي في عثمان فضيلة أو منقبة إلاّ كتب اسمه وقرّبه وشفّعه، فلبثوا بذلك حيناً»(٣).

ثمّ كتب إلى عمّاله:«إنّ الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كلّ مصر وفي كلّ وجه وناحية، فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأوّلين، ولاتتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلاّ وتأتوني بمناقض له في الصحابة

---

(١)شرح نهج البلاغة: ٣: ١٥.
(٢)الاحتجاج ٢: ١٧. شرح نهج البلاغة: ١١: ٤٤.
(٣)شرح نهج البلاغة ١١: ٤٤ و ٤٥.

مفتعلة، فإنّ هذا أحبّ إليّ، وأقرّ لعيني، وأدحض لحجّة أبي تراب وشيعته، وأشدّ عليهم من مناقب عثمان وفضله.

فقرئت كتبه على الناس فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها، وجد الناس في رواية ما يجري هذا المجرى حتّى أشادوا بذكر ذلك على المنابر، وألقى إلى معلمي المكاتب فعلموا صبيانهم وغلمانهم من ذلك الكثير الواسع، حتّى رووه وتعلموه كما يتعلمون القرآن، وحتّى علموهم بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم، فلبثوا بذلك ما شاء الله»(١).

فظهر حديث كثير موضوع وبهتان منتشر، ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة، وكان أعظم الناس في ذلك بليّة القرّاء المراؤون والمستضعفون الذين يظهرون الخشوع والنسك، فيفتعلون الأحاديث ليحظوا بذلك عند ولاتهم، ويقرّبوا مجالسهم، ويصيبوا به الأموال والضياع والمنازل، حتّى انتقلت تلك الأخبار والأحاديث إلى أيدي الديّانين الذين لايستحلون الكذب والبهتان، فقبلوها ورووها وهم يظنّنون أنّها حقّ ولو علموا أنّها باطلة لما رووها ولاتديّنوا بها».

ولابدّ من كوننا عرفنا نوعيّة الحديث الذي انصبّ المنع عليه، وحظرت روايته وتدوينه، وفي ضمن ذلك ظهرت حقيقة المناقب والفضائل المرويّة للخلفاء الثلاثة وسائر المقرّبين منهم من الصحابة في الجوامع الحديثيّة، وما شابهها من الأحاديث في حقّ عليّ وأهل بيته الطاهرين، فإنّها جميعاً موضوعة ولاموجب لفحصها من حيث السند أو المتن.

---

(١)شرح نهج البلاغة ١١: ٤٥.

ثمّ إنّ جهاز وضع الحديث في عهد معاوية الذي استغرق من الزمان تسعة عشر عاماً استمرّ في عمله بجدّ، فانظر أي طائفة أفرزتها هذه الحقبة من الأحاديث الموضوعة في فضائل الشيخين وعثمان ومعاوية وسائر الصحابة السالكين مسلكهم والموالين لهم، ونشرتها بين الناس، ثمّ إنّكم عندما تقرأون في التاريخ بأنّ سبّ عليّ(ع) على منابر المسلمين منذ بدء حكومة معاوية إلى عهد عمر بن العزيز في جميع البلاد الإسلاميّة، وما تعرّض له شيعته ومحبّوه من اللعن والإقصاء تقفون على واقع الحال من وأد فضائله وفضائل أهل بيته، وإخفاء أكثرها عن متناول أيدي الناس، وفي ظروف مثل هذه الظروف عندما يرفع حظر الخلفاء من تدوين الحديث في القرن الثاني للهجرة ويؤذن بكتابته من روايات العامّة تقوّلهم، فإنّه من الحتميّ أن يدخل فيه الأحاديث الموضوعة في فضائل الخلفاء والصحابة وحزبهم، وتضبط في تلك الكتب والجوامع.

وفي مقابل ذلك فإنّ الأحاديث المرويّة في فضائل عليّ بن أبي طالب(ص) ومناقبه وسائر أهل بيت العصمة والطهارة(ع) تتدنّى إلى أدنى مستوىً لها، لا سيّما حديث الغدير الذي يدفع المتغلّبين من خلفاء بني أميّة وبني العبّاس بصفة رسميّة ولا يمكن لهم من خلال هذا الحديث الإبقاء على مناصبهم، من جهة أخرى نجد الحديث قد اُهمل في الكتب الرسميّة للخلفاء، أمثال سيرة ابن هشام، صحيح البخاريّ، تاريخ الطبريّ و... بصورة متعمّدة، وغاب في حمأة النسيان، فلا ترى لحديث متواتر ومتقن مثله ذكراً في تلك الكتب، والذين ذكروه من الرواة والمؤلفين فقد عمدوا إلى بتره وخلط أوّله بآخره، بلْ تلاعبوا به فحذفوا منه الصدر والعجز، وأخفوا

القرائن الحاقة به من زمانيّة ومكانيّة ليستروا إشراقة مطلعه.

إلى هنا نختم البحث في أحاديث واقعة الغدير، وننهي تحقيقها، ونقوم في الفصل القادم ببحث النظام الترتيبيّ والتركيبيّ لسور وآيات القرآن الكريم لكي يتميّز الموقع التنظيميّ لـ «آية التبليغ وآية الإكمال» تبعاً لذلك.

البحث في النظام الترتيبي والتركيبي

لسور القرآن وآياته

نخصّص مراحل الحديث القادمة في بحث النظامين الترتيبيّ والتركيبيّ لسور القرآن وآياتها ونتعقّبها في هذا المجال.

المرحلة الأولى: البحث في النظام الترتيبيّ لسور القرآن المجيد:

ونقول في بحث النظام الترتيبيّ لسور القرآن:

١ ـ من اليقين أنّ ترتيب سور القرآن المتداول اليوم بأيدي المسلمين لم يضع على أساس واقع النزول، كما نرى في سورة «البقرة» وسورة «آل عمران» وسورة «النساء» وسورة «المائدة»، مع كونها من السور النازلة بعد الهجرة، وهى معدودة في السور المدنيّة، تقدّمت سورة «الأنعام» وسورة «الأعراف»، وهما مكّيّتان بالقطع واليقين.

وهذه الطريقة في التقديم والتأخير معتمدة في المصحف كلّه، ويكفي الإنسان التعرّف على السور المكّيّة والمدنيّة ليدرك أنّها لم يكن ترتيبها طبقاً لنزولها، ولم يراع في ترتيبها زمن نزولها ولاطبيعته.

٢ ـ من التحقيق في الفصول المتقدّمة من الكتاب هذا يدرك المتأمّل بوضوح وجلاء أنّ في اعتماد هذا النظام في ترتيب السور

من القرآن الفعليّ إنّما روعيت مصلحة الحزب الحاكم كما كشفنا سرّ ذلك في اتّصال سورة «عبس» بسورة «النازعات» تجد ذلك بيّنا سرّ الفصل بسورة «الفتح» بين سورة «محمّد(ص)» و «الحجرات».

أجل، عندما يبدو للعيان أنّ النظام الترتيبيّ للسور على ما هو عليه الآن، يستبطن غرضاً شخصيّاً للحزب الحاكم من حيث توفّره على رعاية المصلحة له، وكان ترتيبه على هذا النحو مقصوداً من أجل توفّر هذا الغرض، يكون هذا الاحتمال في الموارد التي لم يتمّ اكتشافها معقولاً، ويحمل المحقّق الشوق العارم لبذل الجهد في كشف مطالب أخرى، ومعرفة الأغراض المستبطنة في ذلك لكي يتوصّل الباحث إلى العلّة الحقيقيّة من اعتماد هذا المنهج في إثبات السور على خلاف ترتيبها النزوليّ. هذا من جانب.

ومن جانب آخر يلمّ بوجه المصلحة التي حملت الحزب الحاكم على هذا الترتيب، ويتعرّف على ملامحها خلال البحث.

٣ ـ وبناءً على هذا ينبع من هذه الأجواء سؤال ملحّ، وملحّ جدّاً عن السبب في جعل الحزب الحاكم «والمنافقين المحترفين» يعزب عن ترتيب السور حسب النزول، وهو ترتيب طبيعيّ، ويفزع إلى هذا الترتيب الذي أقام عليه السور وتصرّف هذا التصرّف الغريب.

ومن أجل الحصول على الجواب المقنع ينبغي علينا أن نعرف مدى الضرر بالحزب الحاكم إذا ما رتّب السور على حسب نزولها في الزمان.

من الواضح أنّهم لو كانوا رتّبوا السور على حسب ترتيب النزول، فإنّ ذلك مدعاة إلى سحب الاعتبار من الحزب الحاكم وإخوانه وأعوانه من الأقرباء والنائين؛ لأنّ أي مسلم يقرأ القرآن ولو مرّة واحدة، فإنّه يتعرّف على الحقائق التاريخيّة التي جرت وقائعها خلال ثلاث وعشرين سنة من نزول الوحي، ويدرك بجلاء أنّ المجتمع المسلم في سنيّ عمر النبيّ الأخيرة وفي أيّام اتّساع الإسلام كم هو معبّأ بالمنافقين المحترفين والمنافقين العاديّين وضعفاء اليقين، وأنّ هؤلاء يؤلفون الأكثريّة في المجتمع، وقد كشف الوحي هويّتهم وأزاح الستار عن مكنوناتهم، وأظهر النفرة منهم.

ولمّا صعد النبيّ(ص) إلى الرفيق الأعلى نزت هذه الأكثرية على الحكم، واستلبت الحكومة من المسلمين، وغصبت الخلافة.

أجل، لو أنّ القرآن رتّب ترتيباً على حسب نزول سوره ووضعت السور كلّ في محلّها المعدّ لها من حيث النزول لتنزلت البركة على طلاب الحقيقة، وأقلّ فيوضاته تعريفه أهل الكمال والفضل بواقع التاريخ في فترة الثلاث والعشرين عاماً التي كان الوحي يراوح النبيّ(ص) ويغاديه، ويوقف المحقّقين وأهل الفطنة المدقّقين على الواقع المخالف للمأثور من التاريخ، والمشهور بين الناس منه من أنّ في فترة الثلاث والعشرين عاماً مدّة نزول الوحي ما يزال الإسلام في اطّراد والمسلمون الواقعيّون في ازدياد مطّرد، والناس تتعرّف أكثر وأكثر على الكمالات المعنويّة والفضائل الأخلاقيّة لرسول الله(ص)، وتتّسع على هذا الأساس مداركهم

العلميّة، وتتمّ تربيتهم على هذا النهج اللاحب.

ولكن مع مزيد الأسف يظهر جليّاً أنّه كلّما ازداد الإسلام قوّة وتصلّبتشوكته، وتقهقرت المعنويات بينهم وحلّ بها الضعف، ومالوا إلى الشهوات أكثر، وانقلبوا على الإسلام بجنوحهم إلى الهوى النفسانيّ، وأقاموا لأنفسهم قاعدة مضادّة للنبيّ(ص) ومراحمة له، وتحزّبوا ضدّ أوامر الله وقوانينه ، وكلّما انحدرنا مع تاريخ الإسلام وقاربنا فترة غروب شمسه يتّضح لنا خطاب القدح والتقريع والذمّ من الآيات للمسلمين، وأنّه يشتدّ لحنه كلّما دنونا مسافة من الختام إلى الحدّ الذي يكون ثلاثة أرباع السورة النازلة في تلك الفترة -وهي سورة «التوبة»- قد توفّرت على ذمّ هذه الأكثريّة، وهم المنافقون المحترفون ومَن يضرب على أوتارهم، ويزجل معهم.

وعلى كلّ حال، فإنّ إيمان الأصحاب ومسلمي الصدر الأوّل وتقواهم في الدين ينبغي أن تكون قد وصلت في آخر الأمر إلى أدنى مستوياتها، حيث نراهم وقد اجتازوا بعد واقعة الغدير شهرين ونصفاً فحسب والنبيّ(ص) يعالج سكرات الموت، خلّفوا أوامر الله ونصائح رسوله وراءهم ظهريّاً، وتركوا عليّاً بن أبي طالب(ص) وانساقوا وراء أبي بكر بن أبي قحافة شيخ المنافقين المحترفين فبايعوه..

٤ ـ فإذا ثبت لنا أنّ ترتيب السور القرآنيّة قد تمّ لصالح الحزب الحاكم، واعتمدوا بتنظيم السور على هذا الأساس، فإنّ سؤالاً ملحّاً يتبادر هنا: على أيّ مبنى أقرّ الحزب الحاكم تنظيمه هذا؟ وما هو المعيار الذي أقام عليه هذا النظام للسور؟!

ونسأل أيضاً: هل أنّ هدف الحزب الحاكم مقصور على إخفاء آثار خطاه وخطى أعوانه أنّ له أهدافاً أخرى جانبيّة؟!

وللجواب على السؤال الأوّل عن المعيار الذي أقام عليه الحزب الحاكم تنظيمه يتبادر إلى الذهن لأوّل وهلة أنّ المعيار في ذلك طول السورة وقصرها، فقدّم الأطول على الأقصر، وعلى هذا الأساس يتحوّل من الأطول إلى الأقلّ طولاً، ومن الأقصر إلى الأشدّ قصراً، إلى آخر المائة والأربع عشرة سورة من القرآن، وسار على هذا المنوال ولكن بأقلّ التفاتة إلى نظام الترتيب الموجود الآن يظهر جليّاً أنّه وإن كان طول السورة وقصرها ملحوظاً أيضاً في التقديم والتأخير، ولكن لم يكن ذلك الهدف الوحيد لهم؛ لأنّه لو كان المعيار المذكور هو الأصل في هذا الترتيب، فينبغي أن يكون الترتيب على سبيل المثال، إن كان الطول والقصر هو علّة التقديم والتأخير على هذا النحو الذي نرسمه لك هنا:

١ ـ سورة البقرة٢٨٦ آية

٢ ـ سورة الأعراف٢٠٦ آية

٣ ـ سورة آل عمران٢٠٠ آية

٤ ـ سورة النساء٢٧٦ آية

٥ ـ سورة الأنعام١٦٥ آية

٦ ـ سورة التوبة١٢٩ آية (بدون وصلها بسورة الأنفال)

٧ ـ سورة هود١٢٣ آية.

٨ ـ سورة المائدة ١٢٠ آية

وإذا ما رتّبنا السور على حسب الطول والقصر وعدد الحروف والخطوط التي تشغل حيّزاً من السورة، يكون الترتيب على النحو التالي:

١ ـ سورة البقرة تبلغ حدود ٥٨٠ خطاً طبقاً لنوعيّة المصاحف المطبوعة بمصر.

٢ـ سورة النساءتبلغ حدود ٣٤٩ خطاً.

٣ ـ سورة آل عمرانتبلغ حدود ٣٢٦ خطاً.

٤ ـ سورة الأعرافتبلغ حدود ٣١٦ خطاً.

٥ ـ سورة الأنعامتبلغ حدود٢٧٨ خطاً.

٦ ـ سورة المائدةتبلغ حدود ٢٤٨ خطاً.

٧ ـ سورة التوبةتبلغ حدود ٢٣٥ خطاً بدون وصلها بسورة الأنفال.

٨ ـ سورة هودتبلغ حدود ١٨٠ خطاً.

بينما نرى ترتيب السور الطوال في القرآن المتداول بين الأمّة على النحو التالي:

١ ـ سورة البقرة.

٢ ـ سورة آل عمران.

٣ ـ سورة النساء.

٤ ـ سورة المائدة.

وعلى هذا الأساس ينبغي أن نمعن النظر في تنظيم الحزب الحاكم لهذه السور الطوال نفسها التي اتّخذناها قاعدة للقياس عليها، فنعرف ما هو هدفه الآخر بعد أن عرفنا هدفه الأوّل، وهو الإعفاء على الأثر الذي خلفه في المجتمع هو وأعوانه، وجاء القرآن ليحاسبه عليه ويعرضه على الأمّة حتّى لاتنخدع به، وعندما نذهب بعيداً إلى محاولة الكشف عنه سوف نجد أنّ تنظيم السور الطوال على ما هو عليه الآن في القرآن المتداول يؤمّن لسياسة الحزب الحاكم عدّة أهداف من جهات متعدّدة:

١ ـ أوفى الحزب في سياسته لليهود والنصارى من أهل الكتاب على الغاية؛ لأنّ كثرة الآيات الموجودة في السور الأربع: سورة «البقرة»، سورة «آل عمران»، سورة «النساء»، وسورة «المائدة» تحتشد في هذه السور الأربع، وهذه الآيات وإن جاءت لإبطال مفعول التبليغات السيئة على الإسلام التي يطلقها أهل الكتاب واليهود، ونزلت على شكل حجج دامغة ضدّهم وعلى شكل دعوة جامعة لهم لنبذ العقائد الباطلة واعتقاد الصحيح منها، لكي يهتدوا بعد ضلالتهم، ويرشدوا بعد تيههم. ولكنّ الحزب الحاكم استثمر هذا التقريع والتوبيخ المذكور في الآيات الشريفة فجعل السور الأربع في النظام الترتيبيّ واحدة بعد الأخرى حتّى يتسنّى لكلّ مسلم يشرع في تصفّح القرآن عندما يرى سدس القرآن يخاطب أهل الكتاب بلغته المعهودة، ويرى الحرب الساخنة الدائرة بينهم وبين الإسلام في

الخطاب القرآنيّ تتحرّك عاطفته المشبوبة ضدّهم ويزادد مقتاً لهم وبُعداً عنهم، ويتنامى هذا الحقد وتكبر العداوة في نفسه، حتّى يصبح العدوّ الألدّ لهم. هذا من جهة.

مع أنّ الإنسان المنصف وصاحب الذوق والفهم عندما يفرد سورة عن سورة بحيث يكون ترتيبها حسب نزولها، ويدقّق في السور الفاصلة التي تليها، أو يكون ترتيبها على حسب الطول والقصر الواقعيّ على أقلّ تقدير، فإنّه سوف يرى عدم محاولة إثارة العداء بين المسلم وبين أهل الكتاب في آيات هذه السور الأربع، ليس هذا فحسب، بل سوف يطّلع على الدعوة إلى المحبّة والتآخي والسلم النازلة في هذه الآيات مع أهل الكتاب، فينساق طبقاً للخطاب القرآنيّ هنا إلى الإخاء وردّ العداء ومجانبة الحقد عليهم، ومحاولة صدّهم عمّا درجوا عليه من الضلال، وردّهم إلى حضيرة الحقّ والاهتداء.
ألم ترد هذه الجمل الشريفة ضمن الآيات في السور الأربع نفسها:

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ﴾(١).

﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾(٢).

---

(١)البقرة ٢: ١٢١.
(٢)البقرة ٢: ١٣٦.

﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ (١).

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ﴾ (٢).

﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ (٣).

﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾ (٤).

﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ (٥).

﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ (٦)

﴿يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٧).

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾ (٨).

---

(١)البقرة ٢: ١٣٩.
(٢)آل عمران ٣: ٦٤.
(٣)آل عمران ٣: ٦٨.
(٤)آل عمران ٣: ٧٥.
(٥)آل عمران ٣: ١١٣.
(٦)آل عمران ٣: ١١٥.
(٧)آل عمران ٣: ١٦٤.
(٨)النساء ٤: ١٥٢.

﴿لكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾(١).

﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ﴾(٢).

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدىً وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾(٣).

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الأَنْجِيلَ فِيهِ هُدىً وَنُورٌ﴾(٤).

﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الأَنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فِيهِ﴾(٥).

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ﴾(٦).

أنتم ترون أنّ الآيات آنفة الذكر لايبدو من خلال كلماتها الشريفة وجملها المنيفةغير علائم الصدق والإخلاص والصميميّة والصفاء والسلم وليس سوى ذلك واقعاً حين تشاهد لغة الوحي وهي ترتطم بأهل الكتاب يتجلى منها في كلّ موضع. هذا

---

(١)النساء ٤: ١٦٢.
(٢)المائدة ٥: ٥.
(٣)المائدة ٥: ٤٤.
(٤)المائدة ٥: ٤٦.
(٥)المائدة ٥: ٤٧.
(٦)المائدة ٥: ٨٢.

العنوان: ﴿**مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ**﴾، وتعنون به آيات القرآن، ويعتبر النبيّ(ص)مترسّماً طريق الهداية للأنبياء قبله ﴿**أولئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ**﴾(١).

ويعتبر دينه إتماماً لأديان أهل الكتب السماويّة ومكمّلاً لها: ﴿**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ**﴾(٢).

وحينئذ ما من عامل وذي مسكة يحتمل أنّ كلامَ الوحي إنّما نزل لزرع بذور العداء والحقد في قلوب أتباعه على اليهود والنصارى- ووضع أساس الأجواء السائدة لظهور الخلافة التي تدعى إسلاميّة على مضمون الحزب الحاكم.

وبناءً على هذا يظهر جليّاً أنّ جميع الآيات التي ظاهرها في توبيخ أهل الكتاب وتأنيبهم، ويلوح عليها التعميم بحيث تشملهم أفراداً وجماعات، إنّما هي خاصّة بالكفّار منهم، ولاتعني المؤمنين بحال من الأحوال، كما جاء في كثير من آيات القرآن هذا العنوان: ﴿**الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ**﴾(٣).

ومن المؤكّد أنّ هذا العنوان لايتناول المؤمنين أصلاً، أليس التعبير عن يهود بني النضير لمّا نقضوا العهد وخانوا المواثيق المعقودة جاء على هذا النحو:

---

(١)الأنعام ٦: ٩٠.
(٢)المائدة ٥: ٤٨.
(٣)البقرة ٢: ١٠٥. الحشر ٥٩: ٢ و ١١. البيّنة ٩٨: ١ و ٦.

﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللهِ فَأَتَاهُمُ اللهُ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ * وَلَوْلاَ أَن كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْجَلاَءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الأَخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِّ اللهَ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (١) .

ثمّ إنّ هذا الموضوع لااختصاص له بغير المؤمنين من أهل الكتاب، ونرى عياناأنّ الآيات من لغة الوحي قد سلبت الإيمان في كلّ موضع من المنافقين المحترفين والمنافقين العاديّين الذين ظاهرهم الإسلام، وصرّح بكفرهم:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢) .

﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ (٣) .

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ (٤) .

---

(١)الحشر ٥٩: ٢ ـ ٤.
(٢)البقرة ٢: ٨.
(٣)البقرة ٢: ١٠.
(٤)التوبة ٩: ١٢٥.

وعلى كلّ حال، لمّا فرض الحزب الحاكم حكومته على الناس باسم الدين وفيثياب الشريعة فلا بدّمن محاولته الاستفادة القصوى من آيات لغة الوحي لكي يتقوّى بها، وبما أنّه لم يكن بمقدوره وضع الآيات لصالحه لذلك اضطرّ إلى اللجوء لمثل هذا الاحتيال من تغيير النظام الترتيبيّ لسور القرآن على حسب نزولها الطبيعيّ، فبدّل وغيّر في ذلك، فتحدّر بالسور من السور الطوال إلى السور القصار، وعلى هذا الترتيب عمد إلى لعبة أخرى، فجاء بالسور التي تِطابق مزاجه وتنطبق مع سياسة حزبه، فنظّمها الواحدة عقيب الأخرى لينال الهدف الأساس من محاربته لأهل الكتاب ومضادّاته لهم، وإلاّ فإنّ الضرورة قاضية لو أنّهم اعتمدوا على نظام ترتيب السور حسب الطول والقصر فينبغي عليهم أن يجعلوا سورتي «الأنعام» و«الأعراف» بين فواصل السور الأربع الأولى، ولكنّهم يعلمون أنّ عداء اليهود والنصارى يتجلّى أكثر بين آيات السورتين المطوّلتين «الأعراف» و«الأنعام»، وربّما كانت الفائدة العائدة على حزبهم في التريب القائم اليوم أكثر من ثمّ وضعوا السورتين السالفتين بعد السور الأربع سورة «البقرة» و«آل عمران» و«النساء» و«المائدة» لكي لاينقطع تواصل الفكرة الحادثة من قرائتها عند القارئ إذا ما تلى السورتين آنفتي الذكر بحيث يتحوّل رأيه إلى الرأي المردود فيما بينهم من أنّ العداء والمشادّة بين لغة الوحي واليهود أمراً عاديّاً وهيّناً.

وعلى كلّ حال، فإنّ الحزب الحاكم لم يقنع بهذا العمل في إجراء سياسة حزبه ضدّ أهل الكتاب، وإنّما عمد إلى تقوية هذه السياسة إلى جانب الاستفادة من نظام ترتيب السور بوضع الأحاديث لكي يثبت للأمّة بأنّ سياسته ضدّ أهل الكتاب إنّما هي تنفيذ لعهد رسول

الله(ص) وتعقيب لأوامره وطاعة لحكمه(ص) الذي أمر به في آخر دقائق عمره، أي وجنابه في السياق كما ألصقوا به صلوات الله عليه وهو يفارق أمّته وصيّة موضوعة وقام بوضعها «جهاز الوضع للجهاز الحاكم» واعتبرت من أدقّ وصاياه التي تفضّل بها قبل أن يفارق الحياة، فيزعمون بأنّه قال لأمّته:

«لا يبقينّ دينان بأرض العرب»، وقال:«لايجتمع دينان في جزيرة العرب»، وقال:«لايترك بجزيرة العرب دينان»(٢).

إنّ هذه وصيّة هي أشبه ما تكون بحاكم جبّار متعصّب لجنسه ولعنصريّته، يوصي بها حزبه وأتباعه، حتّى طبّق عمر هذا الحكم المفتعل وأجراه مع أهل الكتاب الأشقياء القاطنين في نجران وخيبر وفدك، فأخرجهم من جزيرة العرب، وزرع الحقد والعداوة في قلوب المسلمين واليهود والنصارى لبعضهم البعض من يومئذ إلى هذا اليوم، وما يزال بعد مرور أربعة عشر قرناً على شروق الإسلام لحدّ الآن دخانه الأسود يكتنف به الأفق المعتم، وتقذى به عيون أبناء الأديان الثلاثة. وهذا هو الهدف الجانبيّ للحزب الحاكم في النظام الترتيبي للسور الطوال، والآن نشير إلى أهدافه الأخرى في الموضوع نفسه.

والهدف الثاني للحزب الحاكم في النظام الترتيبيّ للسور الطوال، هو سياسة الحرب والقتال والأمل الذي يداعب خيال أعضائه في فتح الأمصار والبلدان.

---

(١)موطأ مالك « كتاب الجامع »، باب ما جاء في إجلاء اليهود من المدينة. مسند أحمد: ٦: ٢٧٥.

بيان الأمر وتوضيحه:

نزل في مكة من مجموع مائة وأربع عشرة سورة من القرآن ستٌّ وثمانون سورة، وتؤلف أكثر من سبعة عشر جزءاً من أصل ثلاثين جزءاً، ولم تتنزل آية واحدة من هذه الآيات النازلة في ستّ وثمانين سورة تحثّ على قتال أو تأمر به أو تنادي بفرض الجهاد.

إنّما نزل ذلك في السور النازلة بعد الهجرة حيث نزل الأمر في قتال المشركين وغيرهم، وصار فيها فريضة دينيّة على كلّ مسلم، وحُثّ على الجهاد في المال والنفس في سبيل الله تعالى، ومن أصل سبع عشرة سورة نزلت بعد الهجرة وسمّيت بالسور المدنيّة، انحصر الأمر بالقتال والجهاد في ثلاث عشرة سورة وحدها، وهي سورة «البقرة»، سورة «الأنفال»، سورة «آل عمران»، سورة «الأحزاب»، سورة «النساء»، سورة «الحشر»، سورة «النور»، سورة «الحجّ»، سورة «الصفّ»، سورة «محمّد(ص)»، سورة «الممتحنة»، سورة «الفتح»، سورة «التوبة».

وفي هذه السور نزل الأمر بالحرب والقتال وصدر ضدّ المشركين، ونزل الترغيب في الجهاد في سبيل الله.

إنّ الآيات المحصورة في السور المذكورة أعلاه ذات الصلة بالقتال أو الجهاد بصورة مباشرة أو غير مباشرة، تقلّ قليلاً عن ثلثمائة آية، وأكثر من مائتي آية منها نزلت في سورة «البقرة» وسورة «آل عمران» وسورة «النساء» وسورة «التوبة»، واستوعبتها هذه السور الشريفة.

وبما أنّ سورة «الأنفال» ترتبط آياتها كلّها بهذا الهدف رأى الحزب الحاكم من الأوفق لسياسته وصل سورة «التوبة» بها (مع أنّه لاارتباط لإحداهما بالأخرى، فالأولى ترتبط بمرحلة السنين العشر للإسلام في المدينة، والثانية ترتبط بالمرحلة المتأخّرة من وجود الإسلام في المدينة).

وبحذف البسملة من سورة «التوبة» صارا وكأنّهما سورة واحدة، وعلى هذا الأساس جعلهما في أوّل القرآن المتداول ضمن السور الطوال، لتحصل النتيجة المطلوبة من حشد أكثريّة الآيات المرتبطة في القتال والجهاد في هذا القسم من القرآن، وقد رأينا ذلك من خلال أكثريّة الآيات المرتبطة في اليهود والنصارى، وقد تجمّعت في هذا الموضع.

وبناءً على هذا، فإنّ سورة «المائدة» ليس فيها آيات ترغّب في الجهاد والقتال، وتحثّ عليه بصورة واضحة وقاطعة، إلاّ أنّها لمّا كان النصف من آياتها يرتبط بأهل الكتاب من اليهود والنصارى، فإنّه يتّسق وسياسة الحزب الحاكم في نظام ترتيب السور من جهة إبراز محاربة لغة الوحي لأهل الكتاب، وحفظ ذلك للناس.

ولننظر الآن إلى السياسة المتوخّاة لهم من تقديم أو تأخير سورة «الأنعام» و«الأعراف»، وما هي الخطّة المدبّرة في هذا الشأن.

وعلى أيّة حال، فإنّ الهدف الأصليّ للحزب الحاكم من خلط النظام الترتيبيّ للسور الذي كان بحسب ترتيب النزول ووضع النظام السائد الآن موضعه ربّما اعتبر الطول والقصر علّة في التقديم

والتأخير هو محو آثار الحزب الحاكم وأعوانه، لاريب في ذلك، ومع ذلك فإنّ للنظام الترتيبيّ على هذا النحو أهدافاً جانبيّة أخرى، وليس من شكّ في وجود هذه النزعة عندهم أيضاً.

وأن واحدا من هذه الأهداف الجانبيّة في ترتيب السور الطوال على الشكل السائد اليوم الاستعانة بلغة الوحي في تأصيل سياسة الحزب ضدّ أهل الكتاب، وتصحيحها، ولاشكّ في ذلك أيضاً.

وكذلك يمكن أن تصنّف في هذا المضمار من سياساتَ الحزب في نظام ترتيب السور الطوال، الاستعانة بلغة الوحي في صنع سياسة الحرب والقتال، وفتح الأمصار بطابع الصحّة والقبول، ولاريب أيضاً في هذا.

والآن يبرز هذا السؤال الملح: إنّ الحزب الحاكم ليس له هدف منشود ظاهراً في تنظيم السورتين المكيّتين على هذا النحو سورة «الأنعام» وسورة «الأعراف»، فلا يبدو للباحث أنّه أخذ على نفسه تحقيق الهدفين الجانبيّين السالفين، كما كانت عليه الحال في السور المدنيّة الطوال؛ إذ لايتحقّق له هذا الهدف في هاتين السورتين، فما هو غرضه إذن؟

فنقول جواباً على السؤال أعلاه:

لمّا كانت آيات سورة الأعراف ستّاً ومائتي آية وسورة «الأنعام» مائة وخمساً وستّين آية، فلا بدّ من تنظيمها في نظام السور الطوال، ولم يكن بإمكان الحزب الحاكم حذفها من هذا الموضع لما درج عليه من نموذج الترتيب. ولمّا كانت السورتان المذكورتان

لا يؤمّنان للحزب الحاكم هدفيه المنشودين من إبراز الخصومة والعداء لأهل الكتاب من يهود ونصارى، وكذلك لايحققان له هدفه الأكبر ومطمحه الأعظم من فتح الأمصار وقتال أمم الجوار، لذلك قام مضطراً بوضعهما في آخر جدول الترتيب.

وإلا -وكما مرّت الإشارة إليه سلفاً- لو كان هدف الحزب الحاكم ترتيب السور على حساب الطول والقصر لكان عليه أن يضع كلّ واحدة من السورتين في غير موضعهما الفعليّ، ولوجد لهما قراراً بين فواصل السور المدنيّة الطوال، فإنّ هذا التغيير خلاف ما قامت عليه سياسة حزبه.

وبذلك ينقطع التواصل في أفكار التالين للقرآن بتلاوة هاتين السورتين.

والآن يقفز هذا السؤال بين أيدينا: لماذا أخّروا سورة «الأعراف» عن سورة «الأنعام»، وهي على كلّ حال أطول منها؟

ومن أجل البحث عن جواب على هذا السوال علينا بتلاوة آيات السورة نفسها، فإنّ سرّ التقديم والتأخير ينكشف لنا في سياسة الحزب الحاكم.

بيان ذلك: في تلاوة المتنين من السورتين «الأعراف» و «الأنعام» يتجلى لنا هذا التفاوت واضحاً مهما كانت السورتان مكيّتين، وفي مستوى المكافحة للشرك والمشركين، ولكن لمّا كانت هذه المكافحة في سورة الأنعام أظهر وأجلى ولم تخلط معها شؤوناً أخرى من قصص الماضين وأحكام الحاضرين، فكانت مجاهدة

الشرك والمشركين ومحاربة الآداب الجاهليّة وسننها أبرز وأظهر في آيات سورة «الأنعام»، فكانت إلى سياسة الحزب الحاكم الحربيّة أقرب من آيات سورة «الأعراف»، ومن ثمّ تقدّمتها.

وآيات «سورة الأعراف» وإن كانت تنحو نفس النحو مع الشرك، ولكنّها مالت أحياناً إلى مواضيع خاصّة من قبيل ماضي الأمم السالفة والشعوب الماضية، واتّخذت لنفسها جنبة وعظيّة.

وقد عرضت في مطلعها حكاية خلق آدم وسجود الملائكة له، وتمرّد إبليس عليه، ثمّ عمدت إلى وعظ ابن آدم من هذا المنطلق، ثمّ قصّت علينا بعد فاصل قصير حوار «أصحاب الأعراف» مع أهل الجنّة والنار، ثمّحكت لنا حكاية نوح وهود وصالح ولوط وشعيب، ثمّ أطنبت في بيان قصّة موسى وفرعون وبني إسرائيل وبلعم بن باعوراء.

أجل، لئن كانت سورة «الأعراف» قد أطنبت في بيان حديث موسى وفرعون وبني إسرائيل، فقد جاءت في ضمن ذلك آيات في تقريع بني إسرائيل وتأنيبهم من حيث عبادتهم للعجل، وخروجهم على قوانين الله وأوامره، فقد كانت العمدة من آياتها مختصّة في إكبار ماضيهم من ثمّ لم يكن تقريعهم المعهود ذا جدوى في سياسة الحزب الحاكم لكن تقدّم على أساس منه سورة «الأعراف» على سورة «الأنعام».

ويتّضح لنا من هذا ومن الهدفين الجانبيّين المكتشفين اللذين كانا محطّ أنظار الحزب الحاكم، فإنّ المطمح الأكبر لهم هو الحزب

وغايتهم العليا فتح المدن والأمصار، وهذا متقدّم بالرتبة على مخاصمتهم لليهود وأهل الكتاب، والواقع أنّ خصومتهم مع أهل الكتاب واليهود جزء لايتجزّأ من الهدف الأسمى في القتال والفتح للحزب الحاكم، وقد كان هذا الهدف نفسه ذو الجذر الضارب في أرض الطموحات موجباً لوصل سورة «الأنفال» بسورة «التوبة»؛ لأنّ سورة «الأنفال» تمتاز من بين مائة وأربع عشرة سورة من سور القرآن بالخصوصيّة التالية: وهي تمحّض آياتها كلّها للجهاد والقتال وما يتبع ذلك، فوصلوها بسورة «التوبة» وحذفوا البسملة من بينهما لكي تنضمّ خمس وسبعون آية من سورة «الأنفال» إلى سبع وثلاثين آية من سورة «التوبة»، وتكون أكثر من مائة وعشر آيات من كلام الوحي مستخدماً في السياسة الحربيّة والفتحيّة، وطلب احتلال البلاد المجاورة للحزب الحاكم.

ومن أجل أن يجري للإنسان المسلم التالي للقرآن غسيل دماغ عندما يتلو أكثر من عشرة أجزاء من أوّل القرآن الكريم التي هي عبارة عن هذه السور الطوال، وينساق وراء الحزب الحاكم!!

[وبالطبع هناك أهداف أخرى غير ما نكر من وصل السورتين بعضهما ببعض، وقد تحدّثنا عنها فيما يأتي من بحوث الكتاب].

ولاداعي هنا لذكر الآيات المرتبطة بالجهاد وقتال المشركين آية آية، ونتحدّث عنها بالشرح والإيضاح.

فإنّ أي عارف بلغة العرب بمجرّد قراءته لعدد من الآيات ووضعها أمام عينيه يدرك جيّداً أنّ كلام الوحي في حثّه على الجهاد

وأمره به غير ناظر للخصومات الأمميّة ولالفتوح الممالك واحتلال الأقاليم مطلقاً، وإنّما كان يدعو إلى صدّ الفتن ودفع إفساد المشركين وكفّار أهل الكتاب، ولذلك كلّه اتّخذ صفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومن الطبيعيّ أنّ ذلك منوط بظروف زمانه، والغاية القصوى للإسلام والهدف الأساس له، إنّما هو إيجاد المناخ الحياتيّ السالم لنموّ ورشد الصفات الإنسانيّة وكمالاتها﴿ **إِنَّ اللهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ * أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَللهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ**﴾(١).

حيث نلاحظ بدقة الآيات أعلاه من حيث مضمونها اللفظيّ فينبغي أن تكون أولى الآيات التي نزلت في مشروعيّة الجهاد والدفاع، وكيف جعل دفاع المؤمنين وجهادهم موجباً لحفظ هياكل عبادات الأديان المختلفة﴿ **وَلَوْلاَ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيراً** ﴾والهدف الأسمى من ذلك هو بسط العدل والخير في المجتمعات

---

(١)الحجّ ٢٢: ٣٨ ـ ٤١.

الإنسانيّة﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾!!

وهذه حكاية الآيات الأول نزولاً في مشروعيّة الجهاد، والآن نأخذ في بيان آخرها نزولاً في الموضوع نفسه، وقد أمر المؤمنون في تنفيذها بشكل جادّ، لكي نعرف الموضوع الذي أمر به النبيّ(ص) في الأيّام الأخيرة من عمره وعهد به النبيّ(ص) إلى المؤمنين في القيام به ما هي صلته بالقتال، ومع أي فريق من الناس ينبغي أن يكون.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ * وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هذِهِ إِيمَاناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ * أَوَلاَ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لاَ يَتُوبُونَ وَلاَ هُمْ يَذَّكَّرُونَ * وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُم مِن أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَ يَفْقَهُونَ * لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِن أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ * فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ لاَ إِلـهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾(١).

(١)التوبة ٩: ١٢٣ ـ ١٢٩.

سبع آيات هي آخر سورة التوبة، ومن الطبيعيّ أن تكون آخر لغة الوحي نزولاًعلى النبيّ(ص)، فإنّها ترتبط بقتال المنافقين المحترفين وتقويض دعائمهم، أي فريق﴿ **الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ** ﴾.

وقد مرّ بيان ذلك في محلّه من الكتاب، فليراجع.

أجل، يظهر الرمز الأصليّ للأمر المذكور من آيات سورة «محمّد(ص)» التي وردت لإثبات الارتباط السياسي بين فريق المنافقين المحترفين﴿ **الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ** ﴾مع كفّار قريش، وقد تمّ بحثه في المقطع الأوّل من «القسم الخاص بذلك» من هذا الكتاب بصورة جيّدة.

واطّلعنا هنا على أنّ لغة الوحي تخبرنا عن الفريق﴿ **الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ** ﴾اذا بلغوا سدّة الحكم وتسنّموا غارب الخلافة فإنّ حكمهم سوف ينتهي إلى الإفساد في الأرض، ويؤدّي إلى بتر علائق المحبّة ولاشيء وراء ذلك﴿ **فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ** ﴾(١).

والعجيب في الأمر أنّ سياسة شنّ الحروب ونظريّة فتوح البلدان للحزب الحاكم والإفساد في الأرض وإهلاك الحرث والنسل تتجلى في الآيات ٢٠٤ إلى ٢٠٦ سورة البقرة التي نزلت خاصّة في فضح الذات العمريّة وبحثناها في محلها وتراها بيّنة واضحة في هذه

---

(١)محمّد(ص) ٤٧: ٢٢.

الآيات.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيِهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾(١).

وبناءً على هذا لو انبرى إنسان ما إلى هذه الآيات المرتبطة بالقتال والجهاد في سبيل الله فأوّلها لصالح سياسة شنّ الحروب ونظريّة فتوح البلدان للحزب الحاكم، (فريق الذين في قلوبهم مرض)، فإنّه ناكب عن الطريق ما في ذلك ريب.

فكيف تؤيّد لغة الوحي سياسة شنّ الحروب وفتح البلدان للحزب الحاكم مع أنّها بنصّ الآيات المرتبطة بالموضوع بكتبهم على رفعهم في أنفسهم هذه الشعارات، وعبّرت عن حكومتهم بأنّها حكومة المفسدين في الأرض وقاطعي الرحم، ومهلكي الحرث والنسل، وأنبهم على وجود هذه الطموحات في دخائلهم:

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾(٢).

﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيِهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ﴾(٣).

---

(١)البقرة ٢: ٢٠٤ ـ ٢٠٦.
(٢)محمّد (صلى الله عليه وآله) ٤٧: ٢٢.
(٣)البقرة ٢: ٢٠٥.

ومن المقطوع به أنّ هيكلة الكتاب وكذلك موقع البحث الحالي الخاصّ بتحقيق النظام الترتيبيّ والتركيبيّ لآيات القرآن وسوره لايسمح لنا بتغيير وجهتنا في البحث إلى كشف المشاهد المرعبة، وشنّ الغارات والحروب، وسفك الدماء التي اعتمدها الحزب الحاكم مدّة حكمه، وأقامها على قدم وساق على أساس أنّها جهاد في سبيل الله.

فإنّ كلّ مَن كان من ذوي الخبرة والتحقيق يستطيع مشاهدة هذه المشاهد المروّعة من الغارات في أي سند تاريخيّ يملكه، ويتحقّق بنفسه من مصاديق الإفساد في الأرض، وإهلاك الحرث والنسل في تلك الحروب المسمّاة بالجهاد المقدّس.

وهذا ما كان من عرض ثاني الأهداف الجانبيّة للحزب الحاكم في النظام الترتيبيّ المعتمد في السور الطوال، والآن نعمد إلى عرض ثالث للأهداف الجانبيّة للنظام الترتيبيّ لتلكم السور نفسها.

٣ ـ الهدف الآخر في النظام الترتيبيّ للسور اطوال الجانب الذي اعتمده الحزب الحاكم بظنّ قويّ متاخم لليقين هو موضوع الآيات التي تعظّم الحجّ ومناسكه، وتقدّس الكعبة بيت الله الحرام، وتغيير القبلة شطرها والنازلة بهذا الشأن.

وتوضيح ذلك:

لمّا كانت «القومية العربيّة» وعبادة الذات والعنصريّة هي طابع الحزب الحاكم، ومن المسلمات التاريخيّة، كما دلّ على ذلك قسوة الخلفاء، لاسيّما عمر بن الخطّاب على الموالي وغير العرب وهو شاهد حيّ على طريقة التفكير عندهم فضلاً عما قام به جهاز وضع الحديث من وضع روايات كثيرة في مناقب العرب ومدح سلالاتهم، لا سيّما قريش ورفعهم على سائر الأقوام والملل والشعوب.

فإنّ النظرة المتأنّية تثبت لنا أنّ الحزب الحاكم كان يهدف من النظام الترتيبيّ للسور الطوال إلى هذه السياسة التي تدعهما الآيات المختصّة بهذا الموضوع، وركّز عليها للغاية نفسها لأنّ الآيات المرتبطة بتعظيم الكعبة وبيت الله الحرام والآيات المختصّة بتغيير القبلة من بيت المقدس إلى جهة الكعبة، والآيات المختصّة بتعظيم الحجّ وحرمة الصيد على المحرم، وسائر آداب المناسك وسننها، سوف تكون في الموقع الأوّل من الآيات المؤيّدة، وجلّ هذه الآيات نازلة في السور الطوال، لاسيّما السور المدنيّة منها مع أنّ بحث الآيات آنفة الذكر نظير بحث الآيات المختصّة بأهل الكتاب واليهود، ومثلها الآيات المرتبطة بالقتال والجهاد في سبيل الله، يفصح بشكل واضح بأنّها ليست نافية لتأييد سياسة العنصريّة والتعصّب للذات المعتمدة للحزب الحاكم فحسب، بل تقف في الخندق المقابل تماماً وترشد إلى ما يناقض هذه السياسة، كما يظهر ذلك واضحاً عند المتتبع.

﴿وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾(١).

وفي جملة: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْناً﴾ المذكورة في الآية الشريفة: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾(٢).

وفي الجملة: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ المذكورة في الآية الشريفة: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لاَّ تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾(٣).

وفي جملة: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ المذكورة في الآية الشريفة: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(٤) ودلالتها على ما يناقض القوميّة وعبادة الذات واضحة.

ومن البديهيّ أنّ تعيين قبلة أهل الكتاب للمسلمين استمرار ذلك في الفترة المكيّة ذات الثلاثة عشر عاماً، وسلخ سنة ونصف السنة من فترة المدينة ذات العشر سنين هو نفسه أوّل دليل على محاربة الله

---

(١) الحجّ ٢٢: ٢٥.
(٢) البقرة ٢: ١٢٥.
(٣) الحجّ ٢٢: ٢٦.
(٤) البقرة ٢: ١٩٩.

ورسوله لسياسة العنصريّة، ولو أنّ اليهود عقلوا المسألة وكفّوا عن تبليغ السوء، وعن اعتبار صلاة المسلمين إلى قبلتهم دليلاً على رفعة دينهم وتفوّقه، لظلّت قبلة المسلمين هي قبلة أهل الكتاب نفسها، وتظلّ وحدة الأديان التوحيديّة محفوظة باتّحاد القبلة، كما تدلّ هذه الجملة: ﴿**إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ**﴾ المذكورة في الآية الشريفة: ﴿**وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللهُ**﴾ دلالة جيّدة على أنّ تعيين القبلة منذ البداية إلى جهة بيت المقدس كان لضرب النظريّة العربيّة القبائلية والعنصريّة العربيّة والقوميّة وعبادة الذات، ولذلك كانت كبيرة على الذين في قلوبهم مرض، وكانوا يومئذ محشورين مع المسلمين، ولم تسهل إلاّ على المؤمنين الواقعيّين ومحبّي النبيّ والمسلمين الآخرين ﴿**وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللهُ**﴾!

إلى هنا ننهي البحث عن تبيّن الأهداف الجانبيّة للحزب الحاكم في النظام الترتيبيّ للسور الطوال، وهي السور المودعة في مطلع القرآن المتداول اليوم، ونصير الآن إلى شيء من البحث عن تلمّس أهداف ذلك الحزب في النظام الترتيبيّ للسور القصار، وهي السور المودعة في آخر القرآن المتداول اليوم، لعلّنا نضع أيدينا في هذا الموضوع على أهداف جديدة.

ترتيب السور القصار:

إنّ السور العشر المثبتة في آخر القرآن التي تعتبر نموذجاً مشرقاً للسور القصيرة عند الحزب الحاكم في النظام الترتيبيّ الموجود والمتداول اليوم جاء مرتّباً على النحو التالي:

سورة ١٠٥«سورة الفيل» تحتوي على خمس آيات، وتكون حروفها في الكتابة ٩٦حرف.

سورة ١٠٦«قريش» تحتوي على أربع آيات، وحروفها المكتوبة ٧٣ حرفاً.

سورة ١٠٧«الماعون» تحتوي على ٧ آيات، وحروفها المكتوبة ١١١ حرفاً.

سورة ١٠٨«الكوثر» ثلاث آيات، وحروفها ٤٣ حرفاً.

سورة ١٠٩«الكافرون» تحتوي على ستّ آيات، وحروفها المكتوبة ٩٤حرفاً.

سورة ١١٠ «النصر» تحتوي على ثلاث آيات، وحروفها المكتوبة ٧٩ حرفاً.

سورة ١١١ «المسد» تحتوي على خمس آيات وحروفها المكتوبة ٨١ حرفاً.

سورة ١١٢«الإخلاص» تحتوي على أربع آيات، وحروفها المكتوبة ٤٧حرفاً.

سورة ١١٣«العلق» آياتها خمس آيات، وحروفها المكتوبة ٧٣ حرفاً.

سورة ١١٤«الناس» وآياتها ستّ آيات، وحروفها المكتوبة ٨٠ حرفاً.

وكما ترون في هذا الترتيب لم يكن عدد الآيات منظوراً في التقديم والتأخير، ولامجموع الحروف لأنّه لو كان عدد الآيات منظوراً لهم لكان تنظيم السور العشر المذكورة على هذا النحو.

سورة ١٠٥«الكافرون».

سورة ١٠٦«الناس».

سورة ١٠٧«الفيل».

سورة ١٠٨«المسد».

سورة ١٠٩«الفلق».

سورة ١١٠«قريش».

سورة ١١١«الإخلاص».

سورة ١١٢«النصر».

سورة ١١٤«الكوثر».

وإذا كان طول السور وقصرها من حيث تعداد الحروف المكتوبة منظوراً لهم فينبغي أن يكون ترتيب السور العشر على الكيفيّة التالية:

سورة ١٠٥ «الفيل».

سورة ١٠٦ «الكافرون».

سورة ١٠٧ «المسد».

سورة ١٠٨ «الناس».

سورة ١٠٩ «النصر».

سورة ١١٠ «الفلق».

سورة ١١١ «قريش».

سورة ١١٢ «العصر».

سورة ١١٣ «الإخلاص».

سورة ١١٤ «الكوثر».

وعندما نشاهد النظام الترتيبيّ للسور العشر المثبتة آخر القرآن الكريم بحيث لم تراع واحدة من الضابطتين المذكورتين أعلاه، وكان الترتيب على خلاف المنهج السائد في التنظيم بحيث تبدأ الحركة من السورة الأطول فالقصيرة فالأقصر، نجزم حينئذ بوجود هدف آخر لهذا الترتيب بخلاف ما هو معلن.

أليست سورة «الكوثر» هي آخر سورة من السور القصار على أي تقدير كان أعمّ من الترتيب طبقاً للآيات أو طبقاً للحروف أو الطول والقصر في الكتابة، وعلى هذا ينبغي السورة ١١٤ يعني آخر سورة مثبتة في القرآن المتداول، فلماذا إذن سبقتها ستّة أرقام وكانت

السورة ١٠٨؟

وأليست سورة العصر على حساب أخذنا القضيّة ينبغي أن تأتي بعد سورة «النصر»، فلمّاذا أثبت قبلها ثمانية أرقام وكانت السورة ١٠٣ بحسابهم، وأليست سورة «الماعون» على أي تقدير كان ينبغي أن تذكر قبل السور العشر الأخيرة أثبتت في غير موضعها. هذه الأسئلة وأمثالها تظلّ من غير جواب بحيث تشحذ فكر المرء لكي يذهب بعيداً في التماس العلل والأسباب لهذا الترتيب.

وأحسن طريقة لكشف الأهداف المقصودة في النظام الترتيبيّ للسور العشر الداخلة في نطاق البحث هو إجراء موازنة بسيطة بين النظام الترتيبيّ الموجود وصورتيه الأخيرتين التي هي أقرب إلى الغرض لكي يتوصّل بذلك إلى غرض الحزب الحاكم في النظام الترتيبيّ الموجود بسرعة دونما بذل جهد متعب في موازنة كهذه يظهر بجلاء أنّ النظام الترتيبيّ الموجود بين السور العشر الداخلة في نطاق البحث يصبّ في صالح الحزب الحاكم وأوليائه والمقرّبين منه، وهم الملأ من قريش وينتقص الفئة المعارضة التي تشكلّ النقيض لهم، وهم رسول الله وأهل بيته، وقد بيّن الترتيب على هذا الأساس.

وتوضيح ذلك:

أوّلاً: جعلوا سورة «الفيل» هي السورة ١٠٥، وظاهر الإشادة بالكعبة من حيث كونها بيت الله، وقد أنقذها الله تعالى من شرّ أصحاب الفيل وحفظها من كيدهم، ولكنّنا نشاهد بعد ذلك مباشرة

تثبت سورة «قريش»وراءها وتتصل بها، فيكون رقمها ١٠٦ ليضمن هذا الترتيب لقريش الرفعة والسموّ، وهم الحزب الحاكم اليوم، ومن نفس الفصيلة والبيت لهم، وهم أهل الحرم وأصحاب البيت، وهذا الأمر يجعل لهم التقدّم على الناس، ويضيف قوّة إلى قوّتهم، ويعطيهم شحنة معنويّة خارقة، من أنّه من حيث الطول والقصر العائد إلى مجموع الحروف ينبغي أن تكون سورة «الكافرون» وراء سورة «الفيل»، ولكنّ هذا الترتيب لايثبت لقريش ما تصبو إليه من الرفعة والتمييز والتقدّم؛ لأنّها من مصاديق أولئك الكافرين البارزة الذين نزلت سورة «الكافرون» بذمّهم.

ثانياً: سورة «الكوثر» يلزم من وجود الجملة الشريفة فيها ﴿**إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ**﴾وما يدلّ لسان حالها على البشارة بولادة الصدّيقة الطاهرة(ع) وتعظيم مقامها والإشادة بذكرها.

وعلى أيّ تقدير، باعتبارها أقصر سورة من سور القرآن الكريم بناءً على رواية الحزب الحاكم في ترتيب السور أن تكون السورة ١١٤، وأن يختم بها القرآن الكريم، وفي هذه الحالة يختم التالي كتاب الله بذكر أهل البيت(ع)، وتقدّم هديّته الثمينة إلى خالقه بذكر الصدّيقة الطاهرة(ع).

وجرى الحزب الحاكم هنا على خلاف رؤيته، فأثبت سورة «الكوثر» قبل موقعها بستّ سور، وصيّرها في القرآن المتداول اليوم السورة ١٠٨ لكي يمحو النكتة المشار إليها توّاً من ذهن تالي القرآن عندما يختم القرآن الكريم بسورة «الكوثر».

ثالثاً: في الصفّ المقابل لسورة «الفلق» و سورة «الناس» ويدلّ ظاهرها على تأثر النبيّ(ص) من عمل السحرة والمشعوذين ووسوستهم رتّبتا ليكونا آخر سورتين في القرآن، لكي يختم التالي للقرآن تلاوته بما جرى للنبيّ(ص)من الالم وعدم الارتياح وغلبة الخصم.

وعلى أيّة حال، فإنّ ما قيل قبلاً ذكرناه لإثبات الأغراض المقصودة للحزب الحاكم من وضع النظام الترتيبيّ للسور القرآنيّة المرادة في البحث، وفيها كفاية لطالبها.

وإلى هنا نختم هذا البحث، ونقول:أنَّ معرفة النتيجة من البحث والتحقيق الذي اعتمدناه في المرحلة الأولى، فلقد أثبتت البحوث والتحقيقات الماضية بصورة جليّة أنّ النظام الترتيبيّ للسور القرآنيّة الموجودة فعلاً وفي القرآن المتداول يصبّ في مصلحة الحزب الحاكم، والآن نعمد إلى البحث التركيبيّ للآيات في السور القرآنيّة.

المرحلة الثانية: بحث النظام التركيبي للآيات في السورة القرآنية:

ونقول في بحث النظام التركيبيّ للآيات في سور القرآن الكريم:

١ ـ يظهر لنا من خلال البحوث السالفة في هذا الكتاب أنّ الحزب الحاكم أخذ مصلحته بعين الاعتبار في النظام التركيبيّ للآيات في القرآن الكريم عندما أخذ في ترتيبها.

بحث«آية التطهير»، فإنّ الآية الشريفة: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾تعمّدوا في حشرها بين آيات﴿**يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ**﴾المذكورة في سورة «الأحزاب»، بل تعمّدوا في وضعها آخر الآية (٣٣)، ولادلالة لها على الإطلاق على نساء النبيّ، بل لاتشملهنّ من قريب أو بعيد.

وأثبتنا أيضاً في القسم المختصّ ببحث الآيات ٥٣ إلى ٦٢ سورة «الأحزاب»، أنّ الآيات ترتبط بالآيات الستّ الأولى، وكذلك لها صلة وثيقة بالآية ٣٦إلى ٤٨ ومجموع الآيات التسع والعشرين المعهودة تتحدّث عن موضوع واحد، وهو عبارة عن إلغاء تقاليد الأولاد المتبنّين في العهد الجاهليّ وإبطال قواعدهم في ذلك، وعلى أثر ذلك انجرّ الحديث عن زواج النبيّ(ص) بزينب بنت جحش زوج متبنّى النبيّ(ص) وما تبع ذلك من أحداث.. وقد اتّبعوا في النظام التركيبيّ للقرآن الموجود فعلاً، والمتداول بين المسلمين نظاماً خاصّاً حيث قسّموا الآيات التسع والعشرين المعهودة إلى ثلاثة قطع، وبين

كلّ قطعة وقطعة وضعوا آيات أجنبيّة عن الموضوع من مواضيع أخرى، لاتتّصل بالآيات المعهودة.

وكذلك أثبتنا في المقطع الأوّل من القسم الثاني عشر من الكتاب ما له صلة ببحث آيات سورة «محمّد(ص)» من النظام التركيبيّ للآيات ٢٠ إلى ٣٠ السورة نفسها، وهي لبيان الصلات السياسيّة بين المنافقين المحترفين مع كفّار قريش، فقد خلطوا في هذا التركيب الأعمال المقصودة، والأغراض المبتغاة، والنظام الطبيعيّ لنزول الآيات. [من أجل وعي الذهن في هذه المسألة أكثر ينبغي الرجوع إلى البحث الخاص بذلك .

وأثبتنا أيضاً في القسم المخصّص لبحث آيات سورة «التوبة» أنّ الآيات السبع والثلاثين الواقعة في مفتتح السورة، إنّما رتّبت على هذه الشاكلة، ووضعت في مطلع السورة في النظام التركيبيّ لآيات سورة «التوبة»، وقدّمت على سائر آيات السورة كان ذلك كلّه لمصلحة الحزب الحاكم، وتأمين أغراضه الشخصيّة.

واتّضح أيضاً في الفصل الثالث من القسم نفسه من هذا الكتاب أنّ «آية الإكمال» النازلة في وسط الآية الثالثة من سورة المائدة، والآية ٥٥«آية الولاية»، والآية ٦٧«آية التبليغ» في النظام التركيبيّ لآيات سورة «المائدة» وضعت في موضع مخالف لموضع نزولها الطبيعيّ بصورة أجلى.

لمّا تجلى لنا عياناً أنّ غرضاً كهذا الغرض مستحكم في النظام التركيبيّ للآيات، والحزب الحاكم قد وضع أغراضه الشخصيّة

نصب عينيه، فإنّ احتمال وجود غرض مستهدف لهم في غير المواضع التي تمّ كشفها احتمال وارد وصحيح، ولا ينافي العقل أو ينافره، ويحمل المحقق على الشوق في التمادي في البحث لكشف مواضع أخرى لم يتمّ كشفها لكي يتجلى لنا في كشفها ما يصل إلى أيدينا من نوعيّة الآيات الموحى بها التي كان للحزب الحاكم في تركيبها دخل وتصرّف واضح. ومن جهة ثانية يتحقّق لدينا هل طرح من خلال هذا التصرّف شيئاً من كلام الوحي أو أضاف إليه كلاماً من عنده، أو أنّه اكتفى في خلط النظام التركيبيّ الطبيعيّ فحسب، وقنع بهذا التشويش وحده.

٣ ـ وعلى هذه الوتيرة نشير الآن إلى وجود بعض هذه الأغراض في الموارد الأخرى:

آيات المباهلة:

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ * الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ * فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلاَّ اللهُ وَإِنَّ اللهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ (١).

الآيات أعلاه من الآيات المتيقن نزولها في مباهلة نصارى

(١)آل عمران ٣: ٥٩ ـ ٦٣.

نجران تيقناً لامزيد عليه، التي وقعت أحداثها بشكل مقطوع به في أواخر مرحلة السنين العشر للإسلام في المدينة، وينبغي أن تضبط الآيات في إحدى سورتين: إمّا في سورة «المائدة» أو سورة «التوبة»، بينما نراها قد احتلت الثلث الأوّل من سورة «آل عمران»، وهي الآيات النازلة بعد غزوة بدر ونزول السورة بعد سورة «الأنفال»، فكان على الجامع أن يثبتها بعد سورة «الأنفال».

والدليل المشرق الدالّ على أنّ المباهلة بين رسول الله(ص) ووفد نصارى نجران جرت في أواخر مرحلة السنين العشر في المدينة، حيث نشاهد في آيات الموضوع الحديث عن وفد نجران من جهة (أي الفريق الموفد لنصارى نجران إلى المدينة)، ومن جهة أخرى بعد الفراغ من المباهلة بالتحلل منها، أقرّ موضوع الجزية(١).

والأمران دالآن بالضرورة على النكتة السالفة، كما أنّ السنة التاسعة للهجرة هي المعبّر عنها بسنة الوفود حيث اعتبرت هيمنة الإسلام أمراً معترفاً بها بعد تدهور قوّة اليهود في جزيرة العرب بعد فتح خيبر في السنة السابعة للهجرة وبعد فتح مكّة فتقاطرت الوفود (أي الجماعات المنتخبة من قِبل القبائل العربيّة في السنة التاسعة على المدينة) لإظهار الطاعة والائتمار بأمر النبيّ(ص). وبعد ابرام عقد الصلح مع النبيّ(ص) انثالوا على المدينة.

---

(١)باستطاعة القارئ أن يعثر على روايات الباب لملاحظتها في الدرّ المنظور للسيوطيّ في تفسير آية المباهلة: ٢: ٣٧ إلى ٣٩.

وفي هذه السنة أو بعدها بقليل أقبل وفد نجران إلى المدينة وأيضاً أثبت موضوع الجزية وقبولها في نفس السنة طبقاً للروايات، وهي دليل على مطلبنا الذي ذكرناه آنفاً لأنّه من الضروريّ أن يكون الأمر بأخذ الجزية وإعطائها شرّع ضمن الآيات التالية:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * قَاتِلُوا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَاحَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ * وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ ذلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ * اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِن دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلهاً وَاحِداً لاَ إِلهَ إِلاَّ هُوَسُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(١).

والآيات أعلاه تشهّد الآية الأولى التي بلّغت بواسطة عليّ بن أبي طالب(ع) في موسم الحجّ من السنة التاسعة للهجرة للكفّار، تمّ شرحها في موضعه من هذا الكتاب، فقد شرّعت في أواخر السنة التاسعة للهجرة، وينبغي أن تكون حكاية وفد نجران طبعاً قد حدثت بعد التشريع الموما إليه.

(١)التوبة ٩: ٢٨ ـ ٣١.

وعلى أيّة حال، إنّ الدلائل المحبوكة تثبت بجلاء أنّ آيات المباهلة نزلت في المدينة في أواخر فترة السنين العشر في المدينة، وكان ينبغي أن تضمّ إلى سورة «المائدة» أو سورة «التوبة»، ولكنّنا نراها على خلاف المتوقع منضمّة إلى الثلث الأوّل من سورة «آل عمران»، مع أنّ آياته نزلت بعد غزوة بدر والسورة كلّها نزلت بعد سورة «الأنفال»..

وأيّ محقق له علم بجوانب جميع قضايا المنافقين المحترفين يعلم علماً يقيناً أنّ هذا التبديل والتغيير لموضع الآيات لم يكن عفويّاً ولاهو وليد الصدفة والاتّفاق، وإنّما أراد الحزب الحاكم أن يغطّي على المنقبة العظمى التي اختصّ بها الباري أهل بيت العصمة والطهارة، وهم الخمسة الأطهار الذين اختيروا طبقاً لنفس الروايات العاميّة للمباهلة مع نصارى نجران، ويقضوا عليها لكي يمحو الفضيلة العظمى المثبتة في هذه الآيات من عرصة الوجود ويلقوا بها في دائرة العدم إلى الأبد؛ لأنّه من القطعيّ إذا كانت آيات المباهلة قد نزلت بعد غزوة بدر بأيّام قلائل، وقبل غزوة أحد (التي أثبتت الآيات المختصّة بها في النصف الأخير من سورة «آل عمران»)بعدّة شهور، فإنّ الحسين(ع) في هذه الفترة لم يولد بعد.

نعم، ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلاَّ اللهُ وَإِنَّ اللهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(١).

(١)آل عمران ٣: ٦٢.

آيات الحج:

﴿وَأَتِمُّوا الحَجَّ وَالعُمْرَةَ لله فَإِنْ أحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الهَدْيِ وَلاَ تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ بِهِ أذىً مِّن رَّأسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أوْ صَدَقَةٍ أوْ نُسُكٍ فَإذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالعُمْرَةِ إلَى الحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ فِي الحَجِّ وَسَبْعَةٍ إذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَ لِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي المَسْجِدِ الحَرَامِ وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقَابِ * الحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِن خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الألْبَابِ * لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ فَإذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللهَ عِندَ المَشْعَرِ الحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ * ثُمَّ أَفِيضُوا مِن حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللهَ إنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * فَإذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ * وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللهُ سَرِيعُ الحِسَابِ * وَاذْكُرُوا اللهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلاَ إثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلاَ إثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (١).

---

(١) البقرة ٢: ١٩٦ ـ ٢٠٣.

إنّ الارتباط الوثيق بين هذه الآيات الثمان يدلّ دلالة واضحة على نزولها فيمكان واحد وزمن واحد لبيان مناسك الحج وإثبات آدابه وسننه، كما دلت الآية الأولى على خلوص النيّة لله من بدئه إلى منتهاه، وهو الأدب الإسلاميّ الأعظم والأشدّ إحكاماً في الحجّ وسائر العبادات، وقد أوصى الله به، والآيات الأخيرة بيّنت الوقوف في منى أيّام التشريق، وأمرت بتذكر الله في هذه الآيام، والتوسّل إلى جنابه سبحانه، والاستعاذة به، واللجوء إليه.

ولتعيين الزمن الذي نزلت فيه هذه الآيات المزبورة على النبيّ(ص) في أيّ وقت وفي أيّ عام فيمكن القول أنّه: من الواضح أنّ الجملة﴿**لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ**﴾ في الآية الشريفة: ﴿**فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ فإنّها تأذن بمشروعيّة حجّ التمتّع لأصحاب الديار البعيدة.

على أنّ «حجّ التمتّع» لم يكن موجوداً في العصر الجاهليّ، واتّفق الفريقان على تشريعه في حجّة الوداع، أي السنة العاشرة من الهجرة وبعد وصول النبيّ(ص) إلى مكّة نزل عليه حكمه.

ولابدّ أنْ نُتحف الباحث بواحدة من هذه الروايات المرويّة في «الدرّ المنثور»(١): «أخرج البخاريّ والبيهقيّ عن ابن عبّاس، أنّه

(١)الدرّ المنثور للسيوطي: ١: ٢١٥.

سئل عن متعة الحاجّ [في صحيح البخاريّ: عن متعة الحجّ]، فقال: **أهلّ المهاجرون والأنصار وأزواج النبيّ(ص) في حجّة الوداع، وأهللنا، فلمّا قدمنا مكّة قال رسول الله(ص): اجعلوا إهلالكم بالحجّ عمرة إلاّ من قلّد الحجّ، فطفنا بالبيت وبالصفا والمروة، وأتينا النساء ولبسنا الثياب، وقال: مَن قلّد الهدي فإنّه لايحلّ حتّى يبلغ الهدي، ثمّ أمرنا عشيّة التروية أن نهلّ بالحجّ، فإذا فرغنا من المناسك جئنا فطفنا بالبيت وبالصفا والمروة، وقد تمّ حجّنا وعلينا الهدي كما قال الله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ إلى أمصاركم، والشاة تجزي، فجمعوا نسكين في عام بين الحجّ والعمرة، فإنّ الله أنزله في كتابه وسنّة نبيّه، وأباحه للناس غير أهل مكّة. قال الله تعالى: ﴿لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾، وأشهر الحجّ الذي ذكر الله شوّال وذو القعدة وذو الحجّة، فمن تمتّع في هذه الأشهر فعليه دم أو صوم، والرفث والجماع والفسوق والمعاصي والجدال والمراء».**

وهنا نلاحظ أنّ الرواية أعلاه تعتبر تشريع حجّ التمتّع في حجّة الوداع شأنها شأن غيرها من الروايات، كذلك تعتبر نزول الآيات المبحوث فيها نازلة في السنة العاشرة من الهجرة.

٢ ـ كذلك هو مورد اتّفاق عند الفريقين من أنّ الأمر المذكور في الآية الشريفة: **﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾** في خطاب قريش وأحلافها المعروفين

«بالحمس» صدر على هذا الأساس، وقد أمروا أن يفيضوا مع سائر الناس من عرفات وحرّم ذلك الامتياز الذي اتّخذته قريش الحمس لنفسها من كونهم أهل الحرم، وعليهم اللبث في المشعر الحرام حتّى يفيض سائر الناس من عرفات ويلحقوا بهم، واعتبرت هذه السُنّة من السنن الجاهليّة المحرّمة.

أجل، من المقطوع به أنّ المخاطب بالجملة: ﴿**ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ**﴾ ينبغي أن تكون تلك الفئة التي ترى لذّاتها رفعة وعلوّاً على الناس، واحتجزت لنفسها مقاماً وامتيازاً دونهم، من ثمّ توجّه الخطاب إليهم، ولاإمكان لتطبيق هذا الموضوع إلاّ على حكاية «الحمس» والمكث في المشعر الحرام، وعدم الإفاضة إلى عرفات، وليس غير ذلك البتّة، وقد اتّفق الفريقان على إعلام المعنيّين بهذا الحكم في عام حجّة الوداع.

وواقع الحال يؤكّد بأنّ قريشاً وهي في مرحلة الكفر لايمكن أن يوجّه إليها الخطاب، ويأمرها الوحي أو ينهاها، ومن المقطوع به أنّ الأمر السالف صدر إليها في زمن تخطّت فيه مرحلة الكفر إلى مرحلة الإسلام، وأصبح شأنها شأن غيرها من المسلمين تخاطب بالأحكام الدينيّة وتؤمر بأداء آداب الإسلام، وإجراء سنن مناسك الحج الإسلامي، وذلك في حجّة الوداع بالذات.

وعلى كلّ حال، فإنّ النكتتين السالفتين تكفيان في حمل الإنسان على اليقين من نزول الآيات مورد البحث (الآيات ١٩٦ إلى ٢٠٣ سورة البقرة) في السنة العاشرة من الهجرة، وفي حجّة الوداع، وبناءً

على ما تقدم من هذه المقدّمات الطبيعيّة بين يدي البحث لأنْ يفرض نفسه هذا السؤال، وهو: لماذا نظّمت «آيات سنن الحجّ» التي نزلت في حجّة الوداع في سورة «البقرة» وفي الأرقام ١٩٦ إلى ٢٠٣ بالذات؟ أليس من اللازم لمثل هذه الآيات النازلة في حجّة الوداع أن تنظّم في السورة الأخيرة طبقاً لمقتضى نزولها، وهي سورة «المائدة» أو سورة «التوبة».

وأخيراً ينبغي إمعان النظر في هدف الحزب الحاكم الذي تعهّد بذاته بالنظام الترتيبيّ والتركيبيّ للسور والآيات، ما الذي توخّاه من الغايات السياسيّة في تحويل الآيات وتبديلها من مكان إلى مكان بحيث وضع ما حقّه التأخير من الآيات في سورة البقرة.

ولكي نقف على واقع الحال، ونلمّ بجواب السؤال يكفي القارئ أن نوقفه وجهاً لوجه أمام واحد من الآثار حول الموضوع ليكشف بنفسه جليّة المطلب:

١ ـأخرج الحاكم وصحّحه من طريق مجاهد وعطاء، عن جابر، قال:«كثرت القالة من الناس فخرجنا حجّاجاً حتّى إذا لم يكن وبين أن نحلّ إلاّ ليال قلائل، أمرنا بالإحلال، قلنا: أيروح أحدنا إلى عزمه وفرجه يقطر منيّاً؟ !

فبلغ ذلك رسول الله(ص) فقام خطيباً فقال:أ **بالله تعلموني أيّها الناس؟ ! فأنا والله أعلمكم بالله واتقاكم له، ولو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت هدياً، وحللت كما أحلّوا، فمن لم يجد معه هدي فليصم ثلاثة أيّام في الحجّ وسبعة إذا رجع إلى أهله، ومن وجد**

هدياً فلينحر، فكنّا ننحر الجزور عن سبعة» (١).

هنا يتّضح لنا أنّ تشريع «حجّ التمتّع» أحدث ردّة فعل عند القوم بحيث ارتفع لهم ضجيج الاعتراض وتكلّموا بكلام خارج عن موضوع الأدب والتهذيب بحيث اضطرّ النبيّ(ص) إلى تقريعهم في خطبته وأخبرهم بأنّ الحكم المنكور ما هو إلاّ أمر من الله، وليس كما تصوّرتموه خلافاً للتقوى والطهر!

٢ ـأخرج ابن أبي شيبة والبخاريّ ومسلم، عن عمران بن حصين، قال:«نزلت آية المتعة في كتاب الله وفعلناها مع رسول الله(ص)، ثمّ لم ينزل آية تنسخ آية متعة الحجّ ولم ينه عنها حتّى مات قال رجل برأيه ما شاء» (٢).

وهنا نشاهد أنّ رجلاً له نفوذ في المجتمع المسلم قال في حجّ التمتّع بعد وفاة المصطفى(ص) برأيه معاكساً ما شرّع به!

٣ ـ عن ابن شهاب:«أنّ سالماً ابن عبدالله حدّثه أنّه سمع رجلاً من أهل الشام وهو يسأل عبدالله بن عمر عن التمتّع بالعمرة إلى الحجّ؟ فقال عبدالله بن عمر: هي حلال.

فقال الشاميّ: إنّ أباك قد نهى عنها.

فقال عبدالله بن عمر: أرأيت إن كان أبي نهى عنها وصنعها رسول الله(ص) أمر أبي يتّبع أم أمر رسول الله؟

---

(١)الدرّ المنثور: ١: ٢١٧.
(٢)هذه الرواية خاصّة بمتعة النساء، ولكنّهم غيّروا فيها لفظاً ووضعوها في روايات الحجّ ليتستّروا على فعل الخليفة الثاني.المحقق.

فقال الرجل: بل أمر رسول الله(ص)، فقال: لقد صنعها رسول الله»(١)(٢).

ولابدَّ من ملاحظة انّ هذا الشخص صاحب النفوذ الذي منع متعة الحجّ بعد وفاة رسول الله هو عمر بن الخطّاب نفسه الخليفة الثاني.

٤ ـ أخرج مسلم عن أبي نضرة، قال:«كان ابن عبّاس يأمر بالمتعة، وكان ابن الزبير ينهى عنها، فذكر ذلك لجابر بن عبدالله، فقال: على يدي دار الحديث تمتّعنا مع رسول الله(ص)، فلمّا قام عمر قال: إنّ الله كان يحلّ لرسول الله ما شاء ممّا شاء، وأنّ القرآن قد نزل منازله، فأتمّوا الحجّ والعمرة كما أمركم الله، وافصلوا حجّكم عن عمرتكم، فإنّه أتمّ لحجّكم وأتمّ لعمرتكم»(٣).

إنَّ عمر بن الخطّاب بجرأته المعتادة، وتطاوله على مقام النبوّة، يزعم أنّ مسألة حجّ التمتّع هو ظاهرة اختصاصيّة شرّعت لصالح النبيّ(ص) وحده؛ لأنّ الله يحلّ للنبيّ(ص) شهواته، والآن وبعد وفاة النبيّ(ص) حلّت الآيات في محلّها اللائق بها، ولاتضرب على وتر أحد، وينبغي أن يُتمسّك بمفاد آيات الكتاب ويعمل بها.

---

(١)صحيح الترمذيّ: الجزء ٢، أبواب الحجّ ـ باب ما جاء في التمتّع.

(٢)أقول: اختلطت روايات متعة الحجّ بروايات متعة النساء، وكان على شيخنا المؤلف أن يفرّق بين رواية تريد متعة النساء وأخرى متعة الحجّ، لأنّ القوم على عمد البسوا على أنفسهم بهذا الخلط ولا ينبغي علينا أن نقتفي آثارهم. وهذه الرواية عن متعة النساء.

(٣)الدرّ المنثور: ١: ٢١٦.

ثمّ استند بذكاء ملحوظ إلى الجملة:﴿ **وَأَتِمُّوا الحَجَّ وَالعُمْرَةَ لِلهِ** ﴾، واعتمد عليها وقال:«أتمّوا الحجّ والعمرة كما أمركم الله، وافصلوا حجّكم عن عمرتكم، فإنّه أتمّ لحجّكم وأتمّ لعمرتكم».

نعم، هكذا عبثوا بآيات الوحي في طول التاريخ، وحرّفوا مفاد الآيات من القرآن المجيد، فلا بدَّ من التحقيق في أقوال عمر بن الخطّاب التي عبّر بها عن المعنى الذي اخترعه لنفسه وفرضه على الآيات التي هي مورد البحث:

أوّلاً: إنّ الجملة: ذلك﴿ **لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ** ﴾ من الآية الشريفة:﴿ **فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾ عبّرت عن مشروعيّة «حجّ التمتّع»، وجعلته عامّاً ثابتاً للحجّاج القادمين من شقّة بعيدة، وعندئذ يثبت بطلان قوله من أنّ حجّ التمتّع مسألة شخصيّة شرّعت لمصلحة النبيّ(ص)، وانتهى أمدها بموته(ص)، وذلك أظهر من الشمس.

ثانياً: من الواضح أنّ الجملة﴿ **وَأَتِمُّوا الحَجَّ وَالعُمْرَةَ لِلهِ** ﴾ إنّما هي لمجرّد وجوب إتمام الحجّ والعمرة وليست ناظرة لمعنى الفصل بينهما، وليس القصد من الإتمام هو معنى الإكمال، كما دلت الجملة التفريعيّة﴿ **فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلاَ تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ** ﴾ فإنّها تعرّضت إلى مسئلة عدم إمكان إتمام

كلّ واحد منهما، ويأمر سبحانه من أحصر وأرسل هديه من المكان الذي اُحصر فيه، فإنّه ينهاه عن حلق شعر رأسه حتّى يبلغ الهدي محله.

وبناءً على هذا، فإنّ بطلان قول الثاني حيث قال:«فأتمّوا الحجّ والعمرة لما أمركم الله، وافصلوا حجّكم عن عمرتكم، فإنّه أتمّ لحجّكم وأتمّ لعمرتكم»يظهر جليّاً، لأنّ لام الإتمام المنكور في الجملة﴿وَأَتِمُّوا الحَجَّ وَالعُمْرَةَ للهِ﴾بمعنى الإكمال ولافصل الحجّ عن العمرة مقصود من الجملة المنكورة.

ولبيان ذلك فلابدّ من التوضيح بأنّه: يظهر لنا جليّاً أنّ وضع الآيات المبحوث فيها التي نزلت في حجّة الوداع في موضعها اليوم من سورة البقرة قد تمّ قصداً من أجل إخفاء أثر الدلالة على حجّ التمتّع ومشروعيّته بصورة أعظم؛ لأنّنا عندما نشاهد عمر بن الخطّاب بتلك الجرأة التي فاقت حدود المتصوّر بغير كلام الوحي ليجعل المنع من حجّ التمتّع أمراً رسميّاً يحتلّ جانباً من التشريع بالطبع يتّضح لنا بالتتبع أنّ وضع الآيات المبحوث فيها الآن في سورة «البقرة»، وهي أول سورة نزلت في المدينة، كان حتماً لغرض وأد حجّ التمتّع لكي لايطّلع أحد على نزول حكم كهذا في آخر سنة من حياة النبيّ(ص) وتشريعه في حجّة الوداع دليل على عدم نسخه، والآن ينبغي علينا الإفصاح عن النكتة التالية، وهي: لماذا خصّصت الأرقام ١٩٦ إلى ٢٠٣ للآيات محلّ البحث، ومن أجل كشف هذه اللعبة علينا موازنة الآيات المذكورة بعدد من الآيات قبلها

وبعدها، ومعرفة مذهب مجموع الآيات المقيس بعضها إلى بعض.

وبهذا فلنا نرى في هذه الموازنة: أنّ الآيات السابقة على آياتنا المبحوث فيها كونها تأمر بالقتال مع كفّار مكة، الذين أخرجوا المسلمين من أرضهم وديارهم، ثمّ تعرّضت لحرمة القتال في مكة في الأشهر الحرم لقوله تعالى:﴿**الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ**﴾ (١)، فإذا كان كفّار مكة لم يرعوا للمسجد الحرام حرمة ولاالشهر الحرام، وقاتلوكم فيه وفي تلك الديار، فقاتلوهم وقابلوهم بالمثل، ولكن لاتنسوا التقوى في نفس الوقت﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ**﴾!

ومن الواضح أنّ وضع الآيات المبحوث عنها «آيات حجّ التمتّع» والسنن المختصّة بالحجّ، بعد تلك الآيات بعلقة الحديث في كلّ طائفة منهما عن المسجد الحرام والبيت الحرام والبلد الحرام والترابط فيما بينها ووصل بعضها بعضاً.

وإلّا فإنّ الظاهر المشاهد أنّ آيات الطائفة الأولى لها صلة بالقتال والآيات المبحوث فيها ترتبط بأعمال الحجّ وآدابه وسننه، وهما أجنبيّان عن بعضهما من حيث المفاد، وهذا ما يعود إلى الموازنة بين الآيات المخصوصة بالبحث (آيات الحجّ) مع الآيات التي هي قبلها.

---

(١)البقرة ٢: ١٩٤.

ولكن ينبغي أن يعلم الحيلة الأصليّة في هذا التبديل ذي الصلة بالاستفادة من النظام التركيبيّ للآيات مورد البحث بما اتّصل بعدها من الآيات.إيضاح ذلك: جاءت الآيات بعدها على النحو التالي:

﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ * وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ وَاللهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ**﴾(١) لتعريف حال عمر بن الخطّاب، والشخص المقابل له، وقد مرّ شرح ذلك في.

إنّ الذين رتّبوا آيات القرآن وسوره ـ وهو المتداول الآن ـ هم الحزب الحاكم نفسه، مضافاً إلى ما ارتكبوه من وضع آيات الحجّ المبحوث فيها في سورة «البقرة»، فقد جعلوها قبل الآيات ٢٠٤ إلى ٢٠٧ من سورة «البقرة»، لكي يجعلوا الكلمتين﴿**فَمِنَ النَّاسِ**﴾ المذكورة في الآية الشريفة:﴿**فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ**﴾(٢)، وكلمة﴿**وَمِنْهُم**﴾المذكورة في الآية بعدها وكلاهما من الآيات النازلة آخر آيات الحجّ منسجمتين مع الكلمتين﴿**وَمِنَ النَّاسِ**﴾المذكورة في الآيات ٢٠٤ إلى ٢٠٧ سورة «البقرة»،

---

(١)البقرة ٢: ٢٠٤ ـ ٢٠٧.

(٢)البقرة ٢: ٢٠٠.

ومخبّأين لانحرافهما عن تعريف عمر بن الخطّاب والشخص المقابل والمضادّ له، وكذلك الشأن في الروايات الملحقة بذيل الآيات ٢٠٤ إلى ٢٠٧ سورة «البقرة» الموضوعة بواسطة جهاز الوضع، وقد بحثنا في حينه، فإنّها وضعت أيضاً في طريق انحراف الآيات عن تعريف المصداقين المتضادّين، ويمكن التعبير عنهما بالموجب والسالب.

وهذا ما كان من إيضاح حديث «آيات الحجّ» في الأرقام ١٩٦ إلى ٢٠٣ سورة «البقرة» ووضعها في غير موضعها الطبيعيّ.آية التبليغ: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ وَإِن لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**﴾(١)، وإن كنّا في مفتتح القسم نفسه من هذا الكتاب قد أكملنا موضوع درك مفاد آية التبليغ ومفهومها و«آية الإكمال»، وأثبتنا عدم تناغمهما وانسجامهما مع السابق لهما واللاحق لهما من الآيات، ولكنّنا هنا نبحث الكلمات السابقة واللاحقة للآيات خاصّة ليتجلى موضوع عدم الصلة بنحو أظهر وتتحقّق مسألة تبديل مواضع الآيات بشكل أحسن.

أمّا «آية التبليغ»، فإنّ وقوعها بين آيات تتحدّث عن أهل الكتاب (اليهود والنصارى) حمل جماعة من علماء العامّة وغيرهم على اعتبارها نازلة في أهل الكتاب أيضاً، وأنّها كلّفت النبيّ(ص) بإبلاغ أمر لأهل الكتاب وجاءت الآية من بعدها لتبيان ذلك الأمر:﴿**قُلْ يَا أَهْلَ**

(١)المائدة ٥: ٦٧.

الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (١).

ومن أجل إبطال هذا التصوّر يكفي الإنسان أن يقف أمام عدد من الآيات قبل آية التبليغ وبعدها ليلمّ عياناً أنّ مفاد آية التبليغ لايمكن أن تكون مرتبطة بإبلاغ أمر في حدود مفهوم الآيات التي جاءت بعدها، وإليك منظومة الآيات قبل «آية التبليغ» وبعدها:

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ * قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللهِ مَنْ لَعَنَهُ اللهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَاناً وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ * وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَد دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ * وَتَرَى كَثِيراً مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * لَوْلاَ يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ * وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُم مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ * وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا

---

(١)المائدة ٥: ٦٨.

لكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ * وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِم مِن رَبِّهِمْ لأكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ * يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ وَإِن لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ * قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِن رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُم مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(١).

وهنا نجد أنّ الآيات أعلاه ـ باستثناء آية التبليغ ـ أخذ بعضها برقاب بعض، ولها صلة مضمونيّة مع بعضها البعض، وليس من فاصلٍ أجنبيّ يفصل بينهما، إلاّ «آية التبليغ»، فإنّها قطعت الرابط المضمونيّ بين الآيات.

والآن لو رفعنا آية التبليغ من وسط هذه المنظومة من الآيات، فسوف نرى الصلة بينها تتعمّق أكثر وأكثر ولم تقطع الصلة بينها إلاّ «آية التبليغ» ذات المضمون المغاير لمضامينها فيمجالها الخاصّ.

أليس مفاد الجمل في الآية الشريفة: **﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِن رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُم مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً فَلاَ تَأْسَ**

---

(١)المائدة ٥: ٥٩ ـ ٦٩.

عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ)(١) وهي الآية التي جاءت بعد«آية التبليغ»، فإنّها تتفق مع الآيات قبلها، لاسيّما مع نفس الآية (٦٦) المتّصلة بآية التبليغ، والتي نزلت قبلها، أمّا جملة﴿ **حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ** ﴾وهي نفس مضمون الجملة التالية: ﴿ **وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِم مِنْ رَبِّهِمْ** ﴾.

والجملة: ﴿ **وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُم مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً** ﴾ هي أيضاً، مضافاً إلى وجود الرابط المفهوميّ فيها مع الجملة﴿ **وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ** ﴾،ولقد ذكرت هي عينها بدون تغيير حتّى في الحركات لدى الآيات الثلاث المذكورة قبل «آية التبليغ»، فما هي الخصوصيّة للآية (٦٨) التي استوجبت العقاب والخطاب التهديديّ في «آية التبليغ».

وعلى كلّ حال، فإنّ الآية الشريفة: ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِن لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ** ﴾فمع خطابها التهديديّ المختصّ بها من المستحيل أن تكون من أجل إبلاغ أمر كهذا الأمر الوارد في الآية الشريفة: ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ** ﴾، لأنّنا رأينا النبيّ(ص) قد بلّغ ما هو أشدّ منه وأعظم إلى أهل الكتاب هؤلاء، وما خامره خوف منهم ولااهتمّ بدعاواهم، بناءً على هذا عندما نشاهد الصلة بين «آية التبليغ» والآيات السابقة لها واللاحقة بها قطيعة وقطيعة جدّاً

(١) المائدة ٥: ٦٨.

يتّضح لنا أنّ وضع «آية التبليغ» بين الآيات الخاصّة بأهل الكتاب جاء متعمّداً وعن سابق إصرار وقصد لكي يبقى مفادها الأصليّ إلى الأبد محرّفاً عن معناه الصحيح، وهو تعريف واقعة الغدير.

٤ ـآية الإكمال﴿ **...الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً...**﴾ (١) لمّا كانت «آية الإكمال» قد وضعت في وسط الآية الثالثة من سورة «المائدة»، أي الآية الشريفة التالية: ﴿ **حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلاَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لإِثْمٍ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ (٢) وهي لبيان المحرمات من اللحوم من ثمّ توهّم جماعة من علماء العامّة على هدي أذواقهم الخاصّة أنّ الجملة الشريفة في الآية: ﴿ **...الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً...**﴾ راجعة أيضاً إلى تلكم اللحوم المحرّمة، وبتعداد أقسامها واحداً واحداً في الآية فقد «كمل الدين وتمّت النعمة» وكمل الدين بتشريع هذه الأحكام ولم يبق

---

(١)المائدة ٥: ٣

(٢)المائدة ٥: ٣.

حكم لم يشرّع ليبقى دين الله ناقصاً.

وللجواب على هذا التصوّر نقول: إنّ موضوع المحرمات من اللحوم موضوع قد بان حكمه في سور أخرى من القرآن قبل نزول الآية الثالثة من سورة «المائدة»، والآن نسوق هذه الآيات حسب ترتيبها من السور، لكي يكون الحكم على الآية الثالثة من سورة «المائدة» أسهل:

١ ـ الآية الأولى التي تعرّضت لبيان الحكم المقصود بالنظر الآية ١٤٥ من سورة الأنعام: ﴿**قُل لاَ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ (١).

وهنا نرى أنّ لحم الميتة والدم ولحم الخنزير أو الحيوان المذبوح لغير الله يعتبر من المحرّمات بصورة مطلقة، والنكتة التي أدخلت في هذا الكلام هي أنّ لحم الحيوان الذي ذبح على النصب ذكره الله على أنّه فسق وانحراف عن جادّة الصواب: ﴿**أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ**﴾. فلنحتفظ بهذه النكتة في أذهاننا فسوف نحتاج إليها مستقبلاً إن شاء الله.

٢ ـ الآية الثانية التي ذكرت اللحوم المحرّمة آية ١١٥ سورة «النحل»: ﴿**إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ**

(١) الأنعام ٦: ١٤٥.

لِغَيْرِ اللهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، ولمّا كان الموردان السالفان من آيات السور المكّيّة فإنّهما يحملاننا على الاعتقاد بأنّ حرمة اللحوم المذكورة نزلت في مكّة وقبل الهجرة.

٣ ـ الآية الثالثة التي ذكرت المحرّمات السالفة وهي من الآيات المدنيّة آية ١٧٣ من سورة «البقرة»: **﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾**.

فكما نلاحظ أنّ محرّمات اللحوم في الآيات الثلاث بطور مطلق هي عبارة عن «الميتة، والدم، ولحم الخنزير، ولحوم القرابين التي أهلّ بها لغير الله تعالى، وهكذا»، وفي كلّ آية منها يستثنى من الحكم المذكور حالة الاضطرار وذكر في أواخر الآي.

الآية الرابعة التي ذكرت فيها محرّمات اللحوم واستثنيت فيها الحالة الاضطراريّة التي ترفع حكم الحرمة هي الآية المقصودة بالبحث، أي الآية الثالثة من سورة «المائدة»: **﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلاَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لإِثْمٍ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾**.

وحين نقيس الآية أعلاه بالآيات الثلاث السالفة من سورة «البقرة»وسورة «الأنعام» وسورة «النحل» يظهر لنا الفرق بين المحرّمات المذكورة في آية سورة «المائدة» مع المحرّمات المذكورة في تلك الآيات في الأمور التالية:

أوّلاً: الميتة التي ورد ذكرها في تلك الآيات، وكذلك في صدر الآية المقصودة بالبحث، وحرمت بصفة مطلقة، فقد ذكرت هناك بصورة مجملة وفصّلت هنا، فذكرت لها مصاديق وهي عبارة عن:

١ ـ **المنخنقة:** التي يُقضى عليها بقطع أنفاسها.

٢ ـ **الموقوذة:** وهي التي ضربت حتّى نفقت.

٣ ـ **المتردّية:** وهي التي هوت من شاهق.

٤ ـ **النطيحة:** وهي التي نطحها حيوان مثلها فقضى عليها.

٥ ـ **ما أكل السبع:** وهي المفترسة ـ بفتح الراء ـ وهي الحيوان الذي تعرّض لمهاجمة السباع.

وبناءً على هذا، فإنّه لم يذكر في الآية المقصودة بالبحث أمر جديد من محرّمات اللحوم، ولم يضف إليها جديد في هذا الضرب؛ لأنّ هذه المصاديق كلها يجمعها لفظ الميتة، وقد بُيّن حكمها في الآيات جميعها وأحسن شاهد على ما ذهبنا إليه من أنّ جميع المصاديق تلحق بالميتة هو الاستثناء الذي استثنى منها بجملة﴿ **إلاّ مَا ذَكَّيْتُمْ** ﴾حيث اقتضى ذبح ما وجد منها على قيد الحياة. وعندئذ لايحسب بحساب الميتة.

ثانياً: ﴿**وَمَا أهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ**﴾ (الذي حرّم بصورة مطلقة في تلك الآيات وفي الآية المقصودة بالبحث، وهنا نذكر له مصداقان من ذلك التفصيل، وهو عبارة عن لحم الضحية التي تقدّم قرباناً للأصنام﴿**وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ**﴾.

٢ ـ لحم البهيمة التي يقسّم على أساس الأزلام، ومن الواضح من هذين المصداقين أنهما داخلان في مفهوم﴿**وَمَا أهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ**﴾، وبناءً على هذا فأنّ الآية مورد البحث لم تتضمّن حرمة جديدة من ناحية اللحوم لهذه الجهة، وبعد اتّضاح المطالب أعلاه نوجّه عناية القارئ الكريم إلى نتيجة البحث فنقول:

عندما تكون الآية الثالثة من سورة «المائدة» غير متضمّنة حكماً جديداً من جهة محرّمات اللحوم، وما ذكر فيها مفصّلاً من الأقسام، إنّما هو مصاديق من «الميتة» و«ما أهل لغير الله به» التي ذكرت في الآيات آنفات الذكر وشرّع حكمها فيها. إذن تكون الجملة الشريفة:﴿**...الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً...**﴾وقد وقعت بين المستثنى والمستثنى منه الآية الثالثة من سورة «المائدة»، وهذا يحملنا على القطع بعدم صلتها بالمصاديق المذكورة تفصيلاً فيها؛ لأنّها عينها المصاديق من «الميتة» و «ما أهلّ لغير الله به» المذكورة في الآيتين من سورة «الأنعام» وسورة «النحل» التي كشفت أحكامها في مكّة، وفي آية سورة «البقرة» في السنة الأولى للهجرة، وإذا كان لازم بيان المحرّمات من اللحوم هو

يأس الكفّار من الغلبة على الإسلام ودين الحقّ فينبغي أن يكون حدوث ذلك قبل الهجرة، وهكذا الأمر بالنسبة إلى تكميل الدين إذا كان يحدث ويتحقق في بيان تلكم الأحكام، فينبغي أن يتحقق ذلك في فترة ما قبل الهجرة، وأن يكمل على الأساس الذي بيّنه الله تعالى.

وعلى هذه الرويّة يتبيّن لنا بوضوح أنّ الجملة الشريفة: ﴿...**الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا... وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً...**﴾ لايصحّ أن يرتبط بالأحكام المذكورة في الآية الثالثة من سورة «المائدة».

والواقع أنّه لايكون من العقل القول بأنّ تعداد الأقسام من الميتة، والأقسام ممّا أهلّ لغير الله به، مدعاة ليأس الكفّار من الغلبة على الإسلام، ويكمل الإسلام في هذه الأقسام التي حرّمت منذ أمد قبل الهجرة. الآن في آخر سنة من عمر النبيّ(ص)ويرضى به الله تعالى.

وبناءً على هذا لما شاهدنا «آية الإكمال» تتوسّط الآية الثالثة من سورة «المائدة»، لانستطيع أن نتصوّرها ناظرة إلى الأحكام المذكورة في تلك الآية، ولا ربط لها في تلك الأحكام، وكلّ صلة بها مزعومة، فإنّها مقطوعة حتماً.

وهنا يكون من الطبيعيّ القول بأنّ وضع «آية الإكمال» في وسط الآية المزبورة ووقوعها بين المستثنى والمستثنى منه من محرّمات اللحوم أمر دبّر بليل وغرض مقصود قد أعدّت له الوسائل والأسباب ليتماشى مع مصلحة الحزب الحاكم ويتّسق مع وجهة نظره ليمحى من الأذهان الإعلام عن إكمال الدين وإتمام النعمة

بولاية عليّ(ع) وتثبيت إمامته وخلافته في غدير خم وإلى الأبد.

ويتجاوز هذا كله، فإنّ من شاهد الآية الثالثة من سورة المائدة التي توسّطتها «آية الإكمال» ويصفها إلى جانب الآيات (١٤٥) سورة «الأنعام» و (١١٥) سورة «النحل» و (١٧٣) سورة «البقرة» الخاصّة بالمحرّمات من اللحوم، وينظر إلى وضع المستثنى والمستثنى منه في تلكم الآيات، يدرك جيّداً أنّ الوضع الطبيعيّ للمستثنى والمستثنى منه في الآية الثالثة من سورة «المائدة» له وضع الاتّصال، وعمد الحزب الحاكم إلى فكّ هذا الاتّصال قصداً، ووضع «آية الإكمال» بينهما ليسلم له قصده وما تصوّره من الأغراض الشخصيّة..

إلى هنا تمّ البحث عن النظام التركيبيّ للآيات في السور القرآنيّة، والآن نجيب على السؤال الذي تمّ عرضه في أوّل البحث إن شاء الله تعالى.

مسألة التحريف.. وحلولها العينية..

كان السؤال الذي طرحناه في البحث كما يلي:

يأتي السؤال الملحّ حين نقف على تلاعب الحزب الحاكم بالنظام التركيبيّ للآيات تحقيقاً لأغراضه الشخصيّة وبحثاً عن المنافع الخاصّة، فأباح لنفسه من أجل ذلك خلط الآيات بالتقديم والتأخير، عند ذلك يلحّ هذا السؤال وفحواه: أيّ نوع من الآيات ركّز عليها الحزب الحاكم، فتلاعب بها؟ وهل أسقط في تصرّفه هذا شيئاً منها أو أضاف إليها، أو أنّه قنع بتبديل النظام الطبيعيّ، وخلط مواضع نزولها بعضها ببعض، واكتفى بما أحدثه لها من المواضع المفتعلة؟

وفي الجواب على هذا السؤال نقول:

بما إنّنا حصلنا على النتائج في تمام بحوث الكتاب من أوّلها إلى آخرها من المشاهدات العينيّة الناتجة عن البحث المعمّق، فينبغي علينا في الجواب على السؤال الموجّه أن نسلك المسلك نفسه، ومن حيث عثرنا على التصرّف الذميم الذي اتّخذه الحزب الحاكم في النظام الترتيبيّ للسور والتركيبيّ للآيات في القرآن الموجود بأيدينا اليوم والمتداول بيننا، نعثر على جوانب السؤال الموجّه عن التحريف من حزب حاكم يرتكب كلّ محظور في سبيل بلوغ أهدافه، وعلى هذه الرويّة يتّضح لنا من خلال ما حصل بأيدينا في هذا الموضوع من البحوث أنّ تصرّف الحزب الحاكم في النظام الترتيبيّ لسور

القرآن والنظام التركيبيّ لآياته، وفي كلّ موضع جرى منه ذلك يدور على محور هدفين أصليّين وهدف واحد جانبيّ:

أحدهما: محو آثار إقدامه وهو يرتكب الأعمال الشائنة والأفعال القبيحة.

والثاني:طمس الأعمال الطيّبة والثمينة التي قام بها خصمه السياسيّ والاجتماعيّ والدينيّ.

أمّا الهدف الجانبي فيتخلص في طموحاته المتوثبة إلى فتح البلاد، وفرض الحكومة العسكريّة العنصريّة، وفي إقامة الحجّة على الهدف الجانبيّ يكفينا الرجوع إلى ترتيب السور الطوال في القرآن المتداول اليوم، وفي المرحلة الأولى وضع هذا الفصل نصب عينيّ الباحث ليتجلى له كيف استطاع الحزب الحاكم أن يفرض نظريّة الفتح والحكم العنصريّ من حيث تنظيم السور الطوال على النحو المعمول به اليوم على إقناع المسلمين واتّباع القرآن.

وبعبارة أخرى: أنّه أجرى للمسلمين «غسيل دماغ» لقبول هذه النظريّة.

والهدفان الآخران اللذان حصلا بأيدينا ـ وقد أشرنا إلى فهرسة لهما في البحث الحالي (بحث النظام الترتيبيّ والنظام التركيبيّ للسور والآيات القرآنيّة) على شكل نموذج ـ ما يزالان ثابتين ملأ النظر، وأمّا ما يعود إلى هذا السؤال من أنّ الحزب الحاكم هل له دخل وتصرّف في الآيات من كتاب الوحي، فأسقط شيئاً منها أو أضاف إليها، أو أنّه اكتفى بخلط النظام الطبيعيّ للسور والآيات، واكتفى بما

وضع لها من نظام خاصّ من عنده هو السائد اليوم، فنقول:

إنّ مشاهداتنا العينيّة خلال الطريق الذي طويناه في البحث يوقفنا على حقيقة تقول: إنّ الحزب الحاكم عجز في المواطن التي تعمّد فيها من تبديل النظام الترتيبيّ والتركيبيّ للآيات والسور القرآنيّة بأيّ وسيلة كانت، وأي ذريعة متصوّرة أن يزيد أو ينقص من القرآن؛ إذ أنّ هدفه المنشود هو محو آثار أعماله الشائنة وتصرّفاته الباطلة، وكذلك محو المناقب الثابتة لخصمائه المعهودين الذين يراقب حالهم، فما الذي يمنعه وذلك هو الطريق الأسهل أن يعمد إلى السورة التي تقرعه أو تشيد بخصمه، ويترتّب على وجودها في القرآن ضرر لاحق به، فيحذفها من القرآن من رأس ويخلي القرآن الرسميّ الخاصّ بجهاز الخلافة منها، مع أنّنا نشاهد عياناً أنّه تجنّب ذلك، وبدلاً عن هذا الطريق الأسهل سلك طريقاً متعباً، فجاء بالسور ووضعها في غير موضعها، وخلط بالتقديم والتأخير الآيات في النظام التركيبيّ الخاصّ به، فتبدّل الوجه الطبيعيّ لتسلسل النزول وقلب طبيعته رأساً على عقب، وصار له نظامان خاصّان به، هما الترتيبيّ والتركيبيّ. وأعرضت الأمّة عن نظام النزول الطبيعيّ.

إنّ الحزب الحاكم لو استطاع إحداث النقص في القرآن لعمد إلى سورة «عبس»، وهي النازلة بذمّ عثمان بن عفّان الخليفة الثالث، وقد تمّ بحثها في ما سبق من الكتاب فأسقطها، ولكنّنا نراه قد أثبتها ولجأ إلى حيلته المعهودة فقدّم سورة «النازعات» على سورة «عبس» لكي تجعل الضمائر المتّصلة والمنفصلة والعائدة على

المخاطب المفرد المذكور في الآيات من آخر سورة «النازعات»، والمخاطب بها رسول الله(ص)فلا شك في ذلك فيهيئ المناخ للآيات الأولى من سورة «عبس» حتّى تكون منطبقة على رسول الله(ص) بدلاً من عثمان.

ولو كان بمستطاع الحزب الحاكم التصرّف بالقرآن نقصاً وزيادة لأسقط الآيات ٢٠٤ إلى ٢٠٦ من سورة «البقرة» المعرّفة لذات عمر بن الخطّاب الخليفة الثاني، وكذلك الآية بعدها ـ آية ٢٠٧ ـ الخاصّة بتعريف عليّ بن أبي طالب(ع).

وقد مرّ فيما سبق بيان حال آياتها، ولكنّنا نراه وقد أثبت تلكم الآيات، وفزع من ناحية أخرى إلى حيلة التبديل، فوضع آيات الحجّ النازلة في حجّة الوداع. ومن الطبيعي ينبغي أن تكون في أمثال سورة «المائدة» أو سورة «التوبة»، وضعها في سورة البقرة قبل الآيات المعهودة لكي يتّخذ من كلمة﴿**فَمِنَ النَّاسِ**﴾المذكورة في الآية الشريفة: ﴿**فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الأَخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ**﴾(١)، وكلمة﴿**وَمِنْهُم**﴾المذكورة في الآية بعدها وكلاهما من الآيات النازلة آخر آيات الحجّ المذكورة توّاً مناخاً صالحاً للكلمتين﴿**وَمِنَ النَّاسِ**﴾المذكورتين في الآيات (٢٠٤) إلى (٢٠٧) من سورة «البقرة»، ويحرف مسيرهما من تعريف عمر بن الخطّاب والإفصاح عن طبيعة ذاته، وكذلك الخصم الذي يقابله ويضادّه ويحولّهما إلى مصاديق مطلقة وعامّة نظير مصاديق

(١)البقرة ٢: ٢٠٠.

كلمة ﴿فَمِنَ النَّاسِ﴾ المطلقة والعامّة، والمذكورة في آيات الحجّ[(١)].

ومن جهة أخرى، فقد عمد إلى وضع روايات كثيرة للتعبير عن ذاته الخبيثة، ولتأكيد انحراف معنى الآيات عنه، وقد بحثناه في هذا القسم من الكتاب، وعرضناها للنقد.

كما أنّ الحزب الحاكم لو استطاع الحذف لأسقط «آية التطْهير»، وهي آية مختصرة ومفيدة، وسند حيّ لإثبات عصمة أهل البيت وطهارتهم من القرآن، وقد مرّ إيضاح ذلك.

ولكنّنا نراه وقد أثبتها، ولكنّه بحيلة مراوغة وذكيّة وضعها في وسط الآيات: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ﴾ وصنع لها مكاناً في آخر الآية (٣٣) من سورة «الأحزاب» لكي يعتقد المسلم عند قراءة القرآن المتداول اليوم باعتبار أنّ زوج الرجل هي من أهل بيته فأنّ «آية التطهير» خاصّة في نساء النبيّ(ص)، ويبقى الناس إلى الأبد في عمية مظلمة، ويبقى مفاد «آية التطهير» خافياً على الناس.

ولو استطاع الحزب الحاكم لأسقط الآية الشريفة: ﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلاَهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلاَئِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾[(٢)]، وهو سند حيّ لخيانة عائشة وحفصة لرسول الله(ص)، وتسجيل حكاية

(١) ارجع إلى البحث الذي بيّناه في الصفحتين ٩٥٣ و ٩٥٥٤ حول الموضوع.

(٢) التحريم ٦٦: ٤.

قصدهما النبيّ(ص) بالسمّ، وقد مرّ بيان ذلك. وبإسقاط الآية لا يختلّ نظم السورة، ولايدخل عليها الخلل من ناحية سياقها، ونسق الخطاب فيها، ولكنّنا نراه وقد أثبت الآية ضمن منظومة الآيات من سورة «التحريم».

نراه حين أكّدت حيلته وعجز عن تبديل موضعها أو إيجاد مناخ آخر لها لتغيير المعنى، وقد سدّ الطريق في وجهه بصراحة الآية في خطابها للمرأتين، وبيان خيانتهما لذلك ألجأته الضرورة إلى توجيه سورة «التحريم» لاسيّما الآية﴿**إن تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا**﴾، وإلى وضع روايات لايصعب على الباحث المحقق إثبات زيفها وعوارها وتنافرها مع مفاد الآيات القرآنيّة.

وكذلك «آيات الإفك» لو كان بمستطاع الحزب الحاكم أن يحذفها من القرآن لفعل، وقد نزلت في تبرئة ماريّة القبطيّة اُمّ إبراهيم، وطهارة ذيلها ممّا قذفها به المنافقون المحترفون في مولد إبراهيم(ع)، وقد شرحناه سابقاً.

ولكنّنا نراه قد أثبتها وهرع إلى وضع روايات تقلب «آيات الإفك» من تبرئة «ماريّة» إلى تبرئة عائشة لكي ترد مزعمة التهمة التي ادعت أنّها قذفت بها في غزوة بني المصطلق، وتستعيد ماء وجهها الذي أريق في سورة «التحريم»، وتسدّ النقص الذي أحدثته السورة في واقعها. أجل، في نفس «القسم الخاص بها» من هذا الكتاب بعد عرض الروايات المشار إليها على متن «آيات الإفك» أثبتنا كذبها ووضعها وهشاشة جذرها.

ولو كان الحزب الحاكم يملك القدرة لحذف سورتي «محمّد(ص)» و «الحجرات» اللتين نزلتا في ذمّ المنافقين المحترفين، لاسيّما الرأسان منهم، وقد أوضحنا ذلك في محله من الكتاب، وكذلك أشبعنا الموضوع فيما يرتبط به.

ولكنّنا نراه وقد أثبت السورتين في القرآن، إلّا أنّه انتهج نفس النهج من حيلة الفصل بينهما بسورة «الفتح» لأنّها تشيد بالأصحاب، وترفع من شأنهم، وقد بحثنا الموضوع في حينه لكي يتصدّوا إلى الأثر التكذيبيّ لأبناء جلدتهم الوارد في السورتين فيمحون وجوده، ويقضون عليه، ولايبقى له أثر يذكر في أذهان الأجيال القادمة.

ولو استطاع الحزب الحاكم لأسقط الآيات (٦١) إلى (٧٤) سورة «التوبة» ذات الصلة «بواقعة العقبة»، وقذف راحلة رسول الله(ص) في الهوّة العميقة، والقضاء عليه، والذي تمّ ذلك كلّه بأيدي المنافقين المحترفين بعد العودة من غزوة تبوك، وقد أوضحناه كذلك. ولكنّنا نراه على العكس من ذلك قد أثبتها في القرآن وعمد إلى وضع الروايات الكثيرة في «واقعة العقبة» ليلقى التبعة في ذلك بأعناق المنافقين العاديّين الذين لم يحضروا الغزوة أبداً، وما كان فيها أحد منهم من رأس، وقد أثبتنا في «البحث القرآنيّ» حول الموضوع عدم حضورهم في تلك الغزوة.

ولو ملك الحزب الحاكم القدرة على الحذف والإسقاط لحذف «آياتالمباهلة»، وهي من الآيات المتميّزة المختصّة بإبراز مناقب الخمسة

المطهّرين(ع)، وقد نزلت في بيان حديث المباهلة بين رسول الله(ص) ونصارى نجران في أواخر فترة السنين العشر في المدينة، وكان من حقّها أن تثبت في سورة «المائدة» أو سورة «التوبة»، وقد أوضحناها في المرحلة الثانية من تحقيق النظام التركيبيّ لآيات السور القرآنيّة.

ولكنّنا نراه قد أثبتها في القرآن، ولكنّه بمكره المعتاد وحيلته النادرة الماهرة وضعها في الأرقام (٥٩) إلى (٦٣) من سورة «آل عمران»، وهي السورة الثالثة نزولاً في المدينة لكي يخفي تطبيقها على الخمسة الأطهار لأنّه في هذه الحالة يكون وقوع المباهلة قبل ولادة الحسنين(ص).

ولو أنّ الحزب الحاكم باستطاعته الحذف والإسقاط لحذف «آية التبليغ» التي هي سند حيّ لواقعة الغدير، ومرّ شرحها.

ولكنّنا نراه قد أثبتها، ولكنّه فزع إلى التزوير الماهر، فوضعها وسط آيات ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ**﴾- الآيات (٥٩) إلى (٦٩) من سورة «المائدة» - لكي تجري مع الأوامر التي يراد إبلاغها لأهل الكتاب، وتحسب من ذلك القطع، ويخفى مفادها الأصليّ الذي هو إبلاغ ولاية عليّ بن أبي طالب(ع) وخلافته في غدير خم من الأنظار.

ولو استطاع الحزب الحاكم لأسقط «آية الإكمال» وهي سند إكمال الدين وإتمام نعمة الولاية بنصب عليّ بن أبي طالب(ع) لخلافة المسلمين في غدير خم من الكتاب، وقد تقدّم تفسيرها في محله.

ولكنّنا نراه وقد أثبتها في القرآن، إلّا أنّه من جهة قدّمها على

«آية التبليغ» في النظام التركيبيّ لآيات سورة «المائدة» بأربع وستّين آية لكي تكون بمنأىً عن مفاد «آية التبليغ»، ولاتكون لها صلة بها. وفي خبث وقبح وسّطوا الآية في الآية الثالثة من سورة «المائدة» ـ الخاصّة بتعداد أقسام اللحوم المحرّمة ـ بين المستثنى والمستثنى منه من محرّمات اللحوم، لكي يحيلوا المعنى الرفيع للآية، وهو الإعلام عن إكمال وإتمام نعمة الولاية بإثبات إمامة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب(ع) وخلافته إلى معنى مبتذل وضيع، وهو حرمة عدد من اللحوم المحرّمة حتّى لايخطر ببال أحد المعنى الأصليّ للآية.

وأثبتوها قبل الآيتين للتعمية على المسلمين، وإخفاء خبثهم الحقيقيّ في هذا التبديل: ﴿ **يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ * الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلاَ مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾(١) حتّى تكون كلمة «يوم» المذكورة في جملة: ﴿ **الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ** ﴾ وكلمة ﴿ **الْيَوْمَ** ﴾ المذكور في «آية الإكمال» سواءاً في

---

(١) المائدة ٥: ٤ و ٥.

المعنى المبتذل حتّى يفهم كلّ من يقرأ سورة «المائدة كلّما قرأ ﴿ **الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ** ﴾أنّها مفسّرة باليوم الذي أحلّت فيه الطيّباب من الطعام، ويلحق بها كلمة﴿ **الْيَوْمَ** ﴾المذكور في «آية الإكمال» ويعتبره دالاً على نفس المعنى المتقدّم، ولكن بفارق السلب والإيجاب.

فـ ﴿ **الْيَوْمَ** ﴾ هذا دالّ على حرمة أقسام اللحوم التي اُحلّت في اليوم السابق عليه، ويكون حينئذ يوم «إكمال دين الإسلام» و «إتمام نعمة الولاية» هو يوم تحريم اللحوم المحرّمة مع أنّ حرمة هذه اللحوم قد نزلت قبل سورة «المائدة» بآيات عدّة في مكّة والمدينة، وقد مرّ بحثها القرآنيّ في محله.

نعم، هذا النوع الظالم الذي اتّخذه الحزب الحاكم في «آية الولاية» وأمثالها في القرآن الموجود اليوم والمتداول، لاينسجم مع الذوق السليم لأيّ إنسان.

وهو يدلّنا على أنّ التصرّفات التي حدثت من الحزب الحاكم كلّها كانت بعيدة عن نظر المسلمين في الصدر الأوّل للإسلام، وإنّما اكتست لباس الوجود في البحبوحة الخاصّة بالمنافقين المحترفين، وفجأة حمّلت على المسلمين بشكل غير معتاد كما أنّ الروايات الصحيحة والخالية من دسّ المنافقين المحترفين في الموارد آنفة الذكر وأمثالها ممّا نقله الثقاة من الفريقين تتّفق مع البحوث القرآنيّة اتّفاقاً تامّاً.

وهذا دليل قائم على الفرض المفاجئ للتبديل الذي أحدثه المنافقون المحترفون، وما ينتج عنه من معنى كنّا قد ذكرناه توّاً.

وعلى أيّة حال، إنّ المشاهدات العينيّة، وقد أشرنا إلى نماذج منها في عدد من الصفحات الأخيرة لتدلّ دلالة قاطعة على أنّ الحزب الحاكم وفي المواضع التي تمّت له السيطرة على نظامها الترتيبيّ أو التركيبيّ للآيات والسور القرآنيّة، وتصرّف بها طبقاً لهواه ومشيئته، لم يستطع بأيّ سبب من الأسباب أن يقوم بإسقاط سورة أو آية من القرآن الكريم، لفقده القدرة على ذلك.

فلو كان مالكاً لقدرة من هذا النمط لبدء بالآيات الخاصّة بهم، والآيات المختصّة بالإشادة بخصمائهم، مع أنّنا نشاهد أنّ كلا القسمين من الآيات ثابت في القرآن الموجود فعلاً والمتداول، وهو من تنظيم الحزب الحاكم نفسه.

ونحن في بحث هذه الآيات تمّ لنا الوقوف على جليّة الحال من قصّة الحزب الحاكم نفسه والجهة المقابلة له.

إذن لمّا كان الحزب الحاكم ـ أي المنافقون والمنحرفون ـ عاجزاً عن حذف الطائفتين من الآيات، أو أنّه ألمّ بعدم جدوى ذلك لحكومته الحزبيّة، فإنّه يكون ملجأ حينئذ بالتصرّف في النظام الترتيبيّ والتركيبيّ الخاصّ في آيات وسور القرآن الكريم، فعمد إلى التغيير بالتقديم والتأخير المرموزين للآيات والسور القرآنيّة، وإلى خلط الوضع الطبيعيّ لها إلى الحدّ الذي يسمح له بذلك فيقفي بهذا الفعل على آثار أقدامه وآثار أقدام الجهة المقابلة له من خصومه، كما بقي طول هذه المدّة من حكومة الخلفاء الحزبيّة، والحقب التالية لها طيّ الكتمان.

وعلى أيّة حال، فإنّ ما قلناه لحدّ الآن في موضوع تبيين «النظام الترتيبيّ والتركيبيّ للسور والآيات القرآنيّة» يكفي في إثبات سلب القدرة عن الحزب الحاكم على الحذف من آيات القرآن أو سور، أمّا ما يخصّ الزيادة فيه فإنّنا نقول:

يمكن إثبات عدم الزيادة بنفس الدليل الذي أثبتنا به عدم النقيصة؛ لأنّ الحزب الحاكم لو كان قادراً على فعل كهذا الفعل، فإنّه يستخدم ذلك قطعاً لرفع نقائص أفراده أو إثبات نقائص لأفراد الجهة المقابلة له من خصومه مع أنّنا نشاهد بأمّ أعيننا في طول الكتاب وعرضه لم يرفع غميزه ممّا عنده، ولم يثبت غمائز أو نقائص لخصومه.

أجل، لو كان بمستطاع الحزب الحاكم فعل ذلك، وأنّه قادر على إضافة ولو كلمة واحدة قصيرة أو جملة مثلها في لغة الوحي والكلام الموحى به على نبيّه(ص)، فإنّه حتماً يعرّج بفكره إلى ما يشغله من «آية الغار» فيضيف إليها كلمة لئلاّ يحتاج إلى وضع هذه الروايات المفتعلة ليصون بها ماء وجه أبي بكر بن أبي قحافة (الشخص الأوّل في فريقه) المبدّد الذي سكبته على بوغاء الثرى «آية الغار».وقد مرّ بيان ذلك.

قطعاً لو كان قادراً على الإضافة لجاء إلى جملة «فأنزل الله سكينته عليه وعلى صاحبه» أو إلى جملة:«فأنزل الله السكينة على رسوله وعلى صاحبه»، أو إلى جملة:«فأنزل الله السكينة على

صاحبه»»، أو إلى جملة:«فأنزل السكينة على صاحبه» لبلغ مناه وانتهى إلى غاية مبتغاه.

وهو رفع «النقص الإيمانيّ» عن كاهل أبي بكر، بل لرفع نقيصة عدم الإيمان عنه، ولم يتجشّم عناء افتعال الأحاديث وتلفيقها، ولم يقم جهاز الوضع الخليفيّ بوضع هذه الأحاديث الباطلة الخاوية من المعنى والمحتوى.

وهنا ينبغي لنا استحضار نكتتين:

الأولى: إنّ إثبات تدخّل الحزب الحاكم وتصرّفه في النظام الترتيبيّ والتركيبيّ للآيات والسور القرآنيّة غير التحريف العامّيّ الذي قال به قوم من أهل الحديث العامّة والخاصّة، وعمدوا لتقوية قلوبهم في هذا المذهب الباطل إلى نقل أحاديث تدلّ متونها الواحد تلو الآخر عند ذوي النظر على وضعها وافتعالها، وأنّها لاتعدل عند الله فلساً زائفاً.

هذا الموضوع الذي حاولنا إثباته هنا هو نتاج التحقيقات المعمّقة في الآيات الخاصّة بالمنافقين المحترفين والجهة المقابلة لهم من خصومهم، وقد تخلل الكتاب شرح مبسّط له.

إنّ إثباتنا للموضوع السالف من التغيير والتبديل في نظام الآيات والسور وخلط مواضع نزولها غير ما يقال عن سورة «الأحزاب» بأنّها تعادل سورة «البقرة»، وقد حذفوا جميع آياتها ما عدا الثلاث والسبعين آية الموجودة فعلاً فيها، ومن الآيات المحذوفة الجملة التالية:«الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتّة...»، وهي

جملة يمكن أن تشبه كلّ شيء إلاّ لغة الوحي، ولفظ «البتّة» شاهد مشرق على ذلك.

على عكس ما يظنّ من أنّنا قد أثبتنا في هذه المشاهدات العينيّة أنّ الحذف معدوم في القرآن للآيات والسور كلّها، فلم يزد فيه ولم ينقص منه أبداً، بل انحصر تصرّف الحاكم في تبديل مواضع الآيات والسور بالتقديم والتأخير، وخلط النظام الطبيعيّ لها، واستبدال النظام التركيبيّ والترتيبيّ المتداول اليوم بنظامها الطبيعيّ المترتّب آياً وسوراً بحسب النزول، والغرض من ذلك هو ستر أثر أقدام الحزب الحاكم السيّئ والآثار الحسنة للجهة المقابلة والمخاصمة له، وقد بلغ غايته أيضاً بهذه اللعبة.

الثانية: ليس معنى تصرّف الحزب الحاكم في تغيير مواضع النزول للآيات والسور في النظام الترتيبيّ والتركيبيّ لها أنّه تصرّف في نظام القرآن كلّه، فغيّر وبدّل، وقدّم وأخّر، كلاّ، بل لمّا كان هدفه الأكبر هو إخفاء آثار نقائص أفراد حزبه، وكذلك يسعى وراء إخفاء المواقع الطيّبة والآثار النبيلة للجهة المراقب لها بالبغضاء والخصومة، فإنّه من الطبيعيّ أن يسعى إلى تغيير النظام لآيات تدخل في هذا السلك، وخلط مواضعها الطبيعيّة في النزول، واقتصر على هذا النمط من الآيات، فتصرّف في تركيبها وترتيب سورها.

ولذلك نرى عمدة تصرّفاته في الآيات المدنيّة، وأمّا الآيات المكّيّة فإنّ ذلك نادراً ما يقع فيها؛ لأنّ فترة السنين العشر التي انسلخت في المدينة وهي فترة استفحال أمر الإسلام واشتداد عوده

تضاعف حسد المنافقين المحترفين وحقدهم على أهل بيت العصمة والطهارة، والبحوث المثبتة في هذا الكتاب شاهد حيّ على هذا البغض والعداء.

أجل، ما أظهره النبيّ(ص) من العناية الفائقة في المحافظة على آيات الوحي، مثل الآيات التالية: ﴿**لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ**﴾(١) سورة «القيامة»، ﴿**وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً * فَتَعَالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلاَ تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَبِّ زِدْنِي عِلْماً**﴾(٢) يدلّ على ذلك دلالة واضحة.

في فترة الثلاث والعشرين سنة من نزول الوحي التي نزل فيها القرآن نجوماً طبقاً لوقوع الأحداث والمستجدّات المتنوّعة في المجتمع، فقد كان للنبيّ(ص) دخل أكيد في تنظيم الآيات الشريفة وترتيبها قطعاً، وكذلك في وضعها مواضعها من السور القرآنيّة، ولايترك الآيات القرآنيّة بشكل غير منظّم موكولة إلى ذاكرة العوام الذين ليس لهم ثقافة معهودةً ولامضبوطة، بل يضبط الآيات بواسطة أولئك الخطّاطين والكتّاب المعهودين ووجود كتّاب الوحي بين يديه بالصورة التي تناسب بيئة مجتمعه الثقافيّة ونوعيّة الحياة في محيطها من مسلّمات التاريخ الإسلاميّ.

---

(١)القيامة ٧٥: ١٦ ـ ١٩.
(٢)طه ٢٠: ١٣ و ١٤.

فعلى سبيل المثال سورة «المزمّل» وهي من بواكير السور التي نزلت على النبيّ(ص) في مكة، هذه السورة تحتوي على عشرين آية، والآية العشرون فيها هي الآية الشريفة: ﴿**إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ (١) نزلت في المدينة بديل الجملة التالية: ﴿**وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾، ونزلت بعد تشريع القتال مع الكفّار، ويمكن أن يدّعي المدّعي بصورة معقولة بأنّ المدّة الفاصلة بين الآية التاسعة عشرة والآية العشرون هي أكثر من عشر سنين إلى اثنى عشر سنة.

ونرى الآية العشرين قد حلّت في المحلّ المناسب لها، ولو فتّشت القرآن رأساً على عقب لما وجدت مقاماً يليق بها أفضل من هذا المقام، وهذا ينبئ أنّها وضعت هنا بأمر رسول الله(ص).

وبناءً على هذا ما دامت نتيجة البحث الحاصلة من مقابلة الآيات القرآنيّة بعضها بالبعض الآخر، وقد أعطينا نموذجاً منها في

---

(١)الزمّل ٧٣: ٢٠.

البحوث المستوعبة لهذا الكتاب، لم تثبت أنّ آية أو حتّى آيات نظامها التركيبيّ هي من تلاعب القوم ومكرهم، فينبغي أن يعتبر النظام التركيبيّ الموجود هو نفس النظام الطبيعيّ للقرآن الكريم لم تمتدّ إليه يد آثمة.

إلاّ أن تكون صلة آية أو آيات مقطوعة بما قبلها وبما بعدها، وحينئذ ينبغي أن تبحث هذه الآية أو الآيات من منظور سياسات الحزب الحاكم، مضافاً إلى هذا:

إنّ كلّ مَن يبذل جهداً في ملاحظة الألفاظ الاختصاصيّة المستعملة في السور المكّيّة أو المدنيّة، ويأخذ بعين الاعتبار معناها اللفظيّ، فسوف يقع على شواهد كثيرة في إثبات المطلب المذكور، وهو: عدم تصرّف الحزب الحاكم في النظام التركيبيّ للآيات الموجودة في القرآن الكريم إلاّ في المواضع التي تمّ حصرها.

مثلاً: استعمال الألفاظ «منافقين»«منافقون»«منافقات»«نافقوا» خاصّ بالسور المدنيّة، وليس لها وجود إلاّ في سورة «العنكبوت» من السورة المكّيّة،وهي آخر سورة أو السورة ما قبل الآخر، وقد مرّ بحث هذا الموضوع فيما سبق.

واستعمال الألفاظ الآمرة بالجهاد أو الدالّة على القتال هو من خصائص السور المدنيّة، وليس له وجود في السور المكّيّة واستعمال الخطاب بقوله تعالى:﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾خاصّ بالسور المدنيّة، ولايوجد خطاب مثله في السور المكّيّة، وغير ذلك.

وأمر كهذا أكبر دليل على أنّ السور النازلة في مكّة ـ وهي

تقرب من سبعة عشر جزءاً من أصل ثلاثين جزءاً من القرآن ـ قد اتّخذت صيغتها المعيّنة قبل أن يهاجر النبيّ(ص) إلى المدينة، وفي فترة السنين العشر من وجود الإسلام في المدينة لم يدخل السور المكّيّة لفظ لم يناسب محيطها المكّيّ، فإذا كان هذا الأمر متحقق في السور المكّيّة فتحقيقه في السور المدنيّة أوْلى بالاعتبار.

أجل، لو أنّ إنساناً حاز توفيق الملاحظة لهذا الشكل من المعرفة عن الألفاظ المستعملة في لغة الوحي، فإنّه ربّما حصل على ذخائر مهمّة وذات قيمة في الموضوع السالف.

المرحلة الثالثة نظرة في روايات الباب:

بعد أن ثبت لنا بالشهادة العينيّة من بحث المرحلتين المتقدّمتين أنّ نظام ترتيب السور في القرآن الموجود فعلاً بأيدينا كان من عمل الحزب الحاكم لكي يخفى من جهة الحركة التاريخيّة لفعّاليّته الحزبيّة وتناميها التي يدلّ عليها بوضوح الترتيب الطبيعيّ للسور.

ومن جهة أخرى، يعطي سياسته الحزبيّة وطموحاته في فتوح البلدان، وكذلك سياسته ضدّ أهل الكتاب، ونزعة سياساته العروبيّة والعنصريّة من خلال النظام الترتيبيّ للسور الطوال التي تؤلف ما يقرب من الأجزاء العشرة من القرآن الكريم الطابع الدينيّ.

وأيضاً ثبت لدينا أنّ الحزب الحاكم تصرّف في النظام الترتيبيّ للآيات لكي يخفي آثاره القبيحة الخاصّة بأفراد حزبه والآثار الطيّبة

للجهة المخالفة الأخرى التي يضادّها، وهم أهل بيت العصمة والطهارة، وقدّم وأخّر في مواضع الآيات المختصّة بهذين الشأنين مخالفاً بذلك نظامها الطبيعيّ في النزول، وحوّلها إلى النظام التركيبيّ الموجود الآن، وثبت أيضاً أنّه وإن كان النظام الترتيبيّ للسور وكذلك نظام بعض الآيات التركيبيّ من تصرّف الحزب الحاكم، وقد أثبتنا ذلك بالمشاهدات العينيّة، إلاّ أنّه ظهر عياناً أيضاً أنّ الحزب الحاكم لم يستطع مع هذا التدخّل والتصرّف بأيّ علة أو ذريعة أن يزيد أو ينقص في القرآن الكريم، بل كلّت قدرته عن إضافة سورة أو آية أو حتّى كلمة أو إسقاطها بشكل مطلق من كلام الله تعالى.

وثبت أيضاً أنّ تصرّف الحزب الحاكم، لاسيّما تغيير الموضع للآيات «آية الإكمال» و «آية التبليغ» و «آية التطهير» لاينسجم مع الذوق السليم لأيّ إنسان، فإنّه ينكشف لنا أنّ جميع تدخّلاته وتصرّفاته في النظام التركيبيّ والترتيبي للآيات والسور القرآنيّة كان يتمّ بعيداً عن عيون المسلمين وبشكل مفاجئ يحمل عليهم قهراً.

وثبت لدينا أيضاً بأنّ رسول الله(ص) له صلة مباشرة بتنظيم الآيات الشريفة وترتيبها، ووضعها في مواضعها الطبيعيّة من القرآن الكريم بنفسه، ولم يترك الآيات والكلام الموحى به من الله مطلقاً بلا نظم أو ترتيب موكولاً بجمعه إلى العوامّ الذين لا ثقافة لهم، ولاضابطة تضبطهم، بل عهد به إلى أصحاب الخطوط الصحيحة والكتابة المتقنة ليضبطوه، ووجود كتاب الوحي بأيّ صورة تناسب محيطهم الثقافيّ هو بنفسه من المسلمات التاريخيّة في الإسلام.

والآن وقد وضعنا بين يدي القارئ المطالب العيانيّة أعلاه نرجع إلى تحقيق الروايات ذات الصلة بالموضوع.

١ ـ محمّد بن إسماعيل البخاريّ في كتاب «فضائل القرآن ـ باب جمع القرآن» يروي الرواية التالية:

حدّثنا موسى بن إسماعيل، عن إبراهيم بن سعد، حدّثنا ابن شهاب، عن عبيد بن السبّاق:«أنّ زيد بن ثابت (رضي الله عنه) قال: أرسل إليَّ أبو بكر مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطّاب عنده. قال أبو بكر (رضي الله عنه): إنّ عمر أتاني فقال: إنّ القتل قد استحرّ يوم اليمامة بقرّاء القرآن، وإنّي أخشى أن يستحرّ القتل بالقرّاء بالمواطن، فيذهب كثير من القرآن، وإنّي أرى أن تأمر بجمع القرآن.

قلت لعمر: كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله(ص)؟

قال عمر: هذا والله خير، فلم يزل عمر يراجعني حتّى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر.

قال زيد: قال أبو بكر: إنّك رجل شابّ عاقل لانتّهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله(ص) فتتبّع القرآن فاجمعه.

فوالله لو كلّفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليَّ ممّا أمرني به من جمع القرآن.

قلت: كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله(ص)؟

قال: هو والله خير، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتّى شرح الله

صدري للذي شرح صدر أبي بكر وعمر (رضي الله عنه)، فتتبّعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال (١) حتّى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاريّ، لم أجدها مع غيره: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ﴾حتّى خاتمة براءة فكانت الصحف عند أبي بكر حتّى توفّاه الله، ثمّ عند عمر حياته، ثمّ عند حفصة بنت عمر (رضي الله عنه)» (٢).

٢ ـ محمّد بن إسماعيل البخاريّ يروي عقيب الحديث الأوّل الرواية التالية:

حدّثنا موسى، حدّثنا إبراهيم، حدّثنا ابن شهاب:«أنّ أنس بن مالك حدّثه: أنّ حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القران فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمّة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة: أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثمّ نردّها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت وعبدالله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبدالرحمن بن الحرث بن هشام فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيّين الثلاثة: إذا

---

(١)محمّد بن إسماعيل البخاري روى الرواية نفسها في كتاب تفسير القرآن سورة براءة ـ باب ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ ـالتوبة ٩: ١٢٨ ـ يذكر الجملة أعلاه عن زيد بن ثابت: «فتتبّعت القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف والعسب وصدور الرجال... ».

(٢)صحيح البخاري: ٣: ١٦٠.

اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنّما نزل بلسانهم، ففعلوا، حتّى إذا نسخوا الصحف في المصاحف ردّ عثمان الصحف إلى حفصة وأرسل إلى كلّ أفق بمصحف ممّا نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في كلّ صحيفة أو مصحف أن يحرق».

الروايتان أعلاه وهما أنطق الروايات بجمع القرآن وإسباغ صفة الرسميّة عليه بواسطة الحزب الحاكم، وعندما نتعرّض للمطالب العيانيّة في المرحلتين بالبحث والنظر نخرج بنتائج موجبة وأخرى سالبة على النحو التالي: يستفاد من الروايتين المزبورتين بشكل جيّد، أنّ الجمع الأوّل للقرآن الذي كان في عهد أبي بكر كان على النحو التالي:

إنّ زيد بن ثابت وأعوانه جمعوا القرآن الموزّع سوراً وآيات وكتبوه جميعه على الصحف، وخبّأوه في مكان أمين طيلة خلافة أبي بكر وعمر، وشطراً من خلافة عثمان على أنّه القرآن دونما استنساخ له على صحف أخرى وتوزيعه بين الجماعات الإسلاميّة في البلاد.

وبناءً على هذا، فإنّ القرآن الموجود بأيدي الناس في عهد العمرين والصدر الأوّل من خلافة عثمان، مضافاً إلى المحفوظ بصدور الناس، فإنّ جملة من سوره وآياته مكتوبة عند قوم من الصحابة، كلّ بمقدار ما يتّسع له وسعه وتناله قدرته، وقد حدبوا على حفظها بالكتابة والاحتفاظ بها عندهم آخذين بذلك بأمر رسول الله(ص) أو اندفاعاً من إملاء مشاعرهم، وقد فرضت عليهم هذه

الحالة الاعتزاز كلّ بما عنده وما كتبه من القرآن، بل بلغت بهم درجة التعصّب له حتّى أخذ أحدهم يعدُّ ما عنده هو الأصل الصحيح، وما سواه ينبغي أن يقاس عليه.

لاسيّما بعد رفع الخلافة شعارها المعهود «حسبنا كتاب الله» ومنعت من رواية الحديث أو كتابته، فحمى سوق القرآن تعلماً وقراءةً، وما إلى ذلك، ونال القرّاء شهرة أكبر.

ومن الطبيعيّ أن يستعين كلّ واحد منهم بقومه وعشيرته أو ينتدبوا أنفسهم لتأييده ورفع مستواه، وأن يبالغ هؤلاء القوم على حفظ كتابة صاحبهم والدفاع عنها وحراستها، بل التعصّب لها على الآخرين من نظرائه، إلى أن أدّت بهم الحال مع تطاول الزمان واتّساع رقعة البلاد الإسلاميّة، وتقدّم الخط والكتابة وانتشارها، وتفرّق القرّاء في المدن والقصابات، وتكاثر النسخ التي استنسخها المتعلّمون من معلميهم من القرآن آياته وسوره، وتنبّه حسّ البحث والتنقيب بين شريحة الشباب أو المسلمين الجدد لفهم آيات القرآن، بحيث استدعى ذلك بروز لون من التفسير بين قرّاء القرآن ومعلّميه، ومواضيع اُخرى معقدّة، وشيئاً فشيئاً أخذ الاختلاف يتفشّى بين القرّاء ومعلّمي القرآن في طول البلاد الإسلاميّة وعرضها، وقامت الحروب الكلاميّة على قدم وساق بينهم، واشتدّ الجدل وقامت قيامته.

كلّ هذه الأمور مجتمعة ومتفرّقة حملت عثمان إمّا بداع من نفسه أو بدعوة ممّن ينشد الإصلاح من المسلمين أو بغير ذلك من الأسباب على جمع القرآن في نسخة واحدة معيّنة، وحمل الناس

عليها، وإضفاء الصفة الرسميّة عليها من قِبل الحكومة المركزيّة في بلاد المسلمين.

ولهذا طبقاً لما جاء في الرواية الثانية ونظائرها من الأحاديث الأخرى أمر عثمان بإحضار صحف الجمع الأوّل الذي تمّ بدعوة من أبي بكر واُودعت الصحف في ذلك العهد عند حفصة بنت عمر بن الخطّاب، وأمر أعوانه وفريقاً ممّن يواليه أن ينسخوا القرآن نسخاً متعدّدة طبقاً لما في الصحف، وأرسل لكلّ قطر شاخص من المراكز الإسلاميّة نسخة، وعهد إلى عمّاله وحكّام الأقاليم والولايات أن يجمعوا تلك الكتب والأوراق والمكتوبات، وأن يلتمسوها بجدّ أينما كانت، ويأخذوها من أيدي الناس ويتلفوها ومن يومئذ عرفت تلك النسخة الوحيدة في البلاد الإسلاميّة كلها بالرسميّة، وهي القرآن المتداول اليوم بأيدي المسلمين.

وبناءً على هذا، فإنّه من الواضح أنّ المسلمين فوجئوا بالقرآن المعروف والمتداول اليوم، ولم يلقوا إلى محتواه بالاً ولاهم اطّلعوا على ما بين الدفّتين، ولاعلى كيفيّته من حيث ترتيب السور وتركيب آيات كلّ سورة؛ لأنّه للمرّة الأولى عمد الحزب الحاكم إلى ترتيب القرآن على الأوراق الأوّليّة له، وإلى إرسالها للمراكز الإسلاميّة، وأيضاً لمّا كان عثمان قد استنسخ القرآن المنسوب جمعه له من الأوراق القرآنيّة التي جمعت بأمر أبي بكر وعمر، فإنّ شخصيّة الرجلين منعت من كلّ نقد لنظام الترتيب والتركيب للآيات والسور، واستطاع عثمان بها أن يقاوم الأصحاب والقرّاء وينهض في

وجوههم، ويفرض عليهم نسخته بالقهر والغلبة، ويستولي على كتابة كلّ واحد منهم ويتلفها.

ولمّا امتنع عبدالله بن مسعود ومَن هم على شاكلته من تحويل كتابة القرآن المخصوص به، وامتنع أشدّ الامتناع، فقد عرّض نفسه إلى ذلك البلاء الذي انصبّ على رأسه من النوائب في عهد عثمان، وكان واحداً من أسباب النقمة على عثمان.

وخلاصة القول: إنّ إجبار المسلمين على اعتبار القرآن المفاجئ لهم والموجود المتداول اليوم قرآناً رسميّاً، وإتلاف ما بأيديهم من النسخ والمكتوبات الأخرى حملهم بعد ذلك ـ وبعد أن استنسخوا منه عدداً من النسخ ـ على عدم تقديم أي تساؤل عن النظام الترتيبيّ والتركيبيّ لسوره وآياته على زعم أنّه جمع أبي بكر وعمر وخرست ألسنتهم في قبال ذلك، ولم ينبسوا ببنت شفة عنه، وسلموا له تسليماً منقطع النظير، لاسيّما وقد انحصر في هذه النسخة الفريدة في جميع البلاد، ولاأحد يملك سواها، أي على خلاف نسقها، فما من ثمرة ترجى من توجيه نقد إليها.

أجل، عندما نشاهد أنّ الأوراق والصفحات الأصليّة بقيت قرابة الثماني عشرة سنة في يد الحزب الحاكم (المدة التي استغرقتها خلافة أبي بكر وعمر وشطراً من خلافة عثمان..) ولم تنشر نسخة أخرى مأخوذة منها ندرك بشكل جيّد أنّ الحزب الحاكم يملك الفرصة المواتية لاعمال تصرّفاته ـ كالتي أثبتناها بالشهادة العينيّة في المرحلتين السالفتين ـ وأدّى مهمّته التي اضطلع بها على الوجه الذي

يريده، وبذل جهده في إخفاء آثار تحركاته الدالّة على نقائصه وعيوبه، وكذلك محو الآثار الجميلة عند خصمائه المضادّين له، في تبديل موضع الآيات ذات الصلة بذلك، وعمل جادّاً إلى الحدّ الذي أمكنه بلوغه، كما أنّ تغيير موضع آيات «حجّ التمتّع» المرقّمة بالأرقام ١٩٦ إلى ٢٠٣ سورة «البقرة» ـ على ما جرى التذكير به في المرحلة الثانية من البحث الحاضر ـ بظنّ قويّ ينبغي أن يكون في منتصف خلافة عمر، لأنّنا حين نرى المسلمين يقومون بأداء هذا الفرض طيلة عهد أبي بكر وشطراً من خلافة عمر بناءً على ما رواه الفريقان، كما أدّوه في «حجّة الوداع» وبعد ذلك نهى عمر عنه، نعلم علماً يقيناً أنّ تغيير موضع الآيات حدث في عصر عمر، وفي تلك الفترة بالذات.

وعلى أيّة حال، رأينا لحد الآن ما يرجع إلى الروايات الخاصّة بالموضوع، ورأينا النقاط المثبتة في الموضوع المشاهدة عيناً في المرحلتين السالفتين، لاتخالفها الروايات. ليس هذا فحسب، بل تبارك قسماً منها وتطبعه بطابع الصحّة.

والآن نتحوّل إلى النقاط السلبية للحادثة، فنقول:

بعد أن ظهر من خلال بحث المرحلتين السالفتين، أنّ لرسول الله(ص) يداً في تنظيم الآيات الشريفة وترتيبها وكيفيّة وضعها داخل سورها من القرآن، وله دخل مباشر في ذلك، ولم يترك جمع آيات كلام الحي للمجهول بحيث تظلّ بلا ترتيب ولانظم ولم يكلها إلى عوامّ الناس الذين ليس لهم ثقافة متطوّرة ولا وعي متقدّم ومنضبط،

بل لم يطلقها لهم يتصرّفون في نظمها وترتيبها بالوجه الذي يحلو لهم، بل يضبطها بواسطة الخطّاطين والكتّاب تحت رعايته ووجود الكتّاب للوحي بالشكل الذي عليه محيطهم الثقافيّ، من المسلمات التاريخيّة، وتذكر أسماء كتّاب الوحي في كلّ مكان، مثل: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعليّ، والزبير، وخالد بن سعيد، وأبان بن سعيد، ومحمّد بن مسلمة، وغيرهم كثيرون، ومن اُولئك الذين جمعوا القرآن لأنفسهم في عهد رسول الله(ص) عثمان بن عفّان وعبدالله بن مسعود وزيد بن ثابت، وأبيّ بن كعب، وعبادة بن الصامت، وأبو أيّوب الأنصاريّ، وأبو الدرداء، ومعاذ بن جبل، وأبو زيد الأنصاريّ، وآخرون غيرهم.

وقد جمع الإمام عليّ بن أبي طالب(ع) القرآن بعد وفاة النبيّ(ص) عنده، وينبغي أن يكون قد استقصاه كلّه ورتّبه وحمله على بعير، وجاء به إليهم وقال لهم: هذا هو القرآن، وأنا جمعته.

ومن المعلوم أنّ الطريقة الطبيعيّة لجمع القرآن مع فرضنا أنّ أحداً لم يجمعه في عهد النبيّ(ص) بشكل تامّ أن يجمع الحزب الحاكم كتاب الوحي وأولئك الذين جمعوا القرآن لأنفسهم ويتشاورون فيما بينهم حتّى يختاروا قرآناً يتّفقون كلّهم على جمعه ليكون ترتيب سوره وتركيب آياته موضع اتّفاقهم وإجماعهم، ويجعلوه القرآن المتداول والمعمول به بين المسلمين جميعاً، والمعوّل عليه.

ولكنّ الحزب الحاكم يعلم قطعاً أنّه لو انتهج هذا النهج فإنّه لن يصل إلى غايته وأغراضه الشخصيّة، وهي إخفاء آثار أقدامه

الخبيثة، وكذلك تضييع الآثار النبيلة والجميلة لأفراد الجماعة المضادّة له، والتي يناصبها العداء، ويعتبرها من أشدّ الجماعات خطراً عليه، ويغلق في وجهه باب التصرّف في ترتيب السور وتركيب الآيات.

لذلك انتهج النهج غير الطبيعيّ، وامتدّت يده إلى ذلك الشكل العاميّ الذي لااعتبار له، وأعلن للأمّة قائلاً: إنّنا جمعنا القرآن الذي خطّه الناس بشكل مفرّق على جريد النخل ومسطح الفهر والأكتاف وقطع القراطيس، واعتمدنا على ذاكرة الناس فاستفدنا من محفوظاتهم إلى الدرجه التي لم نجد الآيتين من سورة «التوبة» إلا عند أبي خزيمة الأنصاريّ، ولولاه لضاعتا.. و.. !

وقطع طريق كهذا يثبت تأرجح الفكر بين اعتبار القرآن وعدم اعتباره، ولاطريق يضارعه في إلقاح الأفكار بالشكّ فإنّ أيّ محقق يقف أزاء حديث كهذا يقطع دونما شكّ بتحريف القرآن وزيادته ونقصانه.

ولو أجلنا الرأي في السورة المكّيّة، وأخذنا على سبيل المثال سورة«الأعراف»، ومن السور المدنيّة سورة «البقرة» وحدها، فإذا ما أرادوا جمعها من الكتابات المتفرّقة بين أيدي الناس، وعلى فرض كتابتهما أخذاً من جرائد النخل ودفاف الجمال التي كتبت عليها أوّلاً، وجاءوا لإثبات أنّها كلام الوحي بشاهدين، فهل ترون أنّ إنساناً يصل إلى اليقين والقطع أنّهما كاملتان لم تسقط منهما ولاآية واحدة، ولم تضف إليها شيء؟! من الواضح أنّ الوصول إلى حالة القطع واليقين

أمر غير يسير إنْ لم يكن غير ممكن.

خلاصة القول: إنّ الحزب الحاكم وإن كان قد تنكّب الطريقة الطبيعيّة لجمع القرآن، وهو عبارة عن جمع مجلس استشارة لكتّاب الوحي والجامعين له، والاستعاضة عنه بالطريقة العاميّة المشار إليها، استطاع أن يستر تصرّفاته في النظام الترتيبيّ والتركيبيّ للآيات والسور لكي لايخال أحد أنّ ذلك كان قد تمّ بصورة متعمّدة أو لغرض شخصيّ خاصّ.

ولكن من الواضح أنّ الإعلان عن جمع القرآن بالطريقة العاميّة المعلنة يجعل القرآن في دنيا اليوم غير ذي اعتبار وموجب لسقوطه، وأنّ المحققين لايطمئنّون إلى مثل هذا الجمع ولايعتبرونه، والواقع لولاأنّ التوفيق كان حليفنا وقطعنا شوطاً مهمّاً من المشاهدات العينيّة الي جعلت عدم الحذف منه أو الإضافة إليه من الأمور اليقينيّة، فإنّ وجود روايات الباب والروايتان المختارتان منها نموذج لها كافية في إسقاط الاعتبار عن القرآن، وشرح الروايات وبيانها في نظر أهل التحقيق يؤدّي إلى نتائج سيّئة.

وعلى أيّة حال، فإنّ القرآن المتداول اليوم ليس هو نتيجة مباشرة لذلك الجمع، ولم يكن عثمان أو زيد بن ثابت ولاغيرهما من كتّاب الوحي الموصولين بجهاز الحكم والذين تمرّ أسماؤهم بين كتّاب الوحي في الفترة المكّيّة، المثل الأعلى في هذا التنظيم، وإلاّ فكيف يمكن جمع القرآن على تلك الصورة العاميّة البلهاء، ثمّ يكون بعد ذلك بمجموعه كلاماً موحىً من الله، ويحصل عند المرء

الاطمئنان بذلك؟!

هذا ما كان من أمر المعرفة الدقيقة بالنسبة للنظامين الترتيبيّ والتركيبيّ للسور والآيات القرآنيّة التي حصلت بأيدينا، وهنا في هذا القسم الخاص من الكتاب الذي له صلة ببحث الآيات الاستثنائيّة الواقعة في سورة «المائدة» ينتهي البحث، وذكرت مجدّداً خلاصة البحوث المتقدّمة:

١ ـ ابتداءاً بحث مفاد آيات الولاية التي هي عبارة عن «آية الولاية» و «آية التبليغ» و«آية الإكمال»، وأشرنا إلى ارتباط إحداها بالأخرى ارتباطاً وثيقاً.

٢ ـ ثمّ على ضوء آيات الولاية بحثنا الروايات المتّصلة بحادثة «الغدير»، وذكرنا أشهر الروايات العاميّة المطابقة للبحث القرآني.

٣ ـ بعد ذلك جرّنا البحث بمناسبة الروايات المختصّة بالولاية إلى حكاية المنع من رواية حديث النبيّ(ص) وكتابته.

٤ ـ وفي آخر القسم اتّجهنا إلى البحث والتحقيق حول «النظام الترتيبيّ والتركيبيّ للسور والآيات القرآنيّة.

وفي الختام نذكّر قارءنا الكريم من حيث إنّ مقام الولاية والإمامة اللتين ثبّتتهما «آية الولاية» وحديث الغدير لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب(ع)، فإنّهما مبتنيان على المقام المعنويّ والولاية الباطنيّة له.

وقد ذكرنا في الأقسام المتقدّمة من هذا الكتاب نماذج لذلك في البحوث القرآنيّة.

والآن لإتمام تلكم الحقيقة نعمد في الفصل القادم إلى بحث آيات سورة «الإنسان» لنصل إلى النتيجة التامّة المبتغاة لنا من طيّ هذا الطريق إن شاء.

الفصل الثامن

من القسم التاسع عشر

تحقيق الآيات من

سورة " الإنسان "

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الإنسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً (١) إِنَّا خَلَقْنَا
الإنسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً (٢) إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا
شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً (٣) إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلاسِلاً وَأَغْلالاً وَسَعِيراً (٤) إِنَّ الأَبْرَارَ
يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً (٥) عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً
(٦) يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً (٧) وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ
مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُوراً
(٩) إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً (١٠) فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ
نَضْرَةً وَسُرُوراً (١١) وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً (١٢) مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى
الأَرَائِكِ لا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلا زَمْهَرِيراً (١٣) وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا
تَذْلِيلاً (١٤) وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ (١٥) قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ
قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً (١٦) وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً (١٧) عَيْناً فِيهَا تُسَمَّى
سَلْسَبِيلاً (١٨) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَنثُوراً (١٩)
وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً (٢٠) عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ
وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً (٢١) إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً

وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُوراً (٢٢) إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلاً (٢٣) فَاصْبِرْ لِحُكْمِ
رَبِّكَ وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً (٢٤) وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً (٢٥) وَمِنْ
اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً (٢٦) إِنَّ هَؤُلاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ
يَوْماً ثَقِيلاً (٢٧) نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلاً (٢٨)
إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً (٢٩) وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ
اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً (٣٠) يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً
أَلِيماً (٣١)﴾.

في تحقيق سورة «الإنسان» ينبغي ابتداءاً التوجّه إلى النكات التالية أدناه:

١ـ السبك الخاصّ والأسلوب الخالص لآيات سورة «الإنسان» أدلّ دليل على أنّ آياتها جميعاً نزلت في مكان واحد، وترتبط ببيان نفس الموضوع الذي تقتضيه الآيات بشكل صريح.

٢ـ من مجموع احدى وثلاثين آية تتمّ بها السورة توجد اثنتان وعشرون آية في أولها لها ارتباط خاصّ ببعضها البعض، وتفهمنا أنّ الوجهة الأصليّة لنزول السورة إنّما هي لبيان المطلب الذي عبّرت عنه هذه الآيات الاثنتان والعشرون.

٣ـ عندما نستعرض هذه المنظومة من الآيات الاثنتين والعشرين ونجعلها نصب أعيننا نرى: **الآية الأولى** تفيدنا إلى ما قبل

خلق الإنسان، حيث لم يكن شيئاً مذكوراً، وقبل أن تحطّ له صورة في لوح الوجود﴿ **هَلْ أتَى عَلَى الإنسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئاً مَذكُوراً** ﴾.

ثمّ الآية الثانية تتعرّض لبيان خلق الإنسان منذ أن كان نطفة حتّى تمّت خلقته على نمطها الخاصّ إلى أن أصبح سميعاً بصيراً:﴿ **إنَّا خَلَقْنَا الإنسَانَ مِن نُطفَةٍ أمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً** ﴾.

والآية الثالثة بيّنت سيره على النهج القويم، وهدايته الفطريّة حتّى أمكن تقسيمه إلى نمطين شاكر وكفور:﴿ **إنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إمَّا شَاكِراً وَإمَّا كَفُوراً** ﴾.

ثمّ الآية الرابعة أخبرت عن جزاء الكافرين، وهم نفس الفريق الكفور المذكور في الآية قبلها، وأنبأت عن إعداد السلاسل والأغلال والسعير والنار المحرقة لهم:﴿ **إنَّا أعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلاسِلاً وَأغْلالاً وَسَعِيراً** ﴾.

بعد ذلك نرى أنّه من **الآية الخامسة** إلى الآية **الثانية والعشرين** ـ أي على امتداد ثماني عشرة آية ـ كلّها اختصّت بذكر النعيم والجزاء للجهة المقابلة «للكفور»، وهم الشاكرون، حيث يقول:

﴿ **إنَّ الأبرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً (٥) عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً (٦) يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً (٧) وَيُطعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأسِيراً (٨) إنَّمَا نُطعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُوراً (٩) إنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً (١٠) فَوَقَاهُمُ اللهُ شَرَّ**

ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً (١١) وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً (١٢) مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ لا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلا زَمْهَرِيراً (١٣) وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً (١٤) وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ (١٥) قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً (١٦) وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلاً (١٧) عَيْناً فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً (١٨) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَنْثُوراً (١٩) وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً (٢٠) عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً (٢١) إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُوراً (٢٢) ﴾.

من البحث الموجز يدرك الإنسان جيّداً أنّ الوجهة الأصليّة لنزول سورة «الإنسان» إنّما هي لإيضاح المقامات المعنويّة والنّعم الأخرويّة للجهة المقابلة «للكفور»، أي الشاكرون، نهاية الأمر لمّا عبّرت الآية الخامسة عنهم بلفظ «أبرار» وسمّتهم **الآية السادسة** باسم﴿ **عِبَادُ اللهِ**﴾يلزمنا أوّلاً أن نستخرج من الآيات القرآنيّة مفهوماً لكلمة «أبرار» حتّى يتأكّد لنا أنّ الكلمة «أبرار» المذكورة في الآية الخامسة هي نفسها كلمة﴿ **عِبَادُ اللهِ**﴾المذكورة في الآية السادسة ومصداقهما واحد، وأنّ المصداقين فيهما متفاوتان..

من أجل هذا الجهد، أي استخراج المفهوم لكلمة أبرار من خلال الآيات القرآنيّة الشريفة يكفينا أن نضع نصب أعيننا الآيات (١٨) إلى (٢٨) من سورة المطفّفين، ونلتمس فيها بغيتنا، ومتن الآيات (١٨) إلى (٢٨) سورة «المطفّفين» كالتالي:

﴿**كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الأبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ * إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ * تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ * يُسْقَوْنَ مِن رَحِيقٍ مَخْتُومٍ * خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ * وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ *عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ**﴾.

إنّ ما يظهر لنا من الإحدى عشرة آية أعلاه ـ الآيات (١٨) إلى (٢٨) ـ بصورة جليّة أنّ فريق الأبرار في الوقت الذي يقعدون مكاناً عليّاً ويحتلّونه (وعليّون أغلى وأعلى مكان لأهل الجنّة) لهم مقام دون مقام «المقرّبين» لأنّه:

أوّلاً: الآية الشريفة:﴿**يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ**﴾تنصّ على أنّ المقرّبين شهود على الأبرار ومشرفون عليهم.

وثانياً: الآيتان الشريفتان:﴿**وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ *عَيْناً يَشْرَبُ بِهَاالْمُقَرَّبُونَ**﴾تصرّحان بأنّ الكأس التي يسقى بها الأبرار ممزوجة من عين التسنيم، وهي عين خالصة للمقرّبين﴿**عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ**﴾!

يقول الراغب في مادّة «مزج» من مفرداته:«مزج الشراب: خلطه، والمزاج: ما يمزج به. قال تعالى:{**مِزَاجُهَا كَافُوراً**﴾و﴿**وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ**﴾ ﴿**مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً**﴾».

أجل، إنّ نصب لفظ «عيناً» إمّا على المدح أو الاختصاص.

وعلى أيّة حال، فإنّها تدلّ على أنّ التسنيم عين يشرب المقرّبون

من صفوها لأنّها تنتهي إلى المزاج بالتسنيم.

وعندما اتّضح لنا من نصوص الآيات (١٨) إلى (٢٨) من سورة «المطفّفين» وثبت عندنا بالقطع واليقين أنّ للأبرار مقاماً دون مقام المقرّبين، والآن لابدّ من التنويه إلى أربع عشرة آية من سورة «الواقعة» لتتمّ معلومتنا عن الأبرار والمقرّبين، ونقف على حقيقة الحال أكثر وأكثر، ومتون الآية الشريفة من سورة «الواقعة» كالتالي:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١) لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ (٢) خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ (٣) إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا (٤) وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا (٥) فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا (٦) وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً (٧) فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (٨) وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (٩) وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١١) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (١٢) ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ (١٣) وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ (١٤)﴾.

كما تلاحظون أنّ الآيات أعلاه بعد أن قسّمت الخلائق إلى ثلاث فرق:

١ ـ أصحاب الميمنة.

٢ ـ أصحاب المشئمة.

٣ ـ السابقون السابقون.

صرّحت في الآيات الشريفة﴿**وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أولـئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ**﴾أنّ المقرّبين من الله هم من طبقة السابقين، وهؤلاء المقرّبون هم أنفسهم الذين جعلت الآية الشريفة: ﴿**إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ**﴾ (١) عيسى بن مريم أحدهم.

وبناءً على هذا، فانّه يتّضح لنا أنّ ألأبرار من طبقة «أصحاب الميمنة»، وقد سمّوا بتعبير الآيات اللاحقة من سورة الواقعة باسم «أصحاب اليمين».

ومن المقطوع به والواضح الجليّ أنّ الأبرار هم من الطبقة الممتازة المرفوعة رؤوسهم من أصحاب اليمين، كما تدلّ على ذلك الآيات الشريفة التالية: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الألْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ * رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأبْرَارِ**﴾ (٢) دلالة واضحة، والجملة﴿**وَتَوَفَّنَا مَعَ الأبْرَارِ**﴾شاهد صدق على ذلك!

---

(١)آل عمران ٣: ٤٥.

(٢)آل عمران ٣: ١٩٠ ـ ١٩٣.

وعلى أيّة حال، بعد أن تبيّن لنا: أوّلاً أنّ الأبرار هم من طبقة أصحاب اليمين.

ثانياً: المقرّبون من طبقة «السابقون».

ثالثاً: الكأس التي يسقى بها الأبرار في الجنّة هي مزيج من عين صفوها شراب المقرّبين.

رابعاً: ينبغي أن يكون مقام الأبرار أدنى من مقام المقرّبين بمقدار ما بين الكأس الممزوجة والعين الصافية التي هي شراب المقرّبين، وإن كانوا من أصحاب الميمنة ذوي الرؤوس المرفوعة.

والآن نعود إلى البحث المقصود بالنظر والتحقيق، وهو بحث الكلمتين:«الأبرار» و ﴿**عِبَادُ اللهِ**﴾المذكورتين في الآيتين الشريفتين:﴿**إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْس كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً * عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً**﴾.

إنّ هؤلاء الأبرار المخبر عنهم شرابهم من كأس ممزوجة بالكافور، ثمّ تنصّ الآية بصراحة﴿**عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً**﴾على أنّ الكافور هذا هو نفسه عين يشرب عباد الله المعنيّين بالنظر من صفوها. إذن يعلم بالضرورة أنّ﴿**عِبَادُ اللهِ**﴾المذكورين في الآية السادسة وفقاً للمصداق هم غير الأبرار المذكورين في الآية الخامسة وهم قطعاً من طبقة المقرّبين.

وإذا ثبت جريان القضيّة على هذا النحو إذن يكون من الطبيعيّ عودة الضمائر المستترة والظاهرة المذكورة في الآيات (١٦) إلى

(٢٢) سورة «الإنسان» عائدة على﴿ **عِبَادُ اللهِ** ﴾في الآية السادسة، وليس على الأبرار في الآية الخامسة.

وبناءً على هذا، فإنّ الأمر على خلاف ما ذهب إليه المفسّرون من أهل العامّة والخاصّة من أنّ الآيات (٥) إلى (٢٢) سورة «الإنسان» إنّما نزلت في بيان فضائل الأبرار المذكورين في السورة ومناقبهم، ومع البحث القرآنيّ المتقدّم نقطع على أنّ الآيات المزبورة واحدة منها فقط تختصّ ببيان فضل «الأبرار» وسبع عشرة آية اُخرى أعني الآيات (٦) إلى (٢٢) جاءت شارحة ومبيّنة لفضائل﴿ **عِبَادُ اللهِ** ﴾ومناقبهم !

لأنّ أقرب مرجع تعود عليه الضمائر المستترة والظاهرة في الآية السادسة إلى الثانية والعشرين إنّما هو لفظ﴿ **عِبَادُ اللهِ** ﴾ (المذكور في الآية السادسة لالفظ الأبرار الوارد في الآية قبلها.

أجل،﴿ **إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً * عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً** ﴾بعدها إلى اثنتين وعشرين آية ترجع ضمائرها كلها على﴿ **عِبَادُ اللهِ** ﴾، وفي جميع الآيات المقصودة بالنظر تمّ فيها إظهار الفضائل المعنويّة والدرجات الشريفة لهم، أي أنّ الله سبحانه إذا قال:﴿ **يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً** ﴾فإنّما عنى

﴿ **عِبَادُ اللهِ** ﴾أنفسهم، وإذا ما قال:﴿ **يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ...** ﴾فإنّ وفاءهم بالنذر وخوفهم من الله سبحانه، وإذا ما قال:﴿ **إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لاَ نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلاَ شُكُوراً** ﴾فإنّما

عبّر عن مضمرات قلوبهم، وإذا ما قال: ﴿**فَوَقَاهُمُ اللهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً * وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً**﴾فإنّ ذلك لبيان رحمة الله إيّاهم، والجزاء الذي أعطاهم، وإذا ما قال: ﴿**مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ... وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا... وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِن فِضَّةٍ...**﴾نعم، إنّه جنّة﴿**عِبَادُ اللهِ**﴾هؤلاء، وإذا ما قال: ﴿**وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً * عَيْناً فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً**﴾فقد وصف كأسهم الخاصّ، وإذا ما قال: ﴿**وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً**﴾فإنّه يعرف بذلك سلطانهم وملكهم الكبير.

ونحن نرى أنّ فضائلهم ومناقبهم دائماً ترتقي إلى أوج العلا حتّى يكون ربهم العظيم هو ساقيهم﴿**وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً**﴾بعد إتاحة هذه الكرامات كلّها لهم يكون الله شاكراً إيّاهم﴿**إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَشْكُوراً**﴾.

ومن الضروريّ العلم بأنّ هذه الفضائل جميعاً خاصّة لـ﴿**عِبَادُ اللهِ**﴾أولئك الذين يشربون الصفو من عين الكافور، وليس الأبرار الذين يملأ كأسهم من مزاجها.

ولمّا بلغ بنا الحديث إلى هذا الموضع علينا أن نبذل دقّة أكثر وحدّة في النظر أعظم لنعرف فضل عباد الله هؤلاء على سائر المقرّبين من قدس الله جلّ جلاله.

وبعد أن بان لنا أنّ للأبرار مقاماً أدنى من مقام المقرّبين، وعلم أيضاً أنّ﴿**عِبَادُ اللهِ**﴾المذكورين في سورة «الإنسان» هم من طبقة المقرّبين، فلنضع الآن الآية (٢٨)من سورة «المطفّفين» إلى جانب

الآية السادسة من سورة «الإنسان» ونبحث التفاوت بينهما بدقة.

١ -﴿ **عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ** ﴾سورة «المطففين».

٢ -﴿ **عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً** ﴾سورة «الإنسان».

أنتم تلاحظون أنّ﴿ **عِبَادُ اللهِ** ﴾المذكورين في سورة «الإنسان» مضافاً إلى كونهم يشربون من صفو العين المقصودة بالذكر، فإنّهم يفجّرونها ويجرونها في السواقي المتّخذة لذلك لينساب للناس صفوها، ويفيد الناس الآخرون من هذا الصفو.

أجل﴿ **يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً** ﴾إنّهم يفجّرون العين نفسها المعدّة للتفجير.

والآن ينبع من هذا المشهد هذا السؤال:

أوّلاً: مَن هؤلاء الآخرون الذين تجري لهم صفو عين الكافور وليس مزاجها، ويهدى إليهم خالصها وصفوها؟!

ولمّا كان من القطعيّ أنّ صفو هذه العين لايشربها إلاّ المقرّبون، والأبرار مع أنّهم من أصحاب اليمين الممتازين ذوي الرؤوس الشامخة، وسكّان أعلى مكان في الجنّة، وهو «علّيّون» مع هذا لايشربون إلاّ من كأس ممزوجة بتلك العين.

وبناءً على هذا أنّ﴿ **عِبَادُ اللهِ** ﴾المذكورين في سورة «الإنسان» يجرون نفس هذه العين إلى المقرّبين الآخرين، وهم يؤلفون الواسطة التي توصلها إلى سائر المقربين نهاية الأمر لمّا كان

من الطبيعيّ أنّ ماء النبع الأصليّ عندما تتشعّب في الروافد والسواقي والفروع يفقد من صفائه ونداوته بمقدار بعده عن أصل النبع، فممّا لابدّ منه أن تكون العينوهي النبع الأصيل المسمّاة بعين الكافور ـ قد تفجّرت في السواقي والأنهار، وجرت للمقرّبين قد فقد شيئاً من خصائصها، ولاأقلّ من العطر الذي هو سمة الكافور، وعلى هذا ينبغي أن يتبدّل اسمها.

ومن جهة اُخرى، لمّا كان جريانها من ذلك المقام المنيع والنبع الرفيع الخاصّ بـ﴿ **عِبَادُ اللهِ** ﴾ومنهم انحدرت إلى المقرّبين، فقد اكتسبت اسم «التسنيم» المأخوذ من السنام والعلوّ والرفعة.

أجل، لمّا كان من المقطوع به أنّ صفو عين الكافور لايشربه إلاّ المقرّبون كان من القطعيّ أيضاً أنّ الكافور والتسنيم عينان هما خالصتان لـ﴿ **عِبَادُ اللهِ** ﴾وللمقرّبين يشربون من صفوهما.

ومن القطعيّ أيضاً أنّ العين الأولى لـ﴿ **عِبَادُ اللهِ** ﴾بصفة خالصة ويجرونها للآخرين في الأنهار والسواقي والروافد المتفرّعة عنها، يظهر لنا من مجموع هذه المتيقنات أنّ الجملة الشريفة: ﴿ **يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً** ﴾ينبغي أن يؤخذ في تفسيرها بالمعنى الذي ذكرناه توّاً، ووجه تسمية الكافور بالتسنيم إنّما كان بعد جريانه في الأنهار المشتقة لذلك ووصولها إلى سائر المقرّبين. وينبغي تصوّر المعنى على هذا الأساس. وهذا هو جواب السؤال الأوّل.

وأمّا ما يرجع إلى﴿ **عِبَادُ اللهِ** ﴾أنفسهم المذكورين في سورة «الإنسان» مَن هم، وما هي هويّتهم (وهو السؤال الثاني)، فإنّنا نقول:

بعد أن علمنا بأنّ ﴿ **عِبَادُ اللهِ** ﴾ المذكورين في سورة «الإنسان» لهم مقام أجلّ وأسمى وأعلى من سائر المقرّبين، كما دلّت على ذلك الجملة ﴿ **يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً** ﴾ المذكورة في الآية الشريفة: ﴿ **عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً** ﴾، وبعد أن اتّضح لنا كذلك أنّ جميع المقرّبين هم من طبقة «السابقين»، ولهم مقام واحد بعد الآخر أسمى من أصحاب اليمين، كما تنصّ الآية الشريفة على ذلك: ﴿ **وَكُنتُمْ أَزْوَاجاً ثَلاثَةً * فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ * وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ * وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ** ﴾ (١)، وهذه الدلالة من الوضوح بمكان، والآن إلى تحديد ﴿ **عِبَادُ اللهِ** ﴾ المذكورين في سورة «الإنسان»، وهم أجلّ المقرّبين من قدّس الله تعالى من أجل ذلك نرجع إلى الآيات نفسها (٦) إلى (٢٢) من نفس السورة لكي نرى أي الآيات من الآيات السبع عشرة السالفة يمكنها تعريف ﴿ **عِبَادُ اللهِ** ﴾ المقصودين والإفصاح عن هويّتهم.

وفي هذا الرجوع ندرك بوضوح بيّن أنّ من الآيات السبع عشرة الآيات التالية فحسب يمكن أن تعرّفهم وتميّزهم عمّن سواهم: ﴿ **يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً * وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لاَ نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلاَ شُكُوراً * إِنَّا نَخَافُ مِن رَبِّنَا يَوْماً**

---

(١)الواقعة ٥٦: ٧ ـ ١٢.

عَبُوساً قَمْطَرِيراً﴾(١)؛ لأنّ بقيّة الآيات عن بكرة أبيها تختصّ ببيان فضائلهم ومناقبهم المعنويّة، وتوصيف درجاتهم الأخرويّة، ونحن البشر العاديّون لايمكننا الإلمام بحقائقهم ومعرفة ذواتهم من خلالها، ولاتحديد مصاديقهم الخارجيّة، والموضوع الوحيد الذي يعرّفنا عليهم هو الوفاء بالنذر وإطعام الطعام للمسكين واليتيم والأسير، بما أنّه العمل الموضوعيّ الصادر من﴿ **عِبَادُ اللهِ** ﴾، فلا ريب في إمكان معرفتنا بصفتنا بشراً عاديّين إيّاهم من خلاله، وبه نكتسب المعرفة العينيّة لهم، ويشكّل لنا السمة الدالّة عليهم.

من جهة أخرى، نعرف بأنّ﴿ **عِبَادُ اللهِ** ﴾المذكورين في سورة «الإنسان» هم أغلى وأعلى المقرّبين من عتبة الحقّ جلّ جلاله، ومن يقيننا بهذه النكتة نفهم أنّ ذكر الوفاء بالنذر وإطعام الطعام للمسكين واليتيم والأسير في الآيات (٧) إلى (١٠)سورة «الإنسان» ليس القصد من ورائه بيان سند تقريبهم الممتاز، فإنّ هويّتهم مكتملة عند الله في كونهم﴿ **عِبَادُ اللهِ** ﴾قبل وقوع هذه الأعمال منهم وبعدها.

كما نشاهد بالعيان في أمثال الآيات الشريفة:﴿ **لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَـئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَـئِكَ هُمُ**

(١)الإنسان ٧٦: ٧ ـ ١٠.

المُتَّقُونَ﴾ [١] ما هو أعظم أو ما هو مشابه له على أقلّ تقدير، نسب إلى الأبرار من أنّه قد ثبت لدينا في البحث القرآنيّ المتقدّم أنّ للأبرار مقاماً دون مقام المقرّبين.

من مجموع ما تقدّم من النكات ندرك بالقطع واليقين أنّ ذكر الوفاء بالنذر وإطعام الطعام للمسكين واليتيم والأسير في الآيات (٧) إلى (١٠) سورة «الإنسان» إنّما ذكر لبيان المعرّف العينيّ الصرف لـ﴿ **عِبَادُ اللهِ** ﴾الآنف ذكرهم لكي يميّز المؤمنون المعاصرون نزول آيات سورة «الإنسان» بذلك البيان المعرّف في أولئك المصاديق الخارجيّة، ويحدّدوا شخصيّاتهم الحقيقيّة، وينالوا معرفة تلكم الذوات المقدّسة، وإلاّ فإنّ مقام﴿ **عِبَادُ اللهِ** ﴾مارّ الذكر أغلى وأعلى وأرفع من الوفاء بالنذر وإطعام الطعام للمسكين واليتيم والأسير بلا مَنّ وتكدير.

والواقع أنّ ذكر الوفاء بالنذر وإطعام الطعام للمسكين واليتيم والأسير في آيات سورة «الإنسان» عين موضوع التصدّق بالخاتم في حال الركوع الذي نزل في «آية الولاية» لمجرّد التعريف الخارجيّ والعينيّ بصاحب الولاية(ع).

وبناءً على هذا يظهر بوضوح أنّ﴿ **عِبَادُ اللهِ** ﴾المذكورين في سورة «الإنسان» ليسوا واحداً من الأنبياء والمقرّبين في الأمم السالفة، بل هم أشخاص من أمّة خاتم الأنبياء(ص) الذين صاروا مصاديق خارجيّة بعد نزول سورة «الإنسان» لموضوع «الوفاء بالنذر وإطعام الطعام للمسكين واليتيم والأسير..» المعرّف العينيّ لهم، والمحدّد لهويّتهم.

---

(١)البقرة ٢: ١٧٧.

وبعد أن ثبت لنا أنّ موضوع «الوفاء بالنذر وإطعام الطعام ـ بلا منّة ـ للمسكين واليتيم والأسير..» هو المعرّف العينيّ للمقرّبين الأعلين في هذه الأمّة، والآن نعمد إلى بحث الموضوع نفسه لكي يتبيّن لنا أنّ هذا النذر المعهود من أي جنس هو؟ وكيف تزامن مع إطعام الطعام للمسكين واليتيم والأسير؟!

يقول الراغب في مادّة «نذر» من كتابه المفردات في غريب القرآن: «النذر أن توجب على نفسك ما ليس بواجب لحدوث أمر. يقال: نذرت لله أمراً. قال تعالى: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَانِ صَوْماً﴾ (١)، وقال: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ﴾ (٢).

وبناءً على هذا لمّا كان وفاء ﴿عِبَادُ اللهِ﴾ المعنيّين بالنذر مصاحباً للرغبة الشديدة في تناول الطعام، لهذا ينبغي أن يكون نذرهم صوماً، ولمّا كان إطعامهم الطعام المسكين واليتيم والأسير بعد ظهور الحاجة الملحّة إلى أكل الطعام يعلم من ذلك أن يكون الفعل قد جرى من هؤلاء الفقراء إلى ساحة قدس الله ﴿عِبَادُ اللهِ﴾ ساعة الإفطار، وقد طلبه هؤلاء الثلاثة منهم في تلك الساعة، ولمّا أطعموهم إيّاه ظلّوا ممسكين عنه، واعترتهم حالة الجوع الشديد.

ولمّا كان هذا الصوم غير واجب عليهم من قبل، وإنّما لزمهم لحادثة اجتازت بهم وتخطّتهم لذلك كان فعله شكراً لله تعالى، قد أوجبوه على أنفسهم.

---

(١)مريم ١٩: ٢٦.
(٢)البقرة ٢: ٢٧٠.

وعلى هذا تكون الحادثة أزمة شديدة مرّت بهذه الأسرة لذلك هبّ جميع أعضائها لدفع عاديتها عنهم، فنذروا لله هذا النذر، ولمّا كان الوفاء بالنذر وإطعام الطعام للمسكين واليتيم والأسير معرّفاً شخصيّاً لتلك المنظومة من الأسرة ينبغي أن يكون صوماً متعدّداً لاواحداً،وأن يكون القيام به على الموالاة يوماً بعد آخر من غير فاصل بحيث أدّى تتابع إعطائهم الطعام لأولئك الطوائف الثلاثة إلى ضعف شديد تناولهم، وبان عليهم، بحيث كلّ مَن رآهم يدرك ما بهم من مسّ الجوع.

أجل، كلّ هذه الجهات تنطبق تماماً على تلك الواقعة التي ذكرها الفريقان بشأن نزول آيات سورة «الإنسان».

وملخّص الرواية طبقاً لمجموع الروايات الواردة بهذا الشأن هي كالتالي:

مرض الحسنان ابنا عليّ بن أبى طالب(ع) الحبيبان، وابنا سيّدة النساء فاطمة (صلى الله عليها) فنذر والداهما صيام ثلاثة أيّام شكراً إن عافاهما الله من هذا المرض، وشاركتهما خادمتهما المدعوّة فضّة بهذا النذر، فنذرت هي الأخرى معهما، فعافاهما الله تعالى من ذلك المرض، فشرع أصحاب النذر ـ وهم أمير المؤمنين والصدّيقة الطاهرة والخادمة فضّة ـ بأدائه وصيام ثلاثة أيّام، ولمّا حان موعد الإفطار تحلّقوا حول المائدة فجاءهم على التالي في تلك الساعة مسكين ويتيم وأسير، ووقفوا على الباب وأعلنوا شدّة حاجتهم إلى الطعام، فآثرهم أهل البيت بطعامهم، وأمسكوا على الماء وحده،

وعلى أثر هذا الإيثار داخل أبدانهم الضعف الشديد حتّى بان لكلّ مشاهد، ولمّا زارهم المصطفى(ص) وشاهد حالهم وما هم عليه من الخواء آلمه ذلك جدّاً، وعندئذ نزلت سورة «هل أتى» على النبيّ(ص)، وأبانت بآياتها الكريمة عن رفع درجاتهم، وعظيم منازلهم.

وهذا ما كان من تلخيص لتلكم القضيّة بعيداً عن الجدل العقليّ، والإفتراء الخياليّ في حدود يؤيدها البحث القرآنيّ المتقدّم.

أجل، إنّ المقطوع به هنا﴿ عِبَادُ اللهِ ﴾المذكورين في سورة «الانسان» وهم المقرّبون الممتازون من اُمّة خاتم الأنبياء، وإن لم ترد حتّى رواية واحدة عنهم في كتب الفريقين.. ومن اليقين الثابت أنّ القضيّة ليست لها انطباق إلاّ على أهل بيت العصمة والطهارة من جميع أفراد الأمّة.

والآن نعطف أنظار القارئ الكريم إلى النتائج الكليّة التي ترتّبت على البحث القرآنيّ المتقدّم، ونضع بين يديه فهرسة لها.

١ ـ لمّا كان﴿ عِبَادُ اللهِ ﴾المذكورون في سورة «الإنسان» يفجّرون «عين الكافور» للمقرّبين الآخرين فهم إذن واسطة الفيض لكلّ المقرّبين من جميع الأمم، ومنهم نبيّ الله عيسى (على نبيّنا وآله وعليه السلام) أحد المقرّبين بنصّ الآية (٤٥) من سورة «آل عمران».

٢ ـ لمّا كان عليّ بن أبي طالب وفاطمة الزهراء(ع) هما أعظم مصداقيّة لـ﴿ عِبَادُ اللهِ ﴾المذكورين في سورة «الإنسان» فهم على هذا

الأساس أفضل من جميع الأنبياء المتقدّمين، وأعلى درجة منهم. والأنبياء هم المقرّبون من الأمم، وبناءً على هذا يكون هذا المطلب دليلاً آخر على كون الصدّيقة الطاهرة: هي سيّدة النساء مضافاً على ما ورد عنها في آية التطهير.

٣ ـ إن ضاق مفهوم النصّ في الوفاء بالنذر عن تناول الحسنين ولم يستطع أحد سحبه عليهما ليعرّفهما ضمن منظومة (**عِبَادُ اللهِ**)المذكورين في سورة «الإنسان»، ولكن لمّا جعلهما كلام الله الموحى به شريكين في العصمة في «آية التطهير» وشريكين في الدعاء في «آية المباهلة»، وهم من أصحاب الكساء الخمسة المطهّرة. إذن يحتمّ ذلك علينا اعتبارهما من﴿ **عِبَادُ اللهِ** ﴾وثبتت لهما جميع الخصائص والمميّزات المذكورة في رقم (١)(٢)، وإن كان النذر المتقدّم لم ينسحب عليهما ولم يصوما ثلاثة أيّام مع والديهما(١).

أجل، لمّا اتّضح لنا طبقاً للبحث القرآني المتقدّم أنّ الوفاء بالنذر وإطعام الطعام للمسكين واليتيم والأسير له جانب التعريف العيني الصرف، وامتياز﴿ **عِبَادُ اللهِ** ﴾الأصيل، إنّما هو حصولهم على رتبة العصمة الرفيعة، والطهارة المعنويّة المنيعة: ﴿**وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً**﴾(٢)، ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ**

---

(١)أنّ شمول الحسنين(ص) وكونهما من مصاديق الآية أمرٌ واردٌ لورود الضميرِ بالجمع وليسَ بالتثنية. نعم بالرغم من شمول فضة بحادثة الصوم، إلا أنها لا تصل إلى مقام المقربين..

(٢)الإنسان ٧٦: ٢١.

وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾(١).

إذن يكون الحسنان(ع) عضوين في﴿**عِبَادُ اللهِ**﴾المذكورين في السورة.

٤ ـلم يكن الأئمّة المعصومون مخلوقين يوم نزول السورة، ولكن طبقاً لما جرى من بحث في «آية الولاية» و «آية التوكيل» وآية «السابقون الأوّلون» وأيضاً من خلال البحث لآيتين قادمتين من سورة الأحقاف (١٥) و (١٦) أنّ هؤلاء الأئمّة(ع) منضمّين إلى العصمة والطهارة الخاصّة في أهل البيت المتلقاة من العصمة والطهارة الثابتة في «آية التطهير»، فيكون على هذا التقدير دخولها في حوزة﴿**عِبَادُ اللهِ**﴾المذكورين في سورة «الإنسان» لازماً، وجميع الامتيازات المذكورة في الآيتين المرقمتين برقم (١) و (٢) ثابتة لهم(ع).

وبالطبع أنّ الإمام عليّ بن أبي طالب وسيّدتنا الزهراء(ع) نالاالمقام الأوّل من وساطة الفيض، وهما صاحبا الجملة الشريفة: ﴿**يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً**﴾الأصيلان بالتبادر الأوّليّ.

ثمّ تتدرّج المنزلة إلى الإمامين الحسنين(ع)، ثمّ تمرّ بالمنزلة البعديّة إلى سائر الأئمّة(ع)، والنبيّ(ص) هو صاحب البيت الأوّل.

أجل، لمّا ثبتت وساطة الفيض لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب(ع) على سائر المقرّبين من سائر الأمم الماضية يكون إثبات

---

(١)الأحزاب ٣٣: ٣٣.

هذا الأمر لباقي الأئمّة الأطهار سهلاً ميسوراً، لاسيّما عند الرجوع إلى البحث والتحقيق حول الآيتين (١٥) و (١٦) من سورة «الإحقاف» المذكور في خاتمة الكتاب حينئذ يكون المطلب أكثر جلاءاً.

٥ ـ ينبغي أن يعلم حال فضّة خادمتهم، فإنّها وإن شاركتهم بالنذر والصيام والوفاء به، ولكنّها قطعاً لم تكن من﴿ **عِبَادُ اللهِ** ﴾المذكورين في السورة، وليس لها وساطة الفيض بالنسبة إلى المقرّبين من الأمم الماضية، ولكنّها من اُولئك الأبرار وتشملها الآية الشريفة:﴿ **إنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأس كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً** ﴾ (١).

٦ ـمن الحقائق الجالبة للنظر ما يظهر لنا من النكتة البديعة من تطبيق «الأبرار» المذكورين في سورة «الإنسان» مع «الأبرار» المذكورين في سورة «المطفّفين» هي أنّ الأبرار المذكورين في سورة «الإنسان» ربّما كانوا أعلى مقاماً وأسمى منزلة من «الأبرار» المذكورين في سورة «المطفّفين».

لأنّ الأبرار المذكورين في سورة «الإنسان»﴿ **يَشْرَبُونَ مِن كَأس كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً** ﴾، ولكنّ الأبرار المذكورين في سورة «المطفّفين»فإنّ الكأس التي يشربونها مزاجها من تسنيم، وثبت في البحوث المتقدّمة أنّ الكافور عين مختصّة بمحمّد وآل محمّد(ع)، والتسنيم عين خاصّة بالمقرّبين من سائر الأمم التي تجري لهم بوساطة محمّد وآله(ع).

(١)الإنسان ٧٦: ٥.

وبناءً على هذا، فإنّه بمقدار ما تعلو عين الكافور على عين التسنيم يكون مزاجا، وجمع هذين العينين في كأس واحدة متفاوتاً بمقدار ذلك التفاوت.

ولعله لايجيز لنا المحققون أن نبلغ في شرح النكتة السالفة هذه المبالغة، فإذا كان القارئ صاحب ذوق سليم، وفكر صائب، يدرك النتائج العميقة والواسعة لهذه النكتة.

وعلى أيّة حال، نذهب إلى تحقيق الآيات التالية والنازلة في بيان الفضائل المعنويّة والمناقب الذاتيّة، ووصف درجات﴿عِبَادُ اللهِ﴾ومقاماتهم العالية حتّى نرى ماذا يحصل بأيدينا من بحث النكات الدقيقة الأخرى لمعرفة هؤلاء العظماء.

﴿عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً * يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً * وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لاَ نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلاَ شُكُوراً * إِنَّا نَخَافُ مِن رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً * فَوَقَاهُمُ اللهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً * وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً *مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ لاَ يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلاَ زَمْهَرِيراً * وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلاَلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً *وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا *قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً﴾[١].

(١)الإنسان ٧٦: ٦ ـ ١٦.

الذي يستفاد من التمعن والنظر في الآيات (٧) إلى (١٦) وقياسها إلى الآية الشريفة:(**عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً**)[١] الواردة قبل الآيات يظهر بجلاء أنّ الآيات آنفة الذكر لاتثبت لـ﴿ **عِبَادُ اللهِ** ﴾المقصودين بالنظر مقاماً ومرتبة أعلى ممّا بيّنته الآية السادسة.

لأنّ كلّ ما يستفاد من الآيات (٧) إلى (١٦) ليس أكثر من أنّ﴿ **عِبَادُ اللهِ** ﴾المذكورين هم اُولئك الذين وفوا بالنذر، وأطعموا المسكين واليتيم والأسير دون مَنّ أو تنقيص، وأسرّوا بقلوبهم، (أو بظاهر أقوالهم، وهو بعيد جدّاً) لهم: إنّما نطعمكم لوجه الله إنّا نخاف من ربّنا يوماً عبوساً قمطريراً، فوقاهم الله شرّ ذلك اليوم ولقّاهم نظرّة وسروراً.

ومن الواضح أنّ هذه الأمور لاتمثّل مقاماً أجلّ وأعلى من رتبة وساطة الفيض بالنسبة إلى سائر المقرّبين، وبناءً على هذا لايمكن أن يدّعي مدّع مطلقاً أنّ ما ذكر لهم في مجموع تلك الآيات أسمى مقاماً ممّا ذكرته الآية الشريفة:﴿ **عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً** ﴾، بل ممّا يعتبر مسلماً في القضيّة هو موضوع التلازم الوجوديّ لأحدهما بالنسبة للآخر.

أجل، نجد الآيات اللاحقة، وهي عبارة عن الآيات (١٧) إلى (٢٢) عدداً من الفضائل الأخرى الملفتة للنظر الخاصّة بـ﴿ **عِبَادُ اللهِ** ﴾المذكورين فإنّها يمكن أن تشكّل فضائل أعلى مستوىً ممّا ذكر لهم

(١)الإنسان ٧٦: ٦.

في الآية السادسة.

وهي عبارة عن:

١ ـ ما دلت عليه الآيتان الشريفتان: ﴿**وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً * عَيْناً فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً**﴾.

٢ ـ وما تفيده الآية الشريفة: ﴿**وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً**﴾.

٣ ـ ما تدلّ عليه الجملة الشريفة من الآية: ﴿**وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً**﴾ الواردة في الآية الشريفة: ﴿**عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُس خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً**﴾.

٤ ـ ما تدلّ عليه الجملة الشريفة: ﴿**وَكَانَ سَعْيُكُم مَشْكُوراً**﴾ (**المذكورة في الآية:**) **إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَشْكُوراً**﴾.

ونقول في إيضاح الفضائل المذكورة:

أمّا الفضيلة التي دلت عليها الآيتان الشريفتان: ﴿**وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً * عَيْناً فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً**﴾ لمّا كانت هذه الفضيلة لم تذكر إلا لـ﴿**عِبَادُ اللهِ**﴾ الوارد ذكرهم في سورة «الإنسان» في القرآن كلّه من جهة أخرى أنّ هذه الفضيلة هي فضيلة مستقلة إلى جانب الفضيلة المذكورة في الآية الشريفة: ﴿**عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً**﴾ (**أثبتت لـ**) **عِبَادُ اللهِ**﴾.

ومن مجموع هاتين النكتتين نتوصّل إلى أنّ هذه الفضيلة وإن كانت على شكل كأس يسقونه ومزاجه «زنجبيل» في الوقت نفسه ينبغي أن يكون أسمى رتبة من عين الكافور الخالصة التي هي شراب) عِبَادُ اللهِ (المعهود.

أجل، هناك دليل مشرق يثبت هذا المطلب الأوّل، ما يختصّ بـ «الزنجبيل» وهو المقابل لخاصيّة «الكافور» الثاني: لم يذكر القرآن من ألفه إلى يائه أنّ الخالص من عين «الزنجبيل»(ويسمّى سلسبيل كذلك)جعل شراب لأي كائن ولم يعرف بذلك لكي تسمو رتبته على رتبة أهل البيت (وهم أنفسهم﴿ **عِبَادُ اللهِ** ﴾) المذكورون في سورة «الإنسان»، وإذاما أردنا تصوّر كائن أعلى مقاماً منهم فلا ينبغي أن يكون ذلك الكائن إلاّ رسول الله(ص) الذي اُوحي إليه الموضوع كلّه، وكان شاهداً على مقامات أهل بيته !

وأمّا ما تفيده الآية الشريفة:﴿ **وَإذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً** ﴾بما أنّ الله تعالى لم يصف ملكاً في القرآن الكريم كلّه بالكبر والعظمة إلاّ الملك المذكور في الآية أعلاه، والملك المذكور في الآية التالية:﴿ **أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إبرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُلْكاً عَظِيماً** ﴾ (١) ، لذلك يُعلم من هذا أنّ هذا الملك له مفهوم واحد واتّفاق بالمصداق.

من جهة ثانية، لمّا برهنّا في بحث الآيات (٥١) إلى (٥٩) من سورة «النساء» في هذا الكتاب أنّ هذا الملك هو عبارة عن الملك

---

(١)النساء ٤: ٥٤.

والسلطنة الأخرويّين المختصّين برسول الله وأهل بيته المعصومين (عليهم الصلاة والسلام).

إذن لامحالة يكون الملك الكبير المذكور في الآية الشريفة:(**وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً**)هو ذلك الملك نفسه الذي يكون لوجود رسول الله(ص)فيه اعتبار أكبر ومنزلة أعلى لـ (عِبَادُ اللهِ)المعهودين.

وأمّا الفضيلة التي تدلّ عليها الجملة الشريفة:﴿**وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً**﴾المذكورة في الآية:﴿ **عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً** ﴾بما أنّ الله تعالى وصف نفسه في لغة الوحي كلّها بأنّه الساقي للشراب الطهور الذي يقدّم لـ﴿ **عِبَادُ اللهِ** ﴾المعهودين، ولم يعهد منه تعالى أن اختصّ بعنايته هذه سواهم، ونستطيع من هذه النكتة أن نستنتج بصورة جيّدة أنّ هذا الموضوع المخصوص بالذكر هو أسمى درجة من وساطة الفيض لديهم بحيث وصولهم إلى الفيض الأعظم من هذا «السقي» صيّرهم واسطة الفيض على المقرّبين.

وبالطبع عندما نأخذ «مسألة الوحي» بنظر الاعتبار يتّضح لنا أنّ نزول هذا الموضوع بالوحي على رسول الله(ص) يدلّ على أنّه شاهد على رتبة﴿ **عِبَادُ اللهِ** ﴾المعهودين ومقامهم، وله اطّلاع وإشراف على جميع درجاتهم.

وأمّا الفضيلة التي تدلّ عليها الجملة الشريفة:﴿**وَكَانَ سَعْيُكُم مَشْكُوراً**﴾المذكورة في الآية:﴿ **إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم**

مَشْكُوراً ﴾لمّا كانت كلمة﴿ **هذا** ﴾الواردة في الآية أعلاه قد استجمعت فضائل﴿ **عِبَادُ اللهِ** ﴾المعهودين كلّها، أو الفضيلة المذكورة في الجملة: ﴿**وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً** ﴾على الأقلّ، كانت مقصودة وحدها بالذكر.

وعلى أيّة حال، فإنّ ذلك يحملنا على القول بأنّ الفضائل المذكورة لها جنبة واحدة ألاوهي الجزاء، ولمّا كانت هذه الفضائل لأولئك العظماء له جنبة الجزاء يعلم بذلك بالضرورة أنّ الجملة﴿ **وَكَانَ سَعْيُكُم مَشْكُوراً** ﴾تعتبر لطفاً اختصّوا به من الله تعالى بحيث صار شكر الله لهم مع أخذ فضائلهم جميها بنظر الاعتبار أعلى لذّة لهم، وأسمى سرور معنويّ لـ﴿ **عِبَادُ اللهِ** ﴾المعهودين ! !

وما بقي من النعم الأخرويّة لـ﴿ **عِبَادُ اللهِ** ﴾المذكورين في سورة «الإنسان» نكتة جالبة لاهتمام ذوي النظر بكون استحضارها هنا لازماً، وهي:

أينما ذكرت النعم الأخرويّة في آيات الوحي من أوّلها إلى آخرها لطائفة المقربين، أو الأشخاص الممتازين من أصحاب اليمين، فلا بدّ من ذكر واحدة من هذه النعم معها هي مسألة «الحور العين»، وما أشبه ذلك، إلاّ في آيات سورة «الإنسان»، وأحسبُ أنَّ القارئ قدْ لاحظ أنّه لم يذكر في السورة مع السرد والتفصيل لنِعم الجنّة كلّها المختصّة بـ﴿ **عِبَادُ اللهِ** ﴾في أيّ من آيها، ولو على شكل كناية ذكر لموضوع الحور العين.

وأنّ هذه لِتشير بوضوح تامّ إلى أنّ عدم ذكر الحور في لغة الوحي

هنا إنّما كان احتراماً لسيّدة النساء فحسب، وإلاّ فمن غير المعقول أن يتعرّض الوحي في سورة«الإنسان» لذكر النعيم الأخرويّ المختصّ بـ﴿ عِبَادُ اللهِ ﴾المعهودين بالتفصيل، ثمّ هو يترك ذكر نعمة «الحور العين» وما شابهها(١).

إلى هنا نختتم البحث والتحقيق المرتبطين في الاثنتين والعشرين الآيات الأول من سورة «الإنسان»، وفيما يلي نعطف اهتمام القارئ إلى تسع آيات بقيت، وهي آخر ما تبقى من السورة.

لمّا كان السبك الخاصّ والأسلوب المتّحد لآيات سورة «الإنسان» يشير إلى أنّ جميع آياتها نزلت في مكان واحد يحتّم علينا ذلك اعتبار الآيات التسع أيضاً من السورة مرتبطاً بنفس الموضوع الذي تعقب نوعيّة الآيات من سورة «الإنسان».

وبناءً على هذا، لمّا رأينا الآيات الأولى من السورة ترتبط

(١)عن هذا الموضوع الرشيق علينا أن نعرف من باب المثال: في سورة « الرحمان » التي تلتها سورة « الإنسان » بحسب النزول ذكرت نعمة الحورا لعين ما أشبهها ضمن سائر نِعم الجنّة خمس مرّات، وحوتها الآيات التالية: ﴿ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلاَ جَانٌّ * فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ * فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ الرحمان ٥٥: ٥٦ ـ ٥٨.
﴿ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ * فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ * فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلاَ جَانٌّ * فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾الرحمان ٧٠: ٧٥.
ولكن في سورة « الإنسان » ـ وهي النازلة بعد هذه السورة ـ تلاحظون أنّه مع التفصيل المتناول لجميع نِعم الجنّة الخاصّة بعباد الله في هذه السورة لم تصدر إشارة واحدة لموضوع الحور العين مطلقاً.

بتبيان فضائل أهل بيت العصمة والطهارة ومناقبهم، فتكون الآيات الأخيرة حينئذ مرتبطة بنفس الموضوع، وما ذكر في الآيات التسع المتبقية من تكذيب للمجرمين والغادرين والمولعين بالدنيا والناسين للآخرة إنّما ينطبق تماماً على عدوّ أهل البيت ومخالفيهم، وهم ذلك الفريق المنافق المحترف.

هذا ما حصل بأيدينا من البحث في آيات سورة «الإنسان»، وثبت لدينا بصورة قاطعة بأنّ المصداق الحقيقيّ للآيات (١٦) إلى (٢٢) لتلك السورة هم أهل بيت العصمة والطهارة(ع) وليس غيرهم.

أجل، كلّنا ندرك من خلال البحث القرآني السالف:

١ - نّ «الأبرار» ذوو مقام أدنى من مقام المقرّبين.

٢ - «المقرّبين» الذين لهم إحاطة على مقام الأبرار ونتيجة لذلك هم واسطة الفيض لهم.

٣ -﴿ عِبَادُ اللهِ ﴾المذكورين في سورة «الإنسان» هي أعلى رتب المقرّبين وهم واسطة الفيض لسائر المقرّبين.

٤ - ﴿ عِبَادُ اللهِ ﴾المعهودون هم وحدهم من أمّة خاتم النبيّين الذين لهم مقام أدنى من مقام رسول الله(ص)، وأعلى من مقام جميع المقرّبين، هؤلاء لانجد مندوحة إلاّ أن نعدّهم نفس أهل بيت العصمة والطهارة و«آية التطهير» و «آية الولاية» و «آية التوكيل»، وغيرها.. نزلت لتعريف منزلتهم، ونزلت سورة «الإنسان»، وفيها موضوع «الوفاء بالنذر، وإطعام الطعام للمسكين واليتيم والأسير»، لتكون

المعرّف العينيّ لبعض مصاديقها.

وعلى هذا التقدير، يظهر لنا بوضوح أنّ سورة «الإنسان» أو الآيات الاثنتين والعشرين من أوّلها على أقلّ تقدير الأخذ بعضها برقاب البعض، والمتّصل بعضها ببعض اتّصالاً لايعتريه خلل نزلت في المدينة، والحكاية المعهودة حدثت في المدينة المنوّرة في الفترة الإسلاميّة؛ لأنّ القران الميمون المبارك بين عليّ وفاطمة(ص) كان قد تمّ في المدينة، وفي ولادة الحسنين كملت منظومة أهل البيت، وعرفت هويّتهم الشريفة.

مضافاً إلى ما تقدّم، فهناك شواهد أخرى تثبت مدنيّة السورة:

أوّلاً: جميع الروايات المأثورة عن العامّة في ترتيب سور القرآن نصّت على أنّ سورة «الإنسان» من السور المدنيّة.

ثانياً: ذكر كلمة «الأسير» في الآية المتّصلة بالموضوع نفسها دليل على كونها مدنيّة؛ لأنّ المسلمين لم يكن لهم أسرى في الحقبة المكّيّة ووجود «الأسير» إنّما كان في الحقبة المدنيّة بعد الهجرة وتشريع الجهاد.

ثالثاً: عندما توصّلنا إلى هذه النتيجة من عدم ذكر «نعمة الحور العين»، وما شابهها من النعيم في عِداد النعم الأخرويّة لـ﴿**عِبَادُ اللهِ**﴾المعنيّين بالنظر للآيات من سورة «الإنسان»، كان أصلاً احتراماً للصدّيقة الطاهرة سيّدة العالم فاطمة الزهراء ثبتت طبعاً كون السورة مدنيّة، والآيات المعزولة المبحوثة يكون نزولها في المدينة من المسلّمات.

والحمد لله رب العالمين

إيجاز ما تقدم من أقسام الكتاب:

يلزمنا قبل الخوض في تحقيق الوقائع التي قارنت وفاة النبيّ(ص) والوقائعالتي حدثت من بعدها تقديم ملخّص جامع لأقسام الكتاب التي تقدّمت، وهي ذات الصلة بالتاريخ المتّصل بالمنافقين في القرآن المجيد لكي يقف القارئ مجدّداً على النتائج الكلّيّة للآيات المرتبطة بالموضوع، ويسهل عليه حينئذ تجزئة الأحداث والوقائع المتشابكة وتحليلها على ضوء تلكم النتائج العامّة.

القسم الأوّل من الكتاب:

بعد التحقيق في مدلول الآية (٣١) سورة «المدثّر» ظهر لنا بوضوح أنّ عدداً من الأفراد ـ وهم من سلالات قرشيّة معروفة ـ كانوا في بدء الإسلام وفي السنين الأولى من شروقه في مكّة اختاروا الإسلام جرياً وراء الأغراض التي يستنبطونها والأمراض التي حشيت بها صدورهم والتفّوا حول النبيّ(ص) ليهيّئوا المناخ المناسب لتنفيذ مآربهم، وبروز شخصيّاتهم في المجتمع المسلم الناهض حديثاً، ورأينا كيف عبّرت عنهم لغة الوحي بلفظ﴿**الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ**﴾، وظلّت لغة الوحي طيلة عمر النبيّ(ص) تصفهم بخبث باطنهم، وسقوط ذاتهم، ورداءة أفكارهم.

وظهر لنا في دقة أكثر أنّ هذا الفريق يمتاز عن المنافقين الذين استجدّوا في مراحل الإسلام الأخرى في المدينة بعدّة امتيازات كلّيّة:

١ ـ لمّا كان إسلام هؤلاء بسبب ما مازج عقولهم من الغايات الخاصّة والرغبات الدفينة، والمكر والتحايل، وكان همّهم الأكبر هو انتشار الإسلام وانتصاره من أجل تحقيق غاياتهم والوصول إلى مآربهم، لذلك بذلوا جهداً مشهوداً في سبيل تقدّمه وقوّة المسلمين وتجاوزوا رغائبهم الخاصّة وحاجتهم الشخصيّة، ومنافعهم الأخرى من أجل بلوغ الإسلام غاياته المرجوّة، وما فتئوا يظهرون أنفسهم بمظهر الغيرة على الإسلام، ومَن يسعى لصالح المسلمين بينما لم يكن منافقو المدينة بهذه المثابة، بل على العكس من ذلك كانوا يختلقون العقبات اختلاقاً ليثبّطوا الإسلام عن التقدّم والنهوض، ويتقاعسون في الغزوات عن الحضور والنصرة وهم دائبون في كسر شوكة الإسلام، وما زالوا دائماً لايريدون الخير للإسلام والمسلمين.

٢ ـ هؤلاء من أجل تفانيهم في الوصول إلى أهدافهم التي تدور في رؤوسهم يقومون بأداء الآداب والسنن الدينيّة رياءً وتظاهراً لكي يكون لهم ظاهر مقبول بين المسلمين، وتميل قلوب المؤمنين إليهم، ويتميّزون بين المسلمين بنصرة الإسلام والدفاع عنهم، ويرتقون في طبقات المجتمع الإسلاميّ إلى طبقة الراغب في الإسلام المدافع عنه، بينما لم يكن منافقو المدينة بهذا الشكل، بل كانوا يسعون لنبذ تعاليم الإسلام وآدابه، ويجدُّوا في تخفيف كواهلهم من أعبائه، ولا يعملون على جلاء صفحتهم بين المسلمين، بل دأبهم الأوّل أن يكونوا في طليعة المناهضين له الصادّين عنه المبعدين بأنفسهم عن ساحة قدسه، ولايريدون أن يُعرّفوا بين المسلمين لمحبّته أو يتحبّبوا إليهم.

٣ ـ وهؤلاء لمّا كان قبولهم الإسلام لهدف خاصّ فقد بدأوا يعدّون لهذا الهدف من أوّل يوم عرفوا طعم الإسلام فيه لذلك ما برحوا يضيفون أعداداً إلى أعدادهم، وعُدداً إلى عدّتهم وينفذون إلى مجتمع المسلمين بخطّة محسوبة حساباً دقيقاً شيئاً فشيئاً، بينما لم يكن منافقو المدينة يومئذ على هذه الشاكلة، بل كانوا على الأعمّ الأغلب من النكرات في دنيا الإسلام، وما كانت لهم خطّة معدّة للنفوذ في مجتمع الإسلام . من أجل ذلك كانت أعمالهم دائماً تجرّ إلى فضيحتهم، ويؤدّي إلى إراقة ماء وجوههم، وقد سبقت الإشارة منّا أنّه من أجل تغلغل فريق﴿ **الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ** ﴾في تاريخ الإسلام لذلك اتّخذنا لهم اسم «المنافقون المحترفون» في طول الكتاب وعرضه؛ لأنّ هذا التعبير هو من لوازم ذلك المرض المستكنّ في قلوبهم، وفيما يقابلهم يقف الصنف الآخر من المنافقين الذين استجدّ لهم وجود في المدينة، فكانوا «المنافقين العاديّين».

القسم الثاني من الكتاب:

وفي بحث الآيات (٣٣) إلى (٥٥) من سورة «النجم» تجلّى لنا وجه من فريق المنافقين المحترفين المارّ ذكرهم في«القسم الأوّل»، وتعرّفنا عليه بشكل جليّ، فكان من قريش، كما أنّه اختار الإسلام مبكرّاً في أوّل ظهوره، وانتظم في سلك المسلمين، واسم المنافق المحترف هو «عثمان بن عفّان»الخليفة الثالث، وكان من قريش الجذم الأمويّ، وكان في ظاهر الأمر من أهل اليسار وأولي الثروة والقدرة، ويحسب مَن عليه القوم.

القسم الثالث من الكتاب:

عرفنا الوجه المنافق المحترف من تحقيق سورة «عبس»، لاسيّما الآيات العشر الأول منها، وفي القسم الثاني اتّضح لنا أكثر وأكثر، وعرفنا أنّ عثمان بن عفّان الأمويّ الذي تجلى في سورة «النجم» الكائن المرائي المعجب بذاته المتدله بحبّ المال والمعروف بالبخل وكزازة اليد[١] تجلى في سورة «عبس»(بالمستكبر ضعيف النفس) وقاتل الضعفاء.

وأثبتنا في هذا الموضع العلّة التي سبق بها عثمان إخوانه المنافقين المحترفين بالظهور والبروز في صدر الدعوة الإسلاميّة، ووبّخه الوحي وأنّبه قبل غيره من أبناء نوعه، وهي كونه أقلّ جرماً من سائر أصحابه ورفقاء حزبه، وكان على خلاف إخوانه أقلّ تخفيّاً وتستّراً برذائله الذاتيّة وفضائحه الأخلاقيّة، وظهرت هذه الصفات أكثر للعيان عندما تولى الخلافة وفضح نفسه قبل غيره، وكان ذلك سبباً في سقوط حكومته.

وفي ختام القسم الثالث أشرنا إلى جانب من مكر القوم وحيلهم الشيطانيّة في تنظيم سور القرآن، وعرفنا السرّ الأصليّ في وضع سورة «عبس»بعد سورة «النازعات» وأثبتنا هنا:

إنّ العلّة في وضع سورة «عبس» بعد سورة «النازعات» أنّ الآيات في آخر سورة «النازعات» شبيهة عيناً بأول الآيات من

---

(١) يدٌ كزّة: منقبضة يابسة. أساس البلاغة: « ك ز ز ».

سورة «عبس»تحتوي على ضمائر متّصلة ومنفصلة، وكلّها مفردة، وتعني شخصاً آخر، والمخاطب بها قطعاً هو رسول الله(ص)، فكانت الصلة مهيّأة للعقد مع اُولى آيات سورة «عبس».

وهنا يكون التالي للقرآن بعد أن اُشبع ذهنه بآيات آخر «النازعات» ـ التي خوطب بها النبيّ(ص) ـ مستعدّاً لحمل الآيات في أوّل سورة «عبس» على خطاب النبيّ(ص)، وأن يكون الذمّ والتوبيخ فيها مقصوداً به شخص رسول الله(ص)، وأن يذهب ذكر عثمان السيّئ مع الذاهبين، وقد فعل هذا التزوير الذكي فعله، وقد تاه المسلمون في وادي الضلالة في فهم المصداق الواقعيّ للآيات الأولى من سورة «عبس» في طول القرون الماضية ولوّثوا ساحة رسول الله القدسيّة عوضاً عن ساحة عثمان ! !

القسم الرابع من الكتاب:

المرتبط بتحقيق الآيات الأولى من سورة «العنكبوت»، وثبت لدينا أنّها السورة الأولى من بين مائة وأربع عشرة سورة ذكرت المنافقين بصفة رسميّة، ولمّا كانت هي السورة الأخيرة من السور الستّ والثمانين المكّيّة علم أنّه في الإسلام المكّيّ من أوّله إلى آخره لم يوصف أحد بصفة النفاق من المسلمين على لسان الوحي، أي إنّ أحداً من المسلمين في مكّة لم يختر الإسلام على أساس من النفاق وبسبب من أسبابه، ثمّ قلنا في بيان العلل الأصليّة للنفاق:

١ ـ لا يستبعد أن يحمل إنساناً الطمع والوصول إلى أهداف المال والغنيمة والمنافع الدنيويّة على الإيمان بالإسلام، فيكون إيمانه وسيلة

للوصول إلى الغايات الدنيويّة.

٢ ـوكذلك لايستبعد أن يكون الخوف على النفس أو المكانة الاجتماعيّة أو مكانة الأسرة علة أصليّة للجنوح إلى الإسلام، أي إنّ هذا المتأسلم هرع للإسلام لاتّخاذه ملجأ من الطارئات، ومخبأ يحتمي به، ويحمي موقعه الاجتماعيّ ومكانة أسرته.

٣ ـالثالث من علل النفاق: هو إظهار الإسلام كيداً له، والتزيّي بزيّ الصديق لهدمه والوقيعة به، أي انّ هدفه الأكبر من إسلامه هو إيجاد مناخ الفتنة بين المسلمين، وخلق مظاهر الشحناء والبغضاء فيما بينهم، وبهذا تكون الأسباب متوفّرة لهدم الإسلام وإسقاطه.

٤ ـ أو رابع العلل، وهي أكثر خفاءً ممّا قبلها، وتستبطن رموزاً وأسراراً، وهي عبارة عمّا نبيّنه الآن ذلك أنّ شخصاً ما وإن كانت خطّته النفع الدنيويّ والأرباح الآنيّة، ولكن محاولته لم تقتصر على هذه المنافع المحدودة الوقتيّة نظير الحصول على المال أو الغنائم، كلاّ بل غرضه التغلغل في عمق المجتمع الإسلاميّ، وتهيأة المناخ للوصول إلى نحو من الإمارة وطلب الرئاسة..

وظهر من هذا أنّ العلل الأربع المذكورة هي العلل التي تستوعب المنافقين ويختصّ ذلك بالعلل الثلاث دون الرابعة؛ لأنّ النفاق المرتبط بالعلّة الرابعة هو نفاق نادر الوجود في كلّ مجتمع، والعلّة الرابعة هي المختصّة بأعجوبة الزمان؛ لأنّ الناس المتميّزين بأخلاقهم، والخارجين عن النظام الطبيعيّ يؤلفون أقلّيّة في المجتمع، والعلّة الرابعة تشير إلى هؤلاء لا للسواد الأعظم من الناس.

وقلنا هنا أنّ في كلام الوحي إلى سورة «العنكبوت»(التي تعدّ بحسب النزول آخر السور المكّيّة نزولاً في مكّة) لم تتحدّث عن جماعة باسم المنافقين، ويظهر من هذا أنّه في الفترة المكّيّة من تاريخ الإسلام لم يكن قوم ليختارون الإسلام بناءً على علل النفاق الثلاث، وهي التي سبقت الرابعة أو أنّهم إن كانوا فهم نزر يسير ولاشأن لهم؛ لأنّ في فترة السنين الثلاث عشرة قبل الهجرة كانت أوضاع المسلمين في مكّة قد بلغت أدنى مستوىً لها من السوء والشدّة والقسوة.

وفي هذه الأجواء الصعبة لايتصوّر العقل أن يختار أحد الإسلام طمعاً بمنافع الدنيا ومآرب العاجلة، أو أنّه يختار الإسلام للاحتفاظ بمكانته الاجتماعيّة وصيانة ماء وجهه ووجه أسرته وقومه.

وكذلك من المسلّم به في تلك الفترة الحرجة من تاريخ الإسلام أنّ الإسلام نفسه لم يكن رائجاً في أوساط الناس، وهو في رأي الناس العاديّين فكرة مهزومة.

إذن لا يحتمل أن يظهر إنسان ما الإيمان ويسلم ويحمل على كاهله تلك المشاكل التي كان ينوء بها مجتمع الإسلام، ويتقبّلها بنفس راضية، ويكون إسلامه لا للتقرّب إلى الله ، بل للاختباء في المجتمع المسلم للكيد والمكر والعمل على دحر الإسلام. إنّ هذا لأمر بعيد جداً.

إنّ في تلك الفترة يكون الاحتمال موجوداً على الأكثر لنفاق قوم متميّزين بالإدراك، ولهم مستوىً أرقى نوعاً ما من الناس العاديّين، وقد أدركوا عن طريق الذكاء الخاصّ وبعد النظر ما ينتظر الإسلام

من المستقبل الزاهر في النموّ والتقدّم.

من جهة أخرى، ينبغي أن يكون هؤلاء المنافقون يتّصفون بصفات التعالي والترفّع الخاصّ حتّى يتسنّى لهم في المستقبل المنظور إيجاد مناخ متّسق مع ما يطمحون إليه من الرئاسة والسيادة عن طريق التظاهر بالإسلام.

في فترة الثلاث عشرة سنة التي تقضّت في مكّة قبل الهجرة لايتصوّر عقلاً إلاّ هذا النوع من النفاق، بحيث رأينا في البحوث المتقدّمة ـ لاسيّما القسم الأوّل من الكتاب ـ أنّ لغة الوحي تحدّثت عن وجود هذا النوع، وأطلقت عليهم العبارة التالية: ﴿**الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ**﴾.

وإلى هنا أثبتنا بأنّ هذا الفريق لا بدّ أن يكون من قبائل قريش بسلالته وجذمه، أو من قوم لهم شهرة خاصّة في مكّة حتّى يكونوا:

أوّلاً: وبالذات تحت حماية قبائلهم، وتنهض القبيلة التي يرجعون إليها بالذبّ عنهم، وإن انتسبوا إلى الإسلام وانضمّوا إلى جماعته.

ثانياً: يكونون بما أوتوا من حظّ المال والثروة والقدرات المادّيّة بمعزل عن المشكلات التي تواجه المسلمين يومئذ، وأن يثبتوا على قاعدتهم عندما تتزلزل الأرض من تحتهم في المواقف الحرجة بين الإسلام ومناوئيه.

وأخيراً حصلنا في ختام «القسم الرابع» على النتيجة كالآتي:

لمّا خلت جميع السور المكيّة ما عدا سورة «العنكبوت» من ذكر فريق من المسلمين باسم المنافقين، فقد ظهر من هذا أنّ الفترة المكيّة من تاريخ الإسلام المحصورة في الثلاث عشرة سنة، حيث قضاها النبيّ(ص) وأصحابه هناك قبل الهجرة، لم يوجد أحد من المسلمين أسلم بسبب من الأسباب الثلاثة التي عرّفناها بعلل النفاق، فلم يسلم أحد خوفاً من تدهور موقعه الاجتماعيّ، وكذلك لم يسلم رغبة في مال دنيويّ عاجل أو غنيمة يطمع في تصيّدها، ومثل ذلك يقال في إسلام مَن يريد خضد شوكة الإسلام والقضاء عليه ودحره.

أجل، في تلك الفترة من تاريخ الإسلام المكّيّ لم يكن بين المسلمين من المنافقين إلاّ فريق ﴿**الَّذِينَ فِي قُلوبِهِم مَرَضٌ**﴾ أو أنّهم من القلّة والذلّة بحيث لم يستدع ذكرهم ذلك بلغة الوحي.

القسم الخامس من الكتاب:

المرتبط ببحث الآيات (٨) إلى (٢٠) من سورة البقرة.

قلنا إنّ سورة «البقرة» هي أوّل السور المدنيّة نزولاً في المدينة، وعددها ثمان وعشرون سورة، وبما أنّ سورة «الأنفال» التي ذكرت فيها غزوة بدر، وكانت غزوة بدر قد وقعت في اليوم السابع عشر من شهر رمضان السنة الثانية للهجرة، فتكون سورة «البقرة» ذات الستّ والثمانين والمائتين من الآيات. ترتبط بالأشهر الثمانية عشر من نزول النبيّ(ص) في المدينة المنوّرة، وتعكس الفترة التي انقضت

في تلك الأشهر في المدينة، يتجلى لنا من بحث آيات سورة «البقرة» بوضوح أنّ أهمّ الحوادث التي اكتنفت حياة رسول الله(ص) في تلك الأشهر الثمانية عشر في أوّل الهجرة إنّما هي العراقيل التي كان يحدثها ساكنو المدينة من اليهود، وما يحيط بها من القرى، لأنّهم يزعمون أنفسهم أنّهم أصحاب كتاب سماويّ، وأنّهم أوْلى من محمّد(ص) في الدعوة إلى طريق الحقّ.

وقلنا من جهة ثانية: إنّ مَن يدقق النظر في سورة «البقرة» ويستطلع آياتها كلّها، ويلحظها بفكر واع مستوعب فلن يعثر في أيّة آية من آياتها على التعبير بلفظ «منافقين، منافقات، منافقون، نافقوا، وهكذا» خلافاً لما نزل بعد سورة «البقرة» من السور، فقد عرضت هذه السور طبقاً لترتيب نزولها وجرياً على حسب الكيفيّات الخاصّة، لذكر الألفاظ المشتقة من «النفاق» لبيان وضع المنافقين.

ومن هذا الأمر يتجلى لنا أنّ بعض المنتسبين إلى الإسلام في السنة الأولى من سني الهجرة على أقلّ تقدير قد اختاروا الإسلام بناءً على العلل الثلاث المتقدّمة من الطمع في المال والغنيمة، أو الحفاظ على مكاسب البيت والقبيلة، أو الخوف من الارتكاس في المواقع الضحلة بين الناس، وما إلى ذلك.

وهؤلاء لا وجود لهم في مجتمع المدينة المسلم الحديث، أو من الندرة بمكان بحيث لم يكن بوسعهم التعرّض إلى معاكسة الإسلام وتثبيطه، والوقوف بوجهه؛ لأنّ مجتمع المدينة مؤلف من عنصريّ المهاجرين والأنصار، والأنصار قد اختاروا الإسلام قبل الهجرة، وهم

الذين دعوا النبيّ(ص) إلى الهجرة، وبذلوا له الودّ، وقاموا بأمره وحمايته.

ولمّا كان الإسلام يوم ذاك غاية في الضعف، سواء في المال أو الرجال، فإنّ اختيار الإسلام على أساس علل النفاق الثلاث الأولى لايمكن تصوّره ولو على نطاق البشر العاديّين.

أجل، بعد مضيّ حقبة من الزمن، واتّساع رقعة الإسلام، وإقبال الناس عليه، وتنامي جماعته في المدينة وضواحيها، ولمّا اتّخذ الإسلام مساره في تلك الحقبة من حيث العدد والعدّة، وصارت له شوكة ظاهريّة يمكن أن يخشاها الناس تميّزت للنفاق العادي صورة واضحة نوعاً ما في ذلك المجتمع.

وعلى أيّة حال، فإنّ آيات سورة «البقرة» من أولّها إلى آخرها لم تتعرّض لذكر النفاق ومشتقّاته، والأوضاع الخارجيّة للمسلمين تقضي بعدم وجود المنافقين أو ضحالة وجودهم بين المسلمين يومئذ، ومع هذا فإنّنا نجد لغة الوحي قد صنّفت الناس في أولّ سورة «البقرة» ـ طبقاً للمقتضى البيئيّ ـ على طوائف ثلاث، واختصّت بكلّ طائفة جملة من الآيات على الشكل التالي:

الطائفة الأولى: هم المتّقون، وتوفّرت الآيات (٣) إلى (٥) على بيان كما لاتهم.

ثمّ تعرض صدر السورة لبيان وضع الكافرين من الطائفة الثانية في الآيتين (٦)و(٧)، وأفصحت عن خصائصهم النفسيّة.

وفي المرحلة الأخيرة ألمعت الآيات (٨) إلى (٢٠) إلى الطائفة الثالثة، وهم فريق «ذوي الوجهين»[1] وكشفت عن خصوصيّاتهم النفسيّة ومثاليّاتهم، وبالغت في ذمّهم والحطّ من قدرهم أكثر من الكافرين وقطعت بذلك.

وهاهنا سؤال:

ما المراد من ذكر هذه الطائفة في الآيات الثلاث عشرة من سورة «البقرة»، ومن المقصود بالتعريف من المسلمين، فهل هم المنافقون العاديّون؟فإنّهم لاوجود لهم يومئذ في مجتمع المدينة، أوأنّ لهم وجوداً محدوداً جدّاً، أو أنّ المقصود من ذوي الوجهين في مجتمع المسلمين بلغة الوحي تعريف قوم آخرين نشأوا في ذلك المجتمع، وكان يحيون مع المسلمين في مجتمع المدينة جنباً إلى جنب.

ففي هذا القسم الخامس جرت الموازنة من أجل الحصول على الجواب المتقدّم بين الآيات الثلاث عشرة المتقدّمة، وآيات سورة «المنافقون»(وهم بالقطع واليقين المنافقون العاديّون، وذكرنا دليل هذه الموازنة في القسم الرابع من الكتاب)، وكانت نتيجة هذه الموازنة على النحو التالي:

---

(١) **رجل ذو وجهين:** إذا لقي بخلاف ما في قلبه.. ومن شرّ الرجال ذو الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه، وهو المنافق./القاموس وتهذيب اللغة.

الآيات الثلاث عشرة (٨) إلى (٢٠) من سورة «البقرة هي خاصّة في المنافقين المحترفين الذين هاجروا مع النبيّ(ص) إلى المدينة، وقد تجلّت لنا في القسم الثاني والثالث من الكتاب صورة أحدهم، ويدعى «عثمان بن عفّان الأمويّ»، وسوف تتجلّى لنا صورة اُخرى لمنافق ثان في التحقيقات التالية من الكتاب.

وعلى أيّة حال، فقد تجلّى لنا من التحقيق أنّ الفريق المذكور قد بدء فعّاليّاته من أوّل يوم ورد فيه المدينة لاقتطاف الثمرة، وهي أخذ زمام المبادرة وتولّي القدرة والسلطة في المجتمع المسلم بجدٍّ ودأب بحيث نشاهد أنّ المنافقين العاديّين ما يزالون في رحم الغيب، ولم ينجم لهم قرن، ولكنّ القرآن تعجّل إلى بيان خطرهم، وذكر نشاطهم ولعبتهم في المجتمع المسلم، وحذّر المسلمين منهم.

وعلى هذا الأساس تبيّن لنا أنّ الآيات الثلاث عشرة من أوّل سورة «البقرة»(٨)إلى (٢٠) ليس لها ارتباط بالمنافقين العاديّين، وإنّما لكشف الخصائص النفسيّة وأنموذج ذلك الفريق﴿ **الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ** ﴾.

كما أنّ لغة الوحي صرّحت بمرضهم القلبيّ تصريحاً لا يدع للشك محلاً في الآية العاشرة: ﴿ **فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ** ﴾، وقد أخبرت كذلك عن اتّساع هذا المرض في هذه القلوب.

القسم السادس من الكتاب:

اتّضحت صورة شخص آخر من فريق المنافقين المحترفين بتحقيق الآيات (٢٠٤) إلى (٢٠٦) من سورة «البقرة»، وهو «عمر بن الخطّاب» الخليفة الثاني، وكذلك تبيّن لنا من بحث الآية الشريفة: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ وَاللهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ**﴾[(١)] المصداق المقابل للآيات الثلاث التي تقدّمت الآية، وظهر لنا أنّ الآية (٢٠٧) نزلت لبيان فضيلة خاصّة بذات عليّ بن أبي طالب(ص) وتضحيته بنفسه ومبيته على فراش رسول الله(ص)، حتّى استطاع النبيّ(ص) من الذهاب إلى غار «ثور» والاستخفاء فيه.

إذن عرّفنا القسم السادس من الكتاب على شخصيّتين متضادّتين تماماً، الأولى من فريق المنافقين المحترفين، والثانية المؤمن كامل الإيمان المعاصر لرسول الله(ص) والشخصيّتان كلاهما من صحابة النبيّ(ص) ويعيشان معه وفي زمنه.

أجل، وهذا هو المحلّ الأوّل الذي عثرنا عليه في تحقيقنا أنّ لغة الوحي ميّزت بين مصداقين متضادّين تضادّاً تامّاً من أصحاب النبيّ(ص).

(١)البقرة ٢: ٢٠٧.

وفي ختام القسم السادس بحثنا الروايات الموضوعة التي نحتها جهازوضع الحديث من أجل تبديل مصاديق الآيات التي حققناها، وتغيير مضامينها، وتحريف معناها، وأثبتنا عدم صحّة هذه الروايات، وأنّها لا أساس لها على الإطلاق.

وظهر لنا أيضاً خلال بحث الروايات واحد من أفراد حزب الخلفاء، وهو ذاتاً من المنافقين المحترفين «صهيب بن سنان الروميّ» خدن عمر بن الخطّاب اللصيق.

القسم السابع من الكتاب:

في تحقيق «آية الغار» ـ آية ٤٠ سورة «التوبة» ـ اتّضح لنا في سياقها الخاصّ:

أوّلاً: «آية الغار» بأجمعها نزلت لتوضيح نصرة الله نبيّه، وكلاءته وإعانته، وتريد أن تثبت للملأ كيف أنّ الله قادر على حفظ نبيّه وحمايته من شرّ العدوّ وحفظه، وقادر أيضاً على حفظ دينه ونشره وإعلاء كلمته.

و«آية الغار» تخاطب المسلمين الذين تقاعسوا عن الجهاد في غزوة تبوك، وقعدوا عن نصرة النبيّ(ص)، فتقول: «ويحكم! إنّكم ـ أيّها البؤساء ـ تهلكون أنفسكم، وإلاّ فأنتم أقلّ وأذلّ من أن تنالوا منّا ومن النبيّ ودينه نيلاً، لأنّنا نصرناه في ظرف أشدّ سوءاً وأقسى وضعاً من غزوة تبوك، فقد نصرناه حين خرج من مكّة واستخفى في غار «ثور» وأنجيناه من مؤامرات عدوّه».

وبناءً على هذا فإنّ «آية الغار» في سياقها الخاصّ بها تظهر بشكل واضح وصريح أنها نزلت لإفادة موضوع نصرة الله لنبيّه فحسب، ومن ظنّ أنّها نزلت لغير ذلك كبيان فضل أبي بكر المدّعى، فقدا فترى على القرآن وحرّف مفاد الآية الشريفة.

ثانياً: يظهر لنا بدقة أكثر في مفاد الآية الشريفة ـ أعني «آية الغار» ـ أنّها لم تكن في مدحه نزلت، وإنّما في ذمّه، حيث أنّها من جهة تنصّ على حزنه بالجملة الشريفة: ﴿**لاَ تَحْزَنْ**...﴾، فأثبتت حزن الرجل في ذلك الظرف، ومع إجراء القياس لـ «آية الغار» والآيات ذات الصلة بغزوة حنين وصلح الحديبيّة [الآية (٢٥) و (٢٦) سورة «التوبة»، والآية (٢٦) من سورة «الفتح»]، وأنّ «آية الغار» خصّت نزول السكينة على رسول الله وحده ولم تشرك معه أبا بكر ممّا يدلّ على عدم إيمانه الواقعيّ أبداً، وكونه من المنافقين المحترفين، وذلك ظاهر للعيان.

وفي ختام القسم السابع تمّ بحث روايات كثيرة عمد إلى وضعها من أجل تحريف مفاد «آية الغار» جهاز وضع الحديث، وبتصنيف تلك الروايات وبيان علل وضعها وفساد تركيبها، وإثبات وضع كلّ صنف منها فقد تمّ القضاء عليها، وتطهير كتب الحديث من وجودها.

القسم الثامن من الكتاب:

ظهر من تحقيق عدد من الآيات في سورة «الأنفال» أنّ عددا من المنافقين حضروا مع المسلمين في غزوة بدر من الفريقين المحترفين والعاديّين،ولذلك تمّ التعبير في تلك الآيات عن أهمّ ما فيهم من الصفات

والخصوصيّات، وتمّ اكتشافها والإعلان عنها، وهي كما يلي:

١ ـ إنّ المنافقين يكرهون المواجهة مع قريش وجهاً لوجه في غزوة بدر، وكانوا من أجل ذلك يجادلون رسول الله(ص).

٢ ـ المنع من قتل أسرى بدر (وهم من أئمّة الكفر وأعداء الله ورسوله الألدّاء)، ويريدون أخذ الفداء منهم للوصول إلى الغنى والثروة.

٣ ـ التهالك على المتاع الدنيويّ الحقير ورهن القلوب عنده، ولذلك ثارت لهم زوبعة من الجدال والخصومة مع المؤمنين.

وبناءً على هذا، ما ينبغي أن تكون عليه صفات المؤمنين الواقعيّين على النحو التالي: أن تخلص قلوبهم لأوامر النبيّ(ص)، وتقديم الحرب مع الكفّار، وإزالتهم، واستئصال شأفتهم في غزوة بدر على كلّ شيء آخر، ولايبدون تراجعاً وتراخياً عن قتلهم وتصفيتهم، ولايقف حبّ المتاع الدنيويّ الزائل بينهم وبين ذلك (وهو عبارة عن إبادة أئمّة الكفر).

أجل، على ضوء هذه الضابطة تمكنا من معرفة جهتيّ النفاق والإيمان في الأفراد أدناه، وهم في جهة النفاق: أبو بكر بن أبي قحافة، وعمر بن الخطّاب، وعبدالرحمان بن عوف، وسعد بن أبي وقاص.

وفي جهة الإيمان: عليّ بن أبي طالب، وحمزة بن عبدالمطّلب، والمقداد بن الأسود، وعمّار بن ياسر، وغيرهم، وقد

وضح ذلك كلّه للعيان.

القسم التاسع من الكتاب:

توصّلنا إلى نكتة بديعة في بحث الآيات (٢٨) إلى (٣٢) من سورة «آل عمران» وهي أنّ المنافقين المحترفين استطاعوا أن يوجدوا لهم في الزمن القصير بين غزوة بدر وأُحُد رابطة خطيرة أخبر الوحي عنها مع كفّار قريش، وأن يقفوا في الخندق المقابل للمسلمين تامّيّ الإسلام والمؤمنين الحقيقيّين. [هذه الخصوصيّة تظهر للعيان في بحث الآيات (١٣٦) إلى (١٤٧) من سورة «النساء» التي نزلت بعد غزوة اُحُد والأحزاب، وجاءت في محلها»].

ثمّ تجلى لنا في بحث الآيات (١٢١) إلى (١٨٠) من سورة «آل عمران» ذات الصلة القريبة من وقعة اُحُد أنّ المسلمين الذين حضروا تلك الغزوة كانوا على أربع فرق:

١ ـ الشاكرون أو شهود الأعمال.

٢ ـ المقتولون في سبيل الله.

٣ ـ المؤمنون التائبون.

٤ ـ المسلمون الذين لم يوفّقوا للتوبة، وهؤلاء هم المنافقون المحترفون أنفسهم.

وظهر في التحقيقات التالية:

أوّلاً: إنّ المقطوع باندراجه تحت مفهوم شهود الأعمال والشاكرين الذين حضروا غزوة اُحُد بعد رسول الله هو الإمام عليّ بن أبي طالب(ع).

ثانياً: إنّ أكثر الشهداء امتيازاً في وقعة اُحُد من الذين حضروا الوقعة هو حمزة بن عبد المطّلب(ع).

ثالثاً: تمّت البرهنة على أنّ عمر بن الخطّاب وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوّام وعثمان بن عفّان وسعد بن أبي وقّاص وأبو بكر بن أبي قحافة وعبد الرحمان بن عوف وأبو عبيدة بن الجرّاح، هؤلاء هم رؤوس فريق المنافقين المحترفين في غزوة اُحُد.

وفي ختام القسم التاسع أثبتنا من جهة أنّ «سعد بن عبادة» و «سعد بن معاذ» هما الرجلان المؤمنان ثابتا القدم في معركة اُحُد، ومن جهة اُخرى فقد ثبت لدينا أنّ «محمّد بن مسلمة» و «أسيد بن حضير» يقفان تماماً في الخندق المقابل للسعدين، وهما شخصان من أجراء حزب الخلفاء، وما بذاتيهما من فريق المنافقين المحترفين.

القسم العاشر من الكتاب:

يختصّ ببحث الآيات (٩) إلى (٢٧) من سورة «الأحزاب»، فقد عرف المسلمون الحاضرون ساعتئذ في غزوة الخندق، وتجلّت لنا خلال ذلك المطالب التالية مرتّبة على النسق أدناه:

١ ـ الآية (٩)، وهي الآية الأولى من الآيات التسع عشرة

المختصّة بـ «غزوة الأحزاب» ذكرت بنعمة النصر وإعابة الله للمشركين في الغزوة، ودعت المسلمين إلى شكر هذه النعمة التي أنعم الله بها عليهم.

٢ ـ الآيتان (١١) و (١٢) ذكرتا هجوم المشركين على المدينة من فوقهم، ومن أسفل منهم، وبيّنت الخوف والهلع الزائدين عن الحدّ اللذين استوليا على جلّ المسلمين والمؤمنين قبال هذا الابتلاء العظيم، وكيف ظهر اليأس على المؤمنين من النجاة عندما حاصرت قوّات العدوّ أطراف المدينة، وظنّوا بالله الظنون!

٣ ـ الآيات (١٢) إلى (٢١) بيّنت هذه المنظومة من الآيات ابتداءً عدم إيمان المنافقين العاديّين والمحترفين، ثمّ ذكرت المعوّقات التي استعملها فريق المنافقين العاديّين والمحترفين، لاسيّما لؤم الرؤوس المعروفة فيهم، فقد أوضحتها بشكل لالبس فيه، وأخيراً أسقطت القناع عن خبث الأفراد الطاغين فيهم وشيوخهم، وأماطت اللثام عن توجهاتهم الخبيثة.

٤ ـ الآيات (٢٢) إلى (٢٤) عرفت في البدء المؤمنين الحقيقيّين الحاضرين في «وقعة الأحزاب» في قبال الأكثريّة من المؤمنين الذين استولى عليهم الهلع واليأس لمّا رأوا الأحزاب وقوّات العدوّ وساء ظنّهم بالله تعالى، وكشف عن خصائصهم النفسيّة على النحو التالي: لم يرعبهم العدوّ بأحزابه وخيله ورجله ولم يوحشهم ذلك وليس هذا فحسب بل صار ذلك موجباً لزيادة إيمانهم ويقينهم وتسليم أمرهم إلى الله تعالى.

ثمّ أشارت إلى المثل الأعلى في تلك الأقلية المؤمنة ذلك الرجل الممتاز في كل أموره وشؤونه علي بن أبي طالب (ع)، وأخبرت عن صدقه ووفائه في كل مواثيقه الكلّيّة مع الله، وعهده المطلق مع بارئه سبحانه وتعالى.

٥ ـ الآيات (٢٥) إلى (٢٧) ذكرت في البدء عودة الأحزاب وقوّات العدوّ، وهربهم بالخسران والهزيمة إلى ديارهم، ثمّ أشارت إلى حكاية بني قريظة، وقمعهم والإطاحة بهم إلى الأبد.

القسم الحادي عشر من الكتاب:

عند بحثنا الآيات (٢٨) إلى (٣٥) من سورة «الأحزاب» الخاصّة بنساء النبيّ(ص) والتكاليف لازمة الرعاية والصيانة عليهنّ، ظهر لنا:

١ ـ لايحقّ لنساء النبيّ(ص) أن تتعلق قلوبهنّ بالذهب والحليّ وحطام الدنيا، أو يكون ذلك هدف سام لهنّ، ويحمل بهنّ أن تخلص قلوبهم لله ورسوله بعد أن اخترن الله والرسول، وأن يطلبن الدار الآخرة وحدها.

٢ ـ لايجوز لنساء النبيّ(ص) أن يهبطن إلى مستوىً لايليق بهنّ، ومن غير الجدير بهنّ السلوك مسلك سائر النساء، لئلاّ يقعن في المحاذير النافية لإيمانهن، من الذنوب والفحشاء، لأنّ في ذلك يضاعف لهنّ العذاب،وكذلك إذا أطعن الله ورسوله وعملن الصالحات، فإنّ

جزءهن الأخروي يضاعف لهن أيضاً.

٣ ـ ليس لنساء النبيّ(ص) أن يتحدّثن إلى الأجانب، وإن كانوا من قومهنّ، ولا يخضعن بالقول، بل يتكلّمن بصوت وقور يلائم مكانتهنّ، ويتّسق مع رتبتهنّ بين النساء ولابدَّ أنْ يراعين في ذلك تعاملهن مع المؤمنين الذين يحافظون على حرمتهنّ بحدود يحفظ لهن مقامهن.

٤ ـ ينبغي عليهنّ القرار في بيوتهنّ، وليس لهنّ التدخّل في قرارات الأمة الإسلامية ولا ينجرن إلى التدخل المجتمع ولافي السياسة، وليس عليهنّ أمر تعبئة العساكر وإعلان الحرب أو السلم، وأمثال ذلك، بل عليهنّ المكث في بيوتهنّ والقرار فيها، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وإطاعة الله ورسوله، وأن يتذكّرن ما يتلى في بيوتهنّ من الكتاب والحكمة.

وأخيراً طبقاً لمقتضى الآيات الثمان المتّصلة بالموضوع اتّضح لنا أنّ على نساء النبيّ(ص) أن يكنّ المثل الأعلى لسائر النساء من حيث نقاء الضمير وسلامة النفس، وأن يكنّ مؤمنات، متواضعات، صابرات، رحيمات، متصدّقات، صائمات، عفيفات، وغير ذلك.

وحين تراعي هؤلاء النساء الفاضلات هذه الموازين والضوابط يثبت لنا أنّ أكملهنّ سيّدتنا خديجة، وأدناهنّ عائشة بنت أبي بكر، أحطّهنّ مستوىً، وأكثرهنّ نقصاً.

وكذلك قدمنا في هذا القسم بحثاً يختصّ بالمفاد الواقعيّ لـ«آية التطهير» لورودها في ختام الآية (٣٣) من سورة «الأحزاب»،

وقلنا حول نلك:

وإذا حذفنا«آية التطهير» المذكورة في نظام آيات يا نساء النبيّ ـ الآيات (٢٨) إلى (٣٥) من سورة «الأحزاب» والمذكورة في آخر الآية (٣٣) ـ من وسطها لايحدث خلل في نظم الآيات أبداً.

ليس هذا فحسب، بل سوف نجد أنّ معنى الآيات ازداد اتّصالاً بعضه ببعض، وكأنّ هذه الآية كانت قد حالت بين جريان المعنى واتّصال سابقه بلاحقه، ولذلك تبدو للقارئ وكأنّها أجنبيّة من منظومة آي غيرها.

وبناءً على هذا، فإنّ الاحتمال القائل بأنّ «آية التطهير» ليس لها ارتباط بنساء النبيّ(ص) قطّ احتمال معقول جدّاً، ووقوعها بين منظومة الآيات الخاصّة بنساء النبيّ(ص) لادليل على كونها منها.

ثمّ بحثنا «آية التطهير» حال كونها بمنأىً عمّا يكتنفها من آيات. وأثبتنا بالدليل القاطع والبرهان الساطع أنّ مصاديق الآية حين نزولها ليست سوى أولئك الخمسة الطيّبة الطاهرة وحدهم لايشركهم فيها أحد سواهم.

القسم الثاني عشر من الكتاب:

ويختصّ ببحث الآيات (٥٣) إلى (٦٢) من سورة «الأحزاب»، وقد تجلى لنا من ذلك المطالب الآتية:

١ ـ الإلمام بتفاوت لحن آيات سورة «الأحزاب» عن سائر آيات القرآن الكريم أوّلاً وذلك ما جرّه إبطال السنن الجاهليّة، لاسيّما

السنّتان المتأصلتان بالمجتمع، وهما «الظهار» و«نظام التبنّي» على وضع النبيّ(ص) بينهم، فقد حمل النبيّ(ص) من أمر هذا التبنيّ رهقاً خاصّاً، وقد اقترن ذلك بزواجه من مطلّقة متبنّاه زيد بن حارثة.

ومن ثمّ كان إلغاء نظام التبنّي أشدّ عسراً على رسول الله(ص) من إلغاء الظهار، فقد تقصد المنافقون المحترفون والعاديّون رسول الله(ص) بالإيذاء بما لم يعهد منهم من ذي قبل.

٢ ـ إيذاء المنافقين وإيلامهم النبيّ(ص) بخاصّة المحترفون منهم في زفافه على زينب بنت جحش أوجب ذلك نزول «آية الحجاب»، وضرب الستار على نساء النبيّ(ص)، ونزلت الحرمة المؤبّدة لنساء النبيّ(ص) على جميع المسلمين بعد اشتداد إيذائهم له(ص)، ومع ارتفاع معدّل الإيذاء من المنافقين وأعوانهم وأتباعهم في الموضوع السالف، فقد نزلت الآية: ﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلاً * مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً * سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً﴾ (١) مصنّفة بصفة رسميّة هؤلاء إلى ثلاث فرق:

المنافقون المحترفون، والمنافقون العاديّون، والمرجفون، وحذّرت المسلمين من خطرهم، وشرّهم وهدّدتهم بالتصفية إن لم ينتهوا عمّا هم عليه من الإيذاء وقالة السوء، وسوف يؤمر باستئصال شأفتهم والقضاء عليهم.

(١) الأحزاب ٣٣: ٦٠ ـ ٦٢.

٣ ـ في بحث الآيات السالفة ـ وهي:الآيات (٥٣) إلى (٦٢) من سورة «الأحزاب» ـ ظهرت لنا ملامح ثلاثة من المنافقين المحترفين، وعرفنا طريقتهم في إيذاء النبيّ(ص) وإيلامه في القضيّة مارّة الذكر. والملامح المذكورة سلفاً وهؤلاء حسب الترتيب: طلحة بن عبيدالله، وعثمان بن عفّان، وعمر بن الخطّاب، ولكن من المقطوع به أنّ هناك غير هؤلاء الثلاثة المذكورين أفراداً آخرين من فريق المنافقين المحترفين﴿ **الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ** ﴾أعانوا أولئك النفر الثلاثة بدافع من وحدة الهدف ومن الأسرار الجارية بينهم والمتّفق عليها عندهم.

وفي ختام هذا القسم أشرنا إلى تقطيع الآيات المتّصلة بإلغاء الحكم الجاهليّ (التبنّي) إلى قطع ثلاث، وقلنا على أثر ذلك:

عند بحثنا للآيات (٥٣) إلى (٦٢) من سورة «الأحزاب» تبيّن لنا أنّ الموضوع ذو الصلة ببحث الآيات يرتبط ارتباطاً تامّاً بالآيات الستّة الأول، وكذلك الآيات (٣٦) إلى (٤٨)، يعني أنّ الآيات المرتبطة بإلغاء الحكم الجاهليّ «التبنّي» وملحقاته الموجودة ضمن الآية (٧٣) من سورة«الأحزاب» هي عبارة عن الآيات (١) إلى (٦) و:(٣٦) إلى (٤٨) و:(٥٣) إلى(٦٢) من سورة «الأحزاب»، وقد وضعت مبعّضة ومفرّقة بين آيات السورة، مع أنّ الوضع الطبيعيّ يقتضي الجامع أن يضع هذه الآيات التسع والعشرين ذات الموضوع الواحد في محلّ واحد من السورة متسلسلة حسب نظمها في النزول، كأن توضع ـ مثلاً ـ في أوّل السورة؛ لأنّه كما أشرنا في

ابتداء القسم العاشر قد سبقت الإشارة إلى أنّ نزول سورة «الأحزاب» كان الفرض منه إلغاء آداب التبنّي المعمول بها في العصر الجاهليّ وتقاليده.

ولكن من المؤسف حقاً أنّ النظام التركيبيّ الآن للآيات ٢٩ السالفة قد قطعتها السلطة التي تصدت لجمع القرآن إلى ثلاث قطع، وقد حشر فيما بينها آيات ليس لها صلة بالموضوع، وتدمير النظام الطبيعيّ لهذه المنظومة خاصّة واستبدالها بالنظام التركيبيّ الموجود فعلاً قد تمّ عمداً، وعن سابق إصرار، وهو من فعل الجامع الأوّل للقرآن، أعني الحزب الحاكم لكي يمحو آثارهم ومَن يدور في مجموعتهم حول قصّة قِران رسول الله(ص) بزينب بنت جحش وما تلى ذلك من أحداث.

القسم الثالث عشر من الكتاب:

وهو يختصّ بتحقيق آيات سورة «التحريم»، وبدأنا أوّلاً بعرض موجز لتاريخ ماريّة القبطيّة، مستنداً ذلك إلى روايات الفريقين ومسنداتهم التاريخيّة، وظهر لنا أنّ هذه الجارية ماريّة وهي أمّ إبراهيم كانت عرضة لحسد نساء النبيّ(ص)، وكشفنا عن واقع هذا الحسد، وكيف كان حديثه ، وأنّ سورة «التحريم» نزلت على إثر ذلك.

ثمّ أجرينا تعريفاً لحفصة بنت عمر بن الخطّاب وعائشة بنت أبي بكر، وهما اثنتان من أزواج النبيّ(ص)، وكان تعريفاً تامّاً طبقاً لآيات السورة نفسها، وظهر لدينا:

١ - إنّ هاتين المرأتين تربطهما روابط جدّ وثيقة بحزب الخلفاء، وهما من الأعضاء الفاعلين لذلك الحزب، ومن الوجوه البارزة في المنافقين المحترفين، وبلغ ولاؤهما لهؤلاء المنافقين حدّاً أنْ كانتا مستعدتين لدسّ السمّ لرسول الله(ص) من أجل بلوغ الهدف المنشود.

٢ ـ ظهر من التحقيقات المتّصلة بالموضوع أنّ هاتين المرأتين أجرء من غيرهما من نساء النبيّ(ص)، لاسيّما بعد أن ظهر على ماريّة علامات الحمل بإبراهيم ابن رسول الله(ص)، فقد استعر حسدهما أكثر وأكثر، وبان على تصرّفهما شدّة الانفعال والغضب.

ولم تكن تهمتهما لماريّة حدساً غريباً أو خارجاً عن حدود اللياقة، فقد قذفتاها بما يقبح ذكره بعد ظهور آثار الحمل عليها، وكانتا ممّن وضع تصاميم هذه الخطّة الخبيثة، وهما اللتان قالتا ما قالتا في حقّها وأعانهما قوم كان ردءاً لهما في محاولة سمّ رسول الله(ص).

القسم الرابع عشر من الكتاب:

المختصّ بتحقيق آيات الإفك، فقد قلنا:إنَّ آيات الإفك، هي عبارة عن الآيات (١١) إلى (٢٦) من سورة «النور» نزلت لإثبات براءة واحدة من نواميس رسول الله(ص)، ورفع التهمة عنها لتثبت براءتها وعفّتها وطهارة ذيلها، إحباطاً لمؤامرةٍ حيكت على تلك المرأة الفاضلة.

ثمّ قلنا بعد ذلك أنّ خلافاً دائراً بين الفريقين حول سبب نزول الآيات، وحول السيّدة التي كانت موضوعاً لها، فروايات الشيعة

تنصّ على أنّ آيات الإفك نزلت في تبرئة السيّدة «ماريّة القبطيّة» كي ترفع التهمة التي رماها بها المنافقون المحترفون عند مولد إبراهيم ابن رسول الله(ص)، وأشاعوها في أوساط الناس حتّى ثبتت طهارتها وبراءتها، ولكنّ العامّة اتّفقت رواياتهم على الدلالة بأنّ «آيات الإفك» ما نزلت إلاّ لتبرئة عائشة بنت أبى بكر، ورفع التهمة التي قذفت بها عند عودتها من غزوة بني المصطلق.

ثمّ قلنا: نحن نبدأ أوّلاً ببحث الآيات لنرى دلالة الآيات ذاتها على أيّ قضيّة من هاتين القضيّتين قابلة للتطبيق، ووصلنا في بحث الآيات إلى نكات ستّ، وكلّها تدلّ دلالة قاطعة على أنّ «آيات الإفك» نزلت بحقّ ماريّة القبطيّة، وليس لها أي صلة بموضوع عائشة.

وأخيراً ناقشنا روايات العامّة ـ الدالّة على نزول «آيات الإفك» في حقّ عائشة ـ نقاشاً علميّاً، وثبت لنا وضعها، واتّضح لنا أنّ عائشة نفسها هي من أوائل الذين تورّطوا في هذه الأكذوبة، بل المخطّط الأصليّ لها.

القسم الخامس عشر من الكتاب:

ويختصّ بمناقشة آيات سورة «النساء» وتحقيقها، وقد قيل ساعتئذ:سورة «النساء» وتحتوي على (١٧٦) آية، وأنّ أكثر من نصف هذه الآيات هي في أحكام الزواج ومحرّمات النكاح وأحكام المواريث، وبعض الموارد المرتبطة بالجهاد، وأمثال ذلك، وباقي آياتها تختصّ بالمنافقين وأهل الكتاب، وكانت الآيات الخاصّة بالمنافقين تقرب من ثلث آيات السورة كلّها، والآيات من سورة

«النساء» التي صرّحت بذكر المنافقين هي عبارة عن الآيات (٥٠) إلى (٩١) و:(١٣٦) إلى (١٤٧) وفيها عدد من الآيات نزلت لبيان حال المنافقين، ولتحريض المؤمنين على الطاعة التامّة لرسول الله(ص)، وما أشبه ذلك.

ثمّ قلنا بعد ذلك: لمّا كان الغرض الأصليّ من البحث والتحقيق هي الآيات ذات الصلة بالمنافقين من هذه السورة، كان الجدير بنا أن نبدأ البحث من الآية (٦٠)، ولكن لمّا كان بحث الآيات وتحقيقها لايتمّ إلاّ بفهم الآيات التسع السابقة التي نزلت في أهل الكتاب لذلك تحتّم علينا البدء بالبحث من الآية (٥١) لتكون شبيهاً بالمقدّمة.

وقد اتّضح لنا في بحث هذه الآيات التسع:

١ ـ انّ المقصود من آل إبراهيم في الاصطلاح القرآني الكريم هم محمّد وآل محمّد(ع).

٢ ـ انّ «الملك العظيم» والسلطنة الكبرى والقيادة التي وهبها الله لمحمّد وآل محمّد(ع) جارية في طول وعرض الملك الذي تنبسط عليه ولاية الحقّ جلّ جلاله﴿ **للهِ مُلْكُ السَّماوَاتِ وَالأرْض** ﴾(١)، وهو أعظم وأعزّ وأجلّ من ملك جميع الأنبياء والمرسلين والملائكة المقرّبين.

٣ ـ تبيّن لنا بأنّ أولو الأمر لايصحّ إطلاقها في الاصطلاح الخاصّ بلغة الوحي على أحد من الناس إلاّ على الإمام المعصوم.

---

(١)المائدة ٥: ١٢٠. الشورى ٤٢: ٤٩.

ثمّ عمدنا إلى مناقشة الآيات المرتبطة بالمنافقين في سورة «النساء»، وبرهنّا على أنّ تلك الآيات بأجمعها ـ الآيات (٦٠) إلى (٩١) و:(١٠٥) إلى(١١٦) و:(١٣٦) إلى (١٤٧)ـ نزلت في المنافقين المحترفين.

وتمّ لنا بذلك التحقيق إثبات هشاشة الروايات المرويّة بشأن النزول، والتي أظهرها المنافقون وفي ضمنها فضائل موضوعة لأبي بكر وعمر من المنافقين المحترفين، وغيرهما من نظائرهما.

واتّضح لنا ذلك وضوحاً تامّاً والنكتة الملفتة لنظر والتي حصلت بأيدينا من تحقيق الآية الشريفة: ﴿**وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾ (١) في الآيات ذات الصلة بالمنافقين المحترفين هي موضوع ولاية أمير المؤمنين(ع)، وكونه هو المعنيّ بأولي الأمر في حياة رسول الله(ص) قبل نزول «آية التبليغ» وواقعة غدير خم، مقارناً ذلك لنزول سورة «النساء»، أي قبل صلح الحديبية، وأثبتت له ولاية الأمر في الآية آنفة الذكر.

وفي ختام هذا القسم من الكتاب قلنا:

حينما تنزل (٥٦) آية ترتبط بالمنافقين في هذه السورة وتختصّ بالمنافقين المحترفين، وقد نزلت قبل صلح الحديبية يعني أنّها نزلت

---

(١)النساء ٤: ٨٣.

في ظرف لم يكن الإسلام فيها قد اتّسع وما زال اليهود وكفّار العرب في أوج قوّتهم لم يقض عليها الإسلام، وما زال مشركو قريش مقيمين على شركهم، وفي ظرف كهذا عندما نشاهد المنافقين المحترفين طبقاً لمقتضى (٥٦) آية ذكرناها توآيطلبون المقاضاة عند طواغيت أهل الكتاب، ويبتغون منهم الحلّ لقضاياهم،ويتّخذون منهم حكماً لأنفسهم، ثمّ يتقاعسون ويتقهقرون عن لقاء مشركي قريش ويروّجون بين المؤمنين الإشاعة الموحشة الكاذبة بغية إعلان الحرب النفسيّة على المؤمنين، ثمّ بذل حمايتهم للمنافقين العاديّين، ويدافعون عنهم أزاء المؤمنين، ويبترون الروابط بينهم وبين المؤمنين كاملي الإيمان.

وفي مقابل ذلك يقيمون أحسن الروابط مع مشركي قريش وأمثالهم، ويبذلون لهم الودّ والمحبّة، كلّ هذا يظهر على السطح بعد إعلان عليّ بن أبي طالب(ص) وليّاً للأمر، واشتهاره بذلك بين المسلمين.

على أنّه المصداق الأعظم جلاءاً لأولي الأمر في المجتمع المسلم يومئذ. لا يلام المرء إذا ساء ظنّه بالمنافقين المحترفين، وعلم علماً يقيناً بأنّ إقامة العلاقات وعقد الروابط بينهم وبين أهل الكتاب ورؤوس المشركين من قريش والمنافقين العاديّين، إنّما كان على حساب المجتمع المسلم، ويرون ذلك خاصّاً بهم، ولايعدو الأمر أن يكون ذلك كلّه روابط سياسيّة تؤدّي إلى هذه الغاية، كما سوف يثبت ذلك أكثر وأكثر القسم السادس عشر من الكتاب.

القسم السادس عشر من هذا الكتاب:

ويختصّ ببيان الروابط السياسيّة للمنافقين المحترفين مع الفرق الأخرى، وقسّمناه إلى ثلاثة مقاطع:

المقطع الأوّل: مناقشة نموذج من الآيات التي يستنبط منها الارتباط السياسيّ بين المنافقين المحترفين وفريق مشركي قريش.

وفي هذا المقطع ناقشنا سورة «محمّد(ص)» مناقشة دقيقة، وحققنا ذلك تحقيقاً مركّزاً، لاسيّما الآيات (٢٠) إلى (٣١) من تلك السورة، وظهر لنا أنّ المنافقين المحترفين من أجل السبق إلى اغتصاب الخلافة فقد تبانوا مع مشركي قريش، لاسيّما الفرع الأمويّ منهم.

وفي ختام الآيات (٣٢) إلى (٣٥) نفس السورة بان لنا تعيين واجب المؤمنين تجاه فريق المحترفين، ورأينا لغة الوحي تأمر المؤمنين صراحة بالأمر التالي:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَن يَضُرُّوا اللهَ شَيْئاً وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلاَ تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ * فَلاَ تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ وَاللهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴾(١).

(١) محمّد، ٤٧: ٣٢ ـ ٣٥.

المقطع الثاني: مناقشة نموذج من الآيات التي يستنبط منها الارتباط السياسيّ بين المنافقين المحترفين والمنافقين العاديّين.

في هذا المقطع ناقشنا آيات من سورة «المجادلة»، وبدأنا بتحقيق موجز عن الآيات في أوّل سورة «الأحزاب» المختصّة بقضيّة الظهار، بعد ذلك عرّجنا على الآيات الأربع الأولى من سورة «المجادلة» التي تلغي أحكام الظهار وبحثناها، ثمّ بعد ذلك بحثنا الآيات (٥) إلى (١٣) من نفس السورة التي أثبتت المحادّة والنجوى﴿**بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ**﴾تدور حول نفس المعصية التي تبانى من أجلها المنافقون مع المشركين القرشيّين، وجاءت في سورة «محمّد(ص)» تحكي عنهم وتشير إلى سرّ هذا التباني، وهو النزو على كرسيّ الحكم، وهي عبارة عن الانحراف بمجرى الخلافة وزعامة المسلمين عن أهل بيت النبيّ(ص).

ثمّ بالتحقيق الدقيق للآيات (١٤) إلى(٢٣) من سورة «المجادلة» ثبت لدينا الارتباط السياسيّ الوثيق بين المنافقين المحترفين والمنافقين العاديّين، وعرفنا أنّ تقدّم المنافقين المحترفين في غصب الخلافة وحرمان أمير المؤمنين(ع) منها، ومن إمامة المسلمين، مضافاً إلى كونه معلولاً لارتباطهم السياسيّ مع الكفّار والمشركين، فهو بنفس الدرجة معلولاً لارتباطهم مع فريق المنافقين العاديّين، حيث رأينا كيف طويت صفحة المنافقين مرّة واحدة بعد وفاة النبيّ(ص) ووثوب أبي بكر بن أبي قحافة على الحكم، ودفت في تاريخ حكومة الخلفاء!!

وفي ختام هذا التحقيق ذي الصلة بهذا المقطع فقد اتّضح لنا أنّ لفظ «حزب الله» في اصطلاح القرآن المجيد الخاصّ لايطلق إلاّ على الشيعة ومحبّي أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب(ع) خاصّة.

المقطع الثالث: مناقشة نموذج من الآيات التي يستنبط منها ارتباط المنافقين المحترفين مع أهل الكتاب (اليهود والنصارى) وكشف ذلك.

وفي هذا المقطع المختصّ بمناقشة الآيات (٥١) إلى (٥٦) من سورة«المائدة»، ابتدأنا تحقيقاً موجزاً لتعيين الحدود الزمانيّة لسورة «المائدة»، وبعد ذلك واصلنا البحث حول الآيات الثلاث الأولى ـ الآيات (٥١) إلى (٥٣) ـ المرتبطة بمعرفة المنافقين المحترفين (فريق ﴿ **الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ** ﴾)، وحققنا ذلك.

وفي هذا التحقيق البدويّ تجلى لنا أنّ المنافقين المحترفين مضافاً إلى ارتباطهم السياسيّ مع كفّار قريش وكذلك المنافقين العاديّين، فقد مدّوا يد الطلب إلى عدد من شخصيّات أهل الكتاب، وتبانوا معهم على أمر هو سرّ من الأسرار.

بعد ذلك جرى بنا البحث إلى الآية الرابعة من الآيات مورد البحث (٥٤) فظهر لدينا أنّ آيات القرآن المجيد من أوّلها إلى آخرها لم تذكر ما ذكرته هذه الآية، فقد انفردت وحدها دون بقيّة الآيات القرآنيّة بذكر «المحبوبيّة الذاتيّة» لفريق أسبغت عليه هذه الصفة واعتبرته في نفس الوقت من أتباع رسول الله(ص) حقاً، وأثبتنا بالدليل والبرهان أنّ هذا الفريق لايعدو المعصومين من آل

محمّد(ع)، ولاينطبق الوصف على غيرهم.

أجل، إنّ وصف محمّد وآل محمّد(ع) بالمحبوبيّة الذاتيّة لله تعالى صفة من أجلّ صفاتهم، وأعلى كمالاتهم، وأعظمها امتيازاً، وهي أصل أصيل لسائر فضائلهم وكمالاتهم، ولايشاركهم فيها أحد أبداً، وإن كان نبيّاً من الأنبياء أو رسولاً من المرسلين.

ثمّ شرعنا في البحث الخاصّ بـ «آية الولاية»، وهي الآية الخامسة من الآيات المعروضة للبحث، وقادنا البحث إلى العلم بأنّ مصداقها الواقعيّ ابّان نزولها ليس غير أمير المؤمنين(ع) من أحد، وأنّ موضوع تصدّقه بالخاتم في حالة الركوع ليس لها إلاّ جنبة الدلالة والعنوانيّة والإشارة العينيّة إليه، ولايشكل التصدّق بالخاتم مورداً من موارد رفعته أو علوّ رتبته.

وأخيراً عمدنا إلى التحقيق النهائي لمجموع الآيات التي عرضناها للبحث، وهي الآيات (٥١) إلى (٥٦) من سورة «المائدة»، وكشفنا السرّ الأصليّ في ارتباط المنافقين المحترفين بأهل الكتاب، وظهر لدينا أنّ سرّهم الخفيّ، والغائر في أعماق واقعهم في هذا الارتباط هو اتّفاقهم وتوافقهم على حرمان عليّ بن أبي طالب(ع) من الإمامة وزعامة المسلمين على الوجه التالي:

ظهر لنا بشكل جليّ من التحقيق والبحث في المقاطع الثلاثة أنّ ارتباط المنافقين المحترفين مع سائر الفرقاء المختلفين من قبيل: الكفّار والمشركين، المنافقين العاديين، أهل الكتاب، كان على أساس هدف واحد ويدور حول نقطة مركزيّة واحدة، وهي عبارة عن تغيير

مجرى الخلافة والإمامة عن أهل بيت النبيّ(ع)، ورأيناهم كيف استطاعوا بلوغ هذا الهدف.

القسم السابع عشر من الكتاب:

بحث الآية الشريفة وتحقيقها: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً﴾ (١)، والآية الشريفة: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (٢)، وخصّصنا الآيتين بالبحث ليعلم أنّ مفاد الآيتين الشريفتين ومضمونهما واحد، وليسَ فيهما نفع للمنافقين المحترفين ، بل الأمر يتمّ بضررهم وإبراز هويّتهم المتداعية، وبناءً على هذا فانّ البحث والتحرّي ذا الصلة بالقسم السابع عشر قد تمّ تعقبه بمقطعين تاليين:

المقطع الأوّل: بحث وتحقيق الآية (١٨) من سورة «الفتح».

المقطع الثاني: بحث وتحقيق الآية (١٠٠) من سورة «التوبة».

وفي المقطع الأوّل لمّا كانت الآية (١٨) من سورة «الفتح» قد نزلت حول أحداث بيعة الشجرة التي كانت قد حدثت في صلح

---

(١)الفتح ٤٨: ١٨.
(٢)التوبة ٩: ١٠٠.

الحديبية، ابتدأنا أوّلاً بذكر حديث الحديبية أخذاً من مجموع روايات أهل العامة لكي نهيّئ المناخ الصالح لبحث الآية وتحقيقها، وظهر لنا من البحث القرآنيّ المتّصل بالموضوع الأمور التاليّة:

١ـ ليست البيعة دستوراً شرعيّاً، ولا حكماً إلـهيّاً، كالصلاة والصيام والزكاة وغير ذلك، ولأنّها مأمور بها من الله سبحانه، وإنّما هي ظاهرة اجتماعيّة، وسنّة قبليّة، وتقليد من تقاليدها، وقد أمضاها الإسلام في ظروف خاصّة عندما تعجز الوسائل عن ترويض الفرد وحمله على طاعة الله ورسوله، وجعلها شعبة من شعب العهود والمواثيق، وأثبتت الآية الشريفة: ﴿**إنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أيْدِيهِمْ فَمَن نَكَثَ فَإنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَن أوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أجْراً عَظِيماً**﴾ (١) أنّ البيعة بما هي بيعة بمفهومها العاملا خطر لها، سواء كانت مع النبيّ(ص) أو الإمام المعصوم(ع)، ولا تدلّ على كمال المبايع، وإنّما العبرة في البيعة هي الأخذ على نفس المبايع بالالتزام بما تعاهد عليه الله وأوفى بعقده وعهده.

٢ ـ ما ألمحت إليه الآية الشريفة: ﴿**هُوَ الَّذِي أنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إيمَاناً مَعَ إيمَانِهِمْ وَللهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ وَكَانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً**﴾ (٢) إلى الآية المعروضة للبحث ـ (١٨) من سورة «الفتح» ظهر لنا مضافاً إلى الشرط المتقدّم، أنّ رضا الله وقبوله لأصحاب تلك البيعة إنّما هو مشروط بالإيمان

---

(١) الفتح ٤٨: ١٠.
(٢) الفتح ٤٨: ٤.

الواقعي للمرئ.

وعلى أساس ذلك يكون رضا الله وقبوله لكلّ واحد من أصحاب بيعة الشجرة مشروطاً بأمر هو: أن يبقى المرء من جهة مزيّناً حدوثاً وبقاءاً بالإيمان الواقعيّ، ومن جهة أخرى يظلّ وفيّاً ما دام حيّاً للبيعة التي بايعها، ولا يخيس بوعده أو يثلم ميثاقه الذي واثق الله عليه.

وبناءً على هذا، فإنّه من الخيال الموهوم أن يظنّ الظانّ بأنّ كلّ مَن شارك في بيعة الشجرة مع رسول الله(ص) يشمله رضا الله وقبوله بصفة عامّة بلا قيد أو شرط، وينسحب ذلك على كلّ فرد منهم (أعمّ من كون إيمانهم إيماناً واقعيّاً، أو لا، أوفوا بعهدهم أم خاسوا بذلك العهد، وحافظوا على المواثيق أم نكثوا بها)، وأنّهم من أهل الجنّة على كلّ حال، فإنّ هذا رأي مائل، وقول واه واعتقاد باطل.

٣ ـ عند الأخذ بنظر الاعتبار ما أشرنا إليه فقد تمّت البرهنة على ذينك الشرطين، وهما: ليس أحد من أعضاء فريق المنافقين المحترفين الذين شاركوا بالبيعة تحت الشجرة وبايعوا رسول الله(ص) ظاهراً تحت الشجرة كسائر المبايعين، وفعلوا بالبيعة فعل المؤمنين، فهم غير مشمولين لرحمة الله ولالرضاه أو قبوله، الذي وعد الله المبايعين عليه، لعدم انطباق الشرطين على بيعتهم كما أثبتناه.

وفي ختام البحث من هذا المقطع كشفنا السرّ الأصلي عن وضع سورة «الفتح» بين سورتي «محمّد(ص)» و «الحجرات»، وتعرّفنا إلى بعض وجوه المنافقين المحترفين المذكورين في سورة

«الحجرات» عند بحث الآيات الأول من السورة.

المقطع الثاني: في هذا المقطع الخاصّ بمناقشة الآية الشريفة: ﴿**وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾(١)، وابتدأنا أوّلاً باستخراج المفهوم للجزء من الآية:«السابقون الأوّلون»«المهاجرون»«الأنصار»«الذين اتّبعوهم بإحسان...» من معاني الآيات القرآنيّة، ثمّ عمدنا إلى تعيين مفاد البحث، وفي تعيين المفاهيم السالفة ظهر لنا: أنّ الآية المذكورة كانت بصدد تعريف «السابقون الأوّلون» من أمّة خاتم النبيّين(ص)، ولمّا ثبت لدينا بالبرهنة الصحيحة أنّ فريق «السابقون» هم الأعلى والأسمى من أصحاب اليمين بالطبع ثبت على أثر ذلك أنّ الآية الشريفة﴿**وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ**﴾لاتشمل المنافقين المحترفين. ليس هذا فحسب، بل شمولها للمؤمنين متوسّطيّ الحال ممتنع، ثمّ بتعمقنا في البحث والتحقيق أكثر وأكثر في الآية مورد البحث وجدنا أنّ مصاديقها الحقيقيّة بالضرورة هم محمّد وآل محمّد(ص)، وليس أحد غيرهم، وجعل مفهومها البدويّ يشمل المتقدّمين من الأمّة هو تصوّر ساذج وفهم خاطئ، وهو أقرب إلى فهم العوامّ السذج.

---

(١)التوبة ٩: ١٠٠.

وفي ختام هذا القسم من الكتاب حول اختيار الآيتين المعروضتين للبحث قلنا في تحقيقهما: من البديهيّ العلم بأنّ تخصيص القسم السابع عشر من الكتاب الحاضر لمناقشة الآيتين الشريفتين: ﴿**لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِالْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ...**﴾ (١)، و: ﴿**وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ**﴾ (٢) من أجل حضورهما الذهنيّ الخاصّ عند أغلبيّة المسلمين في الماضي والحال من العالِم وغيره، والانطباعة الخاصّة عنهما في نفس كلّ مسلم، حتّى ذهب المسلمون أنَّ هاتين تشملان كلّ مبايع بيعة الشجرة، أو كلّ من دخل تحت مفهوم «المهاجرون والأنصار» إلى درجة صنّفوا المنافقين المحترفين بها في هذا السياق، لاسيّما رؤساؤهم وكبراؤهم وعدوّهم أيضاً ممّن يشملهم رضا الله تعالى، وتتناولهم «آية الرضوان» وبيعة الشجرة، وكذلك نالوا قسطاً وافراً من الفضائل المذكورة في آية «السابقين» الأوّلين من المهاجرين والأنصار.

وفي مناقشة الآيتين السالفتين -بخاصّة الآية الشريفة: ﴿**وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ**﴾وقد استخرجنا مفهوماً من ألفاظها واحداً واحداً مع ملاحظة النسبة بين آيات القرآن المجيد وثبت لدينا: أنّ لغة الوحي اتّخذت طريقاً خاصّاً في وضع الاصطلاح الذي يفيد المعاني

---

(١) الفتح ٤٨: ١٨.
(٢) التوبة ٩: ١٠٠.

المقصودة بالنظر لها، واستعملت ألفاظاً خاصّة في اطار معانيها المخصوصة، ولم تعتبر بالانطباعة الذهنيّة عنها في محيط استعمالها، بل لم تقبلها على أساس من هذه الانطباعة.

أجل، من هنا من حيث أنّ كلام الوحي يظهر الماضي العينيّ للعالم والإنسان، وهذا الغيب استخفى عن الخلائق كلها. إذن فالشارع المقدّس الذي استعان بالألفاظ الرائجة بين الناس من ثمّ رأى من اللازم أن يتّخذ أسلوب وضع الاصطلاح، وإلاّ فمن الواضح أنّ كشف المستور لايتمّ في استعمال الألفاظ المستهلكة بين الناس!

القسم الثامن عشر من الكتاب:

ويختصّ بمناقشة آيات سورة التوبة، وابتدأنا البحث بآخر ما أنزل من السورة، واستخلصنا النتيجة النهائيّة على النحو التالي:

مع استحضار أنّ سورة «التوبة» وسورة «المائدة» كليهما نزلتا آخر عمر النبيّ(ص)، وكذلك مع استحضار أنّ فعاليّات المنافقين ـ لاسيّما المحترفون منهم ـ قد تكاثفت في تلك الأيّام أكثر من سابقتها، كما تشهد بذلك سورة «التوبة» نفسها، فإنّ النظريّة الصحيحة عن آيات هاتين السورتين لاتعقل إلاّ على هذه الصورة:

إنّ الآيات التي نزلت في الأشهر الأخيرة من عمر النبيّ(ص) لمّا كانت مرتبطة بالأحكام والفرائض الدينيّة، أو أنّها تختصّ بأهل الكتاب واعتقاداتهم، فقد جمعت في سورة «المائدة»، ولكنّ الآيات المختصّة في المشركين ووقوفهم في وجه الإسلام، وتعويقهم لمسيرة

دعوته، أو في المنافقين وما يجري على أيديهم من شرور الأعمال، فإنّها نزلت في سورة «التوبة» بعد هذه المقدّمة، فقد عدنا إلى سورة «التوبة» وناقشنا آياتها في منظومة خاصّة وضعناها لها، وحققناه على الترتيب المذكور أدناه:

١ ـ في هذه المنظومة: الآيات (١) إلى (٣٧) من سورة «التوبة» التي نزلت في البرائة من المشركين وإعلان الجهاد عليهم وقتالهم، والآيات الأولى منها ينبغي أن تبلغ لهم في ذي الحجّة السنة التاسعة من الهجرة في موسم الحجّ، وقد تمّت مناقشتها، وظهر بهذا السرّ الأصيل من عزل أبي بكر عن التبليغ ووضع عليّ(ع)مكانه.

وقلنا في بيان هذا السرّ الأصيل: من هنا حيث الأداء الأصليّ لتكاليف الرسالة (مثل: التبليغ البدويّ لآيات الوحي، والبيان البدويّ لأحكام الدين) لايتأتّى إلاّ من شخص رسول الله(ص) أو رجل يشبهه في الطهر والعصمة، وهو بمنزلة نفسه، ولايمكن أن يؤدّيه غيرهما.

من هذه الجهة عزل الوحي أبا بكر من ذلك المنصب ونصّب مكانه عليّاً الذي تشهد له «آية التطهير» و «آية المباهلة» و «آية الولاية» وغيرها أنّه محلّ للعصمة الذاتيّة، وهو بمنزلة نفس النبيّ(ص)، وأمره بأداء هذه المهمّة.

٢ ـ في هذه المنظومة ناقشنا الآيات المختصّة بغزوة تبوك، وقد أوضحنا النتائج العامّة، وكذلك السرّ الأصليّ في استخلاف عليّ بن أبي طالب(ص) على المدينة مكان النبيّ(ص) بما يلي:

من مناقشة مجموعة الآيات المرتبطة بغزوة تبوك يتّضح لنا:

أوّلاً: لم يشارك في هذه الغزوة المنافقون العاديّون من أهل المدينة والأعراب سكّان البادية وحواليها، لأنّ في سفر كهذا بعيد الشقة وكثير المتاعب ليس لهم فيه مطمع، وكذلك من شريحة المؤمنين بالإسلام إلاّ عدّة معدودة من المؤمنين الحقيقيّين الواقعيّين الذين سلّموا أمرهم إلى رسول الله(ص) وأعطوه بيده زمام القيادة، وهؤلاء فحسب شاركوا في غزوة تبوك من بين سائر المؤمنين.

وبناءً على هذا ثبت لدينا أنّ ما قصّته علينا روايات الفريقين من كثرة جمعيّة المسلمين الحاضرين في غزوة اُحُد، وأنّهم كانوا قد بلغوا ثلاثين ألفاً، ما هو إلاّ كذب محض، ولاينسجم هذا العدد الكبير مع البحث القرآنيّ المذكور، وكذلك لاتسمح لنا بقبول ذلك للظرف الزماني والمكاني لتلك الوقعة.

من جهة اُخرى: لمّا نفى البحث القرآنيّ ـ مارّ الذكر ـ حضور المنافقين العاديّين في ذلك السفر فإنّه من الطبيعيّ أنْ يظهر جليّاً أنّ «حادثة العقبة» التي وقعت في طريق العودة من تبوك، وكانت فئة من الناس قد قصدت رسول الله(ص) بالاغتيال، إنّما هذه الفئة هم المنافقون المحترفون لاغيرهم، ولايجوز أن يتّهم غيرهم. وهذا الفريق الذي نجم قرنه في مكّة في اُولى مراحل الإسلام، واستطاع بالمكر أن يتغلغل في المجتمع المسلم، قد كان يتظاهر الفرد منهم بأنّه المسلم الواقعيّ، ويتزيّا بزيّ المؤمنين الحقيقيّين كامليّ الإيمان.

ثانياً: لمّا علمنا من خلال بحث الآيات المرتبطة بغزوة تبوك أنّ المنافقين العاديّين من أهل المدينة وأعراب البادية المحيطين بها

رفضوا دعوة النبيّ(ص) للخروج معه إلى غزوة تبوك، وبقوا جاثمين في المدينة (مركز نشر الإسلام) وظنّوا ظنّاً قويّاً أنّ النبيّ(ص) والمؤمنين سوف يقضى عليهم تماماً في حربهم مع قوّات الروم، وكانوا يتشوّقون إلى هذا اليوم، ويعدّون العدّة له وينتظرونه.

ومن جهة أخرى، أنّ المدينة خلت من المدافعين بعد خروج المؤمنين الواقعيّين مع رسول الله(ص)، ومَن بقي في المدينة من المسلمين هم ضعفاء الإيمان، ولايهمّهم الإسلام قام أو قعد، انتصر أم انهزم.

ومن الطبيعيّ أن يتبادر إلى أذهان المسلمين هذا السؤال، وهو: أنّه في ظروف كهذه الظروف وأوضاع كهذه الأوضاع، ما هو مصير نواميس المسلمين، وكيف يحرسونها أو يحفظونها؟ أم كيف بمركز نشر الإسلام ومَن الذي يتكفّل بالدفاع عنه وحمايته؟ وما هي الإجراءات التي اتّخذها النبيّ(ص) لملأ هذا الفراغ؟ ومَن صاحب الكفاءة هذا الذي يسلّم إليه مقاليد المدينة في غيابه؟

وفي الجواب على هذه التساؤلات تمّ الكشف عن السرّ الأصليّ في استخلاف عليّ(ع) على المدينة مكان النبيّ(ص)، ورأينا أنّ قدح المنافقين في هذا الاستخلاف استوجب صدور «حديث المنزلة» بشأن أمير المؤمنين (سلام الله عليه) وببقائه في المدينة بعد النبيّ(ص)، أمن الناس من خطر المنافقين، وحفظت نواميس المسلمين، وأمنت من شرّ العدوّ.

٣ ـ في هذه المنظومة تمّ بحث بقيّة الآيات من سورة «التوبة» التي تختصّ ببيان مراتب المنافقين وأقسامهم وتعيين ميزان خبثهم، بل خبث كلّ فرقة منهم، وبعد أن ذكرنا موجزاً من علل النفاق الأصليّة (التي مرّ ذكرها مفصّلاً في «القسم الرابع» من الكتاب، ومرّت خلاصة لها في الرقم (٤) من هذا الكتاب أيضاً)، فإنّ بحث الآيات ذات الصلة بالموضوع كانت على النحو التالي:

* الآيات (٤٩) إلى (٥٧) من سورة «التوبة» ترتبط بتلك الفرقة من المنافقين العاديّين الذين كانت علّة نفاقهم منحصرة بـ «الحرص والطمع».

* الآيات (٦١) إلى (٧٤) من سورة «التوبة» رأينا كيف عبّرت عنهم لغة الوحي بالأسماء التالية: ﴿**الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ**﴾، ﴿**وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ**﴾، ﴿**مَن يُحَادِدِ اللهَ وَرَسُولَهُ**﴾، ونكتة «حبط الأعمال» التي هي من أبرز خصوصيّات الفريق ﴿**الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ**﴾، فقد ثبتت لهم هذه الأسماء على النحو الذي ذكرناه.

* الآيات (١٠٧) إلى (١١٠) من السورة نفسها ترتبط بالمنافقين الذين كان نفاقهم مقاماً على أساس الزندقة وهزيمة الإسلام، وإيجاد الفرقة بين المسلمين.

أجل، لقد ألممنا بحادثة «العقبة» من خلال مناقشتنا للآيات الأخيرة، وظهر لدينا أنّ النبيّ(ص) في عودته من تبوك وقبل وصوله إلى المدينة تعرّض للاغتيال من قِبل المنافقين المحترفين.

٤ ـ وفي هذه المنظومة ـ بعد بحث سبع آيات من سورة «التوبة» آخرها ـ تجلى لنا أشدّ تكاليف المؤمنين أزاء فريق المنافقين المحترفين، وعلمنا أنّ الآيات المزبورة ـ بخاصّة الآية (١٢٣) منها ـ أصدرت الأمر بقتال المنافقين المحترفين، وأذنت للمؤمنين بقتلهم وقتالهم، لأنّهم كفّار لادين لهم، وقلنا هنا: إنّنا نرى رسول الله(ص) مع نزول الآيات أعلاه لم يقاتلهم، ولم يجاهد المنافقين المحترفين من أجل أنّها نزلت والنبيّ(ص) في آخر أيّام عمره الشريف، وأنّه يعاني من أزمات المرض، وقد ألزمه الفراش ولم تواته الفرص لشنّ الحرب عليهم.

والواقع أنّ الآيات أعلاه في الأعمّ الأغلب ناظرة إلى بيان تكاليف المؤمنين في قبال ذلك الفريق، حتّى لا يوافقوهم ولا يصادقوهم ولايصالحوهم ولا يجالسوهم على خوان واحد كي لا يغتصبوا الخلافة التي هي حقّ مسلم لعليّ بن أبي طالب(ع).

والحقّ أنّ الآية الشريفة: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ**﴾(١) هي في صفّ الآية الشريفة: ﴿**فَلاَ تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ وَاللهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ**﴾(٢)، وفي صفّ الآية الشريفة: ﴿**الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ**﴾(٣)، مع هذا الفارق، وهو أنّ لتلك الآيات

(١) التوبة ٩: ١٢٣.
(٢) محمّد ٤٧: ٣٥.
(٣) المائدة ٥: ٣.

جانب التنبيه على الأكثر للمؤمنين كي لايتساهلوا مع المنافقين، أو يلينوا لهم، أو يجنحوا إلى السلم معهم.

ولكن هنا ـ وفي هذه الآيات بالذات ـ يصدر الأمر رسمياً بقتالهم والحرب معهم..

وقلنا في ختام القسم الثامن عشر عن النظام التركيبيّ لآيات سورة «التوبة»، ومثل ذلك يقال في درجها بسورة «الأنفال» وانضمامها إليها، وفوق هذا وذاك عن النظام الترتيبيّ الخاصّ بالسور الطوال يتجلى لدينا باعتبار أنّ زمان نزول «آيات البراءة» قبل موسم الحجّ بمدّة وجيزة وهي السنة التاسعة للهجرة.

ومن المقطوع به أنّ «غزوة تبوك» كانت قد وقعت قبل ذلك، وإذن لو أنّ النظام التركيبيّ لآيات سورة «التوبة» كان قد نظم بصورة طبيعيّة لكان ينبغي أن توضع الآيات ذات الصلة بغزوة تبوك قبل آيات البراءة، بينما نراها في النظام التركيبيّ الدارج قد وضعت بعدها.

من جهة أخرى، أنّه من المقطوع به أنّ سورة «الأنفال» وسورة «التوبة» قد نزلتا منفردتين إحداهما عن الأخرى، وكانت سورة «الأنفال» من السور الأوائل التي نزلت في المدينة، وبعكسها سورة «التوبة» فهي من السور الأواخر التي نزلت في المدينة، وهنا يأتي سؤال ملحّ يفرض نفسه، وهو: لماذا كانت سورة «الأنفال» في التنظيم الفعليّ للقرآن قبل سورة «التوبة»، ولم يفصلوا بينهما بالبسملة، واعتبروا السورة بالانضمام إلى بعضهما البعض من السور الطوال،

وحشروهما بين سورة «الأعراف» وسورة «يونس»؟!

أليس جامعو القرآن -وهم الحزب الحاكم نفسه- قد نظموا السور بناءً على الطول والقصر، وعدد الآيات في كلّ سورة منها، ولماذا وضعت سورة «الأنفال» -وهي تحتوي على (١٧٥) آية- في غير موضعها، وتقدّمت على سورة «التوبة» التي تحتوي وحدها على (١٢٩) آية، وينبغي أن تعدّ وحدها من السور الطوال، ولكن ألحقوها بالسور الطوال منظمّة إلى سورة «الأنفال» وجعلوهما معاً سورة واحدة من السور الطوال؟!

وفي الجواب على هذا السؤال، وجدنا لذلك جهتين:

إنّ جامعيّ القرآن لمّا وجدوا الآيات (٦١) إلى (٧٤) من سورة «التوبة» اختصّت بذمّ رؤوس المنافقين المحترفين وتوبيخهم، وهم أنفسهم أصحاب القرار والسلطة، وكذلك النصف الأكبر منها اختصّ في ذمّ المنافقين العاديّين وتوبيخهم، والأكثريّة من ضعفاء الإيمان يؤيّدون بصفة عامّة سياسة حزبهم، وقد نزلت السورة على أساس ذمّ هؤلاء وهؤلاء وتقريعهم، فهم من أجل إضاعة هذا الطابع الموجود في السورة بدأوا بضرب النظام الطبيعيّ لآيات سورة «التوبة»، فقدّموا آيات البراءة وسائر الآيات التي تنتظم معها بنسق ومجموعها (٣٧) آية على سائر آيات السورة كلّها، ثمّ استثمروا موضع تلكم الآيات الدالّة على البراءة من المشركين والتنفير منهم، وإعلان القتال معهم، واستفادوا منها بعد أن خلطوها بسورة «الأنفال»، وهي كذلك تتّصل بالقتال مع الكفّار والمشركين المغلوبين في غزوة بدر وألحقوها بها،

وحذفوا البسملة الفاصلة بين السورتين، فظهرتا وكأنّهما سورة واحدة، وصارا بانضمام إحديهما للأخرى من السور الطوال كي لاتثير اهتمام قارئ القرآن الآيات الخاصّة بالمنافقين بعد أن يأنس ذهنه بقراءة آيات سورة «الأنفال» مع (٣٧) آية من أوّل سورة«التوبة»، ولا يجد للآيات الخاصّة بالمنافقين المحترفين ذلك الوقع الذي يجده لو أنّه تلاها مستقلّة.. وأيضاً يحمل الكفر المنكور في تلك الآيات على الكفّار الاصطلاحيّين، يعني المشركين.

القسم التاسع عشر من الكتاب:

وهو يختصّ ببحث الآيات الاستثنائيّة من سورة «المائدة».

في البحث والتحقيق حول الآيات (٥٤) إلى (٥٦)«آية الولاية» و (٦٧)«آية التبليغ، والجزء الوسط من «آية الإكمال» توصّلنا إلى أنّ: هذه الآيات متّصل بعضها بالبعض الآخر اتّصالاً تامّاً، وكلّها تختصّ بموضوع افتراض «الولاية» وقبول إمامة أمير المؤمنين وأولاده الطاهرين(ع) بخاصّة «آية التبليغ» و «آية الإكمال» لإثبات العهد والميثاق على ولاية أمير المؤمنين(ع) وإمامته في «حادثة غدير خمّ»، ثمّ نكرنا بعد نلك أصل الواقعة، أي واقعة الغدير، وقلنا في ختام الحكاية:

إنّ رواة حديث الغدير من أصحاب رسول الله(ص) ما تزال رواياتهم تروى في كتب أهل السنّة ومتون ماثلة في صحاحهم

ومسانيدهم إلى يوم الناس هذا، وقد نيفوا على المائة، وما من حكم من أحكام الإسلام، سواء اكان أصلاً أو كان فرعاً، له مثل هذا العدد من الرواة، ويكفي أن يدقّق المرء في «واقعة الغدير» ليعرف معنى الولاية المذكورة في الحديث، ولا حاجة إلى الرجوع للكتب المطوّلة من كتب علم الكلام لفهم معناها، والذي يسهّل هذا المطلب على ملاحظه أن يأتيه الانسان بذهن خال من اي مسبقات ذهنية عنه، ثمّ يلاحظه ملاحظة حياديّة، وينظر في متنه نظر الإمعان والدقّة والتمرّس كي يعلم ما الذي يفهمه من معناه.

ومن المقطوع به أنّ باحثاً كهذا يُلمّ لا محالة بأنّ هذه الولاية الواردة في متن الحديث هي الولاية عينها الثابتة لرسول الله(ص) على أمّته، وهي واجبة القبول والرعاية على المؤمنين كلّهم في حدودها، وهم مكلّفون بالولاية والمحبّة والودّ لله ورسوله، ومثل ذلك الشخص الذي تحوّلت إليه هذه الولاية.

أجل، من الواضح أنّ الحبيب ليست ولايته وحكمه على ظاهر شخصه أي ولاية ظاهرية، بل ينبغي أن تكون ولايته وحكومته وقيادته شاملة لوجود المحبوب، أي في أعماق الولاية المتوخاة دون أنْ تكون في الظاهر فقط.

ثمّ طبّقنا بعد ذلك أصل واقعة الغدير طبقاً للبحث القرآنيّ وقلنا: إذا ما أردنا تصوّر واقعة الغدير طبقاً للبحث القرآنيّ المتقدّم، فإنّه من المحتّم علينا أن ندرك بأنّ نصب أمير المؤمنين(ع) للخلافة في واقعة كهذه الواقعة مؤصّل على أصول سبعة مرعيّة خلا أنّ الروايات

ـ وذلك ممّا يؤسف له ـ كانت قد أهملت عمداً تلك الأصول واكتفت بذكر أصل واحد، وهو الجملة المعروفة: **«مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه...»**.

ثمّ رأينا أنّ خير روايات أهل العامّة التي كانت في هذا الموضوع نصب أعيننا هي الرواية التي ذكرها صاحب الغدير أخذاً من كتاب «الولاية في طرق حديث الغدير» لأبي جعفر محمّد بن جرير الطبريّ (المتوفى سنة ٣٦٠هـ).

ثمّ واصلنا الحديث بذكر قصّة منع الرواية عن النبيّ(ص) وكتابة حديثه في عهد الخلفاء الثلاثة وأيّام بني أميّة، وقلنا: من هنا ومن حيث يضرّ المنافقين المحترفين ويزلزل مخطّطاتهم، ويمحق سياساتهم، فقد منعوا من كتابة حديث رسول الله(ص) في حياته وبعد وفاته بمعاذير مختلفة، وشمل ذلك المنع «حديث الغدير» وأمثاله من الأحاديث التي تذكر فضائل أهل البيت(ع) أو نقائص أعدائهم الحاقدين، وقد استندت قصّة منع رواية حديث النبيّ(ص) أو كتابته إلى أعذار عاميّة، **فمرّة** يزعمون أنّهم يحذرون من الاختلاف الناجم عن ذلك، **وأخرى** يزعمون أنّهم يخافون من اختلاط الحديث بالقرآن فيعمّى الوضع عليهم، أو أنّ الناس ينشغلون برواية الحديث عن القرآن، **وثالثة** يردّدون مع الرؤوس الضالة الشعار الذي رفعوه لأنفسهم: «حسبنا كتاب ربّنا»، ومنعوا من رواية الحديث وكتابته منعاً باتّاً!

ولمّا وصل الدور إلى معاوية فقد بالغ في الصلف وأماط اللثام عن أهداف الحزب الحاكم بالشكل الرسمي في أوامره، وأصدر إلى عمّاله وحكّام الولايات مضموناً واحداً، وهو: المنع من رواية الأحاديث في فضائل عليّ بن أبي طالب وأهل بيته(ع) ومناقبهم، وفي مقابل ذلك رواية ما يشبهها للخلفاء الثلاث ومَن يواليهم عن لسان النبيّ(ص)، إذا ما علمنا أنّه في عهد معاوية وفي حكومته التي دامت تسعة عشر عاماً، وكان جهاز الوضع يمارس عمله جاداً كم وضعوا من الأحاديث التي بلغت الآلاف في فضائل الشيخين وعثمان ومعاوية نفسه وسائر الصحابة الذين يوافقونه في الرأي، ويتّفقون معه في الهدف، وينشرونها بين الناس؟!

وكذلك حين نقرأ التاريخ نرى فيه أنّ حكومة معاوية بدأت عهدها بسبّ الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب(ع) على منابر المسلمين، وامتدّ ذلك إلى عهد عمر بن عبدالعزيز، وكان رائجاً في البلاد، وأنزلوا نقمتهم بشيعة أهل البيت(ع)، وسنّوا لعنهم والبراءة منهم.

وانظر في وضع كهذا إلى العدد الهائل الذي أخفوه من فضائل أمير المؤمنين(ع) ومناقبه ومناقب أهل بيته.

وهذا أمرٌ طبيعي فيمن يحارب بهذا الشكل من أعدائه، وفي وضع كهذا الوضع وعندما تقرّر في القرن الثاني للهجرة رفع الحظر الذي فرضه الخلفاء على رواية الحديث وكتابته، وعمدوا إلى كتابة الكتب والجوامع الحديثيّة من أفواه الناس، فإنّ الأحاديث الموضوعة

كلها، سواءاً ما كان في الخلفاء وأصحابهم أو حزبهم، أو في معاوية وخاصّته، تجمع أيضاً مع الأحاديث الصحيحة ـ وما أقلها يومئذ ـ في تلك المجاميع والكتب، وفي مقابل ذلك تتناقص الأحاديث المرتبطة بفضائل أمير المؤمنين ومناقبه وأهل بيت العصمة والطهارة خاصّة «حديث الغدير»، ونظائره ممّا تدفع بصدور الشيخين وخلفاء بني اُميّة وبني العبّاس وتقصيهم عن الحكم، وتعتبرهم واحداً واحداً أهل باطل وادّعاء. ولاشكّ سوف يبتلى بمصير عجيب نراه من جهة قد اختفى من كتب الخلفاء الرسميّة مثل سيرة ابن هشام وصحيح البخاريّ وتاريخ الطبريّ وغيرها، وأضيع بشكل مريب بحيث لم يرد له ذكر، وهو حديث متقن ومتواتر.

ومن جهة أخرى، فالذين ذكروه من المؤلفين خلطوا سياقه الطبيعيّ وحذفوا أوّله وآخره، ورفعوا من صيغته الصدر والعجز، وأخفوا الظرف الزمانيّ والمكانيّ الذي أبلغ الحديث فيه بحيث ستر وجهه الجميل بنقاب صفيق!

وفي الفصل السابع من «القسم التاسع عشر» وضعنا بحثاً جذّاباً مفصّلاً بـ «النظام الترتيبيّ والتركيبيّ لسور القرآن المجيد وآياته»، وفي مراحله الثلاث شاهدنا خلاصة نتائجه على النحو التالي:

١ ـ إنّ النظام الترتيبيّ للسور في القرآن المتداول هو من فعل الحزب الحاكم لكي يخفي سيرته الحزبيّة وتنامي فعّاليّاته الحزبيّة أيضاً، والتي أفصح عنها النظام الترتيبيّ للسور بشكل واضح وصريح عن أعين الأمّة. هذا من جهة.

ومن جهة اُخرى، أراد الحزب الحاكم في النظام الترتيبيّ هذا للسور الطوال ـ التي استغرقت ما يقارب الأجزاء العشرة من القرآن ـ أن يصحّح سياسة الفتوح التي اعتمدها، وإعلان الحرب على الأمم المجاورة، وكذلك سياسته ضدّ أهل الكتاب وسياسته العنصريّة فضلاً عن عبادة الذات.

٢ ـ لقد تصرّف الحزب الحاكم هذا التصرّف في التقديم والتأخير للآيات والسور من أجل إخفاء آثاره القبيحة، وكذلك آثار خصومه ورقبائه الجميلة والمحمودة لأهل بيت العصمة والطهارة، فتصرّف في النظام الترتيبيّ للآيات الذي ارتبط بهذين الهدفين، وأخرج النظام التركيبيّ المتداول اليوم على هذا النسق.

٣ ـ ومهما كان من أمر النظام الترتيبيّ للسور ومثله النظام التركيبيّ لجملة من الآيات، فإنّه وإن كان بفعل الحزب الحاكم وتدخّله وتصرّفه، على أساس ذينك الجهتين اللتين قدّمناهما، وثبتا لدينا بشكلٍ قاطع، إلاّ أنّه ظهر للعيان أيضاً أنّ الحزب الحاكم مهما طالت جرأته في التصرّف بتركيب الآيات وترتيب السور، فإنّه لم يستطع بأيّ سبب من الأسباب أن يسقط سورة أو آية أو يضيفهما إلى باقي الآيات والسور بحال من الأحوال، بل سلبت منه القدرة حتّى على إضافة جملة وكلمة أو إسقاطهما.

٤ ـ ظهر لنا بما أنّ تصرّف الحزب الحاكم، لا سيّما في تغييره مواضع آيات «الإكمال» و «التبليغ» و «التطهير» انّ ذلك لا يلتئم مع الذوق السليم لأي إنسان من أهل اللسان.

أقول: ظهر لنا من خلال هذا التصرّف في النظام الترتيبيّ والتركيبيّ للآيات والسور القرآنيّة بأنّه قد تمّ بمنأىً عن نظر مسلمي الصدر الأوّل من الإسلام، وقد حمل على المسلمين بصفة مفاجأة وقسريّة.

٥ ـ من جهة ثانية، لمّا كان لرسول الله(ص) في زمن حياته دخل مباشر في تنظيم الآيات الشريفة وترتيبها ووضعها في مواضعها من السور القرآنيّة الكريمة لم يكن ليترك جمع الآيات من كلام الوحي بلا نظم أو ترتيب بعهدة الناس العوامّ الذين ليس لهم ثقافة مسبقة ولا ضابطة يسيرون على هديها، وحيازة كتاب الوحي بالصورة التي تناسب بيئته التي نزل فيها من مسلمات تاريخ الإسلام.

وبناءً على هذا، إذا لم يثبت بقواعد البحث التي مرّت أنّ النظام التركيبيّ لهذه الآية أو تلك أو لغيرها من الآيات هو من حيل الحزب الحاكم، فينبغي أن يعتبر عندئذ من النظام الطبيعيّ، وإلاّ فلا.

في الفصل الثامن من القسم التاسع عشر، وفي تحقيقنا لآيات سورة «الإنسان» ثبت لدينا مقام «الوساطة الفيضيّة» لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب وفاطمة الزهراء(ع) بالنسبة للأنبياء والمرسلين وسائر مقرّبي الأمم الماضية، ومع أخذ صلة النظم بين آيات الولاية مع بعضها البعض بنظر الاعتبار تثبت نفس الرتبة والمقام لمَن بعدهما من سائر الأئمّة المعصومين(ع).

وهذه هي خلاصة موجزة ومختصرة جدّاً للأقسام المتقدّمة من الكتاب الحاضر، وقد بان لنا فيها بشكل جيّد:

لمّا أطلقت لغة الوحي على المنافقين لفظ﴿الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ﴾لأنّهم بالنسبة لرسول الله(ص) لم تسلم قلوبهم، ولم يكونوا في ذاتيّاتهم من أهل المحبّة، من ثمّ كان إسلامهم لمآرب اُخرى من الأغراض الشخصيّة الأمراض النفسيّة، ومن أجل الوساوس الشيطانيّة التي كانت تدور في رؤوسهم، ولمّا شاهدنا لغة الوحي تحصر مركز خبثهم ولؤم طينتهم في معارضتهم للنبيّ وأهل بيته، لاسيّما التقدير والمباهاة لعليّ بن أبي طالب(ع) من رسول الله(ص) التي كان يجريها له بين الناس، ويرفع من قدره ويوصي المسلمين باتّباعه والسير وراءه، ظهر لنا بالطبع أنّ غرضهم الشخصيّ ومرضهم القلبيّ هو في وساوس الحكم والرئاسة، فهم دائبون في السعي لإيجاد مثابة لهم ولأصحابهم الحزبيّين في المجتمع المسلم لنوع من الرئاسة والتحكّم.

وبناءً على هذا الأصل نراهم في كثير من المشاهد يُظهرون أنفسهم بمظهر مَن يريد الخير للإسلام والمسلمين، ويسعى من أجله، ويُظهرون أنفسهم كذلك أنّهم ينحازون إلى جانب الله دائماً، وبكلّ آن، لاسيّما رؤوسهم المعروفة، فهم دائبون لإظهارهم بمظهر المناصر والمدافع عن الإسلام وحمايته، والاهتمام بشأن المسلمين ونصرتهم، حتّى يتمّ لهم بعد طيّ هذا الطريق المرموز التأثير على العوامّ، وخداعهم والنفوذ بين ظهرانيهم، واستحالوا بذلك إلى الوجاهة الدينية والاجتماعية المرموقة.

إنّ هذا الفريق لاسيّما الرئيسان المتبوعان منهم، حرصوا على هذا المظهر الإسلامي الخطير لإظهار أنفسهم بأنّهم أعوان الإسلام الحقيقيّين، وأنّهم بغاة الخير للمسلمين، حتّى لو أنّهم خالفوا رسول الله(ص) وردّوا أوامر حضرته، فإنّ عوام الناس من المسلمين لايحملونهم على النفاق.

ليس هذا فحسب، بل ربّما اعتبروا الحقّ بجانبهم من هذه الجهة، فإنّ الاعتراض عليهم ينبغي أن يكون من كلام الوحي، وحتّى من رسول الله(ص) نفسه، على سبيل الاحتياط التامّ، ولايمكن أن تتمّ معارضتهم بشكل صريح حذراً من هؤلاء العوامّ الذين خدعوا بهم.

وكان الأمر يجري على هذا المقتضى، وقد رأينا الآيات المختصّة بذلك الفريق إذا تكلّمت عنهم فبالإشارات والكنايات، ورأينا فيما تقدّم من هذا الكتاب أنّ هذا الفريق يوافق الإسلام موافقة جدّيّة بقدر ما تطابقت أحكامه مع هواه ولم تخالف توجهاته ونزعاته في الاستعلاء والتحكّم، ولعلّه يبدو أشدّ الناس غيرة على الإسلام بما يتصنّع به من أجل ذلك، ولكن إذا ما أقرحكم في الإسلام يضادّ هذه الوساوس والنوازع وخلجات النفس التي تراوده والأخيلة الشيطانيّة التي تتغامز في نفسه، أو جرت واقعة معاكسة للريح التي توجّه دفّته، فإنّه سرعان ما يبرز مقاوماً لهذا الحكم مقاومة شديدة وجادّة !

ورأينا فيما سبق أنّ القرآن الكريم عبّر عنهم بالتعابير التالية في مثل هذه المواقع: ﴿ **الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ** ﴾، ﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ** ﴾، ﴿ **مَن يُحَادِدِ اللهَ وَرَسُولَهُ** ﴾ ﴿ **الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللهَ وَرَسُولَهُ** ﴾،

وأمثال ذلك، وعندما تختصّ معارضتهم للإسلام وعداؤهم لله ورسوله، في عمق الإمامة والولاية لأمير المؤمنين(ع)ويصرّحون بذلك، فإنّ لغة الوحي تعبّر عنهم باسم المسلم الذي «ارتدّ» وكفر !

أجل، والذي استفدناه من البحوث السابقة في هذا الكتاب حول الأسماء المعروفة من رؤوسهم وتعريتهم هم كالتالي بأسمائهم وألقابهم وسلطاتهم وزعاماتهم ونذيّل الصفحة بأسمائهم، فهم:

١ ـ أبو بكر بن أبي قحافة (الخليفة الأوّل).

٢ ـ عمر بن الخطّاب (الخليفة الثاني).

٣ ـ عثمان بن عفّان (الخليفة الثالث).

٤ ـ عبد الرحمان بن عوف.

٥ ـ سعد بن أبي وقّاص.

٦ ـ طلحة بن عبيدالله.

٧ ـ الزبير بن العوّام.

٨ ـ أبو عبيدة بن الجرّاح.

٩ ـ عائشة بنت أبي بكر.

١٠ ـ حفصة بنت عمر.

١١ ـ أبو سفيان بن حرب.

١٢ ـ يزيد بن أبي سفيان.

١٣ ـ معاوية بن أبي سفيان.

١٤ ـ خالد بن الوليد.

١٥ ـ عمرو بن العاص.

١٦ ـ عكرمة بن أبي جهل.

١٧ ـ ضرار بن الخطّاب.

١٨ ـ صهيب بن سنان الروميّ.

١٩ ـ الوليد بن عقبة.

٢٠ ـ أسيد بن حضير.

٢١ ـ محمّد بن مسلمة.

٢٢ ـ بشير بن سعد الخزرجيّ.

٢٣ ـ عبدالله بن سلام اليهوديّ.

٢٤ ـ تميم الداريّ.

هذا الفريق المتعاون مع أفراد كثيرين من رؤساء عشائر المشركين والمنافقين العاديّين وأهل الكتاب الذين انضمّوا للمسلمين في أخريات أيّام النبيّ(ص)، ولهم مع رؤساء المنافقين قضايا خاصّة ظاهرة ومعلنة وخفيّة. ألّف حزباً واحداً وتعاونوا وساعد بعضهم البعض في وضع الخطط ضدّ النبيّ(ص) وأهل بيته، وساند بعضهم بعضاً، والحوادث التي وقعت مقارنة لوفاة النبيّ(ص) ومن بعد ذلك كانت من صنع أيديهم.

والآن بعد أن حزنا هذه المجموعة من سوابق القوم وتاريخ المنافقين في القرآن المجيد، نذهب إلى تحقيق الحوادث التي وقعت مقارنة لانتقال النبيّ(ص) إلى الرفيق الأعلى، والحوادث التي وقعت من بعده، ونناقشها مناقشة موضوعيّة لكي يثبت لدينا أنّ جميع الوقائع التي وقعت وجميع الحوادث التاريخيّة التي داهمت الإسلام بعد وفاة النبيّ(ص) تؤيّد جميع المطالب التي حصلنا عليها من بحوثنا القرآنيّة في هذا الكتاب.

والحوادث التي قارنت وفاة النبيّ(ص) والوقائع التي وقعت بعدها هي بالترتيب التالي:

«بعث أسامة»، «مرض النبيّ(ص)»، «وفاة رسول الله(ص)»، «حديث السقيفة»، «الهجوم على بيت الزهراء(ع)»، «مصادرة أموال أهل البيت(ع) ومنع حقوقهم»، و«...».

مناقشة بعث اسامة وتحقيقه

أوّل حادثة وقعت بعد رجوع النبيّ(ص) من حجّة الوداع هي قضيّة «جيش أسامة».

يروي محمّد بن جرير الطبريّ الحادثة الأولى التي وقعت في السنة الحادية عشرة من الهجرة على النحو التالي:

«قال أبو جعفر: ثمّ ضرب في المحرّم من سنة إحدى عشرة على الناس بعثاً إلى الشام، وأمّر عليهم مولاه وابن مولاه أسامة بن

زيد بن حارثة، وأمره فيما حدّثنا ابن حميد قال: حدّثنا سلمة، عن محمّد بن إسحاق، عن عبدالرحمان بن الحارث بن عيّاش بن أبي ربيعة أن يوطئ الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين، فتجهّز الناسوأوعب مع اُسامة المهاجرون الأوّلون، فبينا الناس على ذلك ابتدأ(ص) شكواه التي قبضه الله إليه إلى ما أراد به من رحمته وكرامته في ليال بقين من صفر أو في أوّل شهر ربيع الأوّل»(١).

نلاحظ هنا أنّ أوّل واقعة وقعت بعد رجوع النبيّ(ص) من سفر حجّة الوداع هي واقعة (بعث اُسامة) وتسريح المهاجرين الأوّلين معه وشيوخ المسلمين الكبار إلى أقصى نقطة من الأرض مع جيش اُسامة، وكذلك أحمد بن أبي يعقوب، فقد ذكر أنّ بعث اُسامة كان في محرّم بعد رجوع النبيّ(ص)من حجّة الوداع ببضعة أيّام، أنّه يقول:

«ولمّا قدم ـ رسول الله(ص) ـ المدينة أقام أيّاماً وعقد لأسامة بن زيد بن حارثة على جلّة المهاجرين والأنصار وأمره أن يقصد حيث قتل أبوه من أرض الشام..»(٢).

ويقول محمّد بن سعد الزهريّ صاحب «الطبقات الكبرى» في ذكر سريّة اُسامة ما يلي:

«لمّا كان يوم الاثنين لأربع ليال بقين من صفر سنة إحدى عشرة من مهاجر رسول الله(ص) أمر رسول الله(ص) الناس بالتهيّؤ لغزو الروم، فلمّا كان من الغد دعا اُسامة بن زيد، فقال:سر إلى

---

(١)تاريخ الطبريّ: ٤٢٩.

(٢)تاريخ اليعقوبيّ: ٢: ١٠٣.

موضع مقتل أبيك فأوطئهم الخيل، فقد ولّيتك هذا الجيش.

فلمّا كان يوم الأربعاء بدأ برسول الله(ص) فحمّ وصدع، فلمّا أصبح يوم الخميس عقد لأسامة لواءً بيده.. فخرج بلوائه معقوداً، فدفعه إلى بريدة بن الخصيب الأسلميّ وعسكر بالجرف، فلم يبق أحد من وجوه المهاجرين الأوّلين والأنصار إلاّ انتدب في تلك الغزوة، فيهم أبو بكر الصدّيق وعمر بن الخطّاب وأبو عبيدة بن الجرّاح وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وقتادة بن النعمان وسلمة بن أسلم بن حريش.

فتكلّم قوم وقالوا: يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأوّلين، فغضب رسول الله(ص) غضباً شديداً، فخرج وقد عصب على رأسه عصابة وعليه قطيفة، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال:

أمّا بعد ـ أيّها الناس ـ فما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة، ولئن طعنتم في إمارتي أسامة لقد طعنتم في إمارتي أباه من قبل.

وأيم الله، إن كان للإمارة لخليقاً، وأنّ ابنه من بعده لخليق للإمارة.. ثمّ نزل فدخل بيته وذلك يوم السبت لعشر خلون من ربيع الأول.

وجاء المسلمون الذين يخرجون مع أسامة يودّعون رسول الله(ص) ويمضون إلى العسكر بالجرف، وثقل رسول الله، فجعل يقول:**انفذوا بعث أسامة.**

فلمّا كان يوم الأحد اشتدّ برسول الله وجده، فدخل أسامة من معسكره والنبيّ مغمور، فطأطأ أسامة فقبّله والنبيّ لايتكلم.. ورجع أسامة إلى معسكره، ثمّ دخل يوم الاثنين وأصبح رسول الله(ص) مفيقاً، فقال له: اغد على بركة الله، فودّعه أسامة وخرج إلى معسكره، فأمر الناس بالرحيل.

فبينا هو يريد الركوب إذا رسول أمّه أمّ أيمن قد جاء يقول: إنّ رسول الله(ص)يموت فتوفّي حين زاغت الشمس يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأوّل»(١).

إنّ هذا السياق المنظّم في مثل هذه الروايات لايسلم من النقد، وقد يكون صدر رواية الطبريّ والحديث المضبوط في تاريخ اليعقوبيّ تلقي الضوء على جانب من هذا النقد، ولكن على أيّة حال، فقد صرّحت الرواية باسم جماعة مثل أبي بكر بن أبي قحافة، وعمر بن الخطّاب، وأبو عبيدة بن الجرّاح، وسعد بن أبي وقّاص، وغيرهم، وأنّهم كانوا في بعث أسامة. وفي هذا الظرف الحسّاس أمروا أن يستدبروا المدينة ويستقبلوا جانب الروم.

ولم يقتصر الأمر على طبقات ابن سعد فقد ذكرت المصادر الأخرى لأهل السنة أنّ رؤوس المنافقين المحترفين، لاسيّما ذوو الأمر المطاع منهم، وشيوخهم كأبي بكر بن أبي قحافة وعمر بن الخطّاب كانوا في بعث أسامة، وأخرجهم رسول الله معه، وأمرهم بالذهاب إلى حدود الروم، ونذكر نموذجاً من هذه المصادر على

---

(١)الطبقات الكبرى: ٢: ١٣٦، القسم الأوّل.

النحو التالي:

١ ـأنساب الأشراف:١: ٤٧٤، في ترجمة أسامة بن زيد.

٢ ـتاريخ اليعقوبيّ:٢: ١٠٣، في ذكر وفاة النبيّ(ص).

٣ ـتهذيب ابن عساكر: ٢: ٣٩٤، في ترجمة أسامة بن زيد.

٤ ـالكامل في التاريخ: ٢: ٣١٧.

٥ ـشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢: ٢٠ و ٢١.

٦ ـعيون الأثر:٢: ٢٨١، في ذكر سريّة أسامة.

٧ ـمنتخب الكنز طبع على هامش مسند أحمد: ٤: ١٨٠، وغيرها.

وجاءت الرواية في لفظ ابن أبي الحديد هكذا:

«قال أبو بكر (أحمد بن عبدالعزيز الجوهريّ في كتاب السقيفة)، وحدّثنا أحمد بن إسحاق بن صالح، عن أحمد بن سيّار، عن سعيد بن كثير الأنصاريّ، عن رجاله، عن عبدالله بن عبدالرحمان: أنّ رسول الله(ص) في مرض موته أمّر أسامة بن زيد بن حارثة على جيش فيه جلّة المهاجرين والأنصار، منهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجرّاح، وعبدالرحمان بن عوف وطلحة والزبير..

فلمّا أفاق رسول الله(ص) سأل عن أسامة والبعث، فأخبر أنّهم يتجهّزون، فجعل يقول:**انفذوا بعث أسامة، لعن الله مَن تخلّف عنه،** فكرّر ذلك، فخرج أسامة واللواء على رأسه والصحابة بين يديه حتّى

إذا كان بالجرف نزل ومعه أبو بكر وعمر، وأكثر المهاجرين، ومن الأنصار أسيد بن حضير، وبشير بن سعد، وغيرهم من الوجوه، فجاءهم رسول امّ أيمن..».

ويستفاد من مثل هذه الروايات لمّا أنَّ المنافقين المحترفين من طبقة المهاجرين كانوا في بعث اسامة، نموذجاً من الوجوه البارزة منهم، وأفراد ذوي طاعة وسنّ، وأعرفهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة وغيره، وقد ذكرنا أسماءهم، وكذلك قوم من الأنصار وقد أمرهم النبيّ(ص) بمصاحبة الجيش، وذلك يحتّم علينا اعتبارهم من المنافقين المحترفين، ونذكر نموذجاً منهم في هذه الرواية رجلين معروفين هما أسيّد بن حضير، وبشير بن سعد من هذه الجهة ينبغي أن يكون الحدس الذي ينشأ عند المحقق حدساً معقولاً، وذلك أن يقال: إنّ تشكيل بعث اسامة من قِبل رسول الله(ص) وإيعاب قوم كهؤلاء فيه، وتسريحهم إلى أقصى نقاط البلاد من أجل أن تخلو البلاد «من المنافقين المحترفين» لاسيّما الرؤساء منهم عند موت رسول الله(ص)، فلا يكونون في المدينة حتّى تتمّ خلافة أمير المؤمنين بانسيابةٍ تامة ومن دون معارض، ويبايعه الناس بعيداً عن الفتن والاعتراضات التي يتزعمها المنافقون، ويكون الأمر قد تمّ له على الوجه الوافي الصحيح قبل عوده بعث اسامة إلى المدينة، ومعه المنافقون المحترفون.

أجل، لقد علم رسول الله(ص) بعد إذ أمره الله بنصب عليّ(ع) مكانة وإعطائه الولاية التي كانت له، وتأميره على المسلمين إماماً وقائداً من بعده أنّ أيّامه قد انصرمت ووفاته قد اقتربت وحياته قد

حتمت (كما فصّلنا ذلك في «القسم التاسع عشر» من الكتاب قبلاً)، ولهذا أشار إلى قرب رحيله بنوع الكناية في خطبته بحجّة الوداع، وأخبر المسلمين عن دنوّ أجله، وأنّ فراقه وشيك عاجل[(١)].

وبعد نزول «آية التبليغ» و «آية الإكمال» في واقعة غدير خمّ ورجوعه إلى المدينة صرّح إلى أصحابه بدنوّ أجله، قال عبدالله بن مسعود عن ذلك:

«نعى إلينا نبيّنا وحبيبنا نفسه قبل موته بشهر»[(٢)].

وبناءً على هذا عندما نرى رسول الله(ص) في ظروف كهذه الظروف، ونظير هذه الأوضاع الخاصّة يجهّز جيش أسامة ويوعب معه المنافقين المحترفين، لاسيّما رؤساؤهم وذوو السنّ منهم المطاعون فيهم، ويصرّ إصراراً لم يكن ليفعله في واقعة أخرى غير ذلك، ومع ظهور آثار موته وقرب رحيله، وهو على فراش الموت يوصي بتعجيل مسيره وسرعة خروجه لأرض الروم، ويؤكّد ذلك مراراً وتكراراً، ويلعن مَن تخلّف عن جيش أسامة مرّات عدّة.

وهذهِ كلها قرائن واضحة ودلائل لالبس عليها تدلّ على أنّ رسول الله(ص) يريد من بعث جيش أسامة إبعاد المخالفين لإمامة عليّ بن أبي طالب من المدينة وتسريحهم إلى أبعد المناطق عن المدينة التي يمكنهم الذهاب إليها، لئلا يعارضوا سير البيعة للإمام، أو يحولوا

---

(١)مغازي الواقديّ: ٢: ١١٠٣. سيرة ابن هشام: ١: ٢٥٠. تاريخ الطبريّ: ٢: ٤٠٢.

(٢)تاريخ الطبريّ: ٢: ٤٣٥.

بين الناس وبين طاعتهم إمامهم ووليّ أمرهم.

ومن هنا نرى رأي العين أنّه لاأحد ممّن يوالي عليّاً أو يوافقه ويحبّه ويريد الخلافة له، قد سرّح مع جيش اسامة أو نطقت باسمه الروايات.

أجل، ما من أحد من هؤلاء سيّره النبيّ(ص) مع بعث اسامة، وأمر بموافاة الروم معه، بل في كلّ موضع لانعثر إلاّ على رؤوس المنافقين المحترفين وأسماؤهم والإشارات الدالّة عليهم أعمّ من المهاجرين والأنصار الذين اُلزموا بالخروج مع بعث اسامة !

نعم، صُرّح بأسماء قوم، مثل: أبي بكر بن أبي قحافة، عمر بن الخطّاب، أبو عبيدة بن الجرّاح، عبدالرحمان بن عوف، سعد بن أبي وقّاص، طلحة بن عبيدالله، الزبير بن العوّام، سعيد بن زيد، أسيد بن حضير، بشير بن سعد، وغيرهم.

ولكنّنا لم نشاهد في أي موضع من التاريخ اسماً من أسماء بني هاشم صُرّح به، ومثل ذلك يقال في أشخاص معروفون بمناصرتهم للإمام عليّ بن أبي طالب، مثل: المقداد بن الأسود، وخزيمة بن ثابت، وأبو الهيثم بن التيهان، وعبدالله بن مسعود، وسهل بن حنيف، وعثمان بن حنيف، وسلمان الفارسيّ، وأبو ذرّ الغفاريّ، واُبيّ بن كعب، وأبو أيّوب الأنصاريّ، وسعد بن عبادة، وقيس بن سعد بن عبادة، وحبّاب بن المنذر، وغيره. فلم يؤثر عن أحد منهم أنّه اُوعب مع بعث اسامة لثبوت ولائهم لسيّد العترة أمير المؤمنين(ع).

وعلى هذا فما ورد في روايات الشيعة من الأسباب والعلل التي

نكرت لبعث أسامة في الحدود التي رسمت من قبل هي من العلل المنطقيّة المقبولة في رأي المحققين وموجّهة بنظر العقل.

يقول الديلميّ في «إرشاد القلوب» عن هذا الموضوع الرواية التالية:«قال (حذيفة): ثمّ إنّ رسول الله(ص) جمع أولئك النفر ومَن ولاهم على عليّ وطابقهم على عداوته مَن كان من الطلقاء والمنافقين، وكانوا زهاء من أربعة آلاف رجل، فجعلهم تحت يدي أسامة بن زيد مولاه، وأمّره عليهم، وأمره بالخروج إلى ناحية من الشام، فقالوا: يا رسول الله، إنّا قدمنا من سفرنا الذي كنّا فيه معك ونحن نسألك أن تأذن لنا في المقام لنصلح من شأننا ما يصلحنا في سفرنا؟

قال: فأمرهم أن يكونوا في المدينة لإصلاح ما يحتاجون إليه، وأمر أسامة بن زيد فعسكر بهم على أميال من المدينة..

فأقام بمكانه الذي حدّ له رسول الله(ص) منتظراً للقوم أن يوافوه إذا فرغوا من أمورهم، وقضاء حوائجهم، وإنّما أراد رسول الله(ص) بما صنع من نلك أن تخلو المدينة منهم، ولايبقى بها أحد من المنافقين.

قال: فهم على نلك من شأنهم ورسول الله دائب يحثّهم ويأمرهم بالخروج والتعجيل إلى الوجه الذي ندبهم إليه.

إذْ مرض رسول الله مرضه الذي توفّي فيه، فلمّا رأوا نلك تباطئوا عمّا أمرهم رسول الله من الخروج، فأمر قيس بن عبادة ـ وكان سيّاف رسول الله(ص) ـ والحبّاب بن المنذر في جماعة من

الأنصار يرحلوا بهم إلى عسكرهم، فأخرجهم قيس بن سعد والحبّاب بن المنذر حتّى ألحقاهم بعسكرهم، وقالالأسامة: إنّ رسول الله لم يرخّص لك في التخلف، فسر من وقتك هذا ليعلم رسول الله(ص) ذلك، فارتحل بهم أسامة وانصرف قيس والحبّاب إلى رسول الله(ص) فأعلماه برحلة القوم، فقال لهما: **إنّ القوم غير سائرين.**

قال: فدخل أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بأسامة وجماعة من أصحابه فقالوا: إلى أين تنطلق وتخلي المدينة ونحن أحوج ما كنّا إليها، وإلى المقام بها؟!

فقال لهم: وما ذلك؟

قالوا: إنّ رسول الله قد نزل به الموت، والله لئن خلينا المدينة لتحدثن بها أمور لايمكن إصلاحها، ننظر ما يكون من أمر رسول الله ثمّ المسير بين أيدينا.

قال: فرجع القوم إلى المعسكر الأوّل، وأقاموا به، وبعثوا رسولاً يتعرّف لهم أمر رسول الله(ص)، فأتى الرسول إلى عائشة فسألها عن ذلك سرّاً، فقالت: امض إلى أبي وعمر ومَن معهما وقل لهما: إنّ رسول الله قد ثقل، فلا يبرحنّ أحد منكم وأنا أعلمكم بالخبر وقتاً بعد وقت، واشتدّت علّة رسول الله(ص) فدعت عائشة صهيباً فقالت: امض إلى أبي بكر واعلمه أنّ محمّداً في حال لايرجى، فهلمّ إلينا أنت وعمر وأبو عبيدة ومَن رأيتم أن يدخل معكم، وليكن دخولكم في الليل سرّاً.

قال: فأتاهم الخبر، فأخذوا بيد صهيب فأدخلوه إلى أسامة

فأخبروه الخبر، وقالوا له: كيف ينبغي أن نتخلف عن رسول الله؟! واستأذنوه في الدخول، فأذن لهم، وأمرهم أن لايعلم بدخولهم أحد، وإن عوفي رسول الله(ص) رجعتم إلى عسكركم، وإن حدث حادث الموت عرّفونا ذلك لنكون في جماعة الناس.

فدخل أبو بكر وعمر وأبو عبيدة ليلاً المدينه ورسول الله(ص) قد ثقل، فأفاق بعض الإفاقة، فقال:**قد طرق ليلتنا المدينة هذه شرّ عظيم.**

فقيل له: وما هو يا رسول الله؟!

إنّ الذين كانوا في جيش أسامة قد رجع منهم نفر يخالفون عن أمري. ألاإنّي إلى الله منهم بريء. ويحكم! نفّذوا جيش أسامة، فلم يزل يقول ذلك حتّى قالها مرّات كثيرة»[(١)].

وعلى كلّ حال، فإنّ السياق الفكريّ المذكور في مثل هذه الروايات لايخلو من المغالاة، ولكنّنا عندما نعثر في كلّ موضع مررنا به عن قيس بن سعد بن عبادة نراهم يعبّرون عنه بالتعبير التالي: كان قيس بن سعد بن عبادة من النبيّ(ص) بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير، ونراه أيضاً بإجماع من الفريقين واحداً من أولياء أمير المؤمنين المخلصين وشيعته ثابتي القدم، وكان في خلافته الظاهريّة «رئيس شرطة الخميس»، وبعد شهادته كان من أكثر أصحاب الإمام الحسن(ع) وفاءاً وأعظمهم ولاءاً، وقد جاهد بين يديه قبيل حركة الصلح وأحسن الجهاد.

---

(١)بحار الأنوار: ٨: ٢٤، طبع أمين الضرب.

وعندما نقرن هذه المطالب بالنكات المتقدّمة في أول البحث، فإنّ القلب يطمأنّ إلى صحّة المجموع من الروايات، ويحمل المرء على التصديق بجلّ المطالب المذكورة في رواية الديلميّ، بخاصّة عندما يظهر لنا في سقيفة بني ساعدة أنّ قيساً هذا وأباه سعد بن عبادة ورفيقهم الأدنى وصاحبهم اللصيق وعونهم «الحبّاب بن المنذر» من أشدّ مخالفي أبي بكر وعمر مراساً، ومناهضي حزب المنافقين المحترفين ومعاديهم، وكانوا يبذلون أقصى الجهد في صرف المبايعين عن البيعة لهم يدرك جيّداً أنّ الإسراع في إقامة سقيفة بني ساعدة من قِبل الأنصار وأتباع سعد، كان سبب ذلك الأكبر أنّهم على علم بالخطط التي يتبنّاها المنافقون المحترفون، ويزمعون إجراءها مع غيره من الفرقاء، ويعلمون علماً أكيداً أنّ القوم بإفشالهم بعث أسامة بن زيد ورجوعهم إلى المدينة قد عقدوا العزم على الحيلولة بين عليّ بن أبي طالب وبين الخلافة بأيّ ثمن كان.

ومن جهة أخرى، فقد علموا أيضاً أنّ الإمام غير مستعدّ لإراقة محجمة دم في سبيل نيل الخلافة والسيطرة على الوضع الراهن (وقد دلّ بمجيئه للحكم بعد مقتل عثمان على ما نقول، وهو خير شاهد على ذلك..).

وأخيراً بلغوا الغاية من إجالة الرأي في المسألة بحيث أدركوا بأنّهم إن تباطؤا فسوف يثب المنافقون المحترفون على الحكم، ويسيطرون على الأوضاع، ويتولّون الحكم، ولن يقف إنسان في صدورهم، وإذا تمّ ذلك لهم فقد حكموا على الأمّة كلّها بالذلّ والخنوع

للحزب الحاكم.

ومن أجل ذلك فإنّهم يقيناً سارعوا إلى تشكيل السقيفة ليتفادوا ما سوف يقع من الحزب الحاكم، أو على أقلّ تقدير يحفظون ماء وجوههم ويحافظون على مركزيّة الأسرة وشرف مكانتها.

والسرّ الأصليّ في تعجيل الأنصار في تشكيل السقيفة وسبقهم إلى ذلك ينبغي أن يكون ما ذكرناه، وإلاّ بعد أن ثبت لنا وكان من المسلّمات لدينا أنّ الأنصار من محّبي أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب المخلصين والموالين لأهل بيت العصمة والطهارة، وأيضاً طبقاً للبحوث والتحقيقات التي سلفت من الكتاب أنّه من المسلّم به كون رسول الله(ص) قد عيّن عليّاً من بعده بأمر من الله، فلو أنّ الأنصار علموا بأنّ عليّاً سوف يستلم الحكم وتنقاد له الأمور ويستولي على زمان القيادة لما أقدموا على إقامة سقيفة بني ساعدة [ويتجلى هذا الأمر أكثر فأكثر في مناقشة حديث السقيفة الذي سيتم بحثه لاحقاً].

وعلى أيّة حال، لانشكّ في بعث النبيّ(ص) أسامة بالجيش، وكذلك لاشكّ بأن ذلك حدث بعد حجة الوداع وواقعة الغدير ، ومما لاشك فيه بأنّ النبيّ(ص) علم بدنوّ أجله بعد أداء مهمّته في واقعة الغدير، وهكذا لا ريب في علمه بالمؤامرة التي كان المنافقون المحترفون يحوكونها في احتقاب الخلافة وغصبها من صاحبها، ولاشكّ في جمعه هؤلاء المشاغبين المنقلبين على الأعقاب من فريق المنافقين المحترفين تحت راية أسامة بن زيد، وممّا لاشكّ فيه أنّه لم يألُ جهداً وقد أعذر أمام الله والناس في تجهيز جيش أسامة وإخراجه.

هذه اليقينيّات بمجموعها تبلغ بالمحقق إلى حاقّة الاطمئنان بأنّ تسريح بعث أسامة من قِبل رسول الله(ص) في ذلك الظرف شديد التوتّر والحسّاس جدّاً، وإيعاب أفراد نظير مَن ذكرناهم في جيشه، والتوجّه بهم إلى أقصى نقاط الأرض، كان صرفاً لمجرّد خلوّ المدينة من مخالفي الإمام إذا حان موعد الفراق ودنت ساعة الوفاة، ولكي تبقى خلافة أمير المؤمنين(ع) بعيدة عن المعارضين والمثبّطين والمنافقين المحترفين، ومَن يعينهم ممّن وافقهم على هذه اللعبة، وكذلك يكون الأمر قد تمّ لعليّ(ع) بعد عودتهم على خروجه، فلا يستطيعون عندئذ إحداث البلبلة أو الفتنة.

هذا ما كان من أمر بعث أسامة وهي أوّل واقعة حدثت بعد العودة من حجّة الوداع، ولابدّ من كون الباحث لاحظ مواقف المنافقين المحترفين والأدوار التي أدّوها من اللعب على حبال الخلافة، وكيف كانت مواقف رسول الله(ص) منهم.

القسم العشرون

تحقيق كيفية وفاة

رسول اللّه (ص)

تحقيق كيفية وفاة رسول اللّه(ص)

ثاني الحوادث التي حدثت في المدينة بعد عودة رسول الله(ص) من حجّة الوداع وفاة رسول الله(ص)، بعد أن ظهر لنا من بعث أسامة الأمور التالية:

١ ـ كان بعث أسامة أساساً لإبعاد المنافقين المحترفين وغيرهم من المدينة كي تخلو المدينة منهم ساعة الوفاة.

٢ ـ استغرق استعداد أسامة من أوّل يوم أمر بالخروج إلى معسكره الذي يبعد عن المدينة عدّة أميال وأمر المنافقون المحترفون بالالتحاق بمعسكره ما يقرب من الاسبوعين.

٣ ـ عندما ظهرت أعراض المرض على رسول الله(ص) امتنع المنافقون من الالتحاق ببعث أسامة وأقاموا في المدينة، ولكنّهم أجبروا على الالتحاق ببعث أسامة فلم يكن ذلك إلاّ يوماً واحداً.

٤ ـ رؤساء المنافقين بعد التحاقهم ببعث أسامة حملوه على ترك السفر إلى الشام، وأن يبقى حيث هو في المعسكر تحسّباً لما يجدّ من أمر مرض النبيّ(ص)، فأقام حيث هو وعادوا هم إلى المدينة.

والآن بعد أخذ النكات المذكورة بنظر الاعتبار نعمد إلى مناقشة الحادثة الثانية، وهي مرض رسول الله(ص) وتحقيقها.. روى ابن هشام في«السيرة النبويّة» ابتداء المرض برسول الله(ص) على هذا النحو:

«فبينا الناس على ذلك ابتدأ رسول الله (صلى الله عليه) بشكواه

الذي قبضه الله فيه إلى ما أراد الله به من كرامته ورحمته في ليال بقين من صفر أو في أول شهر ربيع الأول، فكان أول ما ابتدء به من ذلك أنّه خرج إلى بقيع الفرقد من جوف الليل فاستغفر لهم، فلمّا وقف بين أظهرهم قال:«**السلام عليكم يا أهل المقابر، ليهنئ لكم ما أصبحتم فيه ممّا أصبح الناس فيه؟ ! أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أوّلها، والآخرة شرّ من الأولى**»(١).

وهذا ما كان من أمر أوّل عمل قام به رسول الله(ص) بعد شروع المرض فيه!والطبريّ ينقل في تاريخ الأمم (الرسل) والملوك(٢) نفس العبارة عن العمل الذي قام به النبيّ(ص).

وهنا لابدَّ من السؤال: ما هو هذا العمل الذي قام به النبيّ(ص) وما معناه؟!

لماذا ضاق النبيّ(ص) بالناس ذرعاً فراح يزفّ البشائر إلى أهل المقابر بقوله: إنّكم أصبحتم آمنين من الفتن، وانصبّ بلاؤها على الأحياء؟!

واعلموا بأنّ الفتن المقبلة أشدّ اعتكاراً من قطع الليل المظلم، وما زال جوّها يكفهرّ وظلامها يزيد.

ونسأل أنفسنا: لماذا قارنت هذه الفتن وفاة النبيّ(ص) وما فتئت تنطلق شعلتها كالنار الموصدة، وكانت مبعث ألم وحيرة للنبيّ(ص)

---

(١)سيرة ابن هشام: ٤: ٢٩١ و ٢٩٢.

(٢)تاريخ الأمم والملوك: ٢: ٤٣٢.

بخاصّة في الأيّام الأخيرة من حياته.

وملخّص الكلام نقول: ما هي هذه الفتنة التي لاحظها رسول الله(ص)؟

فهل أنّ النبيّ(ص) تألم هذا الألم الشديد لقرب وفاته، حيث يترك الدنيا ويغمض الطرف عنها، إنّ هذا احتمال باطل، لأنّه يخالف نبوّته، وليس من المقبول أن يرهن النبيّ(ص) الدنيا قلبه؟!

أو أنّ ألمه من أجل المسلمين الذين يظلّون بعد وفاته دونما قائد، فإذا كان ذلك كذلك (كما عليه أهل السنّة والجماعة، وقد شغل حيّزاً من رؤوسهم) فما أحسنه لو كان عقد الأمر قبل وفاته لأبرز شخصيّة من أصحابه أو أهل بيته، وأقامه مقامه عوضاً عن هذه الحسرات وإذراء الدموع، وإظهار الآلام التي أظهرها ساعتئذ.

وإذا كان الأمر كما يعتقده الشيعة (وقد أثبتناه في هذا الكتاب، لاسيّما في «القسم التاسع عشر» منه) من أنّ النبيّ(ص) أقام عليّاً بن أبى طالب(ص) مقامه وعرّفه للأمّة واستخلفه عليها، وحينئذ ما معنى هذا الألم وهذه اللوعة والشكوى؟!

أو أنّ واقع القضيّة هو أنّ مناقشة «بعث أسامة» أظهرت لنا أنّ النبيّ(ص) لمّا رأى بعينه واتّضح لديه أنّ «المنافقين المحترفين» بصدّهم بعث أسامة وردّه عن مسيره المقرّر له يريدون بذلك تثبيط الناس عن أداء ما أراد الله منهم أداءه، وتعويقهم الخطّة التي أحكمها النبيّ(ص) في وصول أمير المؤمنين(ع) إلى حقه، وهم دائبون على بقائهم في المدينة لتحقيق هدفهم السياسيّ (الذي أعدّوا له من زمان

بعيد، وبذلوا جهودهم مع أحلافهم السياسيّين ليثمر لهم الثمرة المأمولة، وينالوا الغاية المرجوّة)وذلك هو حرمان عليّ(ع) من الخلافة وتحويل مجرى الإسلام عن مسيرته الحقيقيّة والإلـهيّة.

وعلمه بهذه الأمور هو الذي عكّر مزاجه الشريف، وآلم قلبه، بحيث قصد البقيع في قلب الليل البهيم وأفضى ما في قلبه إلى أهل القبور وإلى الموتى على هذه الشاكلة:«**السلام عليكم يا أهل المقابر، ليهنئ لكم ما أصبحتم فيه ممّا أصبح الناس فيه، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أوّلها، الآخرة شرّ من الأولى**».

وعلى أيّة حال، فإنّ ما تقدّم من الكلام هو إيضاح لأوّل عمل قام به النبيّ(ص) في بدء مرضه. والآن نشب المرض مخالبه في جسده الشريف صلوات الله عليه، وأخذ يتزايد في جسمه ويزداد ضعفاً يوماً بعد يوم، والمنافقون المحترفون أقاموا في المدينة وأبوا بإصرار من الخروج مع بعث أسامة وراح رؤساؤهم وكبار السنّ منهم يعدّون خططهم الحزبيّة، وأخذت عائشة وصاحبتها حفصة تسرّب لهم الأخبار من داخل بيت النبيّ(ص) ليكونوا على علم تامّ بما يجري فيه، وأحياناً لايكفيهم ذلك فتخترق بعض الرؤوس العصاة من أمثال عمر بن الخطّاب بيت النبيّ(ص)، ويتشمّمون ما يحدث بأنفسهم وفي يوم الخميس بالذات، وقبل وفاة النبيّ(ص) بوقت قصير حدثت مسألة جدّ مهمّة، وهي طلب النبيّ(ص) البياض لكتابة الوصيّة، ومنع عمر عن ذلك، ومعاضدة أصحابه له كما يأتي بيانه أدناه.

روى محمّد بن إسماعيل البخاريّ في باب «جوائز الوفد» من كتاب «الجهاد والسير» الرواية التالية:

«حدّثنا قبيصة، حدّثنا ابن عيينة، عن سليمان الأحول، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس (رضي الله عنه)، أنّه قال: يوم الخميس وما يوم الخميس ـ ثمّ بكى... فقال: اشتدّ برسول الله(ص) وجعه يوم الخميس، فقال: **ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً**، فتنازعوا، ولاينبغي عند نبيّ تنازع، فقالوا: هجر رسول الله.

قال: دعوني، فالذي أنا فيه خير ممّا تدعوني إليه..» (١).

وهذهِ رواية البخاري في «كتاب الجهاد والسير ـ باب إخراج اليهود من جزيرة العرب» (٢)، وفى كتاب المغازي ـ باب مرض النبيّ ووفاته (٣)، وذكرها أحمد بن حنبل أيضاً في كتابه المسند (٤)، ورواها مسلم أيضاً في آخر «كتاب الوصيّة»، وكذلك ذكرها محمّد بن جرير الطبريّ ضمن الأخبار التي أوردها عن حادث وفاة النبيّ(ص) في تاريخ الأمم (الرسل) والملوك (٥). لاحظوا جيّداً أنّ حديث كتابة وصيّة رسول الله(ص) الأخيرة التي كان الغرض منها الحيلولة دون ضلال المسلمين قد وقع يوم الخميس، وكانت وفاته

---

(١)صحيح البخاريّ: ٢: ١٢١.
(٢)صحيح البخاري: ٢: ١٣٨.
(٣)صحيح البخاري: ٣: ٦٥.
(٤)مسند أحمد بن حنبل: ١: ٢٢٢ و ٣٥٥.
(٥)تاريخ الأمم والملوك: ٢: ٤٣٦.

طبقاً للروايات العاميّة يوم الاثنين من بعد تلك الواقعة.

والآن لكي نعرف رأس المخالفين لكتابة الوصيّة في ذلك المجلس مَن هو، لاحظوا رواية الذيل هذه:

قال عمر بن الخطّاب: قال: كنّا عند النبيّ(ص) وبيننا وبين النساء حجاب، فقال رسول الله(ص):**اغسلوني بسبع قرب، وائتوني ودواة أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً.**

فقال النسوة: أئتوا رسول الله بحاجته.

قال عمر: فقلت: اسكتن، فإنّكنّ صواحبه، إذا مرض عصرتن أعينكنّ، وإذا صحّ أخذتن بعنقه.

فقال رسول الله(ص):**هنّ خير منكم»** (١).

نسب قول النساء في «الامتاع والمؤانسة» إلى زينب بنت جحش وصويحباتها.

قال ابن عبّاس:«لمّا حضر رسول الله(ص) وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطّاب، قال النبيّ(ص):**هلمّ أكتب لكم كتاباً لاتضلّوا بعده.**

فقال عمر: إنّ النبيّ قد غلب عليه الوجع، وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله.

---

(١)طبقات ابن سعد ـ باب الكتاب الذي أراد أن يكتبه الرسول لأمّته:٣٧:٢، القسم الثاني.

فاختلف أهل البيت، فاختصموا منهم مَن يقول قرّبوا يكتب لكم النبيّ(ص) كتاباً لن تضلّوا بعده، ومنهم مَن يقول ما قال عمر، فلمّا أكثروا اللغو والاختلاف عند النبيّ قال رسول الله(ص):**قوموا عنّي.**

قال عبيد الله: فكان ابن عبّاس يقول: إنّ الرزيّة كلّ الرزيّة ما حال بين رسول الله وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم».

هذا الحديث رواه محمّد بن إسماعيل البخاريّ في كتاب «المرض ـ باب قول المريض: قوموا عنّي»(١)، وفي كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة ـ باب كراهيّة الخلاف(٢)، وفي كتاب المغازي ـ باب مرض النبيّ ووفاته(٣)، وفي كتاب العلم ـ باب كتابة العلم(٤)، ونقله أيضاً أحمد بن حنبل في مسنده(٥)، وكذلك ذكر محمّد بن مسلم في آخر كتاب الوصيّة.

وهذه هي قصّة كتابة وصيّة النبيّ(ص) في آخر أيّام حياته، وقد رأينا كيف منع من كتابتها عمر بن الخطّاب (الخليفة الثاني) وأصحابه المخلصون.

من هنا باستطاعتنا قياس ميزان السماجة والعصيان للقوم العصاة (المنافقين المحترفين) بالنسبة للنبيّ الأقدس(ص) لأنّهم

(١)صحيح البخاريّ: ٤: ٥.
(٢)صحيح البخاريّ: ٤: ١٩١.
(٣)صحيح البخاريّ: ٣: ٦٥.
(٤)صحيح البخاريّ: ١: ٢٥.
(٥)مسند أحمد بن حنبل: ١: ٣٢٥.

مضافاً إلى تمرّدهم على أمر رسول الله(ص) بالالتحاق بجيش أسامة، حيث لم يعبوا به وضربوا بأمره عرض الجدار، وأقاموا في المدينة مراغمين لرسول الله(ص) نراهم وقد احتلّوا بيت رسول الله ذاهبين وآيبين علناً وعلى رؤوس الأشهاد، واتّخذوا من أنفسهم مراقبين يتلصّصون على وضع النبيّ(ص) الداخليّ الخاصّ لئلا يصدر أمر منه يضرّ بحزبهم.

بعد هذه المقدّمات يتسائل الإنسان ذو الوعي والنباهة:

أوّلاً: لماذا منع عمر بن الخطّاب وأصحابه المتّحدون معه قلباً وقالباً من كتابة الوصيّة، وبلغت بهم الوقاحة والصلف أن نسبوا للنبيّ(ص)إلى فقدان العقل والإدراك -والعياذ بالله- ونسبوا إليه الهذيان؟

ثانياً: لما عزف النبيّ(ص) عن الكتابة بعد أن طلبها حين أثار عمر الجدال والاعتراض في وجهه(ص) هو وحزبه، ولم يتمّ ما أمر بإحضاره من البياض والدواة، وأعرض عنه وعنهم؟

هذان سؤالان وجيهان يعترضان الفكر الدقيق، ويحملانه على البحث والتنقيب عن النكت الأصليّة المخبّأة في الجواب.

ونقول في جواب هذين السؤالين: تأكّد لدينا من ممانعة عمر بن الخطّاب من (كتابة وصيّة رسول الله(ص)) أنّه له دراية خاصّة بالأوضاع السائدة ساعتئذ، ويعلم أنّ الموضوع الذي يريد النبيّ(ص) كتابته ينافي مصالحه ومصالح حلفائه الحزبيّين، ولمّا لم يكن أي أصل أو فرع من فروع الدين ينافي مصالحهم إلاّ خلافة عليّ بن أبي

طالب وإمامته، فإنّها تضادّ مصالحهم بصفة قطعيّة وصريحة.

إذن ثبت لنا أنّ الموضوع الذي يزمع النبيّ(ص) كتابته قطعاً هو موضوع الإمامة لاغير، وخلافة أمير المؤمنين فحسب.

وفي الواقع أنّ الموضوع الذي تتناوله الوصيّة هو نفسه الموضوع الذي نصّت عليه قبلاً «آية المودّة» و «آية التبليغ» و «آية الإكمال»، والذي أثبت دعائمه ورفع أسّه في واقعة غدير خم، أجل أنَّ النبي يرى بعينه أنَّ المنافقين المحترفين في تخلفهم عن «**بعث أسامة**» وإقامتهم في المدينة مراغمين للنبي(ص) مزمعون على إقامة أهدافهم السياسية وتحقيقها. ويريدون حرمان علي(ع) من حق إمارة المؤمنين وهو بحق أميرهم ومن إمامة المسلمين مع ما تقدم في حقه من الوصية والإشادة؛ لذلك أراد(ص) في آخر أيامه وقد أحاط بسريره لمّة من المسلمين الموافقين والمخالفين أنْ يملي نفس موضوع الخلافة والإمامة لعلي ويخطه بالقلم ويسجله إملاءاً وخطاً. لعله يصد بهذا كيد المخالفين لخلافة علي ويكبتهم ويقضي على تطلعاتهم السياسيّة.

لذلك صدر الأمر من جنابه(ص) بقوله: «**أئتوني بصحيفة ودواة أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً**» فارتطم بصخرة عمر بن الخطاب ومعه أعوانه وحلفاؤه ومساعدوه «**المنافقون المحترفون**» وخالفوه مخالفة شديدة ورأيتم كيف انجرت المخالفة إلى ما لا يحتمل حيث نسبوا إلى جنابه زوال العقل والهذيان. وأصرّوا على إلغاء الأمر وأثاروا هرجاً شديداً ولغطاً زائداً عن الحد حتّى أذوه وأمر بطردهم.

هذا هو السر الحقيقي في منع عمر بن أبي طالب أحد الرؤوس المطاعة فيهم ومعه أعوانه ومن هم على رأيه من كتابة وصية رسول الله(ص) وإملائه .

بقي علينا أنْ نعرف سر انصراف النبي عن كتابتها بعد منع عمر منها فلماذا عزف النبي عن إملائها وانصرف عن كتابتها بعد أنْ وقف الرجل في وجهه وأطلق تلك العبارات المشؤومة ينبغي أنَّ يكون السر فيها هكذا إذا كان جماعة من الحاضرين عند النبي(ص) وفيهم عمر بن الخطاب. الفرد المطاع بينهم اتهموا النبي بالهجر والهذيان وهو على سرير المرض وعملوا على تركيز تهمتهم بإثارة الشغب والفوضى في المجلس وأطروا الغيرة على الإسلام والمسلمين والاهتمام بهما بقولهم: «**حسبنا كتاب ربنا**» فمن المقطوع به أنَّه وإنْ كتب الكتاب ومرّت الوصية كما أراد النبي فإنَّ التهمة ستنمو إلى جانبها وسوف تلغى الوصية إذا انتشرت التهمة بين المسلمين وروّجها المنافقون المحترفون لهذا السبب ترك النبي الوصية بعد تهمة عمر له والشغب الذي أثاره عامداً كتابة الوصية ولم يكن بالإمكان فعل شيء يعبر عن ضلالهم إلّا طردهم من بين يديه وقد فعل(ص) .

هذا ما يمكن أنْ يقال من السر الأصلي في ترك النبيّ كتابة الكتاب بعد أن استدعاه، ثمّ إنّ «كتابة وصيّة النبيّ» ومنع عمر منها، وانضمام أحلافه إليه تكشف لنا عن وجه آخر في القضيّة، وهو شدّة سيطرة المنافقين على الأوضاع ساعتئذ، ونموّ اقتدارهم، وتزايدهم

بحيث يستطيعون قلب الأوضاع مهما كانت لصالحهم، لأنّنا عندما نشاهد امتناعهم عن الالتحاق بـ «جيش أسامة» خلافاً لأمر رسول الله المؤكّد والصريح ويبقون في نفس الوقت أحراراً يجوبون شوارع المدينة أينما أرادوا، ويرتادون بيت رسول الله جيئة وذهاباً، حيثما حلّوا واشتهوا، ويتلصّصون على رسول الله(ص) من حيث أرادوا من قرب أو بُعد، لئلاّ يحدث أمراً لاينسجم مع خططهم، ولايماش هواهم، ونراهم بعد صدور الأمر بكتابة الكتاب من قِبل النبيّ(ص) كيف هاجوا وماجوا وأعلنوا الخلاف حتّى أدّى إلى الانصراف عن كتابة الوصيّة، ونسبوا إلى النبيّ(ص) علناً «الهذيان»، وأحدثوا الجلبة عنده وهو يعاني من هجمة الداء العياء عليه، وأخيراً حالوا بينه وبين إجراء العمل الذي طلبه.. هذه القرائن كلّها تدلّ على أنّ سراة القوم ومقدّمو الجماعة لهم بين المسلمين وجهة اجتماعيّة مقبولة، ويعدّون بينهم من السابقين الأوّلين بحيث لاتحمل مخالفتهم النبيّ(ص) على النفاق الظاهر، ولاالعداء البيّن له.

صلاة أبي بكر قبيل وفاة النبي(ص):

أجل، إلى هنا ننهي البحث والتحقيق حول حديث «كتابة وصيّة النبيّ»، ونذهب بعد ذلك إلى مناقشة موضوع إمامة أبي بكر بن أبي قحافة في الصلاة صباح يوم الاثنين في اليوم الأخير من عمر النبيّ(ص).

لاشكّ في حضور أبي بكر يوم الاثنين، وهو آخر يوم في حياة النبيّ(ص) في المسجد، وإمامته المسلمين في الصلاة مكان

النبيّ(ص) خلا أنّ العامّة اتّفقوا على أنّ إمامته كانت بأمر من رسول الله(ص)، ولكنّ روايات الشيعة تنصّ على أنّ صلاته كانت دسيسة من أعداء أهل البيت وتبان منهم على ذلك.

ونحن من أجل عزل الباطل عن الحقّ في هذا الاختلاف نقول: بعد أن أثبتنا بالبرهان القاطع في مناقشتنا لبعث أسامة أنّ أبا بكر بن أبي قحافة وعمر بن الخطّاب وغيرهما من رؤوس المنافقين المحترفين كانوا في «بعث أسامة» وقد أمروا بالتوجّه معه إلى الشام نعرف من خلال هذه الحقيقة الثابتة أنّ حضور أبي بكر يوم الاثنين (آخر أيّام النبيّ) وإمامته المصلّين في المسجد كان بتبان عدوانيّ من حزبه المنافق، حيث أرادوا من إمامته في هذا اليوم بالذات حيث اشتدّ المرض برسول الله(ص) وزاد على ما كان عليه في سائر الأيّام، وهم يعلمون بعدم قدرة النبيّ على الحركة في ظرف المرض هذا، ولايستطيع موافاة المسجد وهو على هذه الحال الصعبة.. أرادوا أن يظهروا للأمّة أنّ صلاته ما هي إلاّ بأمر من رسول الله(ص) ليكشف استحقاقه للخلافة، وكفاءة الزعامة، ولياقة القيادة، ويكون ذلك حجّة بأيديهم في إغواء الناس.

ولكن من المسعد حقاً اطّلاع النبيّ(ص) على مجريات الحكاية، ومع ضعفه الشديد وتناهي مرضه، وتحلّل قواه على أثره، فقد خرج إلى المسجد [كما تدلّ على ذلك الجملة:«فخرج يهادي بين رجلين،

وقدماه تخطّان في الأرض»[(١)] المذكورة في رواية عائشة، ودلالتها واضحة][(٢)].

وصلى النبيّ بهم وبعد الصلاة أخذ في الشكاية من الوضع الراهن [كما تدلّ على ذلك الجملة:«فلمّا فرغ من الصلاة أقبل على الناس وكلّمهم رافعاً صوته، حتّى خرج من باب المسجد يقول:**أيّها الناس، سعّرت النار، وأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم**»] المذكورة في رواية أبي بكر بن عبدالله بن أبي مليكة.

وتدلّ على ذلك دلالة واضحة سيرة ابن هشام[(٣)]، وقد أسقطوا تباني فريق المنافقين المحترفين العدوانيّ ومحو أثره[(٤)].

والواقع أنّ الجملة:«**يا أيّها الناس، سعّرت النار، وأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم**»التي قالها النبيّ(ص) قبل ساعات من فراقه الدنيا - أي في صباح يوم الاثنين - وكانت تحمل شكواه من الوضع الراهن يومئذ، وقالها في المسجد هي تماماً نفس الجمل يعيدها:«**السلام عليكم يا أهل المقابر، ليهنئ لكم ما أصبحتم فيه ممّا أصبح الناس فيه؟! أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها، والآخرة شرّ من الأولى**»ويذكر بها، والتي قالها في ابتداء مرضه في البقيع،

(١)خرج النبيّ مع ضعفه الشديد مستنداً إلى رجلين ورجلاه يخطّان في الأرض لغلبة الضعف عليه، وذهب إلى المسجد.

(٢)تاريخ الطبريّ: ٢: ٤٣٩.

(٣)سيرة ابن هشام: ٤: ٣٠٣ و ٣٠٤. تاريخ الطبريّ: ٢: ٤٤٠ و ٤٤١.

(٤)سوف نذكر رواية عائشة وعبدالله بن أبي مليكة في آخر هذا الفصل إن شاء الله.

وخاطب بها الموتى في القبور، أي أنّه كان يخبر في بدء مرضه عن قرب وقوع الفتن، والآن وحيث لم يبق من سفره الأخرويّ إلاّ ساعات وقد عادت رؤوس المنافقين المحترفين متسلّلة من جيش أسامة إلى المدينة، وقدّموا رئيسهم في إمامة الصلاة، وراحوا يعملون لإخراج الخلافة من أيدي أصحابها واحتقابها وغصبها أخذ النبيّ(ص) يخبر عن انطلاق ألسن لهب الفتنة فيقول:«**يا أيّها الناس، سعّرت النار، وأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم**»!

أجل، مع أخذنا حديث «بعث أسامة» وعودة أبي بكر وعمر وسائر الرؤوس من المنافقين المحترفين متسلّلين من جيش أسامة إلى المدينة، بنظر الاعتبار يظهر لنا جليّاً وضع الأحاديث العامّيّة التي تنصّ على صلاة أبي بكر بأمر رسول الله(ص)، وأنّها مفتعلة، ولاأساس لها من الصحّة أبداً [حيث نجد هذه الروايات في سيرة ابن هشام(١)، وفي سائر المجاميع التاريخيّة، فارجعوا إليها].

هذا ما كان من حديث مرض رسول الله(ص)، وقد وضعناه بين أيديكم بدءاً من موضوع التخلّف عن بعث أسامة مروراً بالمنع من كتابة النبيّ(ص) الوصيّة، وختاماً بإمامة أبي بكر في صباح يوم الاثنين آخر يوم من عمر النبيّ(ص) المصطنعة كلّ ذلك مؤسّس على خبث فريق المنافقين المحترفين الذي استدعى إيذاء النبيّ(ص) في أيّام مرضه في الساعات الأخيرة من عمره الشريف.

والآن نجري مناقشة موضوعيّة للروايات التي وضعتها عائشة

---

(١)سيرة ابن هشام: ٤٣٩ و ٤٤٠.

لصالحها وصالح أبيها بجامع بحثنا لمرض رسول الله(ص)، وكذلك نناقش الروايات التي افتعلتها لصالح أفراد حزبهم، متوكلين على الله.

١ ـ محمّد بن جرير الطبريّ في كتاب «تاريخ الأمم (الرسل) والملوك» في حوادث السنة الحادية عشرة من الهجرة[١] يروي الرواية التالية:

حدّثني ابن حميد، قال: حدّثنا عليّ بن مجاهد، قال: حدّثنا ابن إسحاق، عن يعقوب بن عتبة، عن محمّد بن مسلم بن شهاب الزهريّ، عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة، عن عائشة زوج النبيّ(ص)، قالت: «رجع رسول الله من البقيع، فوجدني وأنا أجد صداعاً في رأسي وأنا أقول: وا رأساه، قال: بل أنا والله ـ يا عائشة ـ وا رأساه، ثمّ قال: ما ضرّك لو متّ قبلي فقمت عليك وكفّنتك وصلّيت عليك ودفنتك؟

فقلت: والله لكأنّي بك لو فعلت ذلك رجعت إلى بيتي فأعرست ببعض نساءك.

قال: فتبسّم رسول الله(ص) وتنامى به وجعه وهو يدور على نسائه حتّى استعر به، وهو في بيت ميمونة، فدعا نساءه فاستأذنهنّ أن يمرض في بيتي، فأذنّ له، فخرج رسول الله(ص) بين رجلين من أهله أحدهما الفضل بن العبّاس ورجل آخر تخطّ قدماه الأرض، عاصباً رأسه، حتّى دخل بيتي.

---

(١) تاريخ الأمم والملوك: ٢: ٤٣٣.

قال عبيدالله: فحدّثت هذا الحديث عنها عبدالله بن العبّاس، فقال: هل تدري مَن الرجل؟

قلت: لا.

قال: عليّ بن أبي طالب، ولكنّها كانت لاتقدر على أن تذكره بخير وهي تستطيع!».

[هذه الرواية قسّمها ابن هشام إلى قسمين في كتابه «السيرة النبويّة»(١)].

وهنا لابدّ من كوننا لاحظنا أنّ عائشة لكي تحافظ على ماء وجهها، وتثبت للملأ أنّ النبيّ(ص) يحبّها أكثر من جميع نسائه، ادّعت أنّ النبيّ(ص) لمّا عاد من البقيع في أوّل مرضه عرّج على حجرتها، وبعد أن اشتدّ به المرض جمع نساءه حوله واستجازهنّ أن يبقى في بيت عائشة لتمرّضه وتخدمه، فأجزن له ذلك. وجاء النبيّ(ص) إلى بيتها وهو يعتمد على رجلين من قومه إلى بيتها ورجلاه لايقيمهما فهما يخطّان في الأرض، وأقام في بيتها مدّة مرضه حتّى توفّاه الله إليه، وفي قبال ادّعاء عائشة هذا نقول:

أوّلاً: لمّا كان هذا الحديث ذكرته عائشة لتكريم نفسها وإكبار ذاتها، فإنّ العاقل الذي يهمّه معرفة الواقع يسوء به ظنّه وتتناهبه الظنون والهواجس فيه.

ثانياً: عندنا روايات أخرى تخالف رواية عائشة وتنصّ على أنّ

---

(١)السيرة النبويّة: ٤: ٢٩٢ و ٢٩٨.

تمريض رسول الله(ص) كان في بيت غير بيت عائشة، كالرواية التالية التي تدلّ على أنّه مُرّض في بيت زينب بنت جحش:

نكر الطبريّ في حوادث السنة الحادية عشرة من الهجرة[١] هذه الرواية:

«وحدّث عن هشام بن محمّد، عن أبي مخنف، قال: حدّثنا الصقعب بن زهير، عن فقهاء أهل الحجاز: أنّ رسول الله(ص) وجع وجعه الذي قُبض فيه في آخر صفر في أيّام بقين منه وهو في بيت زينب بنت جحش».

ثالثاً: ينبغي أن يكون البيت الذي يمرض فيه رسول الله(ص) في مكان يسهل ارتياده على أهل بيت النبيّ، لاسيّما الأدنين منهم، بخاصّة فاطمة الزهراء وعليّ بن أبي طالب والحسن والحسين(ع)، ولايصعب عليهم الدخول إليه والخروج منه.

ومن الواضح أنّ العداء العلني والظاهر الذي تكنّه عائشة للصدّيقة الزهراء والإمام عليّ بن أبي طالب وسائر أهل البيت، فإنّ بيتها لايصلح لأن يكون مرتاداً لهم بحال من الأحوال.

ألاترونها كيف تبهم اسم الإمام عليّ بن أبي طالب لفرط عدائها له في الجملة:«فخرج رسول الله يتهادى بين رجلين من أهله، الفضل بن العبّاس ورجل آخر..» فلا تصرّح به، وتتجنّب ذكره وتسمّيه «رجل آخر» حتّى أوضح عبدالله بن عبّاس لعبيدالله هدف عائشة من

(١)تاريخ الأمم والملوك: ٢: ٤٣٢.

هذا التعبير، وأعلمه أنّ عائشة قالت ذلك لشديد بغضها له.

هذه القرائن جميعها تدلّ على أنّ عائشة كاذبة، وأنّ رسول الله(ص) يمرّض في غير بيتها.

ويحتمل أنّه كان يُمرّض طول مرضه في بيت زينب بنت جحش، كما رأى ذلك «فقهاء أهل الحجاز»؛ لأنّ زينب بنت جحش المرأة الوحيدة التي يدنو نسبها من نسب أهل البيت، وهي أقرب إليهم منهنّ كلّهنّ، وحينئذ لايحصل لها أو لهم كراهة من كثرة تردّدهم على بيتها، وبالطبع يختار النبيّ لتمريضه بيتاً لايكون في دخوله والخروج منه لابنته فاطمة ولالبعلها عليّ(ع) الذي ما انفكّ ملازماً للنبيّ(ص) حرجٌ من كثرة تردّدهما عليه، وكذلك صاحبة البيت لاينبغي أن يكون في قلبها احن عليهما وأحقاد تظهرها. ومن الواضح أنّ بيت زينب جامع لهذه الشرائط.

ولعلّ قرينة أخرى تؤيّد هذا المذهب من تمريض رسول الله في بيت زينب بنت جحش أنّ اسمها قد تردّد على الألسن في مسألة كتابة الكتاب في روايات كثيرة عندما منع عمر من ذلك وأعانه أصحابه، وكانت زينب قد اختارت الاستقامة في مقابل اعوجاج هؤلاء القوم وكانت جادّة في الحضّ على كتابة الوصيّة(١).

لاينسجم هذا الموضوع مع «حكاية وصيّة النبيّ» إلاّ إذا كان

(١)طبقات ابن سعد: ٢: ٣٨، القسم الثاني. إمتاع الأسماع: ٥٤٦.

في بيت زينب بنت جحش.

٢ ـ يروي أحمد بن حنبل في كتاب المسند[١]، عن عائشة الرواية التالية:

«قال: لمّا ثقل رسول الله(ص) قال رسول الله لعبدالرحمان بن أبي بكر: أئتني بكتف أو لوح حتّى أكتب لأبي بكر كتاباً لايختلف عليه، فلمّا ذهب عبدالرحمان ليقوم قال: أبى الله والمؤمنون أن يختلف عليك يا أبا بكر.

ويروي مسلم بن الحجّاج في كتاب فضائل الصحابة ـ باب من فضائل أبي بكر هذا الحديث:

عن عائشة، قالت:«قال لي رسول الله(ص) في مرضه: ادعي لي أبا بكر أباك وأخاك حتّى أكتب كتاباً، فإنّي أخاف أن يتمنّى متمنٌ أو يقول قائل أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلاّ أبا بكر».

ترون هنا أنّ عائشة ـ وعائشة وحدها ـ تدّعي لمصلحة أبيها أنّ رسول الله أراد في مرض موته أن يكتب لأبي بكر كتاباً لكي لايطمع أحد في خلافته ولايخالفه أحد، ولكنّه انصرف عن ذلك وقال: يأبى الله ذلك والمؤمنون أن يكون أحد غيرك [الروايتان اعلاه نقلهما البلاذريّ في أنساب الأشراف ـ باب قول رسول الله في أبي بكر[٢]].

(١)مسند أحمد بن حنبل: ٦: ٤٧.
(٢)أنساب الأشراف: ١: ٥٤١ و ٥٤٢.

ونقول في هذا الادّعاء:

أوّلاً: بعد أن تمّت البرهنة على أنّ أبا بكر هو الرجل الأوّل في فريق المنافقين المحترفين، وقد جرّده كلام الوحي عن الإيمان وكذّبه على دعواه، ومع هذا الأمر كيف يختاره النبيّ(ص) لشغل منصب الخلافة من بعده، وهل يلتئم ذلك مع العقل؟! بالطبع سوف يأبى الله ورسوله والمؤمنون هذا الاختيار ويمتنعون من قبوله [من أجل الاطّلاع على عدم إيمان أبي بكر الواقعيّ راجعوا على أقلّ تقدير القسم السابع من هذا الكتاب].

ثانياً: لمّا كان الراوي لهذا الادّعاء عائشة ـ وعائشة وحدها ـ في تكريم أبيها ورفع شأنه، فالترديد في قبوله حاصل وهو عرضه لسوء الظنّ.

ثالثاً: حين نراه وقد اوعبه النبيّ(ص) في جيش أسامة وأمّر عليه فتىً لايتخطّى الثامنة عشرة من عمره، وأمره بإطاعة هذا الفتى، وضرب شخصيّته المفتعلة في الصميم، ومع هذا الوصف كيف يخاطبه بقوله: يأبى الله ورسوله أن يكون أميراً سواه، مع أنّ النبيّ(ص) نفسه نراه وقد سوّد عليه مولاه المحرّر ذي الثماني عشرة سنة، وأمره بملازمته وطاعته وعدم عصيان أمره.

رابعاً: ما الذي منع النبيّ(ص) من الكتابة بعد كلّ هذا الادّعاء لكي يكون حجّة واضحة بيد أبي بكر على تقدّمه وعلى صحّة فعّاليّة حزبه، وهل يخاف من تقدّم أبي بكر ممانعة عمر وأنّ النبيّ(ص) غير متيقن من رضا هذا الأخير؟! ويخشى أن يثيرها حرباً شعواء

عليه، ويقولون كتب الوصيّة وهو في حال غياب العقل والهذيان؟! ومع تيقّنه من عدم حدوث ذلك فما باله انصرف عن الكتابة؟ هلاّ كتب هذه الوصيّة النافعة التي ما من أحد يردّها أو ينقضها حتّى لايمتنع عليّ بن أبي طالب والعبّاس بن عبدالمطّلب وسائر بني هاشم وأصحابهم، كالمقداد وأبي ذرّ وسلمان وبريدة وعمّار وخزيمة وغيرهم من البيعة لأبي بكر.

خامساً... وسادساً... !

جميع هذه القرائن نفسها خير دليل على أنّ ادّعاء عائشة في كتابة الوصيّة لأبي بكر كذبٌ من الأساس، وأنّها نحتتها لكي تكرّم أباها وترفع له قدراً من جهة، ومن جهة أخرى تريد أن تقلب الوصيّة التي اشتهرت من كونها لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب(ص) لصالح أبيها وتظهره بمظهر الموصى إليه من قِبل النبيّ(ص)، وبهذا تمحو صورة تلك الوصيّة المعلومة من الأذهان.

أجل، هذه المعارضة نفسها من عائشة أكبر شاهد على وقوع أصل الحكاية، وتثبت وصيّة النبيّ(ص) لعليّ(ع) أكثر وأكثر.

٣ ـ روى ابن هشام في كتاب «السيرة النبويّة»(١) الرواية التالية:

قال الزهريّ: وحدّثني حمزة بن عبدالله بن عمران عن عائشة قالت:«لمّا استعر برسول الله(ص)، قال: مروا أبا بكر فليصلِّ

(١)السيرة النبويّة: ٤: ٣٠١.

بالناس.

قالت: قلت: يا نبيّ الله، إنّ أبا بكر رجل رقيق، ضعيف الصوت، كثير البكاء إذا قرأ القرآن.

قال: مروه فليصلِّ بالناس.

قالت: فعدت بمثل قولي.

فقال: إنّكنّ صواحب يوسف، فمروه فليصلِّ بالناس.

قالت: فوالله ما أقول ذلك إلاّ أنّي كنت أحبّ أن يصرف ذلك عن أبي بكر، وعرفت أنّ الناس لايحبّون رجلاً قام مقامه أبداً، وأنّ الناس سيشأمون به في كلّ حدث كان، فكنت أحبّ أن يصرف ذلك عن أبي بكر.

وكذلك محمّد بن جرير الطبريّ روى عن عائشة في كتاب «تاريخ الأمم (الرسل)والملوك» حوادث السنة الحادية عشرة من الهجرة(١) الرواية التالية:

«قالت: لمّا مرض رسول الله(ص) المرض الذي مات فيه. أذّن بالصلاة، فقال: مروا أبا بكر أن يصلّي بالناس.

فقلت: إنّ أبا بكر رجل رقيق، وأنّه متى يقوم مقامك لايطيق.

قالت: فقال: مروا أبا بكر يصلّي بالناس.

فقلت مثل ذلك، فغضب وقال: إنّكنّ صواحب يوسف، مروا أبا

---

(١)تاريخ الأمم والملوك: ٢: ٤٣٩.

بكر يصلي بالناس!

قالت: فخرج يهادي بين رَجلين وقدماه تخطّان في الأرض، فلمّا دنا من أبي بكر تأخّر أبو بكر فأشار إليه رسول الله(ص) أن قم في مقامك، فقعد رسول الله(ص) فصلى إلى جنب أبي بكر جالساً.

قالت: فكان أبو بكر يصلي بصلاة النبيّ وكان الناس يصلون بصلاة أبي بكر.

لاشكّ بأنكم لاحظتم ما تقصده عائشة من مثل هذه الموضوعات، إنّها تريد أن تحفظ لأبيها ماء وجهه، وتثبت أنّ خلافته ومقامه بعد رسول الله(ص) كان برغبة من رسول الله وتحريض منه(ص) على ذلك أنّها تدّعي فتقول:«لمّا استعر برسول الله(ص) قال:.. إلخ»(وأخيراً بناءً على هذه المقدّمات أمّ أبو بكر المسلمين في الأيّام الأخيرة من عمر رسول الله، وأقيم مقام النبيّ..) !

ونقول في قبال هذا الادّعاء من عائشة:

أوّلاً: كيف يصحّ أن يأمر رسول الله أبا بكر وهو الرجل الأوّل في فريق المنافقين المحترفين، وقد نفى الوحي عنه وعن نظرائه الإيمان، بالصلاة إماماً في المسلمين ويقيمه مقامه في أدقّ الظروف وأكثرها حسّاسيّة، وفي الساعات الأخيرة من عمره.

ثانياً: أليس أبو بكر قد أوعب في بعث أسامة وأمر بملازمة الفتى والسير تحت لوائه إلى الشام، فما معنى إمامته في اصلاة مكان النبيّ(ص)؟ وما هو وجه ذلك بخاصّة في صباح يوم الاثنين، وهو

آخر يوم من عمر النبيّ(ص)، وقد اتّفقت الروايات على ذلك، فما هو تقدير هذا العمل وما حسابه، ليت شعري؟!

اللّهمّ إلاّ أن نقبل رواية الديلميّ حيث مرّت بنا توّاً في بعث أسامة.. فنقول:

أبلغت عائشة أبا بكر وعمر وأبا عبيدة وغيرهم، وكانوا في جيش أسامة عن وضع رسول الله(ص) ومبلغ مرضه، وأمرتهم أن يرجعوا إلى المدينة، ولمّا كان صباح الاثنين ورأت عائشة تثاقل رسول الله، وأنّ المرض استبدّ به، فلم يقدر على الحركة أنبأت أباها بذلك، فعاد هو وأعوانه المتّحدين معه قلباً وقالباً إلى المسجد، فوقف أبوها موقف رسول الله(ص) وراح يؤمّ المسلمين. وقد نقل ابن أبي الحديد المؤرّخ والأديب المعروف عودة أبي بكر بنحو من هذه الرواية وكذلك روى إمامة أبي بكر في اليوم نفسه وقيامه مقام رسول الله(ص) عن أستاذه «أبي يعقوب اللمعانيّ» الرواية نفسها.

قال ابن أبي الحديد عن أستاذه:

«قال: فلمّا ثقل رسول الله(ص) في مرضه أنفذ جيش أسامة وجعل فيه أبا بكر وغيره من أعلام المهاجرين والأنصار.. فكان من عود أبي بكر من جيش أسامة بإرسالها ـ يعني عائشة ـ إليه وإعلامه بأنّ رسول الله يموت ما كان ومن حديث الصلاة بالناس ما عرف.

فقلت له: أفتقول أنت أنّ عائشة عيّنت أباها للصلاة ورسول الله لم

يعيّنه؟!

فقال: أما أنا فلا أقول ذلك، ولكنّ عليّاً كان يقوله، وتكليفي غير تكليفه، كان حاضراً ولم أكن حاضراً...» (٢).

ثالثاً: يفهم من رواية عائشة أنّ إمامة أبيها كانت برغبة منها، ولم تكن بأمر رسول الله(ص)، وقد استعملت دهاءها بذلك.

وتوضيح القضيّة كالتالي:

تقول عائشة عن إمامة أبيها ـ بعد وضع مقدّمات أمامها ترفع من قدر أبيها:«لمّا استعر برسول الله(ص)...»:«ولمّا رأت المرض قد أعيا رسول الله(ص) حتّى أعجزه عن الحركة أمرت أباها ليقوم مقامه ويؤمّ المسلمين في الصلاة، تقول: فاعتذرت عن أبي بكيت وكيت، فلم يرض رسول الله، وأصدر أمره لأبي بكر من جديد، ولمّا أعدت عليه العذر المذكور غضب النبيّ وأمر جادّاً بإمامة أبي بكر، فأمّهم.

وفجأة قلبت الكلام وواصلت حديثها فقالت:«فخرج يهادي بين رَجلين وقدماه يخطّان في الأرض..» لم يقدر على النهوض، فحمله رجلان واستند إليهما، فكان يمشي مثقلاً بالمرض، ولفرط عجزه رجلاه يخطّان الأرض لم يستطع إثباتهما على الأرض، وخرج إلى المسجد.

وهنا يتساءل المحقق الفطن والقارئ اللبيب عن سبب خروج

---

(١)شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢: ٤٥١.

رسول الله(ص) إلى المسجد وهو بهذه الصفة التي روتها عائشة من كونه في ضعف متناه لايستطيع الحركة ولاالقيام إلاّ بالاعتماد على رَجلين، ومع ذلك فقد أصدر أمره لأبي بكر بالصلاة، وفي صباح الاثنين بالذات كما دلت على ذلك روايات عائشة، فكيف خرج إلى المسجد وهو غاية في الضعف وبحالة يرثى لها، وما الموجب لخروجه وهو بهذهِ الحالة الصعبة والصعبة جدّاً؟ أليس عمله هذا دالاً على صحّة ما يقوله الشيعة: أنّ مجيء أبي بكر وأعوانه إلى المسجد كان بطريق الدهاء والمكر منهم، وتقدّم لإمامة الناس لذلك لمّا علم رسول الله به غضب وخرج مع ضعفه الشديد معتمداً على عليّ بن أبى طالب والفضل بن العبّاس، وأخذاه إلى المسجد. فلمّا دخل المسجد نحّى أبا بكر عن إمامة الصلاة وصلى بالناس جالساً لضعفه.

أجل، في روايات أخرى عن طريق العامّة وهي أيضاً كروايات عائشة موضوعة لتوجيه إمامة أبي بكر، تشاهد عبارات مشابهة لعبارات عائشة المزبورة، وكلّها تدلّ على تخلل الدهاء والمكر في تضاعيفها، وبهما تمكّن أبو بكر من اختراق الحواجز المقامة في وجهه والمثول بين يدي المسلمين إماماً للصلاة مكان رسول الله(ص).

مثلاً: جاءت رواية أبي بكر بن عبدالله بن أبي مليكة في إمامة أبي بكر وخروج النبيّ(ص) وهو يؤمّ الناس إلى المسجد على النحو التالي:

«.. لمّا كان يوم الاثنين خرج رسول الله(ص) عاصباً رأسه إلى الصبح، وأبو بكر يصلّي بالناس، فلمّا خرج رسول الله تفرّج

الناس، فعرف أبو بكر أنّ الناس لم يصنعوا ذلك إلاّ لرسول الله -(ص) - فنكص عن مصلاّه، فدفع رسول الله في ظهره وقال: صلِّ بالناس وجلس رسول الله إلى جنبه، فصلّى قاعداً عن يمين أبي بكر، فلمّا فرغ من الصلاة أقبل على الناس فكلمهم رافعاً صوته حتّى خرج صوته من باب المسجد يقول:**أيّها الناس، سعرت النار،وأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم... !»** (١).

أنتم ترون أنّ العبارة نفسها ما زالت تتردّد «فلمّا فرغ من الصلاة...» الحاكية عن شكوى النبيّ(ص) من الوضع الراهن، ولايمكن تطبيقها إلاّ على تكذيب إمامة أبي بكر وإشهار التباني العدوانيّ لذلك الفريق، ونشره على الأمّة.

أجل، كلّ هذه القرائن تدلّ على أنّ إمامة أبي بكر في صباح يوم الاثنين ما كانت عن أمر رسول الله(ص)، وإنّما كان بدهاء من القوم وحيلهم ومكرهم.

٤ -روى ابن هشام في كتاب «السيرة النبويّة» (٢) الرواية التالية:

قال ابن إسحاق: وحدّثني يعقوب بن عتبة، عن الزهريّ، عن عروة، عن عائشة، قالت:«رجع إليَّ رسول الله في ذلك اليوم حين دخل من المسجد فاضطجع في حجري، فدخل عليّ رجل من آل أبي بكر وفي يده سواك أخضر.

---

(١)سيرة ابن هشام: ١: ٣٠٢. تاريخ الطبريّ: ٢: ٤٤٠.

(٢)السيرة النبويّة: ٤: ٣٠٤.

قالت: فنظر رسول الله(ص) إليه في يده نظراً عرفت أنّه يريده، قالت: فقلت: يا رسول الله، أتحبّ أن أعطيك هذا السواك؟

قال: نعم.

قالت: فأخذته فمضغته له حتّى ليّنته، ثمّ أعطيته إيّاه.

قالت: فاستنّ به كأشدّ ما رأيته يستنّ بسواك قطّ ثمّ وضعه ووجدت رسول الله يثقل في حجري، فذهبت أنظر في وجهه، فإذا بصره قد شخص، وهو يقول: بل الرفيق الأعلى من الجنّة.

قالت: فقلت: خيّرت والذي بعثك بالحقّ.

قالت: وقبض رسول الله(ص)».

ويتابع ابن هشام القول فيقول:«قال ابن إسحاق: وحدّثني يحيى بن عبّاد بن عبدالله بن الزبير، عن أبيه عبّاد، قال:«سمعت عائشة تقول: مات رسول الله(ص) بين سحري ونحري، وفي دولتي، لم أظلم فيه أحداً فمن سفهي وحداثة سنّي أنّ رسول الله(ص) قبض وفي حجري ثمّ وضعت رأسه على وسادة وقمت التدم مع النساء وأضرب وجهي».

وهذه الرواية ذاتها ذكرها الطبريّ في حوادث السنة الحادية عشرة من الهجرة في كتابه(١) .

ولو لم يكن بحثنا الفعليّ مناقشة الروايات التي روتها عائشة عن

(١)تاريخ الأمم والملوك: ٢: ٤٤١.

مرض الرسول(ص) بتمامها وكمالها لما نقلت الروايتين أعلاه مطلقاً؛ لأنّ عائشة روت الوضع الذي كان عليه رسول الله(ص) في الدقائق الأخيرة من حياته بوقاحة متناهية، حيث يستحي الإنسان الشريف من سماع هذه الادّعاءات الموضوعة، ناهيك بوضعها في كتاب.

ونحن لكي نعرف أنْ عائشة من المنافقين المحترفين، ويثبت لنا ذلك باليقين، ولكي تعرفوا أيضاً مقدار كره النبيّ لها ينبغي علينا مطالعة الأقسام (١١ و ١٣ و ١٤) من هذا الكتاب بدقة حتّى نُلم برذائل صفاتها ونفسيّاتها الخبيثة، ونعرف من خلال ذلك الباعث لها على هذا الكذب الصراح.

وإلى هنا ننهي البحث والتحقيق في أحاديث عائشة عن مرض رسول الله(ص) ونجمل نتيجة البحث في هذه الخلاصة:

أنّ رسول الله(ص) لم يختر بيت عائشة ليمرض فيه، ولم يمت في بيتها، ولاعلى صدرها ولابين نحرها وسحرها، وعلى هذا الحساب أنّ الرأي الذي يظهر للمحقق خلال ذلك رأي وجيه وعقلائيّ، وهو:

أنّ جميع الروايات التي عيّنت مضجع رسول الله(ص) ومحلّ دفن جسده المقدّس، وما زالت تكيل لعائشة المدائح وتزعم أنّ ذلك شرف لها لايدانيه شرف، وكثرت حول ذلك الأحاديث التي تشيد بها وبدارها، والقصص التي تتحدّث عن عظيم شأنها وقدرها في هذا الموضوع، كلّ هذه الروايات من وضع واختلاق «جهاز الوضع الحاكم» وهو بعيد عن الحقيقة بعد المشرقين.

هذا ما كان من أمر مرض رسول الله(ص)، والآن نذهب إلى بحث روايات الوفاة وتحقيقها، ومناقشة ما يلزم من ذلك.

تحقيق وفاة النبي(ص) وبحث الروايات حول ذلك

اتّفقت روايات العامّة على أنّ أبا بكر ساعة وقوع المصيبة وحدوث الوفاة كان في السنح، والذي يبعد ميلاً واحداً عن المدينة، وكان عمر يتلصّص له عن قرب على بيت رسول الله(ص)، والآن بعد أخذنا هذه اللقطة التاريخية بنظر الاعتبار، وهي محلّ اتّفاق نشرع في تحقيق قضيّة «الوفاة».

روى محمّد بن إسحاق في كتاب «الطبقات الكبرى»[1]، عن عائشة الرواية أدناه:

«لمّا توفّي رسول الله(ص) استأذن عمر والمغيرة بن شعبة، فدخلا عليه، فكشفا الثوب عن وجهه فقال عمر: واغشياه! ما أشدّ غشي رسول الله(ص)، ثمّ قاما فلمّا انتهيا إلى الباب قال المغيرة: يا عمر، مات والله رسول الله(ص).

فقال عمر: كذبت ما مات رسول الله، ولكنّك رجل تحوشك فتنة، ولن يموت رسول الله حتّى يفنى المنافقين.

[وهذه الرواية مذكورة في مسند أحمد:٦:٢١٩. أنساب الأشراف:١:٥٦٣. كنز العمّال:٧:١٦٠، وردت في هذه الكتب كلّها].

وتلاحظون هنا إنكار عمر العلنيّ لموت رسول الله(ص) مع وضوحه للجميع.

---

(١)الطبقات الكبرى: ٢: ٥٤، القسم الثاني.

ويروي الطبريّ[(١)] وجه معارضة عمر بن الخطّاب للمسلمين الموجودين ساعتئذ في بيت رسول الله(ص) والقائلين بموته الرواية التالية:

«إنّ رجالاً من المنافقين يزعمون أنّ رسول الله(ص) توفّي وأنّ رسول الله والله ما مات، ولكنّه ذهب إلى ربّه كما ذهب موسى بن عمران، فغاب عن قومه أربعين ليلة، ثمّ رجع بعد أن قيل قد مات، والله ليرجعنّ رسول الله(ص) فليقطعنّ أيدي رجال وأرجلهم يزعمون أنّ رسول الله(ص) قد مات» [ونفس الرواية وردت في تاريخ اليعقوبيّ: ٢: ١٠٥، وأنسابالأشراف: ١: ٥٦٥].

وفي الروايات العاميّة الأخرى جاء تهديد عمر على النحو التالي:

«مَن قال إنّ محمّداً قد مات ضربته بسيفي...»، «أخذ بقائم سيفه وقال:«لاأسمع أحداً يقول: مات رسول الله(ص) إلاّ ضربته بسيفي هذا...»، «.. مَن قال أنّه قد مات علوت رأسه بسيفي».. إلخ.

وعلى كلّ حال، فإنّ عمر بن الخطّاب أقام هذه الجلبة منكراً موت رسول الله(ص)حتّى اضطرّ بعض الأصحاب إلى إثبات ضلاله أن يستعين بلغة الوحي ونسبة النبيّ(ص) وتثبيت له خطأه في الأمر، منهم «ابن امّ مكتوم» مؤذّن رسول الله المعروف الذي أثبت له ضلاله بقرائة الآية الشريفة: ﴿**وَمَا مُحمَّدٌ إلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنْقَلِبْ عَلَى**

(١)تاريخ الأمم والملوك: ٢: ٤٢٢.

عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (١).

فأقام الحجّة عليه في المسجد وأفهمه بأنّ ادعاءه عدم موت النبيّ(ص) لاأساس له (٢).

والرجل الثاني الذي قاوم عمر مقاومة شديدة هو العبّاس بن عبدالمطّلب عمّ النبيّ(ص)، وقال له: لاريب بأنّ النبيّ(ص) قد توفّاه الله إليه (٣).

ولمّا رأى عمر لايحول ولايزول عن ادّعائه حول وجهه إلى المسلمين وخاطبهم أكان النبي(ص) قد عهد إلى أحد منكم أنّه لايموت.

فأجابه الناس: كلاّ ما عهد إلينا رسول الله(ص) عهداً بذلك، ثمّ حوّل وجهه إلى عمر وقال له: وهل عهد إليك أنت يا عمر شيئاً من هذا فتكون مختصّاً به وحدك.

فقال عمر: كلاّ، فاستقبل العبّاس الناس بوجهه، وقال: أيّها الناس، اشهدوا أنّ النبيّ لم يعهد إلى أحد عهداً بذلك (٤).

أقسم بالله العظيم أنّ رسول الله قد مات وختمت حياته الشريفة (٥).

---

(١)آل عمران ٣: ١٤٤.

(٢)راجع: تاريخ البداية والنهاية: ٥: ٢٤٣. كنز العمّال: ٧: ١٧٢.

(٣)التمهيد للباقلانيّ: ١٩٢.

(٤)البداية والنهاية: ٥: ٢٤٣.

(٥)الطبقات الكبرى: ٢: ٥٧، القسم الثاني. تاريخ أبي الفداء: ١: ١٥٢.

وقال العبّاس عقب إصرار عمر وأعوانه على قولهم: إنّ رسول الله يأس كما يأس البشر، وأنّ رسول الله قد مات فادفنوا صاحبكم أيميت أحدكم إماتة ويميته إماتتين؟!

هو اكرم على الله من ذلك، فإن كان كما تقولون فليس على الله بعزيز أن يبحث عنه التراب فيخرجه إن شاء الله(١).

أجل، يستطيع المرء أن يدرك هنا قوّة تسلّط عمر بن الخطّاب على أفكار المسلمين في تلك الآونة لأنّنا نراه قد تمكّن من الوقوف وحده في قبال فهم عموم الناس، واستطاع أن ينكر أمراً بديهيّاً مشاهداً، وهو موت النبيّ(ص)، واستطاع أن يترك بهذا الإنكار أثره على أفكار الناس بحيث قام إليه العبّاس بن عبدالمطّلب كبير بني هاشم يطلب ويلتمس من الناس أن يدفنوا النبيّ(ص) ولايتركوا جسمه طريحاً على الأرض؛ لأنّ ذلك يوجب هتكاً لحرمته.

وعلى أيّة حال، كلّ هذه الحجج والاعتراضات لم تثن عمر عن إنكاره، ولم تترك فيه قليل أثر، فما زال يجأر بدعواه ويرفع بها عقيرته، وينهى الناس عن التصديق بموت النبيّ بحيث امتلأ شدقاه بالزبد(٢).

(١)الطبقات الكبرى: ٢: ٥٣، القسم الثاني. أنساب الأشراف: ١: ٥٦٧. كنز العمّال: ٧: ١٧١، الحديث ١٠٩.

(٢)أنساب الأشراف: ١: ٥٦٧. الطبقات الكبرى: ٢: ٥٣، القسم الثاني. كنز العمّال: ٧: ١٧١، الحديث ١٠٨٩.

واستمرّ عمر في صياحه ومقاومته للناس إلى أن ذهب «سالم بن عبيد الأشجعيّ» وهو واحد من المسلمين الفقراء ومن أهل الصفة إلى السنح فأعلم أبا بكر بوفاة النبيّ(ص)[١].

وأقبل أبو بكر يريد المسجد وبيت النبيّ(ص)، ولمّا وصل إلى هناك وجد عمر ما يزال يهدّد الناس وينفي موت النبيّ(ص)، فدلف إلى حجرةالنبيّ(ص) دون أن يكلّم أحداً ورفع الغطاء عن وجه رسول الله(ص)، ولمّا رأى وجهه قال: اُقسم بالله بأنّ محمّداً قد مات.

وروى المتّقيّ الهنديّ في «كنز العمّال»[٢]، وابن كثير في «البداية والنهاية»[٣] الرواية التالية:

«.. وجلس عمر حين رأى أبا بكر مقبلاً»، وأقلع عن التهديد، فاستقبل أبو بكر عمر والمسلمين بوجهه وقال: مَن كان يعبد الله فإنّ الله حيّ لايموت، ومَن كان يعبد محمّداً فإنّ محمّداً قد مات..[٤].

وقرأ الآية مؤيّداً بها قوله: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ**﴾[٥].

---

(١)البداية والنهاية: ٥: ٢٤٤.
(٢)كنز العمّال: ٧: ١٧٢، الحديث ١٠٩٠.
(٣)البداية والنهاية: ٥: ٢٤٣.
(٤)وهذا يا سيّدي من سوء أدب الشيخ، فمن الذي يعبد محمّداً حتّى تجرّأ الشيخ فقال هذه الكلمة التي أخزاه الله وأخزى حزبه بها. المترجم.
(٥)آل عمران ٣: ١٤٤.

وهذه قرأها من قبله ابن أمّ مكتوم على عمر لإثبات خطأه، فلم يتّعظ بها(١).

فقال عمر: أهذه الآية في كتاب الله؟!

فقال أبو بكر: نعم(٢).

وها هو يبين عن واقعه وما عليه حاله في هذه العبارات فيقول:«والله ما هو إلاّ أن سمعت أبا بكر يتلوها، فعقرت حتّى وقعت إلى الأرض ما تحملني رجلاي، وعرفت أنّ رسول الله قد مات..(٣).

ثمّ إنّ الوضع الذي جرى عليه الموقف من وصول أبي بكر وتلاوته الآية، وما أظهره عمر بعد ذلك من الهدوء ليدلّ دلالة أكيدة على تقدّم أبي بكر على عمر، وأنّه المطاع في حزبه، والمقدّم فيهم، والمهيمن عليهم، حتّى على عمر نفسه، وهذا المشهد يوضّح مدى الأسبقيّة التي يوليها إيّاه هذا الحزب، لأنّنا عندما نشاهد عمر قبل وصول أبي بكر يصول ويجول في تلك الجلبة التي افتعلها، ويظهر من نفسه الجزع والهياج، حتّى أزبد شدقاه، كما تقدّم بيانه، وإذا به بعد وصول أبي بكر واستقباله إيّاه بوجهه يخفت في مكانه كما يخفت الضرم ويسكن كما يسكن الثور الهائج، بحيث افترش الأرض وألقى

(١)الطبقات الكبرى: ٢: ٥٤، القسم الثاني. تاريخ الطبريّ: ٢: ٤٤٤. تاريخ البداية والنهاية: ٥: ٢٤٣.

(٢)الطبقات الكبرى: ٢: ٥٤، القسم الثاني.

(٣)السيرة النبويّة: ٤: ٣٠٦. تاريخ الطبريّ: ٢: ٤٤٢. تاريخ ابن كثير: ٥: ٢٤٢.

بثقله عليها.

ومن الطبيعيّ أن يظهر ذلك حدود شخصيّة عمر بالنسبة إلى أبي بكر، وأنّه كالصديق الصغير الحقير أمام صديقه القويّ القدير، وكأنّه أنقذه من كلّ همومه وآلامه وعقده.

أجل، لقد كان سبق أبي بكر بدهائه ومكره وتسلّطه الإرادي على سائر المنافقين المحترفين على هذا النحو!!

وعلى أيّة حال، فإنّ الإنسان النابه، وصاحب الفكر المدقق عندما يحقّق وفاة النبيّ(ص) أو يناقش فصولها يسأل نفسه:

١ ـ لماذا أقام أبو بكر في السنح والنبيّ في السياق، وقد توفّي والرجل ما يزال حيث هو، وبقي عمر مشرفاً على الوضع عن كثب في بيت النبيّ(ص)؟

٢ ـ ولماذا أقام تلك الجلبة عند وفاة رسول الله(ص)، وأنكر موت النبيّ(ص) وهدّد الناس بالقتل والأذى؟

٣ ـ لماذا انتدب لإشعار أبي بكر بالحادث «سالم بن عبيد» الذي هو من فقراء المسلمين، ومن أهل الصفّة أيضاً، وأرسل إليه وأخبره بوفاة النبيّ(ص)؟

٤ ـ لماذا عمر بن الخطّاب هدأت فورته، وسكنت شقشقته عندما رأى صاحبه مقبلاً وأقلع عمّا كان عليه من الزعاق والتهديد، وجلس إلى الأرض ساكناً هادئاً؟

لماذا؟ ولماذا؟ ولماذا؟

ومن أجل العثور على الجواب الصحيح لهذه الأسئلة ينبغي أنْ نعطف إلى النتائج المتقدّمة للبحثين:

«بعث أسامة» و «مرض النبيّ(ص)» بعد أن اتّضح لدينا من بعث أسامة أنّه كان أساساً لإبعاد المنافقين المحترفين وأعوانهم عن مسرح أحداث المدينة لكي تتمّ خلافة أمير المؤمنين(ع) على الوجه الأكمل وبصفة طبيعيّة دون معارضة من أحد، ويبايعه المسلمين بعيداً عن المعارضات وأحداث الشغب، فإذا عاد جيش أسامة وعاد المنافقون إلى المدينة يكون الوضع قد تمّ، وأمر الخلافة قد انتظم.

ورأينا كيف عمل المنافقون المحترفون بخاصّة الرؤوس منهم في ذلك الحادث على البقاء في المدينة، ورفض الطاعة والانصياع لأمر النبيّ(ص)، وبعد أن أخرجوا بالرغم عليهم والتحقوا بجيش أسامة، بأي شكل عطّلوا سير أسامة وعادوا إلى المدينة.

ورأينا في بحثنا حول وفاة النبيّ(ص) وتحقيقنا لهذه المصيبة المروّعة كيف اتّضح لنا بأنّه على أثر ظهور المرض على رسول الله(ص) كيف عمل المنافقون المحترفون لوضع خططهم وتنفيذها، وكانوا أكثر جدّيّة من ذي قبل ورابطوا عند بيت رسول الله(ص) يراقبون أوضاعه الداخليّة كي يكونوا على حذر خشية أن يصدر أمر من رسول الله(ص) يناقض ما يقومون به من أهداف وتصاميم، وهناك نمونجان لهذه الحقائق هما منع عمر بن الخطّاب من كتابة الكتاب، وصلاة أبي بكر يوم الاثنين، وهو يوم يعتبر آخر الأيّام في عمر رسول الله(ص)، وهذان النمونجان يدلاّن على تحرّك القوم

لإمرار مخطّطاتهم وفعّاليّاتهم الحزبيّة.

والآن بعد استحضارنا المطالب الماضية يتّضح لنا بشكل ظاهر لاغبار عليه قضيّة إمامة أبي بكر يوم الاثنين آخر أيّام النبيّ(ص) بحيث أدّى ذلك إلى خروج النبيّ(ص) مضطرّاً مع ضعفه الفائق ودخوله بين المصلّين، وتنحية أبي بكر حتّى أمّ الناس جالساً لفرط ضعفه، بعد ذلك شكا ممّا فعل أبي بكر وحزبه وصاح بالناس:«**أيّها الناس، سعّرت النار، وأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم**».

ومن الطبيعيّ أن لايبقى أبو بكر بعد هذا الحادث، وأن يذهب إلى السنح ليخفي نفسه، حيث كانت زوجته الثانية هناك، ولكن لمّا تأكّد لديهم أنّ صحّة النبيّ(ص) مالت إلى الأسوأ واشتدّ به المرض، وما كان مجيئه إلى المسجد (وهو في الحال التي هو عليها بحيث استند إلى عليّ بن أبي طالب(ع) والفضل بن العبّاس، وأخذاه إلى المسجد وهو يتمايل يميناً وشمالاً، ولشدّة ضعفه يخطّ الأرض برجليه) إلاّ لعطفه على عليّ بن أبي طالب(ع) خوفه من أن يغلب على أمره، ودفاعاً عن حقّه في مثل هذه المشاهد الحسّاسّة.

وعلى أساس من هذا الوضع السائد في غياب أبي بكر عنه على عمر (وهو الرجل الثاني في فريق المنافقين المحترفين والحوزة الخشناء، والرجل الفظّ الغليظ)أن يكون ناظراً على الأوضاع مراقباً لها حتّى يهيمن على الناس عندما تحدث الوفاة ويقبض على زمام المبادرة بيديه خشية أن تقع اُمور غير مرغوب فيها قبل قدوم أبي بكر، وتغيّر مسير الخطّة التي اتّخذوها وناطوا بها آمالهم في الحكم،

وتخالف أهدافهم ومصالحهم الحزبيّة، وكان بينهم وبين أبي بكر مسيرة ساعتين، فلا بدّ من مرور وقت ما حتّى يلحق بهم صاحبهم وهو في السنح ويجتمع بهم في بيت رسول الله(ص) وفي المسجد، وهذا الوقت كاف لحمل بني هاشم وجماعة من المهاجرين والأنصار على بيعة عليّ(ع)، وعندئذ يدخل الحزب في دوّامة من الأمور الصعبة المعقدة والعمل المجهد الذي قد لايؤدّي إلى الهدف المنشود.

من ثمّ رأى عمر بن الخطّاب أنّ الصلاح في أحداث هذه الجعجعة وإنكار موت رسول الله(ص) حتّى يشغل الناس عن هول الفاجعة بما يحدث بنفوسهم من الأمل وإن كان شاحباً، إلاّ أنّه أميل على كلّ حال، إلى أن يلحق بهم صاحبهم أبو بكر ويحضر اجتماع المسلمين، وحينئذ يفلت الزمام من أيدي أهل البيت(ع).

ومن الصدف السيّئة أنّ هذه الخطّة فعلت فعلتها، وآتت ثمارها المرجوّة، وفي حمأة هذه الجلبة عدا سالم بن عبيد وهو من فقراء أهل الصفّة وراء أبي بكر وعاد به إلى المدينة. وها هو «سالم بن عبيد» يتحدّث عن تلك القضيّة فيقول: لمّا توفّي رسول الله(ص) قام عمر بسيفه فاخترطه فقال: والله لاأسمع أحداً يقول إنّ رسول الله(ص) مات إلاّ ضربته بسيفي هذا.

قال سالم: فقيل لي: اذهب إلى صاحب رسول الله(ص) فادعه، فذهبت فوجدت أبا بكر فأجهشت أبكي.

فقال: لعلّ رسول الله توفّي.

فقلت: إنّ عمر ليقول: لاأسمع أحداً يذكر وفاته إلاّ ضربته

بسيفي، فأقبل يمشي حتّى أتى رسول الله(ص) فأكبّ عليه ثمّ قرأ: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَيِّتُونَ ﴾ (١)، فقالوا: يا صاحب رسول الله، توفّي رسول الله؟

قال: نعم، فعلموا أنّه كما قال(٢).

وعلى أيّة حال، فإنّ الجلبة التي أحدثها عمر عند وفاة النبيّ(ص) أوجبت اضطراب الفكر عند الناس إلى الحدّ الذي حمل بعض محبّي عمر ومؤيّديه عمله في ذلك اليوم على الجنون(٣).

مع أنّه لو كان عمله هذا يدلّ على جنونه لما كان ارتفع عنه الجنون بمجرّد وقوع عينه على أبي بكر، ولما كان يستطيع المشاركة في غائلة السقيفة، وتكون له تلك الفعّاليّة الناجحة في اختيار أبي بكر للخلافة.

وإلى هنا ننهي البحث والتوضيح الموصول بأولى الحوادث التي استجدّت بعد وفاة النبيّ(ص) ومناقشة الجلبة التي أحدثها عمر بن الخطّاب عند وفاة النبيّ(ص)، ونذهب إلى بيان حوادث تجهيز النبيّ(ص) وموضوع تغسيله وتكفينه ودفنه.

فمن الضروريّ القول بأنّه منذ وفاة النبيّ(ص) والتشكيك الذي أعلنه عمر بن الخطّاب حول موت النبيّ(ص)، والتهديدات التي أطلقها بين الناس، فإنّ أحداً لم يجرأ على الإقدام لتجهيز النبيّ(ص)

---

(١)الزمر ٣٩: ٣٠.
(٢)أسد الغابة: ٢: ٢٤٨.
(٣)السيرة الحلبيّة: ٣: ٣٩٢.

وتغسيله وتكفينه ودفنه.

كما رأينا كيف راح العبّاس بن عبدالمطّلب عمّ النبيّ يرجوه أن يكفّ من هذه البلبلة ويربع على ضلعه، ويقلع عن ضجّته، ولكن لم يلتفت إليه أحد، وعندما وصل أبو بكر واتّصل بجميع أصحابه المنافقين المحترفين هدأت فورة عمر عندئذ وسكنت شقشقته، وقرّت وطوى الضوضاء التي أعلنها من رأس ولزم من ذلك أن يستعدّ الناس بعد ذلك للتجهيز ومقدّم على كلّ شيء تغسيل النبيّ وتكفينه.

وبناءً على هذا، فإنّ التقاليد الأسريّة والأحكام الدينيّة تقتضي أن يقوم أقرباؤه بعمل ذلك، وقد اتّفقت روايات الفريقين على أنّ عليّاً بن أبي طالب(ص) هو الذي تولى أمر ذلك.

ويروي أحمد بن حنبل عن ابن عبّاس في هذا الموضوع الرواية الآتية:«قال: لمّا اجتمع القوم لغسل رسول الله(ص) وليس في البيت إلاّ أهله، عمّه العبّاس بن عبدالمطّلب وعليّ بن أبي طالب والفضل بن العبّاس وقثم بن العبّاس وأسامة بن زيد بن حارثة وصالح مولاه، قال: فأسنده إلى صدره وعليه قميصه، وكان العبّاس والفضل وقثم يقلّبونه مع عليّ بن أبي طالب، وكان أسامة بن زيد وصالح مولاه يصبّان الماء، وجعل علي يغسله» (١).

نلاحظ هنا أنّ الذي غسّل النبيّ(ص) هو الإمام أمير المؤمنين(ع) نفسه، وأعانه الباقون، ومسألة حصر غسل النبيّ

(١)مسند أحمد بن حنبل: ١: ٢٦٠.

بعليّ(ع) لم تقتصر على مسند أحمد، بل أوردها العامّة في سائر مصادرهم، وها هي فهرسة على أساس نماذج منها:

الطبقات الكبرى:٢: ٦١، القسم الثاني.

السيرة النبويّة: ٤: ٣١٢.

تاريخ اليعقوبي: ٣: ١٠٤.

تاريخ الطبريّ:٢: ٤٥١، وغيرها.

وبينما عليّ بن أبي طالب وأعوانه مقيماً على غسل رسول الله(ص) وأبو بكر والمتحزّبون معه يراقبونهم عن كثب لئلاّ يُبايع عليّ أو أحد غيره بالخلافة، ويتزعّم الأمّة، وإذا بخبر عاجل يفاجئ أبا بكر وحزبه، وهو: أنّ الأنصار مجتمعون في «سقيفة بني ساعدة» ويتحدّثون في أمر البيعة والزعامة، واختيار الخليفة، فترك أبو بكر فوراً جنازة رسول الله(ص) إلى أهله وهرع ومعه زميله عمر بن الخطّاب إلى السقيفة مسرعين.

يقول ابن هشام في بيان حكاية السقيفة:

«فأتى آت إلى أبي بكر وعمر فقال: إنّ هذا الحيّ من الأنصار مع سعد بن عبادة في سقيفة بين ساعدة قد انحازوا إليه، فإن كان لكم بأمر الناس حاجة فأدركوا قبل أن يتفاقم أمرهم ورسول الله(ص) في بيته لم يفرغ من أمره، قد أغلق دونه الباب أهله، قال عمر: فقلت لأبي بكر: انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار حتّى ننظر ما

هم عليه»[(١)].

وذكر الطبريّ نحواً من ذلك:

«وعليّ بن أبي طالب(ص) دائب في جهاز رسول الله(ص) فمضيا مسرعين نحوهم»[(٢)].

وعلى أيّة حال، فلمّا ذهب أبو بكر والمتحزّبون معه إلى سقيفة بني ساعدة اشتغل بأمر الخلافة، وبطبيعة الحال، فإنّ تجهيز رسول الله(ص) ودفنه أوكل إلى أهل بيته، وإلى عدد قليل جدّاً من المسلمين الذين لم يكونوا أذناباً لحزب أبي بكر وأعوانه، وعامّة الناس المسلمين، وكذلك فريق المنافقين المحترفين وأحلافهم (وهم أولئك الذين أمروا بترك المدينة وقصد الروم مع بعث أسامة) وبقوا إلى مساء يوم الثلاثاء يتنازعون في سقيفة بني ساعدة على الخلافة!!

[تمّ بحث حديث السقيفة في الفصل التالي الفصل الخامس بشكل تامّ].

وأوضح ابن الأثير موضوع تجهيز رسول الله(ص) من غسل وكفن ودفن على يد عليّ بن أبي طالب وسائر أقربائه على النحو التالي:

«قبض رسول الله(ص) يوم الاثنين الضحى، ودفن يوم الثلاثاء حين زاغت الشمس، وقيل بل دفن ليلة الأربعاء، وصلى عليه عليّ

(١)السيرة النبويّة: ٤: ٣٠٧.
(٢)تاريخ الطبريّ: ٢: ٤٥٦.

والعبّاس وأهل بيته، ثمّ خرجوا، ثمّ دخل المهاجرون فصلوا عليه، ثمّ النساء، ثمّ العبيد يصلون عليه إرسالاً لم يؤمّهم أحد.. وكان عليّ يلي غسله والعبّاس والفضل وقثم وأسامة وصالح يصبّون عليه، ولم ينزعوا عنه ثيابه، وكفّن في ثلاثة أثواب بيض، ونزل في قبره عليّ والعبّاس والفضل وقثم وشقران وأسامة وأوس بن خولي» (١).

واشترك الأنصاريّ بطلب من الأنصار في دفن رسول الله(ص).

وذكر ابن إسحاق كيفيّة الصلاة على رسول الله(ص) على النحو التالي فقال: دخل الناس على رسول الله(ص) يصلون عليه إرسالاً حتّى إذا فرغ الرجال أدخل النساء حتّى إذا فرغ النساء أدخل الصبيان، ثمّ أدخل العبيد، ولم يؤمّ الناس على رسول الله(ص) أحد (٢).

وروى ابن سعد كيفيّة الصلاة على النبيّ(ص) هكذا:

«صلّى على رسول الله(ص) بغير إمام يدخل عليه المسلمون زمراً زمراً.

وعلى أيّة حال، فلا اختلاف بين المسلمين على أنّ جهاز رسول الله(ص) من غسل وكفن ودفن، كان بعهدة الإمام عليّ بن أبي طالب(ع)، وأقرباء النبيّ الأدنين، وأنّ جلّ المسلمين قد تركوا جهاز

(١)أسد الغابة: ١: ٣١.
(٢)تاريخ الطبريّ: ١: ٤٥٢. سيرة ابن هشام: ٤: ٣١٤.

رسول الله وهرعوا مع أبي بكر وأتباعه وشغلوا بما يجري في السقيفة، وما يؤول إليه أمر البيعة، وجعلها لأبي بكر، وكذلك لاختلاف بين المسلمين في هذا الأمر، والاختلاف الوحيد هو فيما يأتي:

.. دلت روايات الشيعة على أنّ جلّ المسلمين لانشغالهم بأمر السقيفة والبيعة لأبي بكر لم يحضروا الصلاة على رسول الله(ص) ولادفنه بخلاف الروايات العاميّة، فقد زعمت أنّ أبا بكر ومعه كافّة المسلمين قد حضروا تجهيز النبيّ(ص) عصر يوم الثلاثاء، وبعد الفراغ من الصلاة عليه حضروا دفنه من أجل عزل الحقّ عن الباطل نقول:

بعد رجوعنا إلى الروايات المعهودة نراها قد اتّفقت على أنّ النبيّ(ص) قد دفن في الحجرة التي قبض فيها، وكان المسلمون يدخلون زمراً زمراً للصلاة عليه..

وتنشأ من هذه الرواية رواية أخرى وقعت موقع التصديق العمليّ والتأييد الجغرافيّ من أنّ المدينة لموقعها في هذا الجزء من العالم تفتقر إلى الماء والهواء المساعدين على نموّ أشجار باسقة ذات فروع طويلة تتّخذ لرفع السقوف الواسعة لكي يكون بالإمكان اتّخاذ السقوف الطويلة العريضة منها، فكانت الحجر في المدينة تبنى على شكل يتناغم والبيئة الجغرافيّة فيها، من ثمّ لاتكون حجرها إلاّ ضيّقة صغيرة القطر.

ومن المعلوم أنّ الحجرة التي دفن فيها النبيّ(ص) كانت مبنيّة على هذا الطراز، فإذا ما دخلها المسلمون زمراً زمراً للصلاة عليه ويخرجون منها، فإنّها لاتتّسع حينئذ لأكثر من عشرة أشخاص إلى اثنى عشر وإلى عشرين على أكبر تقدير.

وبعد أن وضعنا بين أيدينا على هذه الحقائق لتكون نصب أعيننا الآن على مجريات الأحداث في قضيّة جهاز النبيّ(ص) طبقاً لمرويّات العامّة التي نالت قبولهم ورضاهم حتّى يتسنّى لنا فرز الحقّ عن الباطل في موارد الاختلاف.

روى ابن هشام في كتاب «السيرة النبويّة» الرواية الآتية:

«قال ابن إسحاق: فلمّا بويع أبو بكر (رضي الله عنه) أقبل الناس على جهاز رسول الله(ص) يوم الثلاثاء (١)، فلمّا فرغ من غسل رسول الله(ص) كفّن في ثلاثة أثواب ثوبين صحاريّين وبرد حبرة أدرج فيه (٢)، فلمّا فرغ من جهاز رسول الله(ص) يوم الثلاثاء وضع على سريره في بيته... ثمّ دخل الناس على رسول الله(ص) يصلّون عليه إرسالاً دخل الرجال حتّى إذا فرغوا أدخل النساء حتّى إذا فرغ النساء أدخل الصبيان، ولم يؤمّ الناس على رسول الله(ص) أحد، ثمّ دفن رسول الله(ص) من وسط الليل ليلة الأربعاء (٣).

(١)السيرة النبويّة: ٤: ٣١٢.
(٢)السيرة النبويّة: ٤: ٣١٣.
(٣)السيرة النبويّة: ٤: ٣١٤.

وهذا الحديث المنكور مصدّق من قِبل سائر الجوامع الحديثيّة العاميّة، وقد ورد في سيرة ابن هشام، يعتبر هذا الحديث أنّ جهاز رسول الله(ص) من غسل وكفن وصلاة عليه ودفنه قد تمّ بعد استكمال البيعة لأبي بكر وإمامته للناس في صلاة يوم الثلاثاء، ويلزم من ذلك أمور:

أوّلاً: بقاء جثمان النبيّ(ص) من ظهر يوم الاثنين إلى عصر يوم الثلاثاء مسجّىً على الأرض بلا غسل ولاكفن، ويكون العمل قد جرى مع جثمان النبيّ(ص) على خلاف سنّته القطعيّة الناهية عن تأخير تجهيز الميّت والآمرة بالإسراع في ذلك.

ثانيا: لو ذهبنا إلى ما ذهبت إليه الروايات من أنّ تجهيز النبيّ(ص) وغسله وتكفينه ودفنه كان مطابقاً لفحواها لكان ينبغي أن لاتطول المدّة في صلاة المسلمين على نبيّهم على أكثر من ثماني ساعات (هي المدّة الزمانيّة القائمة بين عصر يوم الثلاثاء إلى نصف الليل من ليلة الأربعاء يستثنى منها أوّل الوقت وآخره، حيث تستغرقه سنن الغسل والكفن وحفر القبر وتقاليد الدفن).

مع أنّنا لو أخذنا أقلّ ما يمكن أخذه من الوقت لدخول جماعة مؤلّفه من عشرين مصلٍّ إلى حجرة النبيّ(ص) وأداء الصلاة وخروجهم بعد ذلك، فإنّه لايتجاوز الدقائق الخمس، ولاينقص عنها.

وحينئذ يكون مجموع ما يمكن دخوله في هذه الساعات الثمانية التي صلّى المسلمون فيها على جثمان النبيّ(ص) اثنى عشر ألفاً لايزيدون على ذلك.

ومن الواضح أنّ هذا العدد القليل لايتّفق مع منطوق الروايات المذكورة التي صرّحت بما لايقبل الشكّ بأنّ جميع المسلمين من رجل وامرأة، وكبير وصغير، وحرّ وعبد، أجمعين صلّوا على جثمان النبيّ(ص).

وبناءً على هذا، فإنّ الروايات الشيعيّة التي تقول أنّ أكثر المسلمين لاشتغالهم بوقائع السقيفة، وأخذ البيعة لأبي بكر، لم يشاركوا في جهاز النبيّ(ص) والصلاة عليه، ولم يحضروا دفنه.

هذه الرواية أقرب إلى القبول وأكثر انسجاماً مع المعقول، وينبغي أن يكون تجهيز رسول الله(ص)بناءً على روايات العامّة الأخرى، ومجموع روايات الشيعة قد تمّ بواسطة أهل بيته وسائر المقرّبين منهم، وأقرباء النبيّ(ص) ومن المسلمين الذين لم يشتركوا في فتن السقيفة.

وجاء في روايات الشيعة بصراحة أنّ الإمام بعد فراغه من عمل الغسل وإدراج النبيّ(ص) في كفنه وبعد أداء الصلاة على النبيّ(ص) منه ومن أهل بيته بعث إلى المسلمين المنهمكين في جدال السقيفة وترصّد أحداثها رسولاً يدعوهم إلى الحضور لأداء الصلاة على النبيّ(ص) ودفنه، ولكنّهم لم يلقوا بالاً لطلب الإمام(ع)لانكبابهم على مسئلة البيعة لصاحبهم، ولم يحضروا الصلاة على النبيّ(ص) ولم يحضروا دفنه.

وأقام هذه الطقوس عليّ(ع) ومَن معه من أهل بيته، والمسلمون الحاضرون، وبعد أن دفن الإمام النبيّ(ص) أخذ بتسوية قبره، وبينما

هو بهذه الحال، وإذا بالخبر قد جاءه: أنّ أبا بكر قد تربّع على كرسيّ الحكم، وبايعه الناس، وبعد أن وعى أمير المؤمنين(ع) الخبر المؤسف رفع يديه عن تراب القبر وتلا هذهِ الآيات الشريفة بجهد شديد:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ * أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (١).

وأخبر مَن حضر عنده بأنّ خطراً مبيداً، وبلاءاً عتيداً، ومحنة زائدة قد داهمت المسلمين.

وعلى أيّة حال، لاشكّ في غياب المنافقين المحترفين وأعوانهم عن حضور تجهيز النبيّ(ص) ودفنه. والدلائل العلميّة والشواهد التاريخيّة تؤيّد مدلول الروايات الشيعيّة، مضافاً إلى ما يعثر عليه الباحث هنا وهناك من الروايات العامّيّة التي تؤيّد مذهب الشيعة في غياب القوم عن حضور طقوس تجهيز النبيّ(ص) ودفنه، ونحن نأخذ هنا عيّنات من تلك الروايات للتدليل على ذلك:

١ ـ روى ابن هشام قضيّة حفر قبر رسول الله(ص) كالتالي:

«.. قال ابن إسحاق: وحدّثني حسين بن عبدالله، عن عكرمة،

---

(١) العنكبوت ٢٩: ١ ـ ٤.

عن ابن عبّاس، قال:«لمّا أرادوا أن يحفروا لرسول الله(ص) وكان أبو عبيدة بن الجرّاح يضرح كحفر أهل مكّة، وكان أبو طلحة زيد بن سهل وهو الذي يحفر لأهل المدينة، فكان يلحد فدعا العبّاس رجلين فقال لأحدهما: اذهب إلى أبي عبيدة بن الجرّاح وللآخر اذهب إلى أبي طلحة. اللّهمّ خر لرسول الله(ص) فوجد صاحب أبي طلحة أبا طلحة، فجاء به فلحد لرسول الله(ص)»(١).

وهنا نلاحظ بأنّ أبا عبيدة بن الجرّاح (وهو الرجل الثالث في فريق المنافقين المحترفين، والمدير المعروف للسقيفة) لم يحضر حفر قبر النبيّ(ص)، ومن الطبيعيّ أن يغيب عن حضور الدفن.

٢ ـروى المتّقيّ الهنديّ في كنز العمّال(٢)، عن عروة بن الزبير الرواية التالية:

«.. إنّ أبا بكر وعمر لم يشهدا دفن النبيّ(ص)، وكانا في الأنصار، فدفن قبل أن يرجعا».

نجد هنا نفي حضور أبي بكر (الرجل الأوّل في فريق المنافقين المحترفين)، ونفي حضور عمر (الرجل الثاني في الفريق) مراسم دفن النبيّ(ص).

٣ ـوذكر ابن الأثير في حقّ المغيرة بن شعبة (المنافق المعروف في هذا الفريق)القول الآتي:

---

(١)السيرة النبويّة: ٤: ٣١٣. تاريخ الطبريّ: ٢: ٤٥١.

(٢)كنز العمّال: ٥: ٣٨١.

«وكان المغيرة يدّعي أنّه ألقى خاتمه في قبر رسول الله(ص)، فنزل ليأخذه، فكان آخرهم عهداً برسول الله(ص)، ولم يصحّ ذلك ولم يحضر دفنه، فضلاً عن أن يكون آخرهم عهداً به»(١).

ونلاحظ هنا كيف غاب المغيرة بن شعبة، وهو أحد المعروفين المنافقين المحترفين، وكان في أحداث ما بعد الوفاة وفي فتنة السقيفة، وما أشبه ذلك جميعاً حاضراً لم يفارقها، وكان واحداً من أعوان أبي بكر ومساعديه، وكذلك عمر، لم يحضر الدفن ولكنّه بعد ذلك ـ صيانة لماء وجهه ـ ادّعى ذلك الادّعاء الكاذب وأشاعه بين الناس.

ثمّ إنّنا عندما نشاهد رؤوس القوم كأبي بكر بن أبي قحافة وعمر بن الخطّاب وأبي عبيدة بن الجرّاح والمغيرة بن شعبة، وهم أبرز شخصيّات فريق المنافقين المحترفين لم يشهدوا طقوس تجهيز النبيّ(ص) ولم يشاركوا في دفنه يكون من الطبيعيّ إذن أن يتغيّب جميع أفراد حزبهم عن الحضور في أداء تلك المراسيم، ويكونوا قد انهمكوا حتّى شحوم آذانهم في فتن السقيفة وعمليات غصب الخلافة، وما ورد من ذلك في روايات الشيعة عنهم فإنّه مقترن بالحقيقة.

وهذا ما كان من حديث انتقال رسول الله(ص) إلى الرفيق الأعلى، وقد وضعناه بين أيديكم من أوّله إلى آخره، وكلّه يدلّ على تناهي القدرة التي يتمتّع بها فريق المنافقين المحترفين على الوضع الاجتماعيّ للمسلمين يوم ذاك، ويرينا هذا الواقع أنّ هذا الحزب قد اتّخذ قراره بتصفية مخالفيه على أيّ وجه اتّفق.

---

(١)أسد الغابة: ١: ٣٤.

طلب العباس مبايعة أمير المؤمنين(ع):

والآن على أثر هذا الفهم الذي حزناه من مجموع ما تقدّم نعمد إلى بحث الطلب الذي تقدّم العبّاس به عند تجهيز النبيّ(ص) إلى الإمام عليّ بن أبي طالب(ص) ليبايعه، وكان يعتقد أنّه بفعل ذلك يضع الركيزة الأولى في خلافة عليّ أمير المؤمنين(ع).

فيما تقدّم كنّا قد ذكرنا أنّه بقدوم أبي بكر بن أبي قحافة من السنح واجتماعه بأصحابه قضى على عربدة عمر وتشكيكه بموت النبيّ(ص)، وطوى الضجّة التي أحدثها بادّعاء عدم وفاة النبيّ(ص)، بينما كان عليّ بن أبي طالب(ص) وسائر أقربائه وأهل بيت النبيّ(ص) مشغولين بتجهيز النبيّ وغسله وكفنه، وكان أبو بكر والمتحزّبون معه يراقبون القضيّة عن كثب خشية أن ينبري أحد من المسلمين فيبايع عليّ بن أبي طالب(ص)، أو يبايع غيره من المسلمين، إذ فاجأهم خبر مرعب عن اجتماع الأنصار في سقيفة بني ساعدة وهم يتحدّثون بشأن الخلافة وزعامة المسلمين.

وعند سماعهم هذا الخبر المزعج رأيناهم كيف خفّوا إلى ذلك المكان مسرعين وتركوا جنازة رسول الله(ص) ومعهم جماعتهم وأفراد حزبهم المنافق المحترف. وانتهى الأمر بوصولهم إلى كرسيّ الخلافة بعد إجهازهم على تطلّعات الأنصار.

وعند خروج المومأ إليهم إلى السقيفة وانشغال الإمام بجهاز النبيّ(ص) رأى بعضهم ـ كالعبّاس بن عبدالمطّلب ـ أن يبايعوا عليّ بن أبي طالب سرّاً ويقدّموه للخلافة لكي يقيموا أساس الخلافة لعليّ

بن أبي طالب (عليهما السلام) قبل أن يصل أبو بكر إلى نتيجة في سقيفة بني ساعدة.

ولكنّ الإمام عليّاً(ع) وقف موقف الرافض من اقتراح عمّه، وتابعه الجماعة الذين يهتدون بهداه، وقال لهم:بنا بجهاز رسول الله شغل.

ويروي ابن سعد في «الطبقات الكبرى»(١) الرواية التالية:

«.. لمّا توفّي رسول الله(ص) قال العبّاس: يا عليّ، قم حتّى أبايعك ومَن حضر، فإنّ هذا الأمر إذا كان لم يرد مثله».

والمسعوديّ في «مروج الذهب» ضبط اقتراح العبّاس على هذا النحو:«يابن أخي، هلمّ إليَّ أن أبايعك فلا يختلف عليك اثنان»(٢).

وفي «الإمامة والسياسة»(٣) جاء اقتراح العبّاس بن عبدالمطّلب على هذا الشكل:«ابسط يدك أبايعك، فيقال: عمّ رسول الله بايع ابن عمّ رسول الله، ويبايعك أهل بيتك، فانّ هذا الأمر إذا كان لم يقل».

وفي «تاريخ الإسلام»(٤) نكر أنّ اقتراح العبّاس كان بهذه الصيغة:«ابسط يدك فلنبايعك...».

هذا جانب من الروايات ذات الصلة بالموضوع ترينا أنّ

---

(١)الطبقات الكبرى: ٢: ٣٩، القسم الثاني.
(٢)مروج الذهب: ١: ٤٥٠.
(٣)الإمامة والسياسة: ١: ١٢.
(٤)تاريخ الإسلام للذهبيّ: ١: ٣٢٩.

العبّاس بن عبدالمطلب(ع) وموافقوه بالرأي خطّطوا لبيعة عليّ(ع) بالشكل الذي ارتأوه، ولكنّ عليّاً خيّب ظنّهم، وردّ اقتراحهم، والآن نقول كما يأتي في بحث هذا الحادث نفسه:

بعد أن أثبتنا بالبرهان القاطع أنّ المنافقين المحترفين كانت لهم السيطرة التامّة على الوضع الاجتماعيّ للمسلمين يومئذ، وكانوا قد اتّخذوا قرارهم على تصفية مخالفيهم بأيّ وجه اتّفق، وعلى أيّ ثمن كان، كما رأينا في تخلّفهم عن بعث اسامة، ومنعهم من كتابة الوصيّة للنبيّ(ص)، وتقديمهم أبا بكر للصلاة إماماً في صباح يوم الاثنين آخر أيام رسول الله(ص)، والضجّة المدوّية التي أقامها عمر من عدم موت النبيّ(ص)، وإسراعهم إلى سقيفة بني ساعدة وإبطال مخطّط الأنصار حتّى أخفقوا فيما أرادوه، وأمثال ذلك من الدلائل الواضحة على هذا الأمر.

وبناءً على هذا لو أنّ عليّاً بن أبي طالب(ع) عمل باقتراح العبّاس بن عبدالمطّلب وموافقيه، ورفع علم الخلاف عليهم علناً، فليس من المستبعد قطعاً أن يحلّ البلاء بالمسلمين، ومن الممكن أن ينشأ بينهم خلاف دمويّ بالقرب من جنازة النبيّ(ص) فيسفك الفرد منهم دم الآخر، وتعمّ الفتنة والفساد بلاد المسلمين كلّها، ولاشكّ سوف يترك هذا المشهد آثاره على الإسلام إلى أبد الآبدين..

هذا كلّه يرجع إلى علم أمير المؤمنين(ع) وفهمه ودرايته وكمال عقله، ولذلك وضع يده في صدر عمّه العبّاس وموافقته، فردّهم وأجابه بإرادة مصحوبة بالأدب الرفيع: «لنا بجهاز رسول الله شغل».

نحن الآن ماضون في تجهيز النبيّ وغسله وكفنه!

وفي ختام هذا البحث لابدّ من الإشارة إلى نكتة اُخرى، ولكنّها ضروريّة: ذكر في روايات الفريقين مكرّراً أنّه كما أظهر العبّاس بن أبي طالب وآخرون من بني هاشم وغيرهم الرغبة الشديدة في البيعة لعليّ بن أبي طالب(ع) كذلك أظهرها أبو سفيان من الحزب الأمويّ، واقترح البيعة لعليّ بن أبي طالب(ع).

وأصرّ على ذلك وعمل جاهداً لتنفيذها، وروايات من هذا القبيل موجودة عن طرق الفريقين، أمّا نحن فإنّ ما بيّناه في بحثنا هذا بصورة مكرّرة من الروابط القلبيّة بين المنافقين المحترفين من رؤوس المشركين من قريش -حتّى قبل فتح مكّة- من الآيات الشريفة ولغة الوحي، وأوضحناه في هذه الطروس، وعلمنا علماً يقيناً بروابطهم السياسيّة التي ينحون بها إلى حرمان أهل البيت(ع)، لاسيّما عليّ بن أبي طالب من الخلافة وزعامة المسلمين.

[كما يظهر ذلك من تحقيق الآيات (٢٨) إلى (٣٢) سورة «آل عمران» في «القسم التاسع» من الكتاب، ومن تحقيق الآيات (١٣٦) إلى (١٤٧) من سورة «النساء» في الفصل السادس من «القسم الخامس عشر» من الكتاب، وكذلك من تحقيق الآيات من سورة محمّد(ص) في المقطع الأوّل من «القسم السادس عشر» من الكتاب، وقد تمّت البرهنة على ذلك].

فإنّ بطلان هذه الروايات يكون من الأمور البديهيّة عندما نعرضها على الآيات من لغة الوحي، وثبوت الخلافة في الفرع

الأمويّ بعد هلاك أبي بكر وعمر شاهد حيّ على التبانيّ العدوانيّ الذي أشرنا إليه بينهم وبين المشركين، لاسيّما البيت الأمويّ منهم.

وإلى هنا نختم البحث والتحقيق الخاصّين بمجرى الأحداث ذات الصلة بوفاة رسول الله(ص)، وفي الفصل القادم نعمد إلى بحث «حديث السقيفة» ومناقشته.

تحقيق حديث السقيفة

تمّ ضبط حديث السقيفة في الجوامع الحديثيّة والمسانيد عند العامّة بالشكل التالي، ونحن من أجل تسهيل بحثها نأتي بها فيما يلي، ونورد فقرات من متن حديث السقيفة ونقسّمها إلى مجموعات معلّمين على كلّ مجموعة منها بالأرقام طلباً للتسهيل:

١ ـ «إنّ النبيّ(ص) لمّا قبض اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة، فقالوا: نولّي هذا الأمر بعد محمّد(ع) سعد بن عبادة، وأخرجوا سعداً إليهم وهو مريض، فلمّا اجتمعوا قال لابنه ـ أو بعض بني عمّه: إنّي لاأقدر لشكواي أن أسمع القوم كلّهم كلامي، ولكن تلقّ منّي قولي فأسمعوه، فكان يتكلّم ويحفظ الرجل قوله، فيرفع صوته فيُسمع أصحابه».

٢ ـ «فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: يا معشر الأنصار، لكم سابقة في الدين، وفضيلة في الإسلام، ليست لقبيلة من العرب أنّ محمّداً(ع) لبث بضع عشرة سنة في قومه يدعوهم إلى عبادة الرحمان، وخلع الأنداد والأوثان، فما آمن به من قومه إلاّ رجال قليل، وكان ما كانوا يقدرون على أن يمنعوا رسول الله(ص)، ولاأن يغزّوا دينه، ولاأن يدفعوا ضيماً عمّوا به، حتّى إذا أراد بكم الفضيلة ساق إليكم الكرامة، وخصّكم بالنعمة، فرزقكم الله الإيمان به وبرسوله، والمنع له ولأصحابه، والاعزاز له ولدينه، والجهاد لأعدائه، فكنتم أشدّ الناس على عدوّه منكم، وأثقله على عدوّه من

غيركم حتّى استقامت العرب لأمر الله طوعاً وكرهاً، وأعطى البعيد المقادة صاغراً داخراً حتّى أثخن الله عزّ وجلّ لرسوله بكم الأرض، ودانت بأسيافه لكم العرب، وتوفّاه الله وهو عنكم راض، وبكم قرير العين، استبدّوا بهذا الأمر دون الناس.

فأجابوه بأجمعهم: أن قد وفّقت في الرأي، وأصبت في القول، ولن نعدو ما رأيت، نوليك هذا الأمر، فإنّك فينا مقنع، ولصالح المؤمنين رضاً.

٣ ـ ثمّ إنّهم ترادّوا الكلام بينهم، فقالوا: فإن أبت مهاجرة قريش فقالوا: نحن المهاجرون وصحابة رسول الله الأوّلون ونحن عشيرته وأوليائه، فعلام تنازعوننا هذا الأمر من بعده؟! فقالت طائفة منهم: فإنّا نقول إذن منّا أمير ومنكم أمير، ولن نرضى بدون هذا الأمر أبداً.

فقال سعد حين سمعها: هذا أوّل الوهن.

٤ ـ وأتى عمر الخبر، فأقبل إلى منزل النبيّ(ص) فأرسل إلى أبي بكر ـ وأبي بكر في الدار، وعليّ دائب في جهاز رسول الله(ص) ـ فأرسل إلى أبي بكر: أن اخرج إليَّ، فأرسل إليه: إنّي مشتغل، فأرسل إليه: أنّه قد حدث أمر لابدّ لك من حضوره، فخرج إليه.

فقال: أما علمت أنّ الأنصار قد اجتمعت في سقيفة بني ساعدة يريدون أن يولّوا هذا الأمر سعد بن أبي عبادة، وأحسنهم مقالة مَن يقول: منّا أمير ومن قريش أمير؟!

فمضيا مسرعَين نحوهم فلقيا أبا عبيدة بن الجرّاح فتماشوا إليه ثلاثتهم، فلقيهم عاصم بن عدي وعويم بن ساعدة، فقال لهم: ارجعوا، فإنّه لايكون ما تريدون.

فقالوا: لانفعل، فجاءوا وهم مجتمعون.

فقال عمر بن الخطّاب: أتيناهم وقد كنت زويت كلاماً أردت أن أقوم به فيهم، فلمّا أن دفعت إليهم ذهبت لابتدأ المنطق، فقال لي أبو بكر: رويداً حتّى أتكلم ثمّ انطق بعد بما أحببت.

فنطق فقال عمر: فما شيء كنت أردت أن أقوله إلاّ وقد أتى به أو زاد عليه.

٥ ـ فبدأ أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: إنّ الله بعث محمّداً رسولاً إلى خلقه، وشهيداً على اُمّته ليعبدوا الله ويوحّدوه، وهم يعبدون من دونه آلهة شتّى، ويزعمون أنّها لهم عنده شافعة ولهم نافعة، وإنّما هي من حجر منحوت، وخشب منجور، ثمّ قرأ: **﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاَءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللهِ﴾**(١).

وقالوا: **﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى﴾**(٢).

فعظم على العرب أن يتركوا دين آبائهم، فخصّ الله المهاجرين الأوّلين من قومه، بتصديقه، والإيمان به، والمواساة له، والصبر معه

---

(١)يونس ١٠: ١٨.
(٢)الزمر ٣٩: ٣.

على شدّة أذى قومه لهم، وتكذيبهم إيّاهم، وكلّ الناس له مخالف زار عليهم، فلم يستوحشوا لقلّة عددهم، وشنف الناس لهم، وإجماع قومهم عليهم، فهم أوّل مَن عبد الله في الأرض، وآمن بالله وبالرسول، وهم أوليائه وعشيرته، وأحقّ الناس بهذا الأمر من بعده، ولاينازعهم إلاّ ظالم.

وأنتم يا معشر الأنصار مَن لاينكر فضلهم في الدين، ولاسابقتهم العظيمة في الإسلام، رضيكم الله أنصاراً لدينه ورسوله، وجعل إليكم هجرته، وفيكم جلّة أزواجه وأصحابه، فليس بعد المهاجرين الأوّلين عندنا بمنزلتكم، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء، لاتفاتون بمشورة ولاتقضى دونكم الأمور.

٦ ـ«فقام الحبّاب بن المنذر بن الجموح، فقال: يا معشر الأنصار، أملكوا عليكم أمركم، فإنّ الناس في فيئكم وفي ظلّكم، ولن يجترئ مجترئ على خلافكم، ولن يصدر الناس إلاّ عن رأيكم.

أنتم أهل العزّ والثروة، وأولوا العدد والمنعة والتجربة ذوو البأس والنجدة، وإنّما ينظر الناس إلى ما تصنعون، ولاتختلفوا فيفسد عليكم رأيكم، وينتقض عليكم أمركم، فإن أبى هؤلاء إلاّ ما سمعتم، فمنا أمير ومنكم أمير.

فقال عمر هيهات، لايجتمع اثنان في قرن. والله لاترضى العرب أن يؤمّروكم ونبيّها من غيركم، ولكنّ العرب لاتمتنع أن تولّي أمرها مَن كانت النبوّة فيهم، وليّ أمورهم منهم، ولنا بذلك على مَن أبى من العرب الحجّة الظاهرة والسلطان المبين، مَن ذا ينازعنا

سلطان محمّد وإمارته ونحن أولياؤه وعشيرته، إلاّ مدل بباطل أو متجانف لاثم، أو متورّط في هلكة.

٧ ـ فقام الحبّاب بن المنذر فقال: يا معشر الأنصار، املكوا على أيديكم، ولاتسمعوا مقالة هذا وأصحابه، فيذهب بنصيبكم من هذا الأمر، فإن أبوا عليكم ما سألتموه فاجلوهم عن هذه البلاد، وتولوا عليهم هذه الأمور، فأنتم ـ واللهِ ـ أحقّ بهذا الأمر منهم، فإنّه بأسيافكم دان الناس لهذا الدين مَن دان ممّن لم يكن يدين، أنا جذيلها المحكّك، وعذيقها المُرجَّب، أما والله لئن شئتم لنعيدنها جذعة.

فقال عمر: إذن يقتلك الله.

قال: بل إيّاك يقتل.

فقال أبو عبيدة: يا معشر الأنصار، إنّكم أوّل مَن نصر وآزر، فلا تكونوا أوّل مَن بدّل وغيّر.

ولمّا وصل النزاع والجدل إلى هذا الحدّ قام أبو عبيدة فخاطب الأنصار (القول المتقدّم).

٨ ـ فقام بشير بن سعد ـ أبو النعمان بن بشير ـ فقال: يا معشر الأنصار، إنّا والله لئن كنّا أولي فضيلة في جهاد المشركين، وسابقة في هذا الدين، ما أردنا به إلاّ رضا ربّنا، وطاعة نبيّنا، والكدح لأنفسنا، فما ينبغي لنا أن نستطيل على الناس بذلك، ولانبتغي به من الدنيا عرضاً، فإنّ الله وليّ المنّة علينا بذلك، إلاّ أنّ محمّداً من قريش وقومه أحقّ به وأولى.

وأيم الله، لايراني الله أنازعهم هذا الأمر أبداً، فاتقوا الله ولاتخالفوهم ولاتنازعوهم.

٩ ـ فقال أبو بكر: هذا عمر وهذا أبو عبيدة، فأيّهما شئتم فبايعوا.

فقال عمر: لاوالله، لانتولى هذا الأمر عليك، فإنّك أفضل المهاجرين، وثاني اثنين إذ هما في الغار، وخليفة رسول الله على الصلاة، والصلاة أفضل دين المسلمين، فمن ذا ينبغي له أن يتقدّمك أو يتولى هذا الأمر عليك؟! ابسط يدك نبايعك، فلمّا ذهبا ليبايعاه سبقهما إليه بشير بن سعد فبايعه، فناداه الحبّاب بن المنذر: يا بشير بن سعد، عققت عقاق ما أحوجك إلى ما صنعت، أنفست على ابن عمّك الإمارة؟

فقال: لاوالله، ولكن كرهت أن أنازع قوماً حقاً جعله الله لهم.

ولمّا رأت الأوس ما صنع بشير بن سعد، وما تدعوا إليه قريش، وما تطلب الخزرج من تأمير سعد بن عبادة، قال بعضهم لبعض ـ وفيهم أسيد بن حضير، وكان أحد النقباء: والله لئن وليتها الخزرج عليكم مرّة لازالت لهم عليكم بذلك الفضيلة، ولاجعلوا لكم معهم نصيباً أبداً، فقوموا فبايعوا أبا بكر.

فقاموا إليه فبايعوه، فانكسر على سعد بن عبادة وعلى الخزرج ما كانوا أجمعوا له من أمرهم.

١٠ ـ وإن أسلم أقبلت بجماعتها ـ حتّى تضايق بهم السكك ـ فبايعوا أبا

بكر، فكان عمر يقول: ما هو إلا أن رأيت أسلم فأيقنت بالنصر(١).

١١ ـ فأقبل الناس من كلّ جانب يبايعون أبا بكر، وكادوا يطأون سعد بن عبادة، فقال ناس من أصحاب سعد: اتّقوا سعداً لاتطأوه.

فقال عمر اقتلوه قتله الله، ثمّ قام على رأسه فقال: لقد هممت أن أطأك حتّى تندر عضوك.

فأخذ قيس بن سعد بلحية عمر فقال: والله لو خصصت منه شعرة ما رجعت وفي فيك واضحة.

فقال أبو بكر: مهلاً يا عمر، الرفق هاهنا أبلغ، فأعرض عنه عمر وقال سعد: أما والله لو أنّ بي قوّة ما أقوى على النهوض لسمعت منّي في أقطارها وسككها زئيراً يجحرك وأصحابك. أما والله إذاً لألحقنّك بقوم كنت فيهم تابعاً غير متبوع، احملوني من هذا المكان.

فحملوه فأدخلوه داره، وترك أيّاماً، ثمّ بعث إليه أقبل فبايع، فقد بايع الناس، وبايع قومك، فقال: أما والله حتّى أرميكم بما في كنانتي من نبلي، وأخضب سنان رمحي، وأضربكم بسيفي ما ملكته بيدي، وأقاتلكم بأهل بيتي، ومَن أطاعني من قومي، فلا أفعل وأيم الله لو أن الجنّ اجتمعت لكم مع الإنس ما بايعتكم، حتّى أعرض على ربّي وأعلم ما حسابي.

---

(١)قبيلة أسلم، وهم من سكان البادية، وكانوا كثيري النفوس وافري العدد.

١٢ ـ فلمّا أتى أبو بكر بذلك قال له عمر: لاتدعه حتّى يبايع.

فقال له بشير بن سعد: إنّه قد لجّ وأبى وليس بمبايعكم حتّى يقتل، وليس بمقتول حتّى يقتل معه ولده وأهل بيته وطائفة من عشيرته، فاتركوه فليس تركه بضارّ لكم، إنّما هو رجل واحد، فتركوه وقبلوا مشورة بشير بن سعد، واستنصحوه لما بدا لهم منه، فكان سعد لايصلي بصلاتهم، ولايجمع معهم، ويحجّ ولايفيض معهم بإفاضتهم، فلم يزل كذلك حتّى هلك أبو بكر.

١٣ ـ لمّا بويع أبو بكر في السقيفة وكان الغد جلس أبو بكر على المنبر فقام عمر فتكلم قبل أبي بكر، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثمّ قال: أيّها الناس، إنّي قد كنت قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت إلاّ عن رأيي، وما وجدتها في كتاب الله، ولاكانت عهداً عهده إليّ رسول الله(ص)، ولكنّي قد كنت أرى أنّ رسول الله سيدبّر أمرنا حتّى يكون آخرنا، وأنّ الله قد أبقى فيكم كتابه الذي هدى به رسول الله، فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه له، وأنّ الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله، وثاني اثنين إذ هما في الغار، فقوموا فبايعوا.

١٤ ـ «فبايع الناس أبا بكر البيعة العامّة بعد بيعة السقيفة».

١٥ ـ ثمّ تكلّم أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه بالذي هو أهله، ثمّ قال: أمّا بعد أيّها النّاس، إنّي قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوّموني. الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قويّ عندي حتّى أريح عليه حقه إن شاء الله،

والقويّ منكم الضعيف عندي حتّى آخذ الحقّ منه إن شاء الله، لايدع أحد منكم الجهاد في سبيل الله، فإنّه لايدعه قوم إلاّ ضربهم الله بالذلّ، ولاتشيع الفاحشة في قوم إلاّ غمّهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم، قوموا إلى صلاتكم رحمكم الله».

وهذا هو المتن التامّ لحديث السقيفة الذي ذكرته المجامع الحديثيّة والتاريخيّة عند أهل العامّة، ونحن نقلناه من الروايات المقبولة في تاريخ الأمم والملوك لمحمّد بن جرير الطبريّ، وقد قطّعناه إلى خمسة عشر قطعة ونظّمناه على هذا المنوال.

والآن نذهب بالبحث إلى تحقيق هذا الحدث المهمّ فنقول:

أوّلاً: ينبغي علينا أن نتعرّف على سقيفة بني ساعدة من حيث الوضع والتأسيس والاتّساع، فما هو موقعها؟ ولماذا أقيمت؟ وكم تستوعب من الناس؟

وفي البدء علينا أن نعرف بأنّ كلمة السقيفة«سقيفة بني ساعدة» قدْ تستبدل في بعض الروايات المتّصلة بالموضوع بلفظ «ظلّة بني ساعدة» (١)، وبناءً على هذا ينبغي أن يتمّ الجواب على الأسئلة المتقدّمة من مناقشة اللفظ اللغويّ لهاتين المفردتين «**السقيفة**»و «**الظلّة**».

---

(١)تاريخ الطبريّ: ٢: ٤٤٤.

أمّا كلمة السقيفة فقد عنونت في الكتب اللغويّة بالعبارة التالية:«السقيفة ـ كسفينة: الصفّة، ومنها سقيفة بني ساعدة، ومثل يقال في لفظ «الظلّة»، فقد جاء معناها في الكتب اللغويّة المعتمدة هكذا:«الظلّة: المظلّة الضيّقة»، الظلّة شيء أيضاً كالصفّة يستتر به من الحرّ والبرد..».

ونرجع إلى كلمة الصفّة فنجد معناها على هذا السياق: صفة الدار، صفة السرج، أهل الصفّة: الذين يبيتون في مسجد النبيّ(ص)، وهي المظلّة التي ترتفع على الرؤوس لتحدث لها ظلاً، وفي محاولتنا لمعرفة بني ساعدة فقد جاء تعريفهم في الكتب المعنيّة ببيان هذه المعاني:«بنو ساعدة قوم من الخزرج وسقيفتهم بالمدينة بمنزلة دار لهم..»(١).

فإذا تفحّصنا المجموع اللغويّ أعلاه، وضممناه إلى هذا الأصل العلميّ الجغرافي، وهو أنّ المدينة لافتقارها إلى الماء لأنّ الماء فيها نزر يسير، وإلى المناخ المساعد، فلا تبسق فيها الأشجار، ولاتمتدّ في الأفق شأن البلاد ذات المياه الوافرة والهواء الصالح، فلا يمكن أن تنشأ فيها الأدواح والأشجار الكبيرة ذات الفروع الباسقة الممتدّة كالغابات مثلاً التي تصلح لبناء السقوف العالية الواسعة.

وعلى هذا الأساس، يمكن أن نتصوّر سقيفة بني ساعدة بأنّها ظلّة ضيّقة لااتّساع لها أقامها بنو ساعدة (بطن من طائفة الخزرج) لتظلّهم، ومَن يعود إليهم من الأهل والعيال والأولاد، وتخفّف عنهم،

(١)قاموس اللغة. منتهب الإرب. المنجد، وغيرها.

وتروّح عنهم أذى الحرّ، وتمنحهم الظلّ المطلوب، ويجتمع فيها عند الحاجة بعض رجالات القبيلة إذا حزبهم أمر أو طرأ عليهم طارئ.

وبناءً على هذا من الواضح أنّ ظلّة كهذه لايمكن أن تجمع المؤمنين كلهم أبداً (الذين تمّ التعبير عنهم بلفظ «الأنصار»).

وعلى هذا الأساس، فلا يمكن أن تتسع إلاّ لبني ساعدة وجماعة من الناس الذين يتفقون مع سعد بن عبادة في الرأي، وهم الذين خطّطوا لاجتماع سقيفة بني ساعدة، وقصروه على جماعتهم، ولم يضعوا أهل المدينة في اعتبارهم.

ومن المعلوم أيضاً أنّ حضور تلك الفئة المخالفة لسعد إنما كان للتجسّس ورصد سير الأمور فيها، وللمعارضة إن اقتضى الأمر ذلك، كما كان حضور «بشير بن سعد» و«أسيد بن حضير» وهما رجلان من رؤساء طائفة الخزرج والأوس، ولكلّ واحد منهما أتباع ومؤيّدون، لهذا الهدف، أي لغرض التجسّس واستطلاع الحال والمعارضة.

أجل، حينما نشاهد الروايات العاميّة من جهة تصرّح بأنّ:«أسيد بن حضير» و «بشير بن سعد» كان في «بعث أسامة»، وقد أُمرا بمصاحبته إلى بلاد الروم، وأن يخلفا المدينة وراءهما.

ومن جهة أخرى نرى هذين الرجلين وأتباعهما، ومَن له هوىً فيهما يسيئون القول في سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة، ويدّعون ضدّه ويعينون خصومه عليه، ويهرعون إلى بيعة أبي بكر على رغم آناف القوم، ويغتنمون البيعة بأيديهم قبل أي واحد من الناس، ندرك

بوضوح أنّ حضورهم في سقيفة بني ساعدة كان لغرض الاستطلاع والمعارضة لسعد، ولم يقدموا على السقيفة لبيعة سعد لينال خلافة رسول الله أو لمعاضدته وشدّ أزره، وبهذا النظر الدقيق يتّضح لنا أنّ الجملة التالية:«إنّ النبيّ لمّا قبض اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة فقالوا: نولي هذا الأمر بعد محمّد(ع) سعد بن عبادة» المنكورة عند الرقم (١)، وتدلّ على أنّ الأنصار بفئاتهم المختلفة وطوائفهم المعلومة، بطونها وأفخاذها وعشائرها من القبيلتين الأوس والخزرج اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة لتأمير سعد بن عبادة بعد وفاة النبيّ(ص).

هذه الجملة تكون على إطلاقها كذباً محضاً، والذين اجتمعوا في السقيفة يومئذ لايخلو أمر من أن يكونوا من بني ساعدة وحده، أو منهم، وممّن يتّفق مع سعد في الرأي، ويميل إليه بهواه.

ما هو هدف سعد من كل هذا؟

هذا، حتّى ننظر في حقيقة فكر سعد بن عبادة وحقيقه هدفه هو وأتباعه في تأليف الجمع في السقيفة، ما هو، وما دلالته.

ثانياً: بعد أن ثبت لدينا أنّ أمير المؤمنين عليّاً بن أبي طالب(ص) بأمر الله قد اختير بعد رسول الله(ص) للإمامة والخلافة (وقد كانت أهمّ المباحث المعتمدة في هذا الكتاب دليلاً نيّراً على هذا الأمر)، وينبغي علينا والحال هذه أن نتغلغل في فكر المدبرين للسقيفة، سواء الموافق منهم والمخالف لنتعرّف على الهدف الأصليّ لهذه الحركة حتّى ينجلي لنا السبب الذي حمل سعداً بن عبادة وأتباعه

على المسارعة إلى فتح هذا الباب على المسلمين. هذا من جانب.

ومن جانب آخر، نتعرّف على الأضداد والمخالفين لسعد وفكرته مَن هم؟ وما هي الغاية من مهاجمتهم سعداً وأعوانه.

ظهر لنا من مناقشة مجموع الروايات العامّيّة المتّصلة بحادثة السقيفة بشكل جليّ أن أظهر فرد من أفراد الجهة الموافقة إنّما هو سعد بن عبادة ونجله السعيد قيس بن سعد وصفيّه وعونه الأقرب إليه «الحبّاب بن المنذر»، ونرى في الجهة المخالفة أيضاً أظهرهم أبو بكر بن أبي قحافة وعمر بن الخطّاب وأبو عبيدة بن الجرّاح وعبدالرحمن بن عوف والمغيرة بن شعبة وسالم مولى حذيفة وأسيد بن حضير وبشير بن سعد وعويم بن ساعدة وغيرهم.

وفي هذا الفحص الدقيق يتّضح لنا أنّ في الجهة المخالفة نفس الرؤوس المعروفة في فريق «المنافقين المحترفين»، وقد تصفّحنا أوراقهم جميعاً في تضاعيف هذا الكتاب من البدء إلى المنتهى.

وعرفنا في الماضي القريب وضعهم في بعث أسامة، ومرض رسول الله(ص)، ووفاته، وناقشنا ذلك مناقشة جادّة.

وبناءً على هذا اتّضح لنا جيّداً أنّ فكر المخالفين وهدفهم في هجومهم على السقيفة هو الفكر عينه والهدف ذاته الذي حملهم على الامتناع من الخروج في بعث أسامة، وقد أخفقت الخطّة التي اتّخذها النبيّ(ص) لنفيهم عن المدينة بسبب هذا الامتناع وبنفس الفكر والهدف حالوا بين النبيّ(ص) وبين كتابة الوصيّة، ونسبوا الهجر إلى النبيّ(ص).

وهكذا الحال بالنسبة إلى مثول أبي بكر إماماً للصلاة في محراب رسول الله(ص) يوم الاثنين آخر الآيام في عمر النبيّ(ص)، وقس على هذا كلّه ما حاولوه من إنكار موت النبيّ(ص) وإثارة الضجيج والغوغاء ساعتئذ، فإنّه من سنخه.

وعلى هذا الحساب، فإنّ هجومهم على السقيفة لاينحصر في إخفاق مخطّط الأنصار فحسب (أي سعد وأتباعه)، بل يندرج ضمن ذلك أخذ قصب السبق في الخلافة، كما رأينا حقيقة ذلك في متن حديث السقيفة، والحوار الذي دار بين أبي بكر وعمر وأبي عبيدة وغيرهم في ردّهم مقالة سعد وأتباعه، فإنّ جميع ذلك يدور حول هذا المحور وكان ادّعاؤه أنّ الخلافة حقّ من حقوق قريش، ويعنون بهم البطون التي منها تحدّر نسب النبيّ(ص). وأنتم معاشر الأنصار وزراء وأعوان كما كنتم في عهد رسول الله(ص).

أجل، إنّ رؤوس المنافقين المحترفين كلّهم من بطون قريش وأفخاذها، وهم على علم يقين إن تريّثوا في الأمر حتّى يفرغ بنو هاشم من تجهيز النبيّ(ص) ويجتمعون معهم في مكان واحد ويدور الحديث بينهم عن الخلافة فسوف يتقدّمهم عليّ(ع)، وتكون الخلافة من نصيبه..» (١).

لذلك سعوا سعياً حثيثاً للإطاحة بسعد بن أبي عبادة قبل فراغ بني هاشم من جهاز النبيّ(ص) ومن دفنه، مستندين إلى تقديم قريش

(١)وكان المهاجرون والأنصار لا يشكّون في عليّ(ع). تاريخ اليعقوبيّ: ٢: ١١٤.

على الأنصار، وسارعوا بأخذ البيعة إلى صاحبهم أبي بكر بن أبي قحافة! وإلاّ فلا معنى لاستنادهم -ولنفرض ذلك جدلاً- على تقليد عربي قبلي أن يجيبوا الأنصار بقولهم: لأنّكم ليس لكم مع رسول الله لُحمة نسب فلا ترثون مقامه أبداً، ثمّ يبادرون بأقصى سرعة ممكنة فيتبادلون الترشيح للخلافة من أبي بكر الذى يلتقي مع النبيّ(ص) في الجدّ السادس وإلى عمر بن الخطّاب الذي معه في الجدّ السابع وإلى أبي عبيدة بن الجرّاح الذي يلتقي معه في الجدّ العاشر فيقدّم كلّ واحد كرسيّ الخلافة إلى صاحبه ويتركون عليّاً بن أبي طالب(ع) وراءهم ظهريّاً، وجدّه وجد رسول الله واحد، وقد ربّي في بيت رسول الله(ص) منذ الصغر، وهو ختن النبيّ على ابنته فاطمة الزهراء(ع)، وأبو ولديه الحسن والحسين(ع)، واستنادهم هذا على التقاليد الجاهليّة أفادهم، واستطاع حزب المنافقين المحترفين المهاجم أن يهزموا الأنصاريّة ويحرموهم من نيل عرش الخلافة، ولكنّ الإمام أمير المؤمنين(ع) حجّهم بنفس الحجّة التي احتجّوا بها على خصمهم، فقال:«**احتجّوا بالشجرة، وأضاعوا الثمرة**»[1]، أي أنّ قريشاً بادّعائهم الرحم من رسول الله(ص) واحتجاجهم بشجرة النبوّة على الأنصار أبعدوهم عن الخلافة وحرموهم من نيلها، وأنا ثمرة تلك الشجرة أضاعوني وجهلوا حقّي، وحقّي وأنا الأقرب من رسول الله سبباً ونسباً منهم جميعاً أنكروه ولم يرعوه.

---

(١)شرح نهج البلاغة: ٢: ٢.

ومن الواضح أنّ قول الإمام أمير المؤمنين(ع) في محاجّته خصمه جاء مطابقاً لمقتضى الحال يومئذ، وإلاّ فإنّ من الضروريّ العلم بأنّ رتبة الوصاية والخلافة عن الأنبياء لاترتبط بقرب الوصيّ أو الخليفة النسبيّ منهم. أليس وصيّ موسى بن عمران وخليفته يوشع بن نون، ووصيّ سليمان وخليفته آصف بن برخيا.

هذا وإن كان اوصيّا بعض الأنبياء وخلفاؤهم هم أقرباؤهم وذوو رحمهم (نظير وصيّ إبراهيم وخليفته، فإنّه ولده إسحاق، ووصيّ إسحاق وخليفته ولده يعقوب)، إلاّ أنّه من البيّن أنّ وصيّة الفريق الآخر أيضاً ترتكز على الرتب المعنويّة والمقامات الروحيّة بينهم وبين مَن يخلفونه أو يوصيا إليهم، والقرب النسبيّ لكلا الفريقين مزيد شرف لهم.

ومن حسن الحظ أنّ الإمام أمير المؤمنين عليّاً بن أبي طالب(ص) حائز على كلا الرتبتين النسبيّة والسببيّة، وبحوث الولاية التي تخللت هذا الكتاب شاهد واضح على هذا الأمر.

ومن الروائع البلاغية التنظيرية أنّ قول الإمام(ع):«**احتجّوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة**»يرتكز أكثر على الجانب المعنويّ للوصاية والخلافة. انظر كيف جعل نفسه بتعبير حاذق ودقيق ويحمل من اللطف جانباً عظيماً أنّه الثمرة لذلك الوجود المقدّس لشجرة النبوّة..

وعلى أيّة حال، فلا بدع أن يكون غصب الخلافة من أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب(ع) على أثر الحسد الذي تتلظى به أكباد

القوم، وهذا ممّا لايرتاب به أحد، كما يدلّ عليه إقرار رؤسائهم واعترافهم، ونحن نكتفي فيما يأتي بإيراد نموذجين لئلا يجرّنا البحث إلى الإسهاب والتطويل:

١ ـ يعيد معاوية إلى الأذهان في الكتاب الذي أجاب به محمّداً بن أبي بكر (رضي الله عن محمّد وأرضاه) الأمور الماضية فيقول:

«.. فقد كنّا وأبوك فينا نعرف فضل ابن أبي طالب وحقه لازماً لنا مبروراً علينا، فلمّا اختار الله لنبيّه عليه الصلاة والسلام ما عنده وأتمّ له ما وعده، وأظهر دعوته، وأبلغ حجّته، وقبضه الله إليه (صلوات الله عليه)كان أبوك وفاروقه أول مَن ابتزّه حقه، وخالفه على أمره، على ذلك اتّفقا واتّسقا.

ثمّ إنّهما دعواه إلى أنفسهما، فأبطأ عنهما، وتلكأ عليهما، مهمّاً به الهموم، وأرادا به العظيم، ثمّ إنّه بايع لهما وسلّم لهما، وأقاما لايشركانه في أمرهما، ولايطلعانه على سرّهما حتّى قبضهما الله إليه، فإن يك ما نحن فيه صواباً فأبوك استبدّ به ونحن شركاؤه، ولولاما فعل أبوك من قبل ما خالفنا ابن أبي طالب، ولسلّمنا إليه، ولكنّا رأينا أباك فعل ذلك من قبلنا فأخذنا بمثله، فعب أباك بما بدا لك، أو دع ذلك، والسلام على مَن أناب» (١).

٢ ـ وذكر عبدالله بن عبّاس حواره مع عمر بن الخطّاب على النحو التالي:

---

(١)مروج الذهب: ٣: ٢١ و ٢٢. صفين لنصر بن مزاحم: ١٢٠. شرح نهج البلاغة: ١: ٢٨٤. أنساب الأشراف: ٢: ٣٩٦.

قال عمر: يابن عبّاس، أتدري ما منع قومكم منكم بعد محمّد؟!

فكرهت أن اجيبه، فقلت: ان لم أكن أدري فأمير المؤمنين يدريني!

فقال عمر: كرهوا أن يجمعوا لكم النبوّة والخلافة، فتبجّحوا على قومكم بجحاً بجحاً، فاختارت قريش لأنفسها فأصابت ووفّقت.

فقلت: يا أمير المؤمنين، إن تأذن لي في الكلام وتميط عنّي الغضب تكلمت.

فقال: تكلّم يابن عبّاس.

فقلت: أمّا قولك يا أمير المؤمنين: اختارت قريش لأنفسها فأصابت ووفّقت، فلو أنّ قريشاً اختارت لأنفسها حيث اختار الله عزّوجلّ لها لكان الصواب بيدها غير مردود ولامحسود.

وأمّا قولك إنّهم كرهوا أن تكون لنا النبوّة والخلافة، فإنّ الله عزّ وجلّ وصف قوماً بالكراهية فقال: ﴿ **ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ** ﴾(١).

فقال عمر: هيهات والله يابن عبّاس، قد كانت تبلغني عنك أشياء كنت كرهت أن اُقرّك عليها فتزيل منزلتك منّي.

فقلت: وما هي يا أمير المؤمنين؟ فإن كان حقّاً فما ينبغي أن تزيل منزلتي منك، وإن كانت باطلاً فمثلي أماط الباطل عن نفسه.

---

(١) محمّد، ٤٧: ٩.

فقال عمر: بلغني أنك تقول: إنّما صرفوها عنّا حسداً وظلماً.

فقلت: أمّا قولك ـ يا أمير المؤمنين ـ ظلماً، فقد تبيّن للجاهل والحليم، وأمّا قولك حسداً فإنّ إبليس حسد آدم ونحن ولده المحسودون (١).

وهذا نموذج من إقرار رؤساء القوم (المنافقين المحترفين) واعترافهم في غصب الخلافة التي ظهرت أفكارهم وأهدافهم جليّة في سقيفة بني ساعدة.

والآن نعمد إلى مناقشة أفكار سعد بن عبادة وأتباعه وأهدافهم في تأليف السقيفة وإقامتها.

ثالثاً: بعد أن تجلى لنا حقيقة أفراد المعتمدين في إقامة السقيفة، وهم «سعد بن عبادة» و ولده السعيد «قيس بن سعد» وعونه وقرينه الأقرب«الحبّاب بن المنذر»، فإنّ عملهم هذا لم يكن بدافع الحسد لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليهما السلام)بعد أن بيّنا حالهم وعرفنا ماضيهم وواقع أمرهم.

وتفصيل هذا الأمر:

١ ـ بعد أن عرفنا أنّ هؤلاء الثلاثة لم يكونوا في بعث أسامة، ولم يؤمروا بترك المدينة ويصاحبوا أسامة بن زيد إلى بلاد الروم، نعرف جيّداً أنّ النبيّ(ص) لم يكن على تخوّف من وجودهم في المدينة أن يحدثوا عرقلة لخلافة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب(ص)، ولم يرَ بقاءهم في المدينة منافياً لأهدافه ومناقضاً

---

(١)تاريخ الطبريّ: ٣: ٢٨١.

لغرضه، وإلاّ لكان عليه أن يسرح بهم كما فعل في المنافقين المحترفين مع «بعث أسامة» ويخرجهم من المدينة.

وأظهر ممّا تقدّم في مناقشة بعث أسامة أنّ قيساً بن سعد وحبّاباً بن المنذر لم يحجزوا عن بعث أسامة فحسب، بل نيطت بهم مهمّة أخرى، وهي حشد الناس مع أسامة وتحريض المتخلفين على الخروج معه، وجمع المتثاقلين عن الخروج لحملهم على الالتحاق به وتعبئتهم.

ورأينا كيف أنّهم عندما عبّأوا الناس مع أسامة قالوا له: والآن أسرع في الخروج أمام أعيننا لنخبر رسول الله(ص) بذلك، فسار أسامة بجيشه وعاد قيس والحبّاب مسرورين إلى رسول الله(ص)، وحملوا إليه بشرى رحيل أسامة، ولكنّ النبيّ(ص)أخبرهم بأنّ القوم ما زالوا حيث هم لم يذهبوا وما برحوا الآن في المدينة.

أجل، وعندما نشاهد سعداً عند دخول المصطفى(ص) إلى المدينة بأمر ولده قيساً أن يلزم ركاب رسول الله(ص) لايفارقه، وأن يبالغ في بذل نفسه له في الخدمة والمعروف كي يكون خادماً له وخاصّاً به، ثمّ نقرأ عن قيس هذه الجملة القيّمة:

«وكان قيس بن سعد بن عبادة من فضلاء الصحابة وأحد دهاة العرب وكرمائهم، وكان من النبيّ(ص) بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير..» ندرك يقيناً أنّه وعونه القريب إليه الحبّاب بن المنذر أمروا بإخراج المنافقين من المدينة، فلا بدّ أن يكون بقاءهم في المدينة مرغوباً فيه من قِبل النبيّ(ص)، ومؤيّداً منه، حتّى يكون بمقدورهم

بعد وفاة النبيّ(ص) وغياب المنافقين المحترفين عن المدينة من توجيه الريح لصالح خلافة الإمام عليّ بن أبي طالب(ص)، ويديروا الأمور بحذق لإنجاحها.

٢ ـ وحين نشاهد في طول تاريخ الإسلام وقائع وحوادث جرت زعازعها بين أسرة سعد بن عبادة والمنافقين المحترفين، ونراهم دائماً يقصد بعضهم البعض الآخر بالشرّ والمشادّات، ندرك جيّداً أنّ مسارعة سعد إلى إقامة سقيفة بني ساعدة بعد وفاة النبيّ تنحصر في المخالفات والمشادّات ذات العمق التاريخيّ، وفي ردع المنافقين المحترفين ومنعهم عن التسلّط على الجماعة الإسلاميّة في ذلك العهد.

(والمثال الواضح لذلك أسرة سعد وقبيلة الخزرج ومن إليهم)، ولم تكن إقامة سقيفة بني ساعدة دليلاً على أي حسد وأيّة عداوة وبغي على نفس أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب(ص).

وإليك مثالاً عن الاشتباك الحادث بين أسرة سعد بن عبادة ورؤوس المنافقين المحترفين لكي تتركز النكتة المومأ إليها أكثر وأكثر:

* روى ابن الأثير في ترجمة قيس بن سعد بن عبادة الرواية التالية:

«.. أنّه كان في سريّة فيها أبو بكر وعمر، فكان يستدين ويطعم الناس، فقال أبو بكر وعمر: ان تركنا هذا الفتى أهلك مال أبيه، فمشيا في الناس، فلمّا سمع سعد قام خلف النبيّ(ص) فقال: مَن يعذرني من

ابن أبي قحافة وابن الخطّاب يبخّلان عليًّ ابني؟!»[١].

ونلاحظ هنا أنّ سعداً بن عبادة لمّا بلغه أنّ أبا بكر وعمر يبخّلان ولده «قيس» الذي كان يقترض في بعض السرايا ويطعم المسلمين، قام بعد صلاة النبيّ(ص) من ورائه واستقبل الناس بوجهه، وقال بحضرته مؤنّباً ذينك الرجلين.

* ذكر الواقديّ في كتاب المغازي[٢] حديث «سريّة الخبط» حيث كان قائدها وأميرها أبو عبيدة بن الجرّاح الرواية الآتية:

«بعث رسول الله(ص) أبا عبيدة بن الجرّاح في سريّة فيها المهاجرون والأنصار وهم ثلاثمائة رجل إلى ساحل البحر إلى حيّ من جهينة، فأصابهم جوع شديد، فأمر أبو عبيدة بالزاد، فجمع حتّى إذا كانوا ليقتسمون التمرة فقيل لجابر: فما يغني ثلث التمرة؟

قال: لقد وجدوا فقدها.

قال: ولم تكن معهم حمولة إنّما كانوا على أقدام، وأباعر يحملون عليها زادهم، فأكلوا الخبط وهو يومئذ ذو مشرة حتّى أنّ شقّة أحدهم بمنزلة مشفر البعير العضّة، فمكثنا على ذلك حتّى قال قائلهم: لو لقينا عدوّاً ما كان بنا حركة اليد لما بالناس من الجهد.

فقال قيس بن سعد: مَن يشتري منّي تمراً بجزر يوفيني الجزر هاهنا، وأوفيه التمر بالمدينة؟

---

(١)أسد الغابة: ٤: ٢١٥.

(٢)المغازي: ٢: ٧٧٤ ـ ٧٧٦.

فجعل عمر يقول: واعجباه لهذا الغلام، لامال له يدّان في مال غيره، فوجد رجلاً من جهينة، فقال قيس بن سعد: بعني جزراً واوفيك سقة من تمر بالمدينة.

قال الجهنيّ: والله ما أعرفك، ومَن أنت؟

قال: أنا قيس بن سعد بن عبادة بن دليم.

قال الجهنيّ: ما أعرفني بنسبك، أما إنّ بيني وبينَ سعد خلة. سيّد أهل يثرب فابتاع منه خمس جزر كلّ جزور بوسقين من تمر يشرط عليه البدويّ، تمر ذخيرة مصلبة من تمر آل ديلم، قال يقول قيس: نعم.

فقال الجهنيّ: فاشهد لي، فأشهد له نفراً من الأنصار ومعهم نفر من المهاجرين.

قال قيس: أشهد مَن تحبّ، فكان فيمن أشهد عمر بن الخطّاب (رضي الله عنه).

فقال عمر: لاأشهد. هذا يدّان ولامال له، إنّما المال لأبيه.

قال الجهنيّ: والله ما كان سعد ليخفى بابنه في سقة تمر، وأرى وجهاً حسناً وفعالاً شريفاً، فكان بين عمر وبين قيس كلام حتّى أغلظ له قيس الكلام، وأخذ قيس الجزر فنحرها لهم في مواطن ثلاثة، كلّ يوم جزوراً، فلمّا كان اليوم الرابع نهاه أميره وقال: تريد أن تخفر ذمّتك ولامال لك؟

ثمّ يتابع الواقديّ في روايته الأخرى حديثه فيقول:

«قال: أقبل أبو عبيدة بن الجرّاح ومعه عمر بن الخطّاب (رضي الله عنه)، فقال: عزمت عليك أن لاتنحر. أتريد أن تخفر ذمّتك ولامال لك؟

فقال قيس: يا أبا عبيدة، أترى أبا ثابت وهو يقضي دين الناس ويحمل الكلّ ويطعم في المجاعة لايقضي سقة تمر لقوم مجاهدين في سبيل الله!

فكاد أبو عبيدة أن يلين له ويتركه حتّى جعل عمر يقول: اعزم عليه فعزم عليه، فأبى عليه أن ينحر، فبقيت جزوران معه حتّى وجد القوم الحوت فقدم بهما قيس المدينة ظهراً يتعاقبون عليهما، وبلغ سعداً ما كان أصاب القوم من المجاعة، فقال: إن يكن قيس كما أعرفه فسوف ينحر للقوم، فلمّا قدم قيس لقيه سعد فقال: ما صنعت في مجاعة القوم حيث أصابهم؟

قال: نحرت.

قال: أصبت، انحر!

قال: ثمّ ماذا؟!

قال: نهيت.

قال: ومَن نهاك؟

قال: أبو عبيدة بن الجرّاح أميري.

قال: ولِمَ؟

قال: زعم أنّه لامال لي وإنّما المال لأبيك.

فقلت: أبي يقضي عن الأباعد ويحمل الكلّ، ويطعم في المجاعة ولايصنع هذا بي !

قال: فلك أربع حوائط.

قال: وكتب له في ذلك كتاباً.

قال: وأتى بالكتاب أبا عبيدة فشهد فيه، وأتى عمر فأبى أن يشهد فيه، وأدنى حائط منها بجزّ خمسين وسقاً، وقدم البدويّ مع قيس فأوفاه سقته وحمله وكساه.

فبلغ النبيّ(ص) فعل قيس، فقال:إنه في بيت جود».

هذه الرواية وإن كان بعض فقراتها المذكورة قابلة للنقاش من عدّة جهات، إلاّ أنّه ما يمكن الاستفادة منه على كلّ حال هو المشادّات الخاصّة التي جرت بين عمر بن الخطّاب وأبي عبيدة وبين اُسرة سعد بن عبادة، حيث رمياهم بالبخل ونسبا إليهم الشحّ، وهو أمر واضح.

والعجيب في الأمر أنّ رمي عمر اُسرة سعد بالبخل أو أنّه أراد بتبخيلهم وحقدهم عليهم أمرٌ مشهود حيث رأينا امتناع عمر عن الشهادة على اقتراض قيس بن سعد (مع أنّ استدانة قيس إنّما كانت لصالح جيش المسلمين) وكذلك امتنع عن الشهادة على كتاب سعد في الحوائط الأربعة!!

•

وتلاحظون أيضاً في قبال ذلك أنّه كما وصلت أنباء هذه الحكاية من استدانة قيس ونجدته للجائعين وفتوّته مع ذلك الرجل الجهنيّ إلى سمع رسول الله(ص)، قال ـ والسرور باد على ملامحه في الإشادة به وتكريمه:«إنه في بيت جود»، وهذا هو تفاوت الفهم بين رسول الله(ص)وبين عمر بن الخطّاب في العمل الرائع لأسرة سعد بن عبادة !

* وفي «كتاب المغازي» (١) روى الواقديّ الرواية التالية عن فتح مكّة:

«.. وأعطى رسول الله(ص) يوم الفتح رايته سعد بن عبادة، وهو إمام الكتيبة، فلمّا مرّ سعد براية النبيّ(ص) نادى: يا أبا سفيان، اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحلّ الحرمة، اليوم أذلّ الله قريشاً !

فأقبل رسول الله(ص) حتّى إذا حاذى أبا سفيان ناداه: يا رسول الله، أمرت بقتل قومك؟

زعم سعد ومَن معه حين مرّ بنا قال: يا أبا سفيان، اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحلّ الحرمة، اليوم أذلّ الله قريشاً، وإنّي أنشدك الله في قومك، فأنت أبرّ الناس، وأرحم الناس، وأوصل الناس.

قال عبدالرحمان بن عوف وعثمان بن عفّان: يا رسول الله، ما نأمن سعداً أن يكون منه في قريش صولة.

---

(١)المغازي: ٢: ٨٢١.

فقال رسول الله(ص):**اليوم يوم المرحمة**.. وأرسل رسول الله(ص) إلى سعد فعزله وجعل اللواء إلى قيس بن سعد، ورأى رسول الله أنّ اللواء لم يخرج من سعد حين صار لابنه فأبى سعد أن يسلّم اللواء إلاّ بأمارة من النبيّ(ص)، فأرسل رسول الله(ص) بعمامته فعرفها سعد، فدفع اللواء إلى ابنه قيس».

وذكر مضمون الرواية نفسها ابن الأثير وآخرون في ترجمة «سعد بن عبادة»، وهذه أيضاً المشادّة بين سعد بن عبادة وأبي سفيان زعيم قريش في فتح مكّة ومعاضدة عثمان بن عفّان وعبدالرحمان بن عوف لأبي سفيان !

والجدير بالذكر أنّ النبيّ(ص) مع كونه لم يرضه تطرف سعد بن عبادة مع أبي سفيان وسائر كفّار قريش، فإنّنا نراه في نفس الوقت أعطى اللواء إلى قيس بن سعد لمّا انتزعه من سعد لئلاّ تتأثّر منزلة سعد من هذا العزل، أو يؤثّر على حيثيّته الاجتماعيّة، ولحفظ ماء وجهه وصيانته، وليُعلم الناس أنّه في الواقع لم يعزل سعداً.

أجل، فكيف يصدر رسول الله(ص) عن سوابق سعد المضيئة، وعن خدمات أهله وأتباعه مع أنّهم ـ وسعد في مقدّمتهم ـ عندما هاجر النبيّ(ص) إلى المدينة وفي الغزوات كلّها عندما تحدث مشاكل لرسول الله(ص) وللمسلمين يكونون العون والصديق الوفيّ له، ولايألون جهداً في بذل الروح والمال، وإسعاد رسول الله(ص)، ألم يدع رسول الله لسعد بن عبادة وأسرته هذا الدعاء:«**اللّهمّ اجعل**

صلواتك ورحمتك على آل سعد بن عبادة..»(١).

وفي حجّة الوداع عندما شاهد مروءته الخاصّة وفتوّته قال له:«**ابشر يا أبا ثابت، فقد أفلحت. إنّ الأخلاق بيد الله عزّ وجلّ، ومَن أراد الله أن يمنحه منها خلقاً صالحاً منحه، لقد منحك الله خلقاً صالحاً»**(٢).

هذه النكات بأجمعها تدلّ على كمال الصدق والصفاء والمودة بين رسول الله(ص) وسعد بن عبادة من الأوّل إلى الآخر، وأنّ رسول الله(ص) كانت نظرته إلى سعد وآل سعد نظرة اللطف والثقة والسعادة.

* ذكر أحمد بن يعقوب كيفيّة بيعة «قيس بن سعد بن عبادة» لمعاوية على هذه الصورة:

«وأتاه قيس بن سعد بن عبادة فقال: بايع قيس.

قال: إن كنت لأكره مثل هذا اليوم يا معاوية!

فقال له: مه، رحمك الله.

فقال: لقد حرصت أن أفرّق بين روحك وجسدك قبل ذلك، فأبى الله يابن أبي سفيان إلاّ ما أحبّ.

قال: فلا يردّ أمر الله.

(١)أسد الغابة: ٢: ٣٨٣.
(٢)مغازي الواقديّ: ٣: ١٠٩٥.

قال: فأقبل قيس بوجهه على الناس فقال: «.. يا معشر الناس، لقد اعتضتم الشرّ من الخير، واستبدلتم الذلّ من العزّ، والكفر من الأيمان، فأصبحتم بعد ولاية أمير المؤمنين وسيّد المسلمين، وابن عمّ رسول ربّ العالمين، قد وليكم الطليق ابن الطليق يسومكم الخسف، ويسير فيكم بالعسف، فكيف تجهل ذلك أنفسكم؟! ثمّ طبع على قلوبكم وأنتم لاتعقلون!

«فجثا معاوية على ركبتيه، ثمّ أخذ بيده وقال: أقسمت عليك ثمّ صفق على كفّه ونادى الناس: بايع سعد.

فقال: كذبتم والله ما بايعت..» (١).

وهذه أيضاً المشادّة العنيفة بين قيس بن سعد بن عبادة وبين معاوية بن أبي سفيان، ومبلغ علاقته وتمسّكه بمحبّة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب وولايته!

وهذا مثال من الاصطدام المتجذّر بين أسرة سعد بن عبادة مع رؤوس المنافقين المحترفين لكي يثبت ما قدّمناه ثبوتاً أكيداً، ويعلم حقّ اليقين بأنّ فكر سعد وأتباعه وأهدافهم في إقامة السقيفة هو لمعارضة أبي بكر والمتحزّبين معه فحسب، ولم يكن مخطّطاً يستهدف أمير المؤمنين عليّاً بن أبي طالب(ص) قطّ.

وكيف يمكن للمرء أن يحتمل هذا الاحتمال مع أنّنا رأينا في متن حديث السقيفة أنّ أنصاره عندما أجابوه دعوته قالوا بأجمعهم:

---

(١)تاريخ اليعقوبيّ: ١: ٢٠٦.

«... فأجابوه بأجمعهم أن قد وفقت في الرأي، وأصبت في القول، ولن نعدو ما رأيت، نوليك هذا الأمر، فإنك فينا مقنع، ولصالح المؤمنين رضا..»(١).

أجل، إنّ كلمة «صالح المؤمنين» في عرف القرآن المجيد الخاصّ، وفي القول المتعارف بين المؤمنين الحقيقيّين المعاصرين لرسول الله(ص) وضعت للدلالة على أمير المؤمنين والتعريف بمقامه، ولايختلف في هذه المسألة اثنان، ونحن ذكرنا ذلك مفصّلاً ومستدلاً عليه في الفصل الثاني من خاتمة الكتاب في تحقيق الآية الشريفة: ﴿**إِن تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلاَهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلاَئِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ**﴾(٢) في إثبات الصلاح الذاتيّ للإمام أمير المؤمنين(ع)، فارجعوا إليه إن شئتم.

وخلاصة ما قيل لحدّ الآن يظهر بوضوح أنّ السبق إلى إقامة سقيفة بني ساعدة من قِبل سعد بن عبادة وابنه العفّ النبيل قيس بن سعد وصاحبه ومعينه وأقرب الناس إليه «الحبّاب بن المنذر»(وهؤلاء الثلاثة هم من أتقى مجتمع المؤمنين يومئذ)ينبغي أن يكون لغاية معروفة لديهم، لأنّهم على علم تامّ بما يحوكه المنافقون المحترفون وبعلاقاتهم السياسيّة مع الفرقاء الآخرين، وهم يعلمون أنّ تسللهم من بعث أسامة وعودتهم إلى المدينة مصرّون على الحيلولة

---

(١)تاريخ الطبريّ: ٢: ٤٥٦.
(٢)التحريم ٦٦: ٤.

بين عليّ والخلافة بأي ثمن اتّفق.

ومن جهة أخرى، يعلمون علماً يقيناً بأنّ عليّاً بن أبي طالب(ص) لايسعى إلى نيل السلطة وحيازة الخلافة بإراقة محجمة دم واحدة ولايرضيه ذلك أبداً مهما كانت الحال (كما ظهر ذلك في ردّه على عمّه العبّاس ورفض العرض الذي رآه مناسباً ساعتها لتدارك الأمر، فلم يرض به الإمام(ع)، فظهرت من ذلك نزعة الإمام في وجهة الأحداث المستجدّة)، ولذلك استيقن القوم بأنّ الإبطاء في القبض على زمام المبادرة سوف يمكّن المنافقين المحترفين من التسلّط على الوضع، والوثوب على كرسيّ الحكم، وعند ذلك سوف يظلّ جميعهم أذلاء صاغرون تحت يد القمع المنافقة للحزب الحاكم، واليقين حاكم بأنّهم من أجل هذا المطلب سارعوا إلى إقامة سقيفة بني ساعدة، ولو من أجل حفظ شرفهم القوميّ والقبليّ على أقلّ تقدير.

والنكتة الأصليّة في تسارع الأنصار ـ أعني أتباع سعد بن عبادة وقومه من الخزرج إلى سقيفة بني ساعدة ـ هو هذا الذي سبق بيانه، وأشرنا إليه توّاً.

رابعاً: مهما كانت العلل الأصليّة في تقدّم خصوم سعد بن عبادة (أبو بكر وغيره)عليه في السقيفة ووصولهم إلى عرش الخلافة، فإنّها تلك الجذور الفائرة في الأعماق التي وحّدت بين المنافقين المحترفين منذ مدّة وحملتهم على عقد المعاهدات السياسيّة مع الفئات المخالفة الأخرى، ووضعوا الخطط الدقيقة والمقدّرة تقديراً متناهياً في التدبير من أجل بلوغ الإمارة ونيل الخلافة والولاية على المجتمع المسلم

يومذاك كما أنّنا أمطنا اللثام في البحوث المتقدّمة من الكتاب عن أهمّ العوامل التي ساعدتهم على ذلك، ولكنّنا إذا أردنا البحث في حوادث السقيفة نفسها عن العلل الظاهرة المكوّنة لمجمل الحوادث فإنّ بيانها على النحو التالي:

١ ـإنّ السبب الأوّل في حادثة السقيفة الذي أدّى إلى هزيمة سعد بن عبادة، ونتج عن ذلك غلبة الفريق المخاصم عليه هو انشقاق بشير بن سعد الخزرجيّ والد النعمان بن بشير على سعد بن عبادة (رئيس طائفة الخزرج) ومعه أتباعه وهو يعدّ واحداً من كبار رجال القبيلة. وقام بعد المشادّة التي جرت بين الحبّاب بن المنذر وأبي بكر، ثمّ بينه وبين عمر ـ مرّت في الرقم (٦) من متن حديث السقيفة ـ قام «بشير» وردّ على سعد وأصحابه فقال:

يا معشر الأنصار، إنّا والله لئن كنّا أولي فضيلة في جهاد المشركين، وسابقة في هذا الدين، ما أردنا به إلاّ رضا ربّنا وطاعة نبيّنا، والكدح لأنفسنا، فما ينبغي لنا أن نستطيل على الناس بذلك، ولانبتغي به من الدنيا عرضاً، فإنّ الله وليّ المنّة علينا بذلك،ألاأنّ محمّد من قريش وقومه أحقّ به وأولى.

وأيم الله، لايراني الله أنازعهم هذا الأمر أبداً، فاتقوا الله ولاتخالفوهم ولاتنازعوهم ـمرّت في الرقم (٨) من متن حديث السقيفة.

وحين سمع أبو بكر كلام بشير بن سعد ورآه ينحو به نحوهم عرف أنّ الفرصة لانحة فاهتبلها، فقال:«هذا عمرو هذا أبو عبيدة،

فأيّهما شئتم فبايعوا».

فرجع عمر وأبو عبيدة إلى أبي بكر فقالا لاوالله لانتولى هذا الأمر عليك، فإنّك أفضل المهاجرين.. وثاني اثنين إذ هما في الغار، وخليفة رسول الله على الصلاة، والصلاة أفضل دين المسلمين، فمَن ذا ينبغي له أن يتقدّمك أو يتولى هذا الأمر عليك؟! ابسط يدك نبايعك، فلمّا ذهبا ليبايعاه سبقهما إليه بشير بن سعد فبايعه، فناداه الحبّاب بن المنذر: يا بشير بن سعد، عققت عقاق ما أحوجك إلى ما صنعت؟! أنفست على ابن عمّك الإمارة؟!

فقال: لاوالله، ولكنّي كرهت أن أنازع قوماً حقّاً جعله الله لهم ـ الرقم (٩) من متن حديث السقيفة.

وبدأ بشير بيعة أبي بكر على هذه الرويّة وجعلها رسميّة على رغم أنف سعد وأتباعه.

وهنا ينبغي بذل الجهد لتدقيق أكثر كي نصيب العلّة الأصليّة لإقدام بشير بن سعد على البدء بالبيعة، فهل إنّ إسراعه إلى المبايعة ناشئ من لاعج الحسد الذي يضطرم في صدره على ابن عمّه سعد كما اتهمه الحبّاب بن المنذر بذلك؟! أو أنّ هناك علّة أخرى غير الحسد؟!

بما أنّنا لاحظنا أنّ بشير بن سعد كان مسرّحاً به في بعث أسامة من قِبل النبيّ(ص)، وأنّه مأمور بمصاحبة أسامة في بعثه وفي توجّهه ناحية الروم كي تخلو المدينة من وجوده عند موت النبيّ(ص)، وكذلك نرى أنّ الرجل موضع تكريم خاصّ من أبي بكر

وعمر وسائر المنافقين المحترفين لذلك نعلم جيّداً أنّه من أقرب المقرّبين إلى «المنافقين المحترفين»، وكان حضوره في السقيفة لأغراض التجسّس والتحرّي والمعارضة، وخلق العلل المؤدّية إلى إحباط حركة الأنصار، وكانت مسارعته إلى البيعة قائمة على أساس خطط محبوكة ودسائس مدبّرة.

أجل، من الواضح جدّاً أن إقدام بشير بن سعد على البيعة، وإضفاء الطابع الرسميّ على خلافة أبي بكر لم تكن ناشئة عن الحسد والعداوة لسعد بن عبادة، وإنّما المصالح الحزبيّة اقتضته أن يقدّم هذا الإقدام ويسرع هذه المسارعة وإلاّ لو كان فعل بشير بن سعد باعثه العداء الشخصيّ لسعد لما قال لعمر عندما حمل أبا بكر على إجبار سعد على البيعة لاتجبروه على البيعة، فقد لج ولجّ معه قومه، ليس من صالحكم أخذه بالشدّة، اتركوه الآن، فما هو بضارّكم بشيء..

«فتركوه وقبلوا مشورة بشير بن سعد واستنصحوه» ـ الرقم (١٢) من متن الحديث.

وهذا ما كان من أمر العلّة الظاهرة التي أوجبت تقدّم حركة الفريق الذي هاجم السقيفة.

٢ ـ العلّة الظاهرة الثانية التي استدعت هزيمة سعد بن عبادة ونصر المنافقين المحترفين عليه هي القفزة التي قفزها «اسيد بن حضير» على حبال القطيعة المجذّرة بين القبيلتين: الأوس والخزرج، فاستطاع أن يهيّج شحناء طائفة الأوس عليه في سقيفة بني ساعدة وحملهم على المسارعة في مبايعة أبي بكر.

وتوضيح ذلك كما ورد في الرقم (٩) من متن حديث السقيفة وهو كما يلي:

«ولما رأت الأوس ما صنع بشير بن سعد، وما تدعو إليه قريش، وما تطلب الخزرج من تأمير سعد بن عبادة، قال بعضهم لبعض ـ وفيهم اسيد بن حضير، وكان أحد النقباء: والله لئن وليتها الخزرج عليكم مرّة لازالت لهم عليكم بذلك الفضيلة، ولاجعلوا لكم معهم نصيباً أبداً، فقوموا فبايعوا أبا بكر.

فقاموا إليه فبايعوه، فانكسر على سعد بن عبادة وعلى الخزرج ما كانوا أجمعوا له من أمرهم.

لاشكّ ولاريب في أنّ «اسيد بن حضير» كبير طائفة الأوس أحد العناصر الفعّالة في فريق «المنافقين المحترفين»؛ لأنّه مضافاً إلى أنّه كان في بعث اسامة، وشأنه شأن تلك الرؤوس المعروفة، أمره النبيّ(ص) بمغادرة المدينة إلى الروم مع اسامة بن زيد، وتخلو المدينة منه عند وفاة النبيّ(ص).

من جانب آخر، نراه في «فتنة السقيفة» يثير قبيلة الأوس ليبايع أبا بكر لينزل بذلك الضربة القاضية بسعد وأتباعه.

ومن جانب ثالث أيضاً كان بعد السقيفة ممّن شارك في كشف بيت فاطمة(ع)، وكان عوناً في إحراق الباب والهجوم على بيت آل الرسول، وحمل عليّ بن أبي طالب(ص) إليهم ملبّباً، وأعان عمر على ذلك، وبقي إلى آخر عمره وفياً ومعيناً لهم، وإخلاصه لأبي بكر وعمر مشهود.

[حكاية الهجوم على بيت أهل البيت(ع)وسيأتي تفصيلها لاحقاً].

أجل، وحين نستعرض تاريخ والده «حضير بن السمّاك» فنراه في حروب الأوس والخزرج مقاتلاً عنيداً في قبيلة الأوس، لاسيّما في الحرب الضارية التي أكلت الأخضر واليابس في «يوم بعاث»، فقد ترأس القبيلة يومئذ وتمّت الجنايات المروّعة يوم بعاث على يديه، ندرك حينئذ أنّ أسيد بن حضير ورث الحقد من أبيه، ولذلك أثار طائفته في «فتنة السقيفة» على سعد وسائر الخزرج. ذكر ابن الأثير في تاريخه عن اهتمام أبي بكر وعمر بأسيد بن حضير الخارج عن الحدّ، فقال:

«وكان أبو بكر الصدّيق يكرمه، ولايقدّم عليه أحداً، ويقول: إنّه لاخلاف عنده.. وكان أحد العقلاء وأهل الكملة والرأي، وله في بيعة أبي بكر أثر عظيم، توفّي أسيد في شعبان سنة عشرين، وحمل عمر بن الخطّاب (رضي الله عنه) السرير حتّى وضعه بالبقيع وصلّى فيه»(١).

إذن، هذا الذي مرّ الآن هو بيان للعلّة الظاهرة الثانية في تقدّم حركة المهاجرين للسقيفة على غيرهم.

---

(١)أسد الغابة: ١: ٩٢ و ٩٣.

٣ ـ العلّة الثالثة التي أوجبت ترجيح كفّة المهاجرين ونصر المنافقين المحترفين المحتّم، هو مجيئ قبيلة «أسلم» من خارج المدينة وبيعتهم لأبي بكر، ومرّ ذلك في الرقم (١٠) من متن الحديث وبيانه على هذا النحو:

«وإنّ أسلم أقبلت بجماعتها ـ حتّى تضايق بهم السكك ـ فبايعوا أبا بكر، فكان عمر يقول: ما هو إلاّ أن رأيت أسلم فأيقنت بالنصر.

وقبيلة أسلم أيضاً من قبائل البادية في جزيرة العرب بجموعهم الغفيرة التي ملأت لكثرتها الطرق والجواد والسكك والأسواق والشوارع العامّة من المدينة، فقد وافوا أبا بكر وبايعوه على الخلافة والإمارة، وكان عمر يقول: كنت شاكّاً في نصرنا ونجاح دعوتنا حتّى إذا أقبلت أسلم بجمعها الغفير للبيعة، أيقنت بالنصر عندئذ.

وها هنا ينبغي بذل الجهد في التدقيق والنظر العميق من أجل العثور على جواب صائب وصحيح للسؤالين التاليّين:

١ ـ ما الذي أقدم قبيلة أسلم بعدّتها وأعدادها إلى المدينة؟ وما هي الغاية من ذلك؟ !

فهل إنّ ما رآه بعضهم من أنّهم قدموا إلى المدينة من أجل التسوّق، وكانت بيعتهم لأبي بكر محض صدفة واتّفاق؟! أو أنّهم جاءوا لعلّة خفيّة قد تمّت بالتباني بينهم لتقوية أبي بكر وشدّ أزره ومبايعته؟

٢ ـ في أيّ يوم قدم هؤلاء إلى المدينة؟! أفي نفس اليوم الذي اُقيمت فيه سقيفة بني ساعدة (يوم الاثنين أي يوم وفاة النبيّ(ص))، أم أنّهم قدموا المدينة في اليوم التالي ـ أي يوم الثلاثاء ـ وشاركوا في بيعة أبي بكر العامّة؟

وفي الجواب على السؤال الأوّل نقول:

عندما نشاهد كثرة الأعداد التي أقبلت بها جموع أسلم فدخلوا المدينة، وضيّقوا على أهلها، وملأوا السكك والأسواق والطرق العامّة كلّها ندرك جيّداً أنّهم لم يقدموا للتسوّق ولشراء ما يحتاجونه لمعاش يومهم؛ لأنّه في الحياة البدويّة عندما تفرض عليه الحاجة المعاشيّة لدخول السوق لايدخلونه إلاّ بأقلّ القليل من أفراد جماعتهم.

أمّا بالصورة التي رأيناها من هجومهم على المدينة عن بكرة أبيهم بحيث يضيقون على السكّان العرصات، وتضيق بهم الأسواق، ويملاون الطرق والأسواق والجوادّ العامّة، فإنّه أمر لايمكن تعقله على الوجه الذي ذهب إليه بعض الناس بشأن التسوّق.

وبناءً على هذا، فإنّ الأمر الذي يمكن تعقله من هجومهم على المدينة أنّه كان لشدّ أزر أبي بكر بن أبي قحافة، وتقوية أمره، ومن أجل هذا جروا إلى المدينة كالسيل الجارف، كما دلّ على ذلك قول عمر: قبل قدوم أسلم كنت متردّداً في فوزنا، ولكن حين جاءوا بمجموعهم علمت أنّهم جاءوا لمبايعة أبي بكر، فأيقنت حينئذ بالنصر الأكيد. فإنّ هذا القول دليل واضح على ما ذهبنا إليه.

أجل، عندما أثبتنا في أقسام الكتاب المتقدّمة ، من أنّ المنافقين المحترفين عقدوا التحالفات السياسيّة قبل وفاة النبيّ(ص) مع الجمعيّات والفرق والقبائل والأحزاب، ونظّموا أمورهم على خطّة محبوكة بمهارة يظهر جليّاً لنا أنّ التباني والمعاهدات مع قوم كهؤلاء القوم والقبائل البدويّة التي تسكن البادية وتعيش في شظف عيشها أمر سهل عليهم جدّاً.

ومن هنا يمكننا الإلمام بالجواب الثاني.

توضيح ذلك: أنّنا بعد علمنا بقبيلة أسلم الأعرابيّة وموضع سكناها من البادية، وأنّها تتوطّن الصحراء والمفازات الشاسعة يتّضح لنا طبعاً بأنّ وصولهم إلى المدينة لايتمّ إلاّ بعد يوم من حدوث السقيفة على أقلّ تقدير، أي يوم الثلاثاء، وهو اليوم الثاني من وفاة النبيّ(ص)، لأنّنا حين نشاهد أنّ وصول الخبر إلى أبي بكر عن وفاة النبيّ(ص) وإقدامه على المجيء من السنح إلى المدينة استغرق ساعتين أو أكثر حتّى اضطرّ عمر أن يثير تلك الضجّة المعروفة من إنكار وفاة النبيّ(ص).

إذن يظهر ممّا تقدّم أنّ علم أسلم بحادث الوفاة وتعبئتها نفسها، وجمعها جموعها والمنتسبين إليها، ومجيئها إلى المدينة لايتمّ ذلك في أقلّ من يوم واحد، وهذه القرائن تدلّ دلالة واضحة بأنّ أسلم وصلت تماماً في يوم البيعة لأبي بكر العامّة، وتمّت بيعتهم له بعد ختام السقيفة وذهاب أهلها.

خامساً: لمّا كانت مناقشة خطبتي سعد وأبي بكر في السقيفة وقياس إحداهما إلى الأخرى، وكذلك قياس الخطبتين اللتين ألقاهما أبو بكر وعمر على الناس في البيعة العامّة، وبعد انتهاء السقيفة بعضهما إلى بعض يمكن أن تفيدنا في تصيّد نكات تعرّفنا بالأشخاص الذين مرّت أسماؤهم معرفة تامّة، وتطلعنا على خفاياهم الداخليّة في تحفّزهم للزعامة ونواياهم التي يضمرونها بهذا الشأن لذلك تأتي لاحقاً بالبحث والمقارنة على الترتيب:

١ ـ من أجل تسهيل المقارنة والتحقيق في خطبتي سعد وأبي بكر في سقيفة بني ساعدة نرجع إليها كرّة أخرى في الرقمين (٢) و (٥)ونقرأ المتن قراءة واعية ليكون مؤكّداً لدينا ومسلّماً ما نقوله في هذا الموضوع.

عندما نقيس الخطبتين إحديهما بالأخرى ندرك جيّداً أنّ سعداً منذ اليوم الأوّل لم يكن على استعداد لاستلام الخلافة على المسلمين، ولم يدر هذا في خلده ولم يختلج في ذهنه قبلاً، ولم يعد نفسه لحيازة الفنّ المذهبيّ والمعلومات المعبّر عنها بالدينيّة لهذا الغرض، وخطبة سعد تدلّ على أنّ عمله في السقيفة ليس له إلاّ جانب قبلي وليس له عموميّة إسلاميّة واقعيّة.

ويقابله في الجانب الآخر أبو بكر الذي ظهر من أمره أنّه يعدّ نفسه ليكون خليفة للمسلمين (وليس خليفة للنبيّ)، وما كان يحوم فكره في الماضي إلاّ حول هذا المعنى، وأنّه أعدّ المسائل الدينيّة والمعلومات الإسلاميّة لهذا الغرض.

إنّ خطبة أبي بكر توضّح لنا بشكل جيّد أنّ تعلّقه بتلابيب صانعي السقيفة إنّما كان لإظهارهم بمظهر القبليّين الذين لايفكّرون إلاّ بعين قبليّة مقتصرة على النظر فيما ينفع القبيلة فحسب، مهملين الواجبات الأخرى، وأنّه يريد إبطالها وردّهم إلى حضيرة الحقّ، وتغيير نظرتهم من قبليّة ضيّقة إلى إسلاميّة أمميّة تهدف إلى انتخاب خليفة للمسلمين وزعيماً لهم، وأنّه هو ذلك الخليفة والزعيم.

وحينما نتدبر خطبة سعد ترونها تدور حول محور ثلب المهاجرين وإظهارهم بمظهر الضعيف الذليل أمام أهل الدار في قبال ذلك يسعى إلى رسم صورة للأنصار مشرقة تدعو إلى الإعجاب، فهو دائب في الإشادة بهم وتمجيد أمرهم.

ومن خلال ذلك نراه ينزع إلى إثارتهم ضدّ فريق المهاجرين (أبو بكر وغيره)، ولكن خطبة أبي بكر تدلّ على أنّ صاحبها هو صاحب السيطرة، وهو الرقيب على القوم، وفي الوقت الذي يشيد بالمهاجرين ويرفع من موقعهم لاينسى حقّ الأنصار ورعاية شأنهم من حيث يستميلهم ويضرب على أوتار أحاسيسهم، وأخيراً استطاع أن يخرج من عهدة الأنصار، فجعل لهم نصيباً في الأمر عندما قال لهم:«لاتفاتون بمشورة، ولاتقضى دونكم الأمور».

وفي خطبة سعد لاتعثرون على جملة واحدة تدلّ على توظيف الدين في سبيل الهدف المنشود، واستخدام الإسلام لصالح قضيته وتوظيفه لمصالحه الشخصية.

ولكنّ خطبة أبي بكر إذا ما لاحظتموها فستجدونه من البدء افتتح خطبته بالكلمات التالية، حيث رفع عقيرته بادّعاء الفقه في الدين والعلم المقصور عليه وعلى قومه، فقال:

«..إنّ الله بعث محمّداً رسولاً إلى خلقه، وشهيداً على أمّته ليعبدوا الله ويوحّدوه، وهم يعبدون من دونه آلهة شتّى، ويزعمون أنّها لهم عنده شافعة ولهم نافعة، وإنّما هي من حجر منحوت، وخشب منجور، ثمّ قرأ: ﴿**وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاَءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللهِ**﴾ (١).

وقالوا: ﴿**مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى**﴾ (٢).

هذا الامتياز الذي ادعاه لنفسه يظهر بشكل جيّد أنّ أبا بكر بن أبي قحافة قد جهّز نفسه منذ زمن بعيد بالمعلومات الخاصّة بما يسمّى الدين، لكي يستطيع هزيمة خصمه بهذه الحربة القاتلة، ولكنّ المسكين سعد بن عبادة لم يختلج ذهنه بمثل هذا الفكر قطّ وقد أقام سقيفة بني ساعدة بشكل مرتجل من أجل الحفاظ على شرفهم القوميّ والقبليّ، وكان بعيداً عن هذا الدجل بمراتب ولم يجهّز نفسه بالمعلومات الدينيّة اللازمة لكي يتزعّم المسلمين بإظهار الفقه والأعلميّة بالدين، والاستشهاد بآية أو آيتين من القرآن، والرقص حول مائدة الدين حتّى يستميل إليه أنظار الناس، ويخوّله ذلك الحكم عليهم والتحكّم بهم.

وعلى أيّة حال، فإنّ المقارنة بين خطبتي سعد بن عبادة وأبي بكر بن أبي قحافة يتّضح بشكل جيّد أنّ لأبي بكر فنّاً خاصّاً في

---

(١)يونس ١٠: ١٨.
(٢)الزمر ٣٩: ٣.

اختطاف زمام المبادرة من خصمه بشأن الخلافة، وله قدرة فائقة على السبق في ميدان المنافسة.

إنّ «أبو ذئيب الهذليّ» يحكي لنا حادثة الوفاة ودخوله المدينة في تلك الآونة، واشتراكه في سقيفة بني ساعدة ورؤيته تقدّم أبي بكر الفكريّ ونبوغه الخاصّ على النحو التالي:

«وقدمت المدينة ولها ضجيج بالبكاء كضجيج الحاجّ إذا أهلّوا بالإحرام، فقلت: مه.

فقالوا: قبض رسول الله(ص)، فجئت المسجد فوجدته خالياً وأتيت بيت رسول الله(ص)، فأصبت بابه مرتجاً، وقيل هو مسجّىً وقد خلا به أهله.

فقلت: أين الناس؟

فقالوا: في سقيفة بني ساعدة وصاروا إلى الأنصار، فجئت إلى السقيفة فوجدت أبا بكر وعمر وأبا عبيدة بن الجرّاح وسالماً وجماعة من قريش، ورأيت الأنصار فيهم سعد بن عبادة، وفيهم شعراؤهم كعب بن مالك، وحسّان بن ثابت، وملأ منهم، فأويت إلى قريش وتكلّمت الأنصار فأطالوا الخطاب، وأكثروا الصواب، وتكلّم أبو بكر فلله درّه من رجل لايطيل الكلام يعلم مواضع فصل الخصام(١).

والله لقد تكلّم بكلام لايسمعه سامع إلاّ انقاد له، ثمّ تكلّم عمر بعده بدون كلام، ثمّ مدّ يده فبايعه وبايعوه، ورجع أبو بكر فرجعت

(١) الخطاب ـ نخ.

معه»[(١)].

٢ ـ ولكي تسهل علينا المقارنة والتحقيق بين خطبتي أبي بكر وعمر اللتين خطباهما بعد السقيفة وحين أخذ البيعة العامّة نعود إليهما مجدّداً في الرقمين (١٣) و (١٥) من متن الحادثة ونطالعهما لكي يكون ما نوضّحه منهما مؤكّداً لدينا ومسلماً، ونقول في بحث الخطبتين ومقارنة إحديهما بالأخرى:

* يظهر من خطبة عمر بن الخطّاب بشكل جيّد أنّه لمّا كان الرجل الثاني ورأس من رؤوس المنافقين المحترفين ويحمل الرقم (٢) في تسلسل رتبهم، فقد كان معوّله على صاحبه، واستناده إلى قوّته في فعّاليّاته الحزبيّة كلّها، فكان أبو بكر كالسناد الذي يتقوّى به. وهذه الحقيقة لاتظهر على خطبته وحدها، وإنّما يتجلى في جلّ أعماله بخاصّة بعد وفاة النبيّ(ص) مثل إنكار وفاة النبيّ(ص) حتّى عودة أبي بكر وإخباره أبا بكر بإقامة السقيفة وذهابهما إلى هناك، وخضوعه التامّ له في الجدل الذي دار في السقيفة وطاعته لأبي بكر في ترك سعد وشأنه، وقد كان عازماً على ملاحقته.

ومن خطبة عمر يتجلى لنا أنّ الرجل يرى أظهر منقبة لأبي بكر هي ما ذكرته الآية من كونه صاحبه وثاني اثنين. وهذه هي الآية وفيها التعبير المذكور: ﴿ **إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَتَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُود لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ**

(١)أسد الغابة: ٥: ١٨٦. الاستيعاب: ٢: ٦٤٦.

كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (١).

ولذا استدلّ على أفضليّة أبي بكر على غيره بكونه صاحبه في الغار [في القسم السابع من الكتاب الذي خصّصناه لمناقشة آية الغار، وقد تمّ وهن هذا الموضوع، بل هذا الخيال المرهق وأثبتنا بطلانه].

ويظهر من خطبة عمر كذلك بشكل جيّد أنّ الضجّة التي أحدثها قبل يوم من انعقاد السقيفة من إنكار وفاة النبيّ(ص)، فقد أودت بجاهه، وأراقت ماء وجهه، وكسرت حجاب شخصيّته، وأنزلته من رتبته التي كانت له بين المسلمين، ولذلك حاول في خطاب يوم الثلاثاء التقدّم بعذر مقبول بين المسلمين، وكان واقعه من ذلك الإنكار التمهيد لسوق الناس إلى بيعة أبي بكر وحملهم على ذلك لم يجد بدّاً من إصلاح ذلك الخطأ.

وفي معرض التحقيق لوفاة النبيّ(ص) ثبت لدينا أنّ الضجّة التي أثارها عمر من إنكار موت النبيّ إنّما كانت لإشغال المسلمين، وإحداث البلبلة بين صفوفهم ما دام أبو بكر غائباً عن مسرح الأحداث حتّى يقدم السنح إلى المدينة، وينضمّ إلى رفاقه.

ولذلك اتّضح بصورة لاتقبل النقاش أنّ اعتذار عمر في خطبته بقوله:«ولكنّي قد كنت أرى أنّ رسول الله سيدبّر أمرنا حتّى يكون آخرنا..» ما هو إلاّ الكذب المحض، ولم يرد عمر أن يظهر السبب الحقيقيّ، والعلّة الواقعيّة للناس، لما بدر منه قصداً، ويظهر من

---

(١)التوبة ٩: ٤٠.

خطبته أيضاً ظهوراً واضحاً بيّناً أن الشعار الذي رفعه وهو «حسبنا كتاب الله» ليعارض النبيّ(ص) به في «كتابة وصيّته» ولم يدعه يسجّل للأمّة إمامة عليّ بن أبي طالب(ع) في الأيّام الأخيرة من حياته (كما مرّ بيان ذلك في تحقيق أمر مرض النبيّ(ص)) عاد هنا أيضاً ـ وهو يحاول إثارة الناس لأخذ البيعة منهم لأبي بكر ـ ليرفع الشعار نفسه من جديد، ليطمئنّ الناس ببقاء كتاب الله بينهم على وضعهم الحالي والمستقبليّ، ولئلاّ يرى أحد منهم لزوم البيعة لخليفة الإسلام من أجل المحافظة على الإسلام وخليفة الإسلام الحقّ هو عليّ بن أبي طالب(ع)؛ لأنّ عمر يعلم علم اليقين أنّه لو لم يفعل ذلك ولم لم يُؤنس الناس بهذا الكلام المعسول فليس بعيداً أن يدور بخلد أحدهم الخوف على مصير الدين فيحتمل سقوطه بإبعاد عليّ(ع) عن ساحته وتهميشه، وحينئذ تكون بيعة أبي بكر يوم الثلاثاء كبيعته يوم الاثنين في سقيفة بني ساعدة لم ينهض بها إلاّ عدد محدود من الناس ولاتتّخذ الصفة العامّة.

وأمّا قول عمر: وأنّ الله قد أبقى فيكم كتابه الذي هدى به رسول الله(ص)، فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه له.

فإنّه من جانب يريد التقليل من فضل رسول الله، وسلب عظمته من نفوس الأمّة، وإضفاء ذلك على كتاب الله، ولكن بإيحاءات شيطانيّة.

ومن جانب آخر يريد بذلك الإيحاء إلى الناس بالتباهي بالقرآن الذي يؤدّي إلى الغرور والكبرياء، وذلك إذا جعلوا وجهتهم القرآن،

فإنّه نازل بلسان عربيّ مبين، والعرب جميعاً يفهمون ذلك لأنّه بلغتهم نزل، وهذا أمر يدعو إلى التعالي والتباهي، وسوف يهتدون إلى الطريق ذاته الذي اهتدى إليه النبيّ(ص).

إنّ قول عمر هذا هو ذات الكلام الذي نطق به والنبيّ على فراش المرض، وقد أراد كتابة الوصيّة:«إنّ النبيّ قد غلب عليه الوجع، وعندكم القرآن، حسبنا كتاب ربّنا» بفارق واحد وهو أنّ إيجاءات عمر هنا في الأعمّ الأغلب تدور حول «زوال عقل النبيّ وهذيانه..» حتّى يتفادى الأمر إذا قدّر لطلب النبيّ(ص) أن يلبّي، وتتم كتابة الوصيّة فتبقى هذه الجملة الملعونة تنمو إلى جانب الوصيّة المكتوبة، وتسقط بها الوصيّة.

ولكن هنا تمحورت تسويلات عمر وأحابيله حول أمر واحد، وهو محو وجوب البيعة لعليّ(ع) من القلوب، وإبطال خلافته ولم يكن في يديه أفضل من هذا المسلك الذي سلكه، وهو حصر الأهمّيّة القصوى في القرآن وحده، وهو كما يظنّ القائل والسامع في متناول أيديهم، ويعرفه كلّ ناطق بالعربيّة.

وبناءً على هذا ما الذي ينالهم من عدم البيعة لعليّ(ع)(الخليفة المنصوص عليه من الله، والمبلغ عنه رسول الله(ص))والسعي وراءه من الإحساس بالحاجة والنقص؟!

«**فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه له**» إن توكّلتم على الله، وتشبّثتم بكتابه، واعتصمتم بآياته المنزلة، فإنّ الله سوف يهديكم بالعمل بكتاب الله وهو بين ظهرانيكم، إلى ما هدى إليه نبيّه،

ويرشدكم إلى ما أرشده إليه، حيث عمل رسول الله(ص) قبلكم بهذه الآيات التي ندعوكم للإقبال عليها والعمل بها.

وهذه هي النكات التي تمّ تصيّدها من تحقيق خطبة عمر بن الخطّاب، وتجلى للناس مجموعها أنّه مع ما يحمل في نفسه من الغلظة، وأنّها حوزة خشناء، ومركب صعب نافر، فقد صيّر نفسه داعيه بلا قيد أو شرط لأبي بكر بن أبي قحافة، وقد استند عليه بشكل يخيّل لك أنّه يرى كمال شخصيّته منوط بتنامي شخصيّة أبي بكر وتوفيقه المستقبلي، وأنّه يبحث عن حقيقة شخصيّته في هذا المستنقع.

والآن نعمد إلى تحقيق خطبة أبي بكر بعد تربّعه على مسند الخلافة واستيلائه عليها لكي نعرف مدى استعداداته الخاصّة المودعة في مستقرّ ذاته ونبوغه المرتبط بالزعامة حتّى كان مثل عمر يستند إليه ويتوكأ عليه، ويجعل منه عكّازه في مسيرته السياسيّة.

* حين بذل أقصى الجهد في تحقيق المدارج المتنوّعة لخطبة أبي بكر، وهي تعتبر البيان الأوّل لحكومته، نعثر على نبوغه الخاصّ ونكائه اللمّاع والمرموز في مسألة القيادة.

نعثر عليه واضحاً وضوح الشمس، لأنّنا نراه من جانب قد استقى موادّ بيانه كلّها من المبانيّ الدينيّة والآداب الإسلاميّة، وأظهر للناس بياناً إسلاميّاً تامّاً كاملاً، لايفتقر إلى شيء من المسائل الدينيّة أو الأمور الأخلاقيّة، وعرضه بين أيدي المسلمين، وهذا بنفسه دليل صارخ على نبوغه الخاصّ، ونكائه المرموز أنّه ليعلم علم اليقين بأنّ

المجتمع الإسلامي الذي يعيش مأساة فقده نبيّه(ص) وغياب خليفته الواقعيّ المنصوص عليه وهو عليّ بن أبي طالب لاحيلة لأبي بكر إلاّ أن يصدر بيانه الأوّل متّفقاً مع ما درج عليه المجتمع من المثل الإسلاميّة ومتّسقاً مع ما سار عليه من القيم الأخلاقيّة، لأنّه بغير ذلك لايتبعه أحد إلاّ أفراد حزبه.

ومن جانب آخر، نراه يظهر نفسه وكأنّما الناس اختاروه وهو رضاً لهم، فلذلك تراه يتطامن لهم، ويظهر التواضع والخضوع بين أيديهم، ويطلب من الناس بصورة رسميّة أن يراقبوا حاله، ويشرفوا عليه وعلى أعماله حتّى إذا انحرف عن المصالح الدينيّة والاجتماعيّة التي يريدونها ويرجون من الحاكم أداءها إليهم وقفوا في وجهه، وأخذوا بيده نحو الهداية والصواب وأصلحوه.

وبهذا العمل أعلن أبو بكر رسماً عن أن حكومة ديمقراطيّة مائة بالمائة تحت غطاء الدين، وعرّفها لهم بذلك، وجعل واجهة حكومته مصمّمة على رغبات المجتمع الإسلاميّ الجديد الناهض توّاً.

ومن جهة ثالثة، راح يضرب على وتر حسّاس يداعب عواطف الناس ويعطف إليه أعناقهم، لأنّ الأكثريّة التي أوشكت أن تستغرق الجمع كلّه قوم فقراء مستضعفون فقد بنى بيان حكومته الأولى على رعاية المستضعفين وحمايتهم، وجعل ذلك من الأمور الأساسيّة في بيانه أنّه: إنّما ندب نفسه لحماية أي مستضعف في هذا المجتمع دونما تمييز، وهذا ـ كما لايخفى ـ يوقظ السرور في نفوسهم، ويفجّر فيهم ينابيع الجذل، لأنّهم تضيق أيديهم عن نيل مستلزمات

الحياة، وعندئذ يتناسون مركب النقص في نفوسهم، ويتّجهون بقلوبهم نحو حكومته، ويلجأون إليها، ويفيئون تحت ظلّها الظليل.

إنّه بخطابه المتطامن هذا سوف يمتلك قلوب الأكثريّة من عوامّ الناس الفقراء والمحرومين وأصحاب الضائقات الاقتصاديّة بحيث لايستطيع أحد صرفهم عن الولاء لحكومته.

أجل، هذه الخطّة هي المعتمدة دوماً لأصحاب السياسات المرموزة وفي منافسات الانتخاب والبيانات الأولى للحكومات، يجأرون للناس بأنّهم «من أجل المستضعفين» ويهيمون بهم وجداً لكي ينالوا رضا الأكثريّة الجائعة من عوامّ الناس، ويداعبون عواطف البؤساء في المجتمع، ويحملونهم على الثقة بهم، والتصويت لهم، ويتّخذون منهم درعاً واقياً أمام حكومتهم وردئاً لها.

من جهة رابعة: نراه يعدّ العدّة لفتوح البلدان، ويضع لذلك الخطط ويسمّيها «جهاداً في سبيل الله» حتّى يؤمن للاعراب غريزة الغارات، لأنّهم في الأعمّ الأغلب أهل وبر ويسكنون الأخبية بيوتاً، ويحيون قبائل قبائل، ويؤمّنون حياتهم من السلب والنهب، والغارات وقطع السبل وأمثال ذلك.

ومن جهة أخرى، يضفي على حكومته الطابع الإسلامي مع ما يظهر على تصرّفات المجتمع من النزوع إلى طلب الغنائم الحربيّة التي ينالونها من الهجوم على الأمم المجاورة، وبهذا يستطيع أن يملأ أكياس العامّة ويتخم دولته بالغنى والثروة المتنامية يوماً بعد يوم، وفجأة وإذا به في ختام بيانه يظهر نفسه أنّه المطيع لله ورسوله بلا قيد

أو شرط، ويعلن للناس قائلاً:«أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فيكم، فإذا عصيت الله فلا طاعة لي في رقابكم»، ثمّ يستثمر الوقت ويستفيد من الواقع المعلن، فيدعو الناس إلى الصلاة جماعة خلفه.

وبهذه الوسيلة حمل المسلمين قهراً على الصلاة وراءه باعتباره خليفة المسلمين، وضرب طابع الصحّة على خلافته بأدائهم الفرائض اليوميّة بإمامته، وفي ظلّ عبادة الله يميلون له رقاب الطاعة، وما أذكى هذه الخطّة، وما أعجب أحابيلها واتّقانها.

ولابدّ من الإشارة إلى استحضار هذه النكتة، وهي أنّ النبيّ(ص) والإمام المعصوم إذا ما دعوا الناس إلى صلاة الجماعة وأمثالها من العبادات ليس لهما غرض إلاّ عبادة الله بصورة جماعيّة، وإلاّ العروج بالإنسانيّة إلى أوج الكمال والرفعة، ولكن حين يدعو المنافق المحترف الناس إلى صلاة الجماعة ويجبرهم على ذلك لاتحتمل دعوته في سرّها إلاّ غايته التي يعبّر عنها لسان حاله: ألاقوموا انهضوا ورائي وقفوا للصلاة، واتّخذوني إماماً وقائداً، وسبّحوا بحمدي.. انظر بعد هذا الطريق عن ذاك الطريق!!

وعلى أيّة حال، هذه هي النكات الدقيقة والحسّاسة التي تصيّدناها من خطبة أبي بكر بعد فوزه بكرسيّ الحكم، وهي تظهر لنا بوضوح تامّ دهاءه الخاصّ وذكاءه المرموز في مسئلة الحكم، ويعتبر ذلك هو السرّ في تقدّمه على عمر بن الخطّاب وسائر فريق المنافقين المحترفين.

وإلى هنا ننهي البحث والتحقيق في «حكاية السقيفة»، ونذهب إلى مناقشة الأحداث التي استجدّت من بعدها.

تحقيق هجوم القوم على بيت أهل البيت(ع)

بعد أن أزاح أبو بكر سعد بن عبادة بالسرد الذي أوضحناه في «حديث السقيفة»، واعتلى عرش السلطة بالانقلابات والمؤامرات كان من الطبيعيّ أن لايعترف عليّ بن أبي طالب(ع)الخليفة الشرعيّ المنصوص عليه من الله بتبليغ النبيّ(ص) به ولايجيزها له، ولايترك زمام أمور الدين والإسلام بيد أبي بكر وأزلامه.

ونتيجة لما حدث فقد حملت بني هاشم الحميّة النسبيّة وحملت الشيعة الولاية والمحبّة على عدم البيعة لأبي بكر، واجتمعوا في بيت الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبى طالب(ع).

ومن بين هؤلاء يوجد جماعة لامن بني هاشم ولامن الشيعة، كطلحة بن عبيدالله وسعد بن أبي وقّاص والزبير بن العوّام.

وسوف نناقش مسألة وجودهم في بيت الإمام(ع) ساعتئذ فيما يأتي إن شاء الله.

وعلى أيّة حال، فأوّل خطوة خطاها أبو بكر ودشّن بها خلافته هجوم أزلامه على بيت رسول الله(ص) لكي يقبضوا على عليّ(ع) ومَن معه ويجبروهم على البيعة لأبي بكر.

والآن نسوق للقارئ الكريم جوانب من هذا الحديث المريع طبقاً لما رواه العامّة، ثمّ نناقش أصل الحكاية ليتّضح لنا السرّ المكتوم في هذا الهجوم بإذن الله.

جوانب مروية من تلك الحادثة:

١ ـأحمد بن أبي يعقوب في «تاريخ اليعقوبيّ»(١) ينقل المأساة على النحو التالي:

«.. وتخلف عن أبي بكر قوم من المهاجرين والأنصار، ومالوا مع عليّ بن أبي طالب(ع)، منهم العبّاس بن عبدالمطّلب، والفضل بن العبّاس، والزبير بن العوّام، وخالد بن سعيد، والمقداد بن عمر، وسلمان الفارسيّ، وأبو ذرّ الغفاريّ، وعمّار بن ياسر، والبراء بن عازب، وأبيّ بن كعب.

فأرسل أبو بكر إلى عمر بن الخطّاب وأبي عبيدة بن الجرّاح والمغيرة بن شعبة، فقال: ما الرأي؟!

قالوا: الرأي أن تلقى العبّاس بن عبدالمطّلب فتجعل له في هذا الأمر نصيباً يكون له ولعقبه من بعده، فتقطعون به ناحية عليّ بن أبي طالب حجّة لكم على عليّ إذا مال معكم.

فانطلق أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجرّاح والمغيرة حتّى دخلوا على العبّاس ليلاً..».

٢ ـوروى البلاذريّ في «أنساب الأشراف»(٢) الرواية التالية:

«بعث أبو بكر عمر بن الخطّاب إلى عليّ حين قعد عن بيعته وقال: ائتني به بأعنف العنف، فلمّا أتاه جرى بينهما كلام، فقال: **احلب**

---

(١)تاريخ اليعقوبيّ: ٢: ١١٤.

(٢)أنساب الأشراف: ١: ٥٨٧.

حلباً لك شطره، والله ما حرصك على إمارته اليوم إلاّ ليؤثرك غداً».

٣ ـ وجاء في رواية ابن عبدربّه في «العقد الفريد»(١) الخبر التالي:

«بعث إليهم أبو بكر عمر بن الخطّاب ليخرجهم من بيت فاطمة وقال له: إنّ أبوا فقاتلهم، فأقبل بقبس من نار على أن يضرم عليهم الدار، فلقيته فاطمة فقالت: يابن الخطّاب، أجئت لتحرق دارنا؟!

قال: نعم، أو تدخلوا فيما دخلت فيه الأمّة».

وفى تاريخ أبي الفداء(٢) ذكر هذه الرواية نفسها.

٤ ـ وفي كتاب «الإمامة والسياسة»(٣) جاءت الرواية على هذا النحو:

«.. إنّ أبا بكر تفقّد قوماً تخلّفوا عن بيعته عند عليّ، فبعث إليهم عمر فجاء فناداهم وهم في دار عليّ، فأبوا أن يخرجوا، فدعا بالحطب وقال: والذي نفس عمر بيده، لتخرجنّ أو لأحرقنها على مَن فيها.

فقيل له: يا أبا حفص، إنّ فيها فاطمة !

فقال: وإن، فخرجوا وبايعوا إلاّ عليّاً...».

والقوم الذين هاجموا الدار ـ طبقاً لما رواه العامّة ـ هم خالد بن

---

(١)العقد الفريد: ٣: ٦٣.
(٢)تاريخ أبي الفداء: ١: ١٥٦.
(٣)الإمامة والسياسة: ١: ١٩.

الوليد، عبدالرحمان بن عوف، أسيد بن حضير، زيد بن ثابت، محمّد بن مسلمة، زياد بن لبيد، ثابت بن قيس بن شماس، سلمة بن اسلم..

فهؤلاء كانوا في مَن كشف دار فاطمة وهجموا على أهل البيت(ع)، وكانت لهم يد في اعتقال المتحصّنين، وكانوا هم الأصحاب والأعوان لعمر بن الخطّاب في هذه الحادثة.

٥ ـ روى أبو بكر بن عبدالعزيز الجوهريّ على ما نقل ابن أبي الحديد في شرح النهج (١) في «كتاب السقيفة وفدك» الرواية التالية:

«.. وعليّ يقول: **أنا عبد الله، وأخو رسول الله**، حتّى انتهوا به إلى أبي بكر، فقيل له: بايع.

فقال:**أنا أحقّ بهذا الأمر منكم، لاأبايعكم وأنتم أوْلى بالبيعة لي. أخذتم هذا الأمر من الأنصار، واحتججتم عليهم بالقرابة من رسول الله(ص)، فأعطوكم المقادة، وسلّموا إليكم الإمارة، وأنا احتجّ عليكم بمثل ما احتججتم به على الأنصار، فأنصفونا إن كنتم تخافون الله من أنفسكم، واعرفوا لنا مثل ما عرفت الأنصار لكم، وإلاّ فبوؤا بالظلم وأنتم تعلمون.**

فقال عمر: إنّك لست متروكاً حتّى تبايع.

فقال له عليّ:**احلب ـ يا عمر ـ حلباً لك شطره، اشدد له اليوم أمره ليردّه عليك غداً؟ لاوالله لاأقبل قولك ولاأبايعه.**

فقال له أبو بكر: فإن لم تبايعني لم أكرهك.

(١)شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢: ٥.

فقال عليّ:**يا معشر المهاجرين، الله الله، لاتخرجوا سلطان محمّد عن داره وبيته إلى بيوتكم ودوركم، ولاتدفعوا أهله عن مقامه في الناس وحقه، فوالله يا معشر المهاجرين لنحن أهل البيت أحقّ بهذا الأمر منكم ما كان منّا الا القارئ لكتاب الله، الفقيه في دين الله، العالم بالسنّة، المضطلع بأمر الرعيّة، والله إنّه لفينا فلا تتّبعوا الهوى فتزدادوا من الحقّ بُعداً**، وانصرف عليّ إلى منزله ولم يبايع».

٦ ـ وجاء في كتاب «الإمامة والسياسة»(١) وكتاب السقيفة وفدكبناءً على ما نقله ابن أبي الحديد في «شرح النهج»(٢) الأمر التالي:

«.. إنّ عليّاً حمل فاطمة على حمار وسار بها ليلاً إلى بيوت الأنصار يسألهم النصرة، وتسألهم فاطمة الانتصار له، فكانوا يقولون: يا بنت رسول الله، قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، لو كان ابن عمّك سبق إلينا أبا بكر ما عدلنا به.

فقال عليّ(ع):**أكنت أترك رسول الله ميّتاً لاأجهّزه وأخرج إلى الناس أنازعهم في سلطانه؟!**

وقالت فاطمة(ع):**ما صنع أبو حسن إلاّ ما كان ينبغي له، وصنعوا هم ما الله حسيبهم عليه».**

---

(١)الإمامة والسياسة: ١: ١٩.

(٢)شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢: ٥.

وأورد ابن أبي الحديد في «شرح النهج»(١) كتاباً من معاوية بن أبي سفيان، وفي هذا الكتاب يذكر حمل الإمام الزهراء وابنيهما(ع) ليلاً إلى بيوت الأنصار ممّا يدلّ على أنّها من الوقائع المشهورة، فهو ينقل هذا الأثر:

ومن كتاب معاوية المشهور إلى عليّ(ع):

«وأعهدك أمس تحمل قعيدة بيتك ليلاً على حمار ويداك في يدي ابنيك الحسن والحسين يوم بويع أبو بكر الصدّيق، فلم تدع أحداً من أهل بدر والسوابق إلاّ دعوتهم إلى نفسك، ومشيت إليهم بامرأتك، وأدليت إليهم بابنيك، واستنصرتهم على صاحب رسول الله(ص) فلم يجبك منهم إلاّ أربعة أو خمسة...».

وهذا جانب ممّا كان من الهجوم على منزل أهل البيت من الحزب الحاكم لكي يقبضوا على المتحصّنين في بيت عليّ(ع) ولم يبايعوا أبا بكر، فيجبروهم على البيعة له، ولقد لاحظنا الموقف الذي وقفه عمر بن الخطّاب وأعوانه من أهل البيت(ع)، فقد بلغوا به منتهى السماجة حيث أوصلوه إلى حاقة الأطرق وإشعال النار!!

أجل، هذه الواقعة كانت قد وقعت بعد يوم أو يومين من بيعة أبي بكر العامّة بحيث أوجبت سقوط أبي بكر وانتزاع حياته وإراقة ماء وجهه هو ومَن سانده وأعانه بعد ذلك، لذلك نراه في آخر ساعات حياته أظهر الندم مصحوباً بالجزع والاضطراب والقلق، فها هو

(١)شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١: ١٣١.

على فراش المرض يقول لعبدالرحمان بن عوف: «.. وليتنى لم أفتّش بيت فاطمة بنت رسول الله(ص) وأدخله الرجال، ولو كان أغلق على حرب»(١).

من هذه الناحية ترون الكتب الرسميّة لجهاز الخلافة من قبيل الصحاح وأمثالها قد تحاشت بقدر المستطاع ذكر هذا العار، وكلّ ذلك من أجل أمر واحد وهو أن لا يتلوّث ذيل أبي بكر وحزبه بهذا العار والقذر، وإلاّ فإنّ مَن كان من أهل التحقيق والدقة في النظر لابدّ أن يقف على وقوع هذا الحادث المؤلم من مجموع الروايات المتفرّقة في جوامع العامّة الحديثيّة، والتي ذكرها المعتمدون منهم.

وإلى هنا نوجز بيان الواقعة، ونعمد إلى تحقيق لسرّ ذلك الهجوم الأصليّ، وتلك العاصفة التي عصفت بالمسلمين.

لمّا كان من الثابت القطعيّ أنّ هجوم الحزب الحاكم (أبي بكر وأعوانه) على منزل أهل البيت(ع) هو على أساس الهدف الذي تسلسلت من أجله عدّة أحداث من قبله، فينبغي أن لايلتبس الأمر على الباحث من أنّه كان من أجل هتك حرمة عليّ بن أبي طالب وفاطمة الزهراء(ع)، وتحطيم عزتهما ليكون البيت الذي يُعرف ببيت رسول الله(ص) عند الأمّة، وقد اتّخذت منه مأمناً وملاذاً لاحرمة له بينهم، وليس له صيانة وقدسيّة بين الناس، وحينئذ لايعتبر بين الناس ذلك البيت المقدّس الذي كان من قبل، وما كان قد استقرّ في وعي الناس من وقوف النبيّ(ص) على بابه بنظام رتيب ويسلّم على أهله،

---

(١)تاريخ اليعقوبيّ: ٢: ١٢٧. تاريخ الطبريّ: ٢: ٦١٩. العقد الفريد: ٣: ١٨.

ويدعوهم بأهل بيت العصمة والطهارة، ويتلو الآية الشريفة على ملأ من الناس: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ (١) مبيّناً بذلك فضيلتهم وطهارتهم الذاتيّة بقراءتها على بابهم (كما أوضحنا جانباً من ذلك في «القسم الحادي عشر» من الكتاب)، وجاء هجوم القوم ليسلب الحرمة من سكّان هذا البيت.

أجل، إنّ ما أتاه الحزب الحاكم من الهجوم على منزل أهل البيت(ع)، وترويع فاطمة الزهراء والحسنين(ع) واعتقال عليّ ومعه سائر المتحصّنين في البيت، وقسرهم على البيعة لأبي بكر يريد بذلك التضحية بقدسيّة أهل بيت النبيّ(ص) من أجل أغراض القوم السياسيّه، وليكتبوا في صفحات التاريخ نكرانهم لجميل رسول الله(ص) وكفرهم بالنعمة، وإضاعتهم لحقّ رسول الله(ص) في جهوده وجهاده وعصيانهم لأوامر الحقّ القائل بشأن أهل بيت النبيّ(ص) والوصيّ بهم بقوله: ﴿قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى...﴾ (٢)، ويضبطونه ضبطاً بالقسطاس المستقيم، وإلاّ فإنّ الحزب الحاكم على يقين بأنّ الإمام عليّاً(ع) لايقاتلهم قطّ وما أعدّ نفسه لجمع العدّة والعدد لمقاومتهم بهما، وقد اتّضح لهم ذلك في ردّه اقتراح عمّه العبّاس والمتّفقين معه في الرأي.

ورأينا كيف أنّ الحزب الحاكم اتّخذ سياسة «الهوينا» مع الإمام عليّ(ع) بعد بيعة المتحصّنين ببيت الإمام لأبي بكر، ذكر ابن أبي الحديد

---

(١) الأحزاب ٣٣: ٣٣.
(٢) الشورى ٤٢: ٢٣.

في «شرح النهج»[(١)] هذا الموضوع عينه، فقال:«وعلموا أنّه بمفرده لايضرّ شيئاً فتركوه».

ومن الواضح أنّ ما كان يقوم به الإمام(ع) في تلك المشادّة من أخذه زوجه وابنيه إلى بيوت المسلمين واستنصارهم، وطلب العون منهم، لابدّ وأن يكون لتوعية المسلمين بواقع الحال لكي لايخدعوا بظاهر المنافقين المحترفين الصالح بحسن نيّة أو بدافع الغباء والجهل، ولايحملوهم على السير في طريق معصية الله ورسوله، وإلاّ فإنّ كلّ عاقل يعلم أنّ السياسة التي اتّخذها أمير المؤمنين(ع) ليست سياسة استرداد الحقّ الضائع، ولابمستطاعه أن يغيّر الوضع القائم بها، ولاأن يقضي على الحزب الحاكم بهذه الوسيلة الليّنة بحال من الأحوال، وهذا ما كان من بيان الخطوات الأولى التي قام بها الحزب الحاكم التي أعقبت غصب الخلافة بيوم أو يومين.

وعلى كلّ حال، لمّا كانت روايات العار من الهجوم على بيت الزهراء(ع) عند الشيعة أكثر منها عند العامّة، إلاّ أنّ مذهبنا في بيان الحقيقة هو التحليل الصحيح للتاريخ، لذلك لم يكن من اللائق الاعتماد على طرف واحد من طرفي النزاع دون الاطّلاع على ما عند الطرف الآخر منها، من ثمّ عزفنا عمّا رواه الشيعة ولم نجعل منه واسطة لبحثنا، وإن كان المقدار الذي رواه العامّة من الهجوم والغارة على بيت الصدّيقة(ع) نفسه يؤيّد ما رواه الشيعة، ويحكم متونه وإسناده.

---

(١)شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١: ١٢٢.

بيان ذلك بصورة أشمل وأوضح: لمّا كان عمر بن الخطّاب قد تلقى الأمر الصارم من أبي بكر بإحضار عليّ بن أبي طالب والمتحصّنين معه في بيت الزهراء(ع) بأي ثمن كان، لذلك أقبل عمر بن الخطّاب ومَن معه ومعهم الحطب والنار ليحرقوا بيت الزهراء(ع) بمَن فيه، ثمّ استقبلت ابنة رسول الله(ص) عمر بن الخطّاب في الدفاع عن زوجها، والمستجيرين بها وجهاً لوجه، فلا يعبأ، وهجم أصحابه على البيت وساقوا المجتمعين به مخفورين وأجبروهم على البيعة لأبي بكر مع أنّ الإمام عليّ بن أبي طالب(ع) ما فتئ يردّد قوله:«**أنا عبدالله، وأخو رسوله**»، فهذه القرائن كلّها تؤيّد وقوع المصائب التي تدمي القلب من ذلك الهجوم المشؤوم التي أثبتها الحفّاظ وبالغوا في العناية بها، وضبطوها ضبطاً محكماً.

وفي ختام هذا التحقيق نحن مضطرّون للتساؤل هنا:

لماذا كان بعض المنافقين المحترفين مندسّين في صفوف المتحصّنين ببيت الصدّيقة ساعتئذ؟

أليس طلحة بن عبيدالله وسعد بن أبي وقّاص والزبير بن العوّام من أشهر المنافقين المحترفين الذين فضحهم الوحي وأسقط القناع عن وجوههم الخبيثة، وكشف للملأ نفاقهم.. [في الأقسام (٨) و (٩) و (١٢) و (١٨) من هذا البحث أظهرنا نفاق هؤلاء المحترفين من ضوابط الآيات، من لغة الوحي، وبتحقيق الآثار التي وصلتنا عنهم أثبتنا ذلك، وأقمنا الدليل عليه، فليراجع].

وربّما اعتبر الزبير بن العوّام من أجل امّه «صفيّة» من بني هاشم، ولذلك يعد وجوده بينهم أمراً عاديّاً، ولكن هل من المعقول أن يقوم طلحة بن عبيدالله مع القائمين على كبير أهل بيته أبي بكر بن أبي قحافة؟! ويلجأ إلى بيت الزهراء(ع) ويتترّس به، وهل من المعقول أيضاً أن يثور سعد بن أبي وقّاص وينهض لمعاضدة عليّ بن أبي طالب(ع).

إنّ أمراً كهذا ليس معقولاً في شيء أبداً.

إنّه لمن الواضح لنا حيث ثبت لدينا نفاق طلحة بن عبيدالله وسعد بن أبي وقّاص والزبير بن العوّام الذين توصّلنا إلى نفاقهم من ضبط لهجة الآيات في لغة الوحي والآثار الواردة حولها، واستنبطنا ذلك من هذا كلّه.

ومن المقطوع به عندنا أيضاً أنّ حضورهم في ذلك الجمع المتحصّن والملتجئ إلى بيت الصدّيقة(ع) كان على إثر خطّة محبوكة ومبنيّة على مصلحة منظورة لرأسي الحزب أبي بكر وعمر، وكان تحصّنهم في بيت عليّ(ع) لأغراض التجسّس والاطّلاع على ما يخبئ المتحصّنون من الخطط المستقبليّة لمناهضة حكم الرجلين، ومعاكستهم إن لزم الأمر، وبتجاوزنا لضوابط آيات لغة الوحي التي دلّت على نفاق هؤلاء الثلاثة بما لايقبل الشكّ. وأثبتنا بالبرهان القاطع ذلك، فإنّ دليلاً آخر يدلّ على انحرافهم عن الإمام عليّ بن أبي طالب(ع) هو أنّ هؤلاء الثلاثة أنفسهم سرّحهم رسول الله(ص) مع بعث أسامة بن زيد وأمرهم ـ كما أمر أبا بكر وعمر وسائر المنافقين المحترفين ـ أن يخلفوا المدينة وراءهم لتخلو منهم

عند وفاته(ص) لتصفو للإمام عليّ(ع) وتأخذ خلافته مجراها الطبيعيّ حين البيعة بلا أدنى معارضة.

والعجيب في الأمر أنّ روايات الفريقين صنعت من الزبير بن العوّام موالياً للإمام أمير المؤمنين(ع) ومدافعاً عنه، وأعطته سيفاً قاطعاً لكي يواجه به المهاجمين وليضرب به وجه عمر عند هجومه على الدار، ويدافع به عن الإمام(ع) ويعلن الحرب على الحزب الحاكم، مع أنّنا رأينا الإمام لالا يرغب بحربهم ولايريد قتالهم ولم يقابلهم إلاّ بالسلم والموادعة والكلمة الحقة والجدال بالتي هي أحسن، وابتعد عن سفك الدم حرصاً على سلامة المجتمع وراحة أفراده.. وما فتئ هذا شأنه.

والأعجب من ذلك كلّه أنّ الزبير بن العوّام مع ما نحتوا له من الشجاعة ووصفوه بها نراه في هجومهم على بيت الزهراء ما أسرع ما تخلّى عن سيفه حتّى وقع بأيديهم، وهزم بذلك هزيمة شنعاء، وسلّم نفسه إلى المهاجمين من غير أن تسقط قطرة دم واحدة على الأرض منه أو من غيره، وقبضوا عليه مع رفيقيه المخلصَين طلحة وسعد بن أبي وقّاص، وسارعوا إلى البيعة قبل أن يتقدّم إليهما غيرهم من المتحصّنين.

وإلى هنا ننهي الحديث عن «هجوم القوم وغارتهم على بيت أهل البيت(ع)..» ونذهب إلى بيان المصائب والأحداث التي جرت بعد ذلك، وهي موضوع مصادرة أموال أهل البيت(ع) ومنع حقوقهم من قِبل الحزب الحاكم إن شاء الله تعالى.

تحقيق الأمر في مصادرة أموال أهل البيت:
ومنع حقوقهم

لابدّ من بيان الوجه الشرعيّ من تملك أهل البيت(ع) لهذه الأموال قبل الخوض في بيان مصادرتها ومنعها عنهم من قِبل الحزب الحاكم، لكي نضع الركيزة الأولى لهذا التحقيق في مسألة المصادرة، ويسهل علينا تناول المسألة من جميع جوانبها.

والآن نشرع في بيان المسألة ونقول ونحقق الطرق الشرعيّة والعرفيّة لهذا التملك:

١ ـ قالوا: لمّا هاجر النبيّ(ص) إلى المدينة ومعه قومه من بني هاشم وبني عبد المطّلب، واستقرّوا فيها واتّخذوها دار إقامة عمدت الأنصار إلى الأراضي التي تسقى بماء المطر فملكوها لرسول الله(ص)(١).

وهذا هو أوّل طريق عرفيّ تملك به رسول الله(ص) أرضاً في المدينة، وتمّ عن طريق الهبة والبذل من جهة الأنصار.

٢ ـ وفي غزوة بدر واضطرام نارها مع المشركين فقد وقعت مشادّات عنيفة فيما بين المسلمين حول الغنائم تتركز على مَن الأوْلى

---

(١)الأموال لأبي عبيدة: ٢٨٢، باب الإقطاع من كتاب أحكام الأرضين. شرح النوويّ على صحيح مسلم: ١٢: ٨٢، باب حكم الفيء من كتاب الجهاد.

بغنائم الحرب، وأدّى ذلك إلى نزول الآية الشريفة: ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ قُلِ الأَنْفَالُ للهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُؤْمِنِينَ﴾(١).

وخصّصت الآية الغنائم كلها والأنفال برسول الله(ص)، وكفّ أيدي المسلمين عنها، وقسّم النبيّ(ص) الغنائم جميعها بنفسه بين المسلمين المجاهدين في تلك الغزوة، ثمّ عمد إلى أخذ الخمس بأمر الله تعالى وخصّه سبحانه به طبقاً للآية الكريمة: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِن شَيْءٍ فَأَنَّ للهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(٢).

وبهذا الوجه الشرعيّ وبعد غزوة بدر الكبرى (التي وقعت في شهر رمضان السنة الثانية من الهجرة، أي في حدود الشهر الثامن عشر من إقامة النبيّ(ص) في المدينة)تملك النبيّ(ص) الخمس بعد تشريعه في الآية، وهي الجهة الشرعيّة الأولى لتملكه وتثبيته بالوحي الإلـهيّ.

ومن يومئذ استقرّت الحال على أن يكون للنبيّ(ص) الخمس في الأموال المستجدّ تملكها بالغنائم.

٣ ـ وفي شهر شوّال السنة الثالثة من الهجرة عندما وقعت «حرب اُحُد» كان رجل قدْ أسلم يدعى مخيريق، وهو من علماء

---

(١)الأنفال ٨: ١.
(٢)الأنفال ٨: ٤١.

اليهود، وأهل الثراء والغنى فيهم، ويقيم في المدينة، وكان يحبّ النبيّ(ص) ويواليه، وحضر وقعة اُحُد واستشهد فيها، ولمّا أوصى قبل أن يذوق كأس الحِمام ويستشهد هناك قائلاً: إذا قتلت في ميدان الحرب، فإنّ جميع مال أملكه ويعود لي فهو لمحمّد(ص)، من ثمّ عادت أمواله المعروفة بالحوائط السبعة، وهي الحدائق المحاطة بالجدر، وعددها سبعة حوائط كلّها لرسول الله(ص)، والحوائط السبعة هي:«الأعراف، الصافية، الدلال، المشيب، برقة، حسني، مشربة.. التي عرفت فيما بعد باسم «مشربة اُمّ إبراهيم» لسكنى ماريّة القبطيّة(ع) اُمّ إبراهيم(ع) ابن رسول الله(ص) فيها، وكانت تدعى بذلك[١]..

وهذه هي الجهة الثالثة لتملك رسول الله(ص) المال التي جاءته من وصيّة مخيريق.

٤ ـ في السنة الرابعة من الهجرة نقض يهود بني النضير العهد، وخطّطوا لاغتيال النبيّ(ص)، فرحّلهم النبيّ(ص) عن المدينة، ونزلت سورة «الحشر» في بيان ما يختصّ بوضعهم على رسول الله(ص)، وفي آياتها آيتان وضعتا أموالهم تحت تصرّف النبيّ(ص)، والآيتان هما: ﴿**وَمَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلاَ رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَن يَشَاءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ**

(١)مغازي الواقديّ: ٢٦٣، ٣٧٨. الطبقات الكبرى١: ١٨٣، القسم الثاني، الإصابة في ترجمة « مخيريق ».

وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لاَ يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (١).

فبموجب هذا الحكم الوارد في الآية من اعتبار أموالهم المتملكة التي لم يوجف عليها بخيل ولاركاب «ما أفاء الله على رسوله» من اختصاص النبيّ(ص)، وأصبح بعد نزول الآيتين المذكورتين لتملك النبيّ(ص) الأموال طريق ثان شرعيّ وعنوانه «ما أفاء الله على رسوله».

وبعد مرور سنين على نزول هذا الحكم تملك القلعتين «الوطح» و «السلالم»(من القلاع الثماني لخيبر)، وكذلك تملك به نصف قرية «فدك» وثلث «وادي القرى».

هذه كلها صارت تحت يد رسول الله(ص) مباحة له بحكم «ما أفاء الله على رسوله».

وبناءً على هذا، فإنّ تملك رسول الله(ص) للملك مضافاً إلى الجهات العرفيّة المستعملة في جزيرة العرب التي يحقّ للمرء أن يتملك بواسطتها المال، ورأينا النبيّ(ص) تملك بهذه الجهة الأراضي الزراعيّة التي تسقى بالسيح من أراضي الأنصار والحوائط السبعة التي ملكه إيّاها مخيريق مالكها، وغيرها. وأصبحت معدودة من أموال النبيّ(ص)، فإنّ هناك طريقين شرعيّين اثنين أيضاً بهما ملك رسول الله(ص) الأموال،

(١)الحشر ٥٩: ٦ و ٧.

وهما:

الأوّل: ما عنون بلفظ الخمس، والثاني وعنوانه «ما أفاء الله على رسوله»، وقد اتّضح من البحث الذي أجريناه في «القسم الحادي عشر» من الكتاب، ويختصّ بمفاد «آيات الخمس» و «ما أفاء الله على رسوله» أنّ خمس الغنائم وجميع «ما أفاء الله على رسوله» لهما حكم واحد، وكان رسول الله(ص) طبقاً للآيات السالفة ينفق سهماً منه في (سبيل الله) على وجه الإطلاق ولايخصّصه بجهة معيّنة ممّن ينطبق عليه هذا العنوان، وينفق السهم الآخر على نفسه، ويعطي ثالث السهام إلى ذوي القربى، والسهام الثلاثة الباقية ينفقها في التوسعة على الأيتام وإقامة حياتهم، وكذلك المساكين والغرباء وهم أبناء السبيل. جرى على هذا المنوال في أيّامه كلّها.

وثبت لدينا هناك أنّ سهم ذوي القربى يلزم اختصاصه من أهل بيت النبيّ(ص) بأولئك الذين يقعون مصداقاً لـ «آية التطهير».

ولمّا كانت «آية التطهير» حين نزولها لاتشمل سوى النبيّ(ص) إلاّ عليّاً بن أبي طالب وفاطمة الزهراء والحسنين(ع) فنصل من خلال هذه المقدّمة إلى أنّ سهم ذوي القربى في زمن النبيّ(ص) مختصّ بهؤلاء الأربعة وحدهم (ويعبّر عنهم أحياناً بأهل البيت، وأحياناً باسم «أصحاب الكساء، وأحياناً باسم «أصحاب المباهلة» إلى آخره).

وبناءً على التحقيقات مارّة الذكر فقد علم في هذا البحث أنّه في زمن النبيّ(ص) يخصّ سهم واحد من الأموال التي يعبّر عنها

بالخمس أو بما أفاء الله على رسوله أهل بيت رسول الله(ص) أصحاب العصمة والطهارة، لافرق بين أن يكون هذا السهم ممّا تصرّفوا به والنبيّ(ص) على قيد الحياة ـ كقرية فدك مثلاً ـ أو ممّا بقى مشاعاً ضمن الأموال التي كانت تحت يد النبيّ(ص).

وعلى أيّة حال، بما أنّ المسألة أوضحتها آيات من لغة الوحي، فإنّ الجميع على علم بسهم ذوي القربى واختصاص ملكيّته بأهل البيت(ع)، وأنّهم ملاكه الأصلاء.

أجل، كما سبق في مباحث هذا الكتاب الحاضر المختلفة أنّنا اعتمدنا فيها على «آيات الولاية» من أوّل الكتاب إلى آخره، ولمّا كان الإنسان الكامل في هذه الأمّة بعد رسول الله(ص) هم أهل بيت العصمة والطهارة، والإمام المعصوم من أهل البيت هو خليفة رسول الله(ص)، فإنّه يظهر من هذا السياق أنّ كلّ ما يُطلق عليه عنوان «الخُمس» في الآونة الأخيرة و «ما أفاء الله على رسوله» يجب أن يقع تحت اختيار اُولي الأمر والإمام المعصوم، وإذا كان «سهم الله» يحوّل إلى النبيّ(ص) في حياته ويعهد به إليه، فإنّه بعد وفاته يحب أن يرجع به ـ أي «سهم الله»، و «سهم الرسول ـ إلى ذي القربى، وهو الإمام مفترض الطاعة من أهل بيت العصمة والطهارة، ويمكّن الإمام المعصوم من آل محمّد من هذه الامتيازات كلها، وإلاّ فمن المقطوع به أنّ ما كان من الأموال ويملكه النبيّ(ص) ملكاً شرعيّاً أو عرفيّاً وبقي في حيازته حتّى فارق الحياة، فإنّ الوريث الشرعيّ له وصاحب الأصالة الشرعيّة أيضاً، ويعدّ من صلب النبيّ(ص)

مباشرة إنّما هي فاطمة الزهراء(ع)، ويشملها وأباها المصطفى «آيات الإرث» كلّها، شأنها في ذلك شأن أيّ مسلم من اُمّة أبيها.

وعلى أيّة حال، لمّا كانت الأمور التالية من المسلّمات:

أوّلاً: في زمن النبيّ(ص) يعزل من الأموال كلّها التي يُطلق عليها عنوان «الخمس» و «ما أفاء الله على رسوله» سهم ذوي القربى ويعطي إلى أهل بيت العصمة والطهارة، سواءاً كان تحت أيديهم يتصرّفون فيه تصرّف المالك بملكه (كما هو الحال في قرية «فدك» التي كانت بهذه المثابة أيّام وفاة النبيّ(ص) وفي حياته) أو كان اختياره بيد النبيّ(ص) في ظاهر الحال، وهو الذي ينفقه عليهم بنحو أو بآخر.

٢ ـ ما ملكه النبيّ(ص) بالطرق العرفيّة والطرق الشرعيّة، وتثبت له ملكيّته، فإنّ وارثه الشرعيّ فاطمة الزهراء(ع) لأنّها البنت الصلبيّة لرسول الله(ص)، ولم يكن معها غيرها يومئذ، والآيات ذات الصلة بالموضوع فإنّها تشمل النبيّ(ص) وابنته بشكل قاطع.

٣ ـ يكون كلّ مال يحمل عنوان «الخمس» و «ما أفاء الله على رسوله» بعد وفاة النبيّ(ص) مختصّاً بأولي الأمر وبالإمام المعصوم والإمام مفترض الطاعة من أهل بيت العصمة والطهارة، وله سهم الله وسهم الرسول خاصّان به، والآن بعد أخذ النكات آنفة الذكر بنظر الاعتبار، وبيان مصادر الأموال التي يمتلكها أهل البيت والإشارة إلى منع حقوقهم من قِبل الحزب الحاكم نأخذ في إيضاح ذلك بالإطناب حتّى تتبيّن مظلوميّة أهل البيت(ع) في هذه الظواهر،

كالظواهر التي تقدّمتها، ونستدلّ على ذلك بالأدلة الثابتة:

* قال عمر بن الخطّاب:«لمّا قبض رسول الله(ص) جئت أنا وأبو بكر إلى عليّ فقلنا: ما تقول في ما ترك رسول الله؟

قال:**نحن أحقّ الناس برسول الله(ص).**

قال: فقلت: والذي بخيبر؟

قال:**والذي بخيبر.**

قلت: والذي بفدك؟

قال:**والذي بفدك؟**

فقلت: أما والله حتّى تحزوا رقابنا بالمناشير فلا»[(١)].

* ويقول عمر في الرواية الثانية:

«لمّا كان اليوم الذي توفّي فيه رسول الله(ص) بويع لأبي بكر في ذلك اليوم، فلمّا كان من الغد جاءت فاطمة إلى أبي بكر معها عليّ، فقالت:**ميراثي من رسول الله أبي.**

فقال أبو بكر: من الرقة أو من العقدة؟

قالت:**فدك وخيبر وصدقاته بالمدينة أرثها كما ترثك بناتك إذا متّ.**

فقال أبو بكر: أبوك والله خير منّي، وأنت والله خير من بناتي، وقد قال رسول الله(ص): لانورث ما تركناه صدقة، يعني هذه الأموال

---

(١)مجمع الزوائد: ١: ٣٩، باب فيما تركه الرسول.

القائمة..».

والخطأ الذي يلفت النظر في هذه الرواية هو مجيئ فاطمة الزهراء(ع) ومطالبتها أبا بكر في اليوم الثاني بعد وفاة النبيّ(ص) مع أنّ وقوع السقيفة والهجوم على بيت عليّ(ع) وما تلا ذلك ينفي التوقيت هذا.

وبناءً على هذا يكون الخبر الذي ذكره ابن أبي الحديد أقرب للواقع وأدنى من الحقيقة، فإنّه ذكر أنّ مجيئ الصدّيقة(ع) ومطالبتها لأبي بكر كان بعد أيّام عشر من وفاة رسول الله(ص)[١].

■تقول عائشة بنت أبي بكر الرواية التالية:

«.. إنّ فاطمة بنت النبيّ(ص) أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله(ص) ممّا أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر.

فقال أبو بكر: إنّ رسول الله قال: لانورث ما تركناه صدقة، إنّما يأكل آل محمّد في هذا المال، وإنّي والله لاأغيّر شيئاً من صدقة رسول الله(ص) عن حالها التي كان عليها في عهد رسول الله(ص)، ولأعملنّ فيها بما عمل رسول الله(ص)، فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً.

فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرته فلم تكلّمه حتّى توفّيت، وعاشت بعد النبيّ(ص) ستّة أشهر، فلمّا توفّيت دفنها زوجها

(١)شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٤: ٩٧.

عليّ ليلاً ولم يؤذن بها أبا بكر وصلّى عليها..»[(١)].

* وتقول عائشة في روايتها الثانية:

«إنّ فاطمة ابنة رسول الله(ص) سألت أبا بكر الصدّيق بعد وفاة رسول الله(ص) أن يقسّم لها ميراثها ما ترك رسول الله(ص) ممّا أفاء الله عليه، فقال لها أبو بكر: إنّ رسول الله قال: لانورّث ما تركناه صدقة.

فغضبت فاطمة بنت رسول الله(ص)فهجرت أبا بكر، فلم تزل مهاجرته حتّى توفّيت، وعاشت بعد رسول الله ستّة أشهر.

قالت: وكانت فاطمة تسأل أبا بكر نصيبها ممّا ترك رسول الله(ص) من خيبر وفدك وصدقته بالمدينة، فأبى أبو بكر عليها ذلك وقال: لست تاركاً شيئاً كان رسول الله يعمل به إلاّ عملت به، فإنّي أخشى إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ، فأمّا صدقته بالمدينة فدفعها عمر إلى عليّ(ع) والعبّاس(ع)، فأمّا خيبر وفدك فأمسكها عمر وقال: هما صدقة رسول الله(ص) كانتا لحقوقه التي تعروه ونوائبه، وأمرهما إلى مَن ولي الأمر..»[(٢)].

* ويقول أبو هريرة:«إنّ فاطمة جاءت أبا بكر وعمر تطلب ميراثها من رسول الله(ص)، فقالا: إنّا سمعنا رسول الله(ص)يقول: إنّي

(١)صحيح البخاريّ: ٣: ٣٩، كتاب المغازي ـ باب غزوة خيبر. صحيح مسلم: ٣: ١٣٨، كتاب الجهاد ـ باب قول النبيّ: « لا نورث ».

(٢)صحيح البخاريّ: ٢: ١٢٦، كتاب الخمس ـ باب فرض الخمس. صحيح مسلم: ٣٨١، كتاب الجهاد، الحديث ٥١.

لاأورّث»[١].

* ويقول أبو هريرة في رواية أخرى:

«جاءت فاطمة إلى أبي بكر فقالت:**مَن يرثك؟!**

قال: أهلي وولدي.

قالت:**فما لي لاأرث أبي؟ !**

فقال أبو بكر: سمعت رسول الله(ص) يقول: لانورّث، ولكن أعول مَن كان رسول الله يعوله، وأنفق على مَن كان رسول الله ينفق عليه»[٢].

* قال أنس بن مالك:«إنّ فاطمة(ع) أتت أبا بكر فقالت:**لقد علمت الذي ظلمتنا أهل البيت من الصدقات وما أفاء الله علينا من الغنائم في القرآن من سهم ذوي القربى**، ثمّ قرأت عليه قوله تعالى:﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِن شَيْءٍ فَأَنَّ للهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى...**﴾[٣].

فقال لها أبو بكر: بأبي أنت وأمّي، ووالد ولدك، السمع والطاعة لكتاب الله ولحقّ رسول الله وحقّ قرابته، وأنا أقرأ من كتاب الله الذي تقرأين منه، ولم يبلغ علمي منه أنّ هذا السهم من الخمس مسلّم إليكم كاملاً.

---

(١)مسند أحمد بن حنبل: ١: ٩٣ و: ٢: ٣٥٤.

(٢)سنن الترمذيّ: أبواب السير ـ باب ما جاء في تركة النبيّ، الحديث ١. مسند أحمد بن حنبل: ١: ١٠.

(٣)الأنفال ٨: ٤١.

قالت: **أفلك هو ولأقربائك؟**

قال: لابل أنفق عليكم منه، وأصرف الباقي في مصالح المسلمين.

قالت: **ليس هذا حكم الله..»** (١).

*ويقول أبو الطفيل: «لمّا قبض رسول الله(ص) أرسلت فاطمة(ع) إلى أبي بكر: **أنت ورثت رسول الله أم أهله؟ !**

قال: فقال: لا، بل أهله.

قالت: **فأين سهم رسول الله؟**

قال: فقال أبو بكر: إنّي سمعت رسول الله يقول: إنّ الله إذا أطعم نبيّاً طعمة ثمّ قبضه جعله للذي يقوم من بعده، فرأيت أن أردّه على المسلمين.

قالت: **فأنت وما سمعت من رسول الله أعلم؟»** (٢).

*قالت أمّ هاني: «إنّ فاطمة أتت أبا بكر تسأله سهم ذوي القربى، فقال لها أبو بكر: سمعت رسول الله(ص) يقول: سهم ذوي القربى لهم في حياتي وليس لهم بعد مماتي..» (٣).

*وروى البلاذريّ في «فتوح البلدان» الرواية التالية:

«إنّ فاطمة قالت لأبي بكر الصدّيق: **أعطني فدك، فقد جعلها**

---

(١) تاريخ الذهبيّ: ١: ٣٤٧.

(٢) مسند أحمد بن حنبل: ١: ٤. سنن أبي داود: كتاب الخراج ـ باب في صفايا رسول الله'. شرح نهج البلاغة: ٤: ٨١.

(٣) كنز العمّال: ٥: ٣٦٧، كتاب الخلافة مع الإمارة ـ قسم الأنفال.

رسول الله لي، فسألها البيّنة، فجاءت بأمّ أيمن ورباح مولى النبيّ(ص) فشهدا لها بذلك.

فقال: إنّ هذا الأمر لاتجوز فيه إلاّ شهادة رجل وامرأتين..»[(١)].

*روى محمّد بن سعد في «الطبقات الكبرى» الرواية التالية:

«جاءت فاطمة إلى أبي بكر تطلب ميراثها، وجاء العبّاس بن عبدالمطّلب يطلب ميراثه، وجاء معها عليّ.

فقال أبو بكر: قال رسول الله: لانورّث ما تركناه صدقة، وما كان النبيّ يعول فعليَّ.

فقال عليّ: ﴿**وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ**﴾[(٢)]،وقال زكريّا: ﴿**يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ**﴾[(٣)].

قال أبو بكر: هو هكذا، وأنت والله تعلم مثل ما أعلم.

فقال عليّ:**على هذا كتاب الله ينطق**، فسكتوا وانصرفوا»[(٤)].

وليس من نافلة القول إنّ الجملة «وجاء العبّاس أيضاً مطالباً بالإرث» في الرواية أعلاه لاتخلو إمّا أن تكون خطأً من الراوي الذي ظنّ أنّ العمّ يرث أيضاً مع وجود أولاد المتوفّى لصلبه أو أنّ المسألة لها

(١)فتوح البلدان: ٣١.

(٢)النمل ٢٧: ١٦.

(٣)مريم ١٩: ٦.

(٤)الطبقات الكبرى: ٢: ٨٦، القسم الثاني. كنز العمّال: ٥: ٣٦، كتاب الخلافة مع الإمارة ـ قسم الأنفال.

جذر سياسيّ ضارب في كتاب المنصور إلى محمّد بن عبدالله بن الحسن، وأمثال ذلك.

وقد جاء فيما نقله ابن عبد ربّه في «العقد الفريد»(١) أنّ المنصور سعى في ذلك الكتاب ليكون حقّ العبّاس بن عبدالمطّلب(ص) جدّ الخلفاء العبّاسيّين مقدّماً على حقّ فاطمة الزهراء(ع).

وهذا ما كان من أمر الأمثلة من الروايات العاميّة التي تثبت بما لايقبل الشكّ مصادرة أموال أهل البيت(ع)، ومنعهم حقوقهم من قِبل الحزب الحاكم. والآن نقول في تحقيق ذلك الأمر وبيانه وتوضيحه:

أوّلاً: ينبغي أن يعلم بأنّ إطلاق كلمة صدقة وصدقات على المال الذي خلّفه رسول الله من بعده، واشتهر إطلاق ذلك عليه بعد صعوده إلى الرفيق الأعلى، وتحديداً بعد إشاعة الحديث الموضوع:«نحن معاشر الأنبياء لانورّث ما تركناه صدقة»، وقبوله من سائر أفراد الأمّة تبعاً للحاكم الذي وضعه، وإلاّ فقد كانت هذه الأموال يطلق عليها اللفظ التالي:«صفى» و«صفايا» و«صافية»، كما روي ذلك عن الخليفة الثاني في «سنن أبي داود» و «طبقات ابن سعد» الرواية التالية:

---

(١)العقد الفريد: ٣: ٢٧٤.

قال عمر بن الخطّاب: كانت لرسول الله ثلاث صفايا: بنو النضير، وخيبر، وفدك»[(١)].

نلاحظ أنَّ عمر بن الخطّاب نفسه أطلق على «خيبر» و «فدك» وغيرهما لفظ «صفايا رسول الله(ص)»، وكذلك الحال في المجادلة التي دارت بين الزهراء(ع) وبين أبي بكر بن أبي قحافة حول «مصادرة أموال أهل البيت ومنع حقوقهم»، فقد رأينا ما جاء في «طبقات ابن سعد» و «تاريخ الإسلام» للذهبيّ، عن أمّ هاني الرواية التالية:

«.. إنّ فاطمة قالت لأبي بكر:**مَن يرثك إذا متّ؟**

قال: ولدي وأهلي.

قالت:**فما لك ورثت النبيّ دوننا؟ !**

فقال: ابنة رسول الله، إنّي والله ما ورثت أباك أرضاً ولاذهباً ولافضّة ولاغلاماً ولامالاً.

قالت:**فسهم الله الذي جعله الله لنا وصافيتنا التي بيدك؟**

فقال: إنّي سمعت رسول الله(ص) إنّما هي طعمة أطعمنيها الله، فإذا متّ كان بين المسلمين».

وفي لفظ «تاريخ الإسلام» للذهبيّ جاءت الرواية هكذا:

«قال: ما فعلت يا ابنة رسول الله؟

(١)سنن أبي داود: كتاب الخراج ـ باب في صفايا رسول الله٬. طبقات ابن سعد: ١: ١٨٣، القسم الثاني.

فقالت:**بلى، إنّك عمدت إلى فدك، وكانت صافية لرسول الله فأخذتها وعمدت إلى ما أنزل الله من السماء فرفعته عنّا !**

فقال: يا ابنة رسول الله، لم أفعل لحدّثني رسول الله(ص) أنّ الله تعالى طعم النبيّ الطعمة ما كان حيّاً، فإذا قبضه إليه رفعت.

فقالت:**أنت ورسول الله أعلم ! ما أنا بسائلتك بعد مجلسي**، ثمّ انصرفت»(١).

وفي الرواية أعلاه أنّ الزهراء(ع) أطلقت على ما ترك رسول الله(ص) وعلى فدك لفظ «صافيتنا» و «صافية رسول الله».

وبناءً على هذا فقد اتّضح بشكل جيّد لاغبار عليه أنّ إطلاق كلمة «صدقة» و«صدقات» على الأموال التي تركها رسول الله(ص) وترجع إليه ملكيّتها بالملاك المتقدّم إنّما حدث بعد وفاته واشتهر ذلك بين الناس، والسرّ في ذلك هو تقبّل الحديث الموضوع «.. لانورّث..» من قِبل الحزب الحاكم وأتباع الخلافة.

ثانياً: يجب أن يعلم أنّ الحديث:«نحن معاشر الأنبياء لانورّث ما تركناه صدقة» المذكور في الروايات ذات الصلة بالموضوع إنما جعل مستنداً قانونيّاً لاحتقاب أموال أهل البيت ومصادرتها منهم، وحين نعرضه على آيات الوحي وعلى القرآن المجيد يظهر زيفه ويبيّن كونه موضوعاً؛ لأنّه من جهة يصادم آيات الإرث.

(١)طبقات ابن سعد: ٢: ٨٦، القسم الثاني. تاريخ الإسلام: ١: ٤٣٦.

ومن جهة اُخرى يباين الآيات التي تدلّ على توريث الأنبياء أولادهم.

إيضاح ذلك: من الضروريّ العلم بأنّ آيات الأحكام كما في القرآن كله كما تشمل المؤمنين والمؤمنات كذلك تشمل النبيّ(ص) نفسه وأولاده وأقاربه، وبناءً على هذا حين نرى آيات الوحي تتحدّث عن حكم الإرث العامّ الذى ينسحب على المسلمين كلّهم في الآيات (٧) إلى (١٤) من سورة«النساء» بصفة واحدة دونما تفريق بين مسلم ومسلم نصل إلى القطع من هذا الأصل الكليّ بشأن رسول الله(ص) وأولاده وأقاربه واُسرته المسلمين بأنّهم مشمولون لأحكام الإرث المنكور في الآيات السالفة أيضاً..

ولمّا كان مفاد الحديث «لانورّث ما تركناه صدقة» يخالف مفاد الآيات السالفة نتوصّل من خلال ذلك إلى أنّ الحديث صنعته يد السياسة، وهو صياغة أبي بكر والمتحزّبين معه لكي يتمكّنوا بالاستناد عليه من التصرّف بأموال أهل البيت(ع) ونهبها وبسط أيديهم عليه، ويجعلون منه داعماً قانونيّاً لهم كما يزعمون.

أجل، إنّ خير دليل على وضع هذا الحديث «لانورّث» من حيث مناقضته لآيات الإرث، جمل كثيرة في تظلّم الزهراء(ع) وخصومتها مع أبي بكر بن أبي قحافة، أثبتت في روايات كثيرة واعتبرت الصدّيقة أنّ استحقاقها الإرث من أبيها كسائر المسلمين أمراً مسلماً به، مثل جملة «**أرثه كما ترثك بناتك إذا متّ**» المذكورة في رواية عمر الثانية وجملات:«**فقالت مَن يرثك؟** قال: أهلي

ولدي، قالت:**فما لي لاأرث أبي**» المذكورة في رواية أبي هريرة الثانية: ومثل الجمل «أرسلت فاطمة إلى أبي بكر:**أنت ورثت رسول الله أم أهله؟ فقال**: لا، بل أهله، قالت:**فأين سهم رسول الله(ص)**» المذكورة في رواية أبي الطفيل، وجملة:«**مَن يرثك إذا متّ؟**قال: ولدي وأهلي. قالت:**فما لك ورثت النبيّ دوننا**» المذكورة في رواية أمّ هاني وغير ذلك. وهذه الجمل كلها تدلّ على شمول حكم الإرث للنبيّ(ص) وأولاده دلالة واضحة تامّة كاملة، مضافاً إلى ما تقدّم، لو كان استثناء في المسألة فلماذا لم تشر إلى ذلك في متن آيات الإرث على شكل تصريح أو إشارة على أقلّ تقدير، واعطف على ذلك قول القائل ما الذي منع النبيّ(ص) من إخبار ابنته بذلك، وهي وارثه الوحيد ووراثته منحصرة بها أو لعليّ بن أبي طالب، وهو إمام المسلمين والخليفة المنصوص عليه، أو إلى سائر بني هاشم وبني المطلب، وهم عشيرته الأدنون، والذين يعنيهم هذا الأمر ويتّصل بهم أو لماذا لم يخبر المؤمنين المعروفين من الأصحاب، واكتفى بالهمس في أذن أبي بكر به وفي آذان جماعة ممّن هم على دينه في احتراف النفاق.

لابدّ إذن من أنّ استراق السمع حدث لفريق المنافقين ورئيسهم المطاع من أجل أنْ يكوّن ذلك لهم حجّة في غصب أموال أهل بيت العصمة والطهارة، وأن يقيموا آل النبيّ(ع) بعد وفاته على الفقر المدقع. وهذا الذي ذكرناه يقتصر على منافاة حديث «.. لانورّث..» مع مفاد آيات الإرث والسنّة الصحيحة القطعيّة ذات الصلة بالموضوع.

وأمّا من جهة تباينه مع الآيات التي تدلّ على أنّ الأنبياء يتوارثون أيضاً وأنّ أولادهم يرثونهم، فإنّنا نقول:

انظر إلى لغة الوحي في هاتين الآيتين الشريفتين: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْماً وَقَالاَ الْحَمْدُ للهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ * وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ**﴾(١)، ففيهما تصريح بيّن بأنّ سليمان ورث والده داود(ع)، ولمّا كانت الآيات الشريفة: ﴿**فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾(٢)، ﴿**اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ**﴾(٣)، ﴿**وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ**﴾(٤) وأمثالها ممّا تثبت لداود(ع)السلطان والملك الذي ليس له نظير والقدرة والشوكة التي لامثيل لها.

إذنْ حتّى لو قلنا بأنّ المقصود من الآية الشريفة﴿**وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ**﴾ليس وراثة الحطام والملك، فإنّ رتبة النبوّة وسائر الرتب المعنويّة لاتورّث. نرى وراثة سليمان مقطوعاً بها، فقد ورث مال أبيه وملكه، فكان نبيّاً وملكاً مقتدراً.

---

(١)النمل ٢٧: ١٥ و ١٦.
(٢)البقرة ٢: ٢٥١.
(٣)ص ٣٨: ١٧.
(٤)ص ٣٨: ٢٠.

وبناءً على هذا يكون وضع الحديث:«نحن معاشر الأنبياء لانورّث ما تركناه صدقة» بالنظر لتباينه مع صريح الآية الشريفة: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾ أشدّ وضوحاً من ذي قبل، وهذا ما يعود إلى موضوع التوارث بين سليمان وأبيه داود النبيّ(ع). ويقال نفس الكلام في الآيات الموحى بها على النبيّ(ع) عن النبيّ زكريّا وابنه يحيى:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿كهيعص * ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا * إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيّاً * قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيّاً * وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيّاً * يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيّاً﴾ (١).

في الآيات أعلاه نلاحظ زكريّا النبيّ يشكو إلى الله جلّ جلاله من مواليه وأسرته وأرحامه الأدنياء لأنّهم يرثونه بعد موته، ويقول: أخاف أن يتبدّد المال على مشاريع الفجور لأنّهم فسّاق.

ثمّ يسأل الله تعالى أن يهبه ولداً يكون وارثاً له دونهم لئلا يقع ماله بيد أقربائه أصحاب الفساد والفتنة، وأن يكون الميراث لولده وحده، فهو الوريث الأصيل له.

---

(١)مريم ١٩: ١ ـ ٧.

فاستجاب الله دعاءه، وآتاه يحيى حتّى يكون وارثاً له.

وهذه الحقيقة تستفاد من الآيات (٣٧) إلى (٤١) سورة «آل عمران»،والآيتين (٨٩) و (٩٠) سورة «الأنبياء» بصورة واضحة، بأنّ يحيى ورث أباه ماله، وما ترك من حطام الدنيا.

وبناءً على هذا، فإنّ الحديث «نحن معاشر الأنبياء لانورّث ما تركناه صدقة» عند عرضه على آيات الإرث والسنّة الصحيحة المتّصلة بموضوعه، ومثل ذلك القول في الآيات الدالّة على ميراث يحيى من أبيه، فإنّه حينئذ يسقط عن الاعتبار ويردّ على مَن وضعه ورواه.

والعجيب في الأمر أنّنا رأينا الإمام عليّ بن أبي طالب(ع)، كما جاء في رواية محمّد بن سعد في «الطبقات الكبرى» كان قد احتجّ على أبي بكر في الحجّة نفسها وردّ الحديث وعدّه موضوعاً لمخالفته لإرث سليمان ويحيى من والديهما، وعجز أبو بكر عن جوابه ولزم جانب السكوت.

ثالثاً: ممّا يستفاد من مجموع الروايات ذات الصلة بالموضوع والتي عرضنا أمثلة منها قبل صفحات، أنّ تظلّم الزهراء(ع) وخصومتها مع أبي بكر اشتملت على صور ثلاث:

١ ـاحتجاجها على أبي بكر في مسألة «فدك» وإثباتها كونها نِحلة نحلها إيّاها رسول الله(ص)، وصارت ملكاً طلقاً لأهل البيت(ع).

٢ ـاحتجاجها على أبي بكر في حصر ما ترك النبيّ(ص)، وردّ إليها لأنّه إرثها منه.

٣ ـاحتجاجها على أبي بكر في مسئلة «سهم ذوي القربى» الذي ينبغي على أبي بكر أن يدفعه إليها وإلى أهل بيت النبيّ(ص) طبقاً لـ «آيات الخمس» و «ما أفاء الله على رسوله».

وكان أبو بكر في حجاج الصدّيقة الزهراء معه على أصل الميراث رأيناه كيف يتوسّل بموضوع:«نحن معاشر الأنبياء لانورّث ما تركناه صدقة»، وهو ناقلها الأصليّ، وراويها الأوّل، حيث رواها ابتداءاً دون أن يسبق بقائل بها، وذلك لحرمان الزهراء(ع) من حقّها في الإرث.

وقد أثبتنا وضع الحديث فيما سبق من البحث بعرضه على آيات الإرث العامّة وآيات توارث الأنبياء، وفي حجاج جنابها معه في سهم ذوي القربى فقد أثبت ذلك آيات الخمس الشريفة و «ما أفاء الله» بحيث جعلت هذه الآيات أهل البيت من ذوي السهام بصفة مطلقة بلا قيد لزمان أو مكان، فقد وضع الرجل حديثاً آخر ليتخلّص به من الحجج التي دمغته بها الصدّيقة(ع)، وقد جاء في رواية أمّ هاني على الصورة التالية:

«فقال لها أبو بكر: سمعت رسول الله(ص) يقول : سهم ذوي القربى لهم في حياتي، وليس لهم بعد موتي.

وقد أجابها في حجاجها معه هكذا:

سمعت رسول الله يقول: سهم ذوي القربى لهم في حياتي، فإذا متّ فلا سهم لهم، وحال هذا الحديث كحال سابقه، يبيّن وضعه عند عرضه على الآيات السالفة، ويسقط عن الاعتبار.

وأمّا حجاجها معه في مسألة فدك فإنّه لمّا كان الحديث عن هذه الأرض في تاريخها الطويل قد زاد عن حدّه أكثر من المحاجّين السابقين، وبحثه المحققون بعناية زائدة، وتكلّم فيه الخاصّ والعامّ. من ثمّ لنا معه موقف آخر يستدعي بحثاً أكثر وتحقيقاً أغزر من سابقيه، كما لابدّ من الإفاضة في توضيحه لنخرج الحقّ من خاصرته..

«فدك قرية من قرى الحجاز تبعد عن المدينة بيومين أو بثلاثة أيّام، دخل نصفها في السنة السابعة من هجرة النبيّ(ص) تحت عنوان «ما أفاء الله على رسوله» في عِداد أملاك رسول الله(ص)، وطبقاً لما حصل بأيدينا من المستندات التي سوف نطلع القارئ عليها مستقبلاً فقد أعطاها النبيّ(ص) في حياته إلى الزهراء(ع)، وكان لها وكلاء في حياة النبيّ(ص) يشرفون عليها، ويتولّون استيفاء دخلها، والإنفاق على إصلاح ما تلف منها.

وبعد وفاة النبيّ(ص) وجلوس أبي بكر والمتحزّبين معه على كرسيّ الخلافة ووضعه حديث «نحن معاشر الأنبياء لانورّث ما تركناه صدقة» صادر جميع أملاك رسول الله(ص)، ومدّ يده إلى «فدك» فبسطها عليها، وانتزعها من حوزة أهل البيت. والآن نقول في بحثنا لحديث فدك وتحليلنا لموضوعها:

ذكر أحمد بن يحيى البلاذريّ البغداديّ في سنة ٢٧٩ في «فتوح البلدان»(١) ردّ المأمون فدك أيّام خلافته على النحو التالي:

«ولمّا كانت سنة عشر ومائتين أمر أمير المؤمنين المأمون عبدالله بن هارون الرشيد بدفعها إلى ولد فاطمة، وكتب بذلك إلى قثم بن جعفر عامله على المدينة: «.. أمّا بعد فإنّ أمير المؤمنين بمكانه من دين الله وخلافة رسول الله(ص) والقرابة به، أوْلى من استنّ سنّته، ونفّذ أمره، وسلّم لمَن منحه منحة، وتصدّق عليه بصدقة منحته وصدقته، وبالله توفيق أمير المؤمنين وعصمته وإليه في العمل بما يقرّبه إليه رغبته، وقد كان رسول الله(ص) أعطى فاطمة بنت رسول الله(ص) وتصدّق بها عليها، وكان ذلك أمراً ظاهراً معروفاً لااختلاف فيه بين آل رسول الله(ص) ولم تزل تدّعي منه ما هو أوْلى به من صدّق عليه، فرأى أمير المؤمنين أنّ يردّها إلى ورثتها ويسلمها إليهم تقرّباً إلى الله تعالى بإقامة حقّه وعدله والى رسول الله(ص) بتنفيذ أمره وصدقته، فأمر بإثبات ذلك في دواوينه والكتاب به إلى عمّاله، فلئن كان ينادي في كلّ موسم بعد أن قبض الله تعالى نبيّه(ص) أن يذكر كلّ مَن كانت له صدقة أو هبة أو عدّة ذلك فيقبل قوله، وينفّذ عدّته، أنّ فاطمة رضي الله عنها لأوْلى بأن يصدّق قولها فيما جعل رسول الله(ص) لها، وقد كتب أمير المؤمنين إلى المبارك الطبريّ مولى أمير المؤمنين يأمره بردّ فدك على ورثة فاطمة بنت رسول الله(ص) وجميع حقوقها المنسوبة إليها، وما فيها من الرقيق

(١)فتوح البلدان: ٢٣.

والغلات وغير ذلك وتسليمها إلى محمّد بن يحيى بن الحسن بن زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب ومحمّد بن عبدالله بن الحسن بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب لتولية أمير المؤمنين إيّاهما القيام بها لأهلها، فاعلم ذلك من رأي أمير المؤمنين وما ألهمه الله من طاعته، ووفّقه له من التقرّب إليه وإلى رسوله(ص)، وأعلمه من قبل، وعامل محمّد بن يحيى ومحمّد بن عبدالله بما كنت تعامل به المبارك الطبريّ، وأعنهما على ما فيه عمارتها ومصلحتها، ووفور غلاّتها إن شاء الله، والسلام.

وكتب يوم الأربعاء لليلتين خلت من ذي القعدة سنة عشر ومأتين..

وهنا نلاحظ جيّداً أنّ المأمون بن الرشيد الخليفة العبّاسيّ يكتب في عهده الرسميّ إلى جميع عمّاله ورؤساء أقاليمه بأنّ «فدك» ملكٌ لفاطمة بنت رسول الله(ص)، وكانت لها وفي يدها قبل وفاة النبيّ(ص)، وكذلك يذكر في متن العهد أنّ تملك الزهراء(ع) لفدك موضوع معروف بين أقرباء النبيّ(ص) وبين عمومته وأسرته بأجمعهم، وهو مورد قبولهم ورضاهم وتصديقهم، وعلى أثر صدور هذا العهد من قِبل المأمون نظم دعبل الخزاعيّ الشاعر المعروف أبياتاً في الموضوع نفسه واستهلّها بقوله:

أصبح وجه الزمان قـ دْ بـردِّ مـأمونَ هاشِـم فـدكا

وأنشدها بين يدي المأمون الخليفة العبّاسيّ..

أجل، بغضّ النظر عن كلّ ما يقال من البحث والتحقيق والكلام حول إثبات ملكيّة «فدك» لآل رسول الله(ص)، بل لفاطمة الزهراء(ع)، فإنّ أي إنسان يملك إدراكاً ما يعرف من خلال التصرّف المتناقض للخلفاء في أمر «فدك» وجرت العادة في مدّة الاستخلاف كلها بعد رسول الله(ص)، وحتّى ختام فترة الخلافة أن يردّها قوم ويستردّها آخرون معرفة تامّة بأنّ قرية «فدك» بخلاف غيرها ممّا تعود ملكيّته لرسول الله(ص) بخاصّة البقعةِ التي دار حولها الحِجاج بين مولاتنا وخصمها.

وبعبارة أخرى: عندما نشاهد في طول تاريخ الخلافة أنّ الخليفة إذا كان حاقداً على أهل البيت(ع) مخاصماً لهم، معادياً لوجودهم، فإنّه ينتزع فدكاً من أيديهم، وإذا لم يكن كذلك بل كان هيّناً ليّناً لايعاديهم ولايحمل في نفسه الغلّ الأسود عليهم، فإنّه يردّها عليهم ونفهم من هذا العمل الذي يدور بين الخلفاء خارجاً عن موضوع فدك فترة الخلافة بأسرها، إنّ تملك الزهراء(ع) لفدك أمر ثابت عند أسرة النبيّ(ص) وأقربائه، ومقبول فيما بينهم.

والمتديّنون الأخيار في كلّ عصر، وكلّ حقبة يصدّقون بتملك الصدّيقة(ع) لفدك، وسلوك الخلفاء المتضادّ في مسئلة فدك جرى على الشكل الذي شاهدناه:

أبو بكر صادر تركة رسول الله(ص) كلّها، وفي ضمنها «قرية فدك»، وبقيت تحت تصرّف جهاز الحكومة مدّة حكم الخلفاء الثلاثة وحكّام بني اُميّة، يتلاعبون بها كيف شاؤوا، سواءاً كانت عوائدها

ودخلها يعود للخليفة نفسه، كما في الرواية الثانية المرويّة عن عائشة بأنّ فدكاً كانت في فترة حكم الخليفتين تحت تصرّفهما ينفقان منها على احتياجاتهم الخاصّة، ومشاكلهم المادّيّة الشخصيّة، أو كان الخليفة يهبها إلى أقربائه وخاصّته المقرّبين من نفسه، كما كانت الحال عليه في عهد عثمان حيث قسّمها بين أقربائه ومثله فعل معاوية وبنو مروان.

ولكن اختلفت الحال في عهد عمر بن عبدالعزيز، فقد كتب إلى عامله على المدينة بردّ فدك على أولاد فاطمة بنت رسول الله(ص)، وبعد وفاة عمر جاء إلى مسند الخلافة يزيد بن عبدالملك فانتزعها من أيدي أبناء مولاتنا مجدّداً، وصادرها ووضعها تحت تصرّف بني مروان إلى أن انتهت دولة الأمويّين، وحلّ العبّاسيّون محلّهم.

وفي عهد أبي العبّاس السفّاح ردّ السفّاح فدكاً على عبدالله بن الحسن بن الحسن، فصادرها كرّة أخرى المنصور الدوانيقيّ منهم، وجعلها تحت تصرّفه، وردّها عليهم ابنه المهدي الخليفة العبّاسيّ، وكرّ عليها من بعده ولداه موسى وهارون فصادراها من أهلها، وتصرّفا بها حتّى وصلت الخلافة بعد هارون إلى المأمون العبّاسيّ، وكما ذكرنا سابقاً فإنّ المأمون ردّها على أولاد الزهراء(ع)، وولى أمرها محمّد بن يحيى بن الحسن ومحمّد بن عبدالله بن الحسن، وبعده المتوكّل صادرها أيضاً من أهلها ووهبها إلى عبدالله بن عمر البازيار. هذا ما كان من أمر فدك، وموجز تاريخها حيث كانت موضع جذب وشدّ، وأخذ وردّ، بين الخلفاء.

وعلى كلّ حال، فإنّ ملكيّة الزهراء(ع) لفدك بناءً على هذا المصير الذي صارت إليه محلّ لقبول الخلفاء والمسلمين جميعاً، وتدلّ مجموع هذه المطالب أيضاً على أنّ قرية فدك قبل وفاة النبيّ(ص) كانت تحت تصرّف فاطمة الزهراء(ع) وأهل البيت(ع)، وفي حياة النبيّ(ص) كانت تحت تصرّفهم كذلك.

فإذا ثبت هذا الأمر فلا حقّ لأبي بكر حينئذ في طلب السنّة والشاهد من ابنة رسول الله(ص)، وكما كانت اليد أمارة الملكيّة في جميع أنحاء العالم، وفي كلّ العهود والعصور المتداولة، وقد ضبطت هذه الأمارة في روايات الشيعة، وفي مخاصمة الزهراء(ع) لأبي بكر وحجاجها معه على فدك، وقد جاء في بعض الروايات أنّ أمير المؤمنين عليّاً بن أبي طالب(ع) ألفت انتباه أبي بكر إلى هذه الحقيقة، وأعلمه أنّ اليد أمارة الملكيّة، وأن تصرّف فاطمة(ع) دليل على كونها المالكة لفدك، وطلب البيّنة والشهود والحال هذه لامحلّ، وهو مخالف للقانون الثابت في القضاء.

على أنّنا مع هذه البحوث والأقوال كلّها أخذناها دونما نظر إلى العصمة الذاتيّة للصدّيقة الطاهرة، وطهارتها الفطريّة، فلم نعرض لهما، وإلاّ لو أنّنا استندنا إلى لغة الوحي، وأجرينا تحقيقاً لآية التطهير، وسائر آيات الولاية، واستوحينا منها معناها، فإنّ مقام العصمة والطهارة الذاتيّة للصدّيقة الزهراء(ع) تحتّم علينا أخذنا ذلك بنظر الاعتبار أنّ كلّ ما ادّعته ابنة النبيّ(ص) من ملكيّتها لفدك ومطالبتها بإرثها وطلبها لسهم ذوي القربى وغير ذلك، فإنّها يجب أن

تصدّق على هذا كلّه بدون تردد ، لأنّ مَن أنكر ذلك عليها فقد خرج من ربقة الإسلام، ومن الصدف الحسنة أنّ هذه النكتة نفسها أيضاً وردت في روايات الشيعة، ورووا أنّ في المحاججة المذكورة أنّ أمير المؤمنين جابه أبا بكر وحزبه بموضوع عصمة الزهراء(ع) وطهارتها الذاتيّة، وذكّره بكونها محقة من حيث كونها معصومة.

أجل، عندما تتحكّم الأغراض الشيطانيّة، والنوازع الخبيثة، وتكوّن العلّة الأصليّة للأحداث الظاهرة في المجتمع، فإنّ كلّ قانون عقليّ ثابت يوضع تحت أقدام أصحاب اللعبة السياسيّة، وتُنسى جميع القرائن الحقّة والنكات الدقيقة المعنويّة بصفة عامّة وبصورة أبديّة، وكان الوضع القائم في أحداث «مصادرة أموال أهل البيت(ع) ومنع حقوقهم» من قِبل الحزب الحاكم على تلك الشاكلة، وقد لاحظنا جيّداً أنّ أبا بكر بن أبي قحافة والمتحزّبين معه في وضعه الأحاديث المكذوبة ـ كحديث:««لانورّث»» وأمثاله ـ استطاع مرّة واحدة القضاء على القانون الإرثيّ الثابت والعامّ، وكذلك القانون الثابت والمعقول «اليد والتصرّف»» مع أهل البيت خاصّة.

أجل، معهم وحدهم دون مَن عداهم، لتصبح حقوقهم الثابتة والمشروعة مسلوبة منهم بأغراض سياسيّة.

وعلى كلّ حال، فإنّ أيّ محقق نزيه، وصاحب فهم وذكاء يعلم علم اليقين أنّ ظاهرة «مصادرة أموال أهل البيت(ع) ومنع حقوقهم» من قِبل الحزب الحاكم، وفي أوّل يوم من تربّعهم على دست الحكم، وتناولهم زمام السيطرة، إنّما كان لإفقار أهل البيت(ع) ووضعهم في

مدرج العوز والحاجة لكي يجبروا أهل البيت بتسليط الفقر والحاجة عليهم، وسلب قوّتهم، وضرورات الحياة منهم على التسليم لهم، والخضوع لجهاز الحكم المتسلط. هذا من جانب [كما دلّت على ذلك الجملة:«ولكنّي أعول مَن كان رسول الله(ص) ينفق عليه» الواردة في رواية أبي هريرة الثانية، أو الجملة:«بل أنفق عليكم منه، وأصرف الباقي في مصالح المسلمين» الواردة في رواية أنس بن مالك، والجملة:«وما كان النبيّ يعول فعليٌّ» الواردة في رواية طبقات ابن سعد، وفي هذا كلّه دلالة واضحة على ما قلناه].

ومن جانب آخر صرف وجوه الناس عن الخليفة المنصوص عليه عليّ بن أبي طالب(ع) وحملهم على اليأس من جدواه.

رابعاً: وكما وردت الروايات عن عائشة وأنس بن مالك وأبي الطفيل وأمّ هاني وغيرهم، ويستفاد منها أنّ الحِجاج والخصومة بين سيّدتنا الزهراء(ع) وبين أبي بكر وحزبه الحاكم قد جرّ بآخره إلى غضب ابنة النبيّ(ص) بحيث أقسمت مولاتنا أنّها لاتكلّم أبا بكر ولاعمر ما دامت على قيد الحياة، وأظهرت من هذين الاثنين التظلّم وعنهما الهجر والصدود والاشمئزاز.

وعلى أثر تلك القطيعة صلّى عليها الإمام ليلاً لمّا أدركتها الوفاة، ولم يؤذن بوفاتها أحداً، وصلّى عليها وحده. وفي تحقيق هذا الموضوع نقول:

بما أنّ كلام الوحي أخبر عن عصمة الصدّيقة الذاتيّة وطهارتها الفطريّة، وشهد لها الله سبحانه بذلك، فإنّ غضب ابنة رسول الله(ص)

على أبي بكر وعمر ليس محمولاً على الأهواء النفسيّة، وإنّما هو غضب ربّانيّ صرف.

أجل، لمّا كان القوم المعصومون من ارتكاب الذنوب طبقاً للآيات الشريفة التالية: ﴿**قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ**﴾(١) ﴿**قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ**﴾(٢) بمأمن من الوساوس الشيطانيّة، وبناءً على التحقيق الذي عرضناه في هذا الكتاب حول آيات الولاية ظهر لنا جليّاً أنّ الصدّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء(ع) تحلّ في أعلى مراتب العصمة والطهارة الذاتيّة، وعندئذ يُعلم بالضرورة أنّ غضب سيّدتنا الصدّيقة على أبي بكر وعمر ليس له سمة الهوى النفسانيّ، بل هو غضب إلـهي محض.

وهذه هي الحقيقة التي جاءت في قول النبيّ(ص) الآتي في تعظيم الصدّيقة الطاهرة، وتوجد في المجاميع الحديثيّة العاميّة: قال رسول الله(ص) لفاطمة: «**إنّ الله يغضب لغضبك، ويرضى لرضاك**»(٣)، وهذا القول كناية عن أنّ غضبها هو غضب الله بعينه، ورضاها رضاه.

وعلى أيّة حال، فإنّ غضب الصدّيقة الطاهرة على أبي بكر وعمر والحزب الحاكم دليل على أنّهم من المغضوب عليهم عند الله،

---

(١)ص ٣٨: ٨٢ و ٨٣.
(٢)الأعراف ٧: ١٦ و ١٧.
(٣)أسد الغابة والإصابة في ترجمة فاطمة بنت رسول الله. تهذيب التهذيب: ٢١: ٤٤١ و ٤٤٢. مستدرك الحاكم: ٣: ١٥٣.

والمبعدين من ساحة رحمته ورضوانه، والمطرودين من حضرة رسول الله(ص) لاتردد في ذلك ولاريب، لاسيّما عندما نعرف أنّ دفنها ليلاً وعدم إخبار الرجلين به، وكذلك بقيّة أفراد حزبهما، والصلاة على جثمانها قد تمّ بالخفاء، وكان ذلك كلّه بوصيّة منها، كما يستفاد ذلك من مجموع روايات العامّة وإجماع الخاصّة واتّفاق رواياتهم.

وهذا ما كان من توضيح الوقائع المقارنة لوفاة رسول الله(ص) وبُعدها وبيانها، وكأنّ لغة الوحي قد أمرت في الآية الشريفة: ﴿**قُل لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**...﴾ (١) بحقّ عليّ بن أبي طالب(ع) وسائر أهل بيت العصمة والطهارة(ع) بعكس معناها، فأمرت بإظهار العداء لهم، ومناصبتهم العداء، ولايتصوّر بلاء منصبّاً على رؤوس أهل البيت أكبر من البلاء الذي أنزلوه بهم، وبمستطاع الأمّة إجراؤه معهم.

والآن وفي الفصل القادم نقيم التحقيق حول «آية المودّة» لكي تتبيّن حقيقة الوصيّة الإلـهيّة فيهم، وليعلم الجزاء الذي أدّاه المسلمون أجراً على رسالته!

---

(١) الشورى ٤٢: ٢٣.

تحقيق "آية المودة"

{...قل لا أسألكم عليهِ أجرا إلا المودة فِي القربى...}(1)

ويشبه هذا التعبير من «عدم طلب الأجر في مقابل الرسالة الإلـهيّة» تعابير أخرى ملأت الآيات من أول القرآن إلى آخره، وذكر في سبعة عشر مورداً، ومن هذه الموارد ثمانية منسوبة إلى الأنبياء الماضين، وحكى الله سبحانه بها ما قالوه، مثل نوح وهود وصالح ولوط وشعيب(ع)، وتسعة موارد اختصّت برسول الله(ص)، ونسبها الباري جلت عظمته إليه.

والآن نأتي بها على نسق الترتيب في عصور الأنبياء، ونذكر مواضع استعمالها في آيات القرآن المجيد لكي نوجد المناخ الصالح للمقايسة بين هذه المواضع و«آية المودّة»، والغرض من ذلك إدراك المفاد الأصليّ لـ «آية المودّة»، ويتمّ الاستعداد لذلك على وجه الأتمّ:

نوح النبيّ(ع): ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلاَ تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(2).

﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللهِ

---

(1)الشورى ٤٢: ٢٣.
(2)الشعراء ٢٦: ١٠٥ ـ ١٠٩.

وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ * فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلاَئِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴾ (١).

﴿وَيَا قَوْمِ لاَ أَسْأَلُكُم عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُم مُلاَقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ ﴾ (٢).

هود النبيّ(ع): ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُم مِن إِلـهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ مُفْتَرُونَ * يَا قَوْمِ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴾ (٣).

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلاَ تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِن أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٤).

صالح النبيّ(ع): ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلاَ تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِن أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٥).

صالح النبيّ(ع): ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلاَ تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ

(١)يونس ١٠: ٧٢ و ٧٣.
(٢)هود ١١: ٢٩.
(٣)هود ١١: ٥٠ و ٥١.
(٤)الشعراء ٢٦: ١٢٣ ـ ١٢٧.
(٥)الشعراء ٢٦: ١٤١ ـ ١٤٥.

* وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِن أَجْر إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) .

شعيب النبيّ(ع): ﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلاَ تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِن أَجْر إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) .

رسول الله(ص): ﴿ فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِن حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ * أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْراً فَهُم مِن مَغْرَم مُثْقَلُونَ ﴾ (٣) .

﴿ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَان مُبِين * أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ * أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْراً فَهُم مِن مَغْرَم مُثْقَلُونَ ﴾ (٤) .

﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَق كَارِهُونَ * وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُعْرِضُونَ * أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجاً فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ (٥) .

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَة أَن تَقُومُوا للهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِن جِنَّة إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ لَكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَاب

(١)الشعراء ٢٦: ١٦٠ ـ ١٦٤.
(٢)الشعراء ٢٦: ١٧٦ ـ ١٨٠.
(٣)القلم ٦٨: ٤٤ ـ ٤٦.
(٤)الطور ٥٢: ٣٨ ـ ٤٠.
(٥)المؤمنون ٢٣: ٧٠ ـ ٧٢.

شَدِيد * قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِن أَجْر فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (١).

﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْر إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِين * وَكَأَيِّن مِن آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ * وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللهِ إِلاَّ وَهُم مُشْرِكُونَ ﴾ (٢).

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاَءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْماً لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ ﴾ (٣).

﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْر وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ * إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ * وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِين ﴾ (٤).

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ مَا لاَ يَنفَعُهُمْ وَلاَ يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيراً * وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّراً وَنَذِيراً * قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْر إِلاَّ مَن شَاءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً ﴾ (٥).

ونلاحظ في هذه الموارد الستّة عشر التي ذكرناها اختصّ ثمانية موارد منها بالأنبياء الماضين والثمانية الأخرى اختصّت

(١)سبأ ٣٤: ٤٦ و ٤٧.
(٢)يوسف ١٢: ١٠٤ ـ ١٠٦.
(٣)الأنعام ٦: ٨٩ و ٩٠.
(٤)ص ٣٨: ٨٦ ـ ٨٨.
(٥)الفرقان ٢٥: ٥٥ ـ ٥٧.

برسول الله نفسه، وقد نفى إرادة الأجر على الرسالة المبلغة نفياً مطلقاً.

ثانياً: نرى أنّ نفي إرادة أيّ أجر بصفة مطلقة من جهة الأنبياء السابقين لقومهم المشركين الذين لم يؤمنوا بهم أمراً متوجّهاً، ولكن في «آية المودّة» فمن جانب سألهم النبيّ(ص) الأجر، ومن جانب آخر خاطبهم بخطاب﴿**قُل لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً**﴾وهو عامّ يشمل مؤمنهم ومنافقهم.

وسنأتي بمتن «آية المودّة» في سياق الآيات المرتبطة بها لكي نتمثل النكتة الدقيقة التي نريد إلفات الانتباه إليها:

﴿**..تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُم مَا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ * ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُل لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً إِنَّ اللهَ غَفُورٌ شَكُورٌ * أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً فَإِن يَشَإِ اللهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ * وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِن فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ**﴾(١).

(١)الشورى ٤٢: ٢٢ ـ ٢٦.

ونقول في تحقيق الآيات أعلاه:

إنّ اللفظ «قرف» و «اقتراف» فإنّه في الأصل نزع الجلد عن سطح الجرح ونزع لحاء الشجرة، وهذا هو معناه اللغويّ في أصل الوضع، وفيه يستشمّ معنى النفور والاشتمئزاز والسخط. يقول الراغب في «المفردات»:

«أصل القرف والاقتراف: قشر اللحاء عن الشجر، والجلدة عن الجرح، وما يؤخذ منه قرف..».

واستعملت لفظة «الاقتراف» في لغة الوحي في حالة اكتساب الذنب أو اكتساب أمر يحمل على الغرور بحيث يثقل على الفطرة الإنسانيّة، ويتنفر منها القلب: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾(١).

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ * وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُقْتَرِفُونَ﴾(٢).

﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ

(١)الأنعام ٦: ١٢٠.
(٢)الأنعام ٦: ١١٢ و ١١٣.

اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (١).

والآية الوحيدة التي استعملت فيها كلمة «الاقتراف» في الحسنة هي آيتنا﴿ **وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً**﴾.

أجل، إنّ هذا التعبير نفسه مشعر بأنّ اكتساب هذه الحسنة المنظورة صعب على فاعلها، وهو لايطلبها ولايميل إليها.

وبطبيعة الحال، سوف يتّضح معنى النكتة في مستقبل البحث أكثر..!

٢ ـ وهذا الذي قلناه إنّ المخاطب بخطاب﴿ **قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً**﴾في «آية المودّة» المسلمون كلهم، سواءاً مؤمنهم ومنافقهم، ودليله كالتالي:

أوّلاً: كما لاحظنا أنّ «آية المودّة» مسبوقة بقوله تعالى:﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**﴾، والمراد بهم هم أتباع رسول الله(ص)، وبالطبع يكون المخاطب بخطاب﴿ **قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً**﴾هم المسلمون.

ثانياً: في الآية التالية لـ«آية المودّة» وهي عبارة عن الآية الشريفة:﴿ **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً**﴾نرى أنّ التوبيخ وجّهه إلى المنافقين من المسلمين، ويقول على أثره: هؤلاء يقولون أنّ رسول الله(ص) افترى على الله حين جعل أجر رسالته المودّة لأهل بيته، قل لهم: إنّ الوحي ليس أمره بيدي حتّى أستطيع أن أفتري مثل

---

(١)التوبة ٩: ٢٤.

هذا الافتراء، ويمحو الله الباطل ويحقّ الحقّ بكلماته﴿ **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً فَإِن يَشَإِ اللهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ** ﴾.

ثالثا : نراه بعد الايه (**ان يقولون افترى على الله كذبا**) يدعو المنافقين الى التوبه فيقول (**وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفوا عن السيئات ويعلم ما تفعلون**) من الطبيعيّ أن نتصوّر أنّ الآية المذكورة هي في حقّ أولئك المنافقين، لأنّ لفظ «التوبة» ومشتقّاتها مع كثرة استعمالها في كلام الوحي لم تستعمل ولامرّة واحدة في حقّ المشركين والمنكرين للتوحيد، ولكنّها في كلّ مكان استعملت فيه إنّما استعملت في حقّ منتحلي أحد الأديان التوحيديّة.

رابعاً: عندما نشاهد في «آية المودّة» أي الآية الشريفة:﴿ **ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُل لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً إِنَّ اللهَ غَفُورٌ شَكُورٌ** ﴾جريانها على خلاف الموارد الستّة عشر التي نفي فيها طلب الأجر في قبال الرسالة التي اُدّيت بصورة مطلقة، ولكن في «آية المودّة» طلب الأجر على الرسالة على العكس من الموارد كلّها.

ومن هذا التفاوت في التعبير ندرك أنّ المخاطب في﴿ **قُل لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى** ﴾ هم المسلمون.

أجل، في الموارد الستّة عشر التي ذكرناها ثمانية موارد منها اختصّت بأنبياء السلف، وثمانية منها مختصّة برسول الله(ص)، ولمّا

كان المخاطب بـ﴿قُل لا أسألُكُمْ عَلَيْهِ أجْراً﴾وأمثال ذلك من الصيغ التعبيريّة هم المشركون، نفى الأجر في جميعها بصفة مطلقة، لأنّه لاوجه لأخذ الأجر من المشركين ومنكري الرسالة الذين لم ينالوا من رسول الله(ص) في ظاهر أمرهم نيلاً، ولكنّ المسلمين الذين نفعتهم رسالة رسول الله(ص) ونالوا منها ما يريدونه فإن توقع الأجر منهم وطلب الجزاء أمر معقول جدّاً.

وإن كان سوف يثبت بعد ذلك أنّ الأجر المطلوب في «آية المودّة» عائد على المسلمين أنفسهم، ولم يكن الغرض من عرضه هو انتفاع النبيّ(ص) به.

٣ ـوأمّا الجملة الاستثنائيّة﴿إلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى﴾فإنّ معناها:«إلاّ المودّة في أهل القربى»، ولاكلام لأحد في الموضوع. ذكر الزمخشريّ معناها في تفسير ذيل الآية على هذا النحو:«والقربى مصدر كالزلفى والبشرى بمعنى قرابة، والمراد في أهل القربى..»(١).

وبناءً على هذا يكون المقصود من أهل القربى الذين عنتهم الآية أقرباء النبيّ(ص) الأدنين، لأنّ الجملة المستثناة هي محكيّ قول النبيّ(ص)، وفي الحقيقة أنّ شأن أهل القربى في «آية المودّة» هو شأن كلمة أولي قربى في الجملة الشريفة من الآية:﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أن يَسْتَغْفِرُوا لِلمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أوْلِي قُرْبَى﴾(٢)،

---

(١)الكشّاف: ٤: ٢١٩.
(٢)التوبة ٩: ١١٣.

والمقصود في كلّ موضع نكر هذا اللفظ هم الأقرباء هم المعنى الذي جرى الحديث عنه قبلاً في هذه الجملة. وأمّا مصداق أهل القربى في «آية المودّة» مَن هو؟! ومن أي الأقرباء هو؟!فإنّ نلك سوف يتّضح في البحوث القادمة إن شاء الله تعالى.

٤ ـومن حيث إنّ الآيات الخاضعة للبحث ـ الآيات (٢٢) إلى(٢٦) ـ وردت في سورة «الشورى» وهي من السور المكّيّة، ونلاحظ أيضاً أنّ هذه الآيات تتّصل بالآية الشريفة: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللهُ وَلَوْلاَ كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(١)، وهي نازلة في المشركين، وكذلك نرى أنّ الآيات السابقة لآية البحث واللاحقة بها متّصل بعضها ببعض، وارتباط المعنى بينها محافظ عليه ـ كما نرى الآيات (١٢)(١٩)(٢٧) ـ من حيث بيانها لبسط الرزقوتقديره مرتبط بعضها ببعض، والآيتان (١٣) و (٢١) من حيث يتحدّثان عن «تشريع الدين» صلتهما محفوظة، وهكذا.

ومن مجموع هذه القرائن نُلمّ بصورة واضحة أنّ «آية المودّة» نزلت في مكّة في عهد الإسلام الأوّل، ولمّا كانت سورة «الشورى» من بين (٨٦)سورة نازلة بمكّة تعتبر بحسب ترتيب النزول السورة (٦٢)، وكان نزولها بعد نزول السور المطوّلة «الأعراف»«الأنعام»«يونس»«هود»«يوسف»«الإسراء»، وغيرها، فيثبت من خلال هذا التقدير أنّ نزول «آية المودّة» يختصّ

---

(١)الشورى ٤٢: ٢١.

بالثلث الأخير من فترة الأعوام الثلاثة عشرة في مكّة، وخوطب المسلمون في آخر هذه الفترة بخطاب: ﴿قُل لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾.

أجل، مضافاً إلى الدليل المذكور، أنّ الآية الشريفة: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لاَ رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾(١) دليل آخر على نزول سورة «الشورى» في مكّة في أواخر الفترة ذات السنين الثلاث عشرة.

لأنّنا نرى أنّ رسول الله(ص) طبقاً لما ورد في الآية، مضافاً إلى أمره بدعوة أمّ القرى (مدينة مكّة) مأمور أيضاً بدعوة ما حولها من القرى وأطراف مكّة ومَن فيها من القبائل حتّى أدّى به ذلك إلى الهجرة للطائف، وما لقي هناك من صنوف المضايقات من أهلها، وجرّ ذلك إلى دعوة الفتى الموصليّ من أهل نينوى إلى الإسلام، وهذه حوادث مسجّلة في التاريخ، ووقعت حصراً في أواخر الفترة المكيّة، ولذلك نزلت «آية المودّة» في الفترة المكيّة للإسلام، وبالتحديد في أواخرها.

من جهة أخرى لمّا ثبت لدينا في الفصل الثاني من «القسم الرابع» من هذا الكتاب أنّ في هذه الفترة من تاريخ الإسلام ـ أي من بدء ظهوره إلى مرور ثلاث عشرة سنة عليه ـ لم يكن بين المسلمين إلاّ المنافقون المحترفون، ولم يكن للمنافقين العاديّين أي أثر يذكر.

---

(١)الشورى ٤٢: ٧.

فيكون بناءً على هذا أنّ المخطاب بخطاب﴿ **قُل لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى** ﴾هم جماعة المسلمين المؤلفة من المؤمنين الحقيقيّين والمنافقين المحترفين، ولم يكن بينهم منافق عادي واحد.

وعلى هذا يكون المقصد الأصليّ من كلام الوحي في «آية المودّة» هو توجيه المنافقين المحترفين إلى واجبهم الإسلامي ووظائفهم الشرعيّة، وإلاّ فمن الواضح أنّ المؤمنين الحقيقيّين مع ما يلاقونه من الشدائد من عدوّ الإسلام يهيمون وجداً بالدين ويعظّون عليه بالنواجذ، ويحبّون النبيّ(ص) حبّاً جمّاً، ومن لوازم هذا الحبّ محبّة ذوي قربى النبيّ(ص)، وما من داع أو موجب يقتضي دعوتهم إلى محبّة قربى النبيّ(ص) مع ما هم عليه من الحال الحسنة.

نعم، إنّ «المنافقين المحترفين» وحدهم هم الذين يرون مودّة القربى التي يريدها النبيّ(ص) حملاً باهضاً عليهم، ولايستطيعون تحمّل ذلك، وربّما كان استعمال كلمة «اقتراف» التي سبق الحديث عنها في رقم (١) نفسه دليلاً مشرقاً على اعتبار ذلك بينهم حملاً ثقيلاً مكروهاً منهم جميعاً.

يقول الزمخشريّ في تفسير الجملة:«﴿ **وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً** ﴾: عن السدّيّ أنّها المودّة في آل رسول الله(ص) نزلت في أبي بكر (رضي الله عنه) ومودّته فيهم..»(١).

ومن الثابت أنّ الغرض من قول السدّيّ هو تكريم أبي بكر،

(١)الكشّاف: ٤: ٢٢١.

وإسناد منقبة له، إلاّ أنّ تحقيق الحوادث التي صاحبت وفاة النبيّ(ص)، والوقائع التي حدثت بعدها، والتي فصّلناها في هذا الكتاب نفسه، يظهر وضع أبي بكر في أخريات أيّامه وتنكره لآل الرسول ممّا يدلّ على عدم هواه فيهم، بل بغضه لهم.

و«آية الغار» التي نزلت في السنة التاسعة من الهجرة تظهر مدى عمق إيمان هذا الرجل، وأنّه ضحل لاقرار له، وقد كشفنا ذلك في «القسم السابع» من الكتاب، وقسنا عدم إيمانه في السنة التاسعة للهجرة، وهي زمان نزول الآية..

إذن يكون اقتراف الحسنة بالنسبة له في فترة ما قبل الهجرة شاهد على ثقل المودّة عليه، أعني مودّة «أهل القربى» من آل رسول الله(ص).

٥ ـ وفي تحديد المصداق الأصليّ لأهل القربى الذين عنتهم الآية نقول: إنّ بذل الجهد الفكريّ والدقّة في الموارد الستّة عشر من طلب الأجر في مقابل أداء الرسالة نراه قد نفى نفياً مطلقاً، وعلى هذا يلزم أن يكون في «آية المودّة» أيضاً (طلب الأجر على أداء الرسالة وتبليغها) قد تمّ بنفع المخاطبين بخطاب﴿**قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾، ولم يكن الفرض من فرضه أن تكون للنبيّ(ص) عوائد أو فوائد عليه؛ لأنّه عندما نرى أنّ أنبياء السلف ـ وحتّى رسول الله(ص) نفسه ـ في المواضع كلّها نفوا نفياً قاطعاً إرادة الأجر على تبليغ الرسالة من أي نوع كان ذلك الأجر، وإنّما كان أداء الرسالة لمحض هداية العالم وإرشاد الناس، وطلب صلاحهم:

﴿قُل لاَ أسألُكُمْ عَلَيْهِ أجْراً إنْ هُوَ إلاَّ ذِكْرَى لِلعَالَمِينَ﴾ (١).

﴿قُلْ مَا أسألُكُمْ عَلَيْهِ مِن أجْر وَمَا أنَا مِنَ المُتَكَلِّفِينَ * إنْ هُوَ إلاَّ ذِكْرٌ لِلعَالَمِينَ﴾ (٢).

وفي كلّ موضع يرون أجرهم على الله يرجع إليه وينحصر في مجال رحمته، فهو المتكفّل لجزائهم، والتفضّل عليهم جرّاء ما يلاقونه من أتعاب أداء الرسالة:

﴿..إنْ أجْرِيَ إلاَّ عَلَى اللهِ..﴾ (٣).

﴿إنْ أجْرِيَ إلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٤).

﴿إنْ أجْرِيَ إلاَّ عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي﴾ (٥).

وفي النهاية قد نفى كلّ أجر دنيويّ متصوّر للنبيّ(ص):

﴿قُلْ مَا سَألْتُكُم مِن أجْر فَهُوَ لَكُمْ﴾ (٦).

﴿أمْ تَسألُهُمْ أجْراً فَهُم مِن مَغْرَم مُثْقَلُونَ﴾ (٧).

﴿أمْ تَسألُهُمْ خَرْجاً فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ

---

(١)الأنعام ٦: ٩٠.
(٢)ص ٣٨: ٨٦ و ٨٧.
(٣)سبأ ٣٤: ٤٧.
(٤)الشعراء ٢٦: ١٠٩.
(٥)هود ١١: ٥١.
(٦)سبأ ٣٤: ٤٧.
(٧)الطور ٥٢: ٤٠.

الرَّازِقِينَ﴾(١).

من مجموع هذه النكات يظهر لنا بوضوح: أنّ المفاد الأصليّ للجملة:) **قُل لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى** (هو على مفاد الجملة الشريفة:) **قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلاَّ مَن شَاءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً**)(٢) و «مودّة أهل القربى»الذين عناهم رسول الله(ص) نفسها هي عين طريق الحقّ الذي اتّخذ بنفع المخاطبين والتمسّك به موجب لتنقية ذواتهم من إدراك المعاصي، والآن ينبغي أن ينظر:

ما هي الشرائط الزمانيّة والمكانيّة لأهل قربى رسول الله(ص) التي قصدتها الآية، وجعلتها مدّ نظرها، واعتبرت هي طريق الحقّ عينه.

وفي نفس الوقت تكون هذه المودّة على المنافقين المحترفين حملاً باهضاً، وقد أوصى كلام الوحي بالتمسّك بها وإن كانت ثقيلة على قلوب المنافقين المحترفين، ورغماً على آنافهم فقد أوصاهم بها، وأمرهم بملازمتها شاؤوا أم أبوا: ﴿**وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً**﴾؟!

وكلّ مَن كان على علم بالفترة المكّيّة ذات الثلاثة عشر عاماً يعلم جيّداً أنّ من بين قربى رسول الله(ص) الرجل الوحيد الذي كانت شخصيّته الإيمانيّة والإسلاميّة موجبة لضغينة المنافقين المحترفين

---

(١)المؤمنون ٢٣: ٧٢.
(٢)الفرقان ٢٥: ٥٧.

وحسدهم هو عليّ بن أبي طالب(ص)، ولأحد غيره لأنّ في ذلك التاريخ لم يكن مَن ينطبق عليه عنوان القربى إلاّ اثنين هما العبّاس بن عبدالمطلب(ص) وأبو طالب(ع)، وكان ظاهرهما الشرك فلا يكونان موئلاً لحسد المنافقين المحترفين.

وأمّا السيّدة خديجة والصدّيقة الطاهرة(ص) فهما من شريحة النساء، وليس لهما كبير وجود بين المنافقين المحترفين، ولايمارسان الحياة هناك على مستوىً واحد، ولاأثر لجعفر بن أبي طالب وحمزة بن عبدالمطلب(ع) وسائر بني هاشم وبني المطلب من المؤمنين يومئذ في التاريخ كي يرينا أنّهم محسودون في الفترة المكّيّة للمنافقين المحترفين.. ذاك عليّ بن أبي طالب(ع) وحده الذي لاتطابق شخصيّته نزعة طلب الرئاسة والتحكّم والتعالي عند القوم، وتجرّ إلى حسدهم وضغينتهم عليه، كما كان تقابل الآيتين الشريفتين الآية: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ وَاللهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ**﴾ (١) ذات الصلة بتلك الفترة، وتعبّر عن حكاية مبيت عليّ(ع) على فراش رسول الله(ص)، والآية: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...**﴾ (٢) التي تعرّف للأمّة عمر بن الخطّاب الرجل الثاني في مجتمع المنافقين المحترفين في فترة مكّة، وقد أسهبنا في شرح ذلك في «القسم السادس» من الكتاب، وهو أكبر شاهد ودليل على ذلك يوضّحان لنا ذلك الحسد وتلكم الضغائن.

---

(١) البقرة ٢: ٢٠٧.
(٢) البقرة ٢: ٢٠٤ ـ ٢٠٦.

هذا وإن كان المعنى الملحوظ في أمثال:«آية التطهير» و «آية الولاية» و «آية التوكيل» و «آية السابقون الأوّلون».. مع «آية المودّة» يدلنا على أنّ أهل بيت العصمة والطهارة(ع) كلهم واقعون تحت مفهوم الجملة الشريفة: ﴿**قُل لا أسألُكُمْ عَلَيْهِ أجْراً إلاّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى**﴾لكن عند أخذ شرائط الزمان والمكان بنظر الاعتبار ساعة نزول «آية المودّة» في تحديد العناية المقصودة فيها، فإنّنا ملزمون بقبول أنّ الآية إنّما نزلت من أجل رعاية جانب عليّ بن أبي طالب(ع)، وقد اتّخذت بناءً على ذلك شكلها الظاهر والبدويّ..

٦ ـ من البحوث التي سقناها في الأرقام الخمسة التي مرّت قبلاً يبيّن لنا وضع روايات الفريقين التي ذكروها لتفسير «آية المودّة» وبيانها من قبل.

بيان ذلك وإيضاحه: روايات الفريقين في هذا الباب تقسّم إلى فئات عدّة:

الفئة الأولى: وتختصّ بالروايات العاميّة، وهذه الروايات اعتبرت أنّ المخاطبين بخطاب﴿**قُل لا أسألُكُمْ عَلَيْهِ أجْراً إلاّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى**﴾ هم كفّار قريش، وطلب مودّة القربى في بعض الروايات معناها مودّة قريش بالنسبة للنبيّ(ص) لأنّه من ذوي قرباهم.

أجل، هذه الروايات حملت الآية على هذا المعنى، وفي بعضها الآخر تمّ تأويل الآية على مودّة النبيّ(ص) لكفّار قريش لأنّهم أرحامه وأقربائه، وفي بعضها الآخر أوّلت المعنى بأن جعلت المودّة للتقرّب إلى الله.

وعلى أيّة حال، أخذنا المعنى فإنّ الاستثناء في الآية هو استثناء منقطع، وضعف هذه الرواية يظهر في الموازنة التي جرت بين «آية المودّة» مع ستّة عشر مورداً قارنّا بينها وبين الآية.

لاسيّما في البحث المرقم برقم (٢) و (٤) فقد ثبت أنّ المخاطبين بخطاب: ﴿**قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾ هم المسلمون الموجودون في مجتمع يتألف من المؤمنين الحقيقيّين والمنافقين المحترفين، فقد كان الخطاب على هذه الرواية.

الفئة الثانية من الروايات، وهي القسم المشترك بين الفريقين، جعلت هذه الفئة المخاطبين بخطاب «آية المودّة» هم الأنصار حيث حضروا عند رسول الله(ص) ليقدّموا له جانباً من أموالهم ليغطّي نفقاته واحتياجاته، وعندئذ نزلت «آية المودّة» فسألهم في مقابل تلك المعونة الماليّة لأقربائه أن يوالوهم ويحبّوهم، وجاء في تلك الروايات بعد خروج الأنصار من مجلس النبيّ(ص) انطلقت ألسن المنافقين بالتذمّر من رسول الله(ص)، وهي تقول: يدّعي أنّ الوحي نزل عليه في هذه المسألة وهو يريد أن يركب أهل بيته ظهورنا ويسلطهم علينا بعد موته، ونزلت الآية الشريفة: ﴿**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً**﴾(١) عقيب ذلك ودعوا لإعلان التوبة على ذلك الذنب ولكي يتجلى ضعف هذه الروايات، بل عدم صحّتها، ينبغي النظر في مكان نزول الآية أنّها نزلت في مكّة، وحينئذ يكون حديث الأنصار لاحقيقة له.

---

(١)الشورى ٤٢: ٢٤.

الفئة الثالثة من الروايات، وهي أيضاً مشتركة بين الفريقين، وتعتبر المخاطبين بـ «آية المودّة» هم المسلمون جميعاً أعمّ من كونهم مهاجرين أو أنصاراً، والمودّة المطلوبة لذي القربى كلّهم وهم أولو رحم رسول الله(ص)، وفي روايات العامّة أنّ العبّاس بن عبدالمطّلب وذووه هم من هذا الطراز، إلاّ أنّ الروايات الشيعيّة قصرت المودّة على أهل بيت العصمة والطهارة، وذكر الأئمّة الاثنا عشر في عِدادهم.

ونقول في تحقيق هذه الفئة من الروايات:

كما قلنا سابقاً في ختام البحث للرقم (٥) أنّ «آية التطهير» و «آية الولاية» و «آية التوكيل»... وإن كان لها نوع نظارة على «آية المودّة» لكن «آية المودّة» شاملة لأهل بيت العصمة والطهارة بأجمعهم، وأنّ مودّتهم جميعاً تساوي أجر تبليغ الرسالة، ولكنّنا عندما نلحظ بعين الاعتبار والشرائط الزمانيّة والمكانيّة لنزول «آية المودّة» يلزمنا التوافق على أنّ الشكل الظاهري للآية واتّخاذها الشكل الابتدائي أيضاً إنّما كان رعاية لجانب عليّ بن أبي طالب(ع)، كما يدلّ على ذلك بساطة معناها وخلوّه من التكليف المكثّف قياساً إلى سائر آيات الولاية، وهو مؤيّد أيضاً لتقدّم «آية المودّة»وكونها مبتدئة بالنظر إلى غيرها من آيات الولاية، وكذلك يؤيّد هذا المعنى المتقدّم نزول «آية المودّة» بحسب شرائط الزمان والمكان..

وهذا ما كان من التحقيق البدويّ للروايات التي تعرّضت لتفسير «آية المودّة» وبيانها، والآن نعمد إلى التحقيق الأكثر دقة

للفئات المختلفة المتضمّنة للروايات المذكورة، فنقول: عندما يجري المرء موازنة لفئات الروايات المذكورة مع بعضها البعض يدرك جيّداً:

أوّلاً: روايات الفئة الأولى، هي نتاج السياسة المعادية لأهل بيت النبيّ(ص)، وهي التي وضعتها حيث شوهد كيف أبعدت الجملة الشريفة: ﴿**قُل لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾ عن مفادها الظاهريّ، وكيف جرى التلاعب الجدليّ في معناها لإيجاد معنىً مخالف له، وتحميله على غير الجملة، والرواية التالية التي ألصقت زوراً بابن عبّاس شاهد على العداء العلنيّ لأهل البيت والعناد لهم:

أخرج أحمد وعبد بن حميد والبخاريّ ومسلم والترمذيّ وابن جرير وابن مردويه من طريق طاووس، عن ابن عبّاس (رضي الله عنه) أنّه سئل عن قوله: ﴿**إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾، فقال سعيد بن جبير (رضي الله عنه): قربى آل محمّد.

فقال ابن عبّاس: عجلت، إنّ النبيّ(ص) لم يكن بطن من قريش إلاّ كان له فيهم قرابة، فقال:**إلاّ أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة**(١).

ولابدَّ أنْ نلاحظ كيف ألصقوا سياستهم السالفة بمثل ابن عبّاس كذباً وحيث جعلوه ينكر المعنى العرفيّ للجملة: ﴿**قُل لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ**

(١)الدرّ المنثور: ٦: ٥.

أجْراً إلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى﴾، وردّ على سعيد بن جبير ونازعه حين فسّر الآية «المودّة في القربى» بالمودّة بآل محمّد(ع)، مع أنّ روايات أخرى عن ابن عبّاس في الموضوع نفسه وكذلك في الجوامع الحديثيّة العامّة(١) أنّ ابن عبّاس نفسه اختار المعنى الذي اختاره سعيد بن جبير..!

ومن الجدير بالذكر أنّ مثل هذه الروايات لم تجد طريقها إلى كتب الشيعة الإماميّة، وبقى مذهب الإماميّة ينكرها أشدّ الانكار ولم يقبلها على الإطلاق.

ثانياً: روايات الفئة الثانية التي دارت على محور الأنصار، ونسبت إلى منافقي الأنصار الذين هم منافقون عاديّون إنكار مودّة قربى أهل البيت، وآل النبيّ(ص) وينبغي أن يكون مثل الروايات أيضاً من وضع السياسة نفسها ضدّ أهل البيت(ع) - سياسة الحزب الحاكم - كي يتسنّى لهم التخفّف من ثقل الآيات التي تؤنّب المنافقين المحترفين، وتلقي بها على عاتق الأنصار، واتّهام النبيّ(ص)، وهي نزعة المنافقين في عهد مكّة يريدون تحويلها إلى المنافقين العاديّين من أهل المدينة..

والعجيب في الأمر أنّ الرواية التي سلفت وفيها ذكر الأنصار تطوّرت في كتب الشيعة، فنبت له خوافي وقوادم وأوشكت على التحليق واستقطبت أحاديث أخرى كثيرة، مضافاً إلى هذا نرى إضافة جديدة لحقت الروايات الشيعيّة في حديث الأنصار، وهي أنّ العلّة في

---

(١)الدرّ المنثور: ٦: ٧.

فرض المودّة لأهل بيت النبيّ(ص) ونزول «آية المودّة» فيهم إنّما كان ليعلم بأنّ كلّ من ترك مودّة أهل البيت(ع) فقد ترك فريضة إلـهيّة لكي يحملوا بغض رسول الله(ص) لشخص كهذا على الجواز..!!

[من أجل الاطّلاع على رويّة مثل هذا الفكر يمكن الرجوع إلى رواية ابن بابويه المذكورة في الصفحة (١٢٣) المجلّد الرابع من تفسير البرهان،وكذلك رواية عليّ بن إبراهيم المذكورة في الصفحة (١٢٤) من المجلّد نفسه].

ومن الضروريّ اعتبار مثل هذه الروايات ـ وقد أبطلناها في البحث القرآنيّ عن «آية المودّة» بالدليل والبرهان ـ من صنع رواة الشيعة ولاربط لها بأئمّة أهل البيت(ع)، وان رويت بسند قويّ عنهم، ونسبت إليهم؛ لأنّ قبول مثل هذه الروايات يلزم منه إنكار الأئمّة المعصومين ـ لاسمح الله ـ ونسبة الجهل بالقرآن إلى أولئك السادة المقرّبين.

أجل، إنّ نموّ مثل هذه الروايات في الوسط الشيعيّ إنّما كان نتيجة لأفكار الشيعة العاميّة، لأنّهم كانوا يفكرّون على هذا النحو، وهو أنّ حرمان أمير المؤمنين(ع) من الخلافة قد تمّ بسعي الأنصار في إقامة سقيفة بني ساعدة لذلك سعوا جاهدين بأقصى ما يقدرون عليه إلى فتح النزاع مع الأنصار في الروايات واعتبروا الأنصار هم المذنب الأول في مسألة غصب الخلافة، بينما أثبتنا في بحث حادثة «السقيفة» أنّ الأنصار ـ سعد بن عبادة وأتباعه ـ لم يكونوا على

خلاف مع أمير المؤمنين(ع) قط، وأقاموا سقيفة بني ساعدة بعد أن ركبهم اليأس من نجاح الإمام عليّ بن أبي طالب في نيل الخلافة، وإنّما كانت إقامتها لمحض حفظ المركز الأسريّ لهم في قبال اتّحاد المنافقين المحترفين ضدّهم حيث اتّخذوا مثل هذا الموقف.

وعلى أيّة حال، هذا ما كان من كيفيّات الفئة الثانية من الروايات التي اعتبر وضعها ظاهراً من قِبل السياسة المعادية لأهل البيت(ع) واستلمت من قِبل الشيعة فوضعوا لها ملاحق وكسوها بالريش، ونبتت لها خوافي وقوادم، وتكوّنت أجنحتها عندهم!!

ثالثاً: روايات الفئة الثالثة التي يكون المخاطبون فيها بخطاب:{**قُل لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**} هم المسلمون جميعاً، والمودّة المطلوبة هي مع أقرباء النبيّ(ص) كلّهم، والأدنياء منهم بالذات.

وإن كان دركها إلى العامّيّة أقرب، وهو بسيط جدّاً، لكنّه أقرب إلى المفاد الواقعيّ لـ «آية المودّة» من الفئتين السابقتين، ورأينا كيف استناد شيعة آل العبّاس بن عبدالمطّلب عليها من هذا الفهم العامّيّ وجعلوا من مصاديق أهل القربى محبّة العبّاس وأولاده، ومودّتهم الناظرة إليهم «آية المودّة» لكي يمنح الخلفاء العبّاسيّون ساعتئذ الوجهة الربّانيّة السماويّة.

ولكنّ البحث المتقدم قد أثبت أنّ الشيعة احتفظوا بالثقافة الاختصاصيّة في موضوع الآية، أو أنّهم اعتبروا من حيث شرائط الزمان والمكان لنزول «آية المودّة» من أجل حفظ جانب عليّ بن أبي

طالب(ع) اتّخذت شكلها الظاهريّ والابتدائيّ، ومع هذا الوصف فإنّه من حيث إشراف سائر آيات الولاية على «آية المودّة» فإنّها شاملة لجميع المعصومين من آل محمّد، وقد فرضت مودّتهم على الأمّة، والواقع يعدّ هذا الأدب الاختصاصيّ الذي يحوزه الشيعة الإماميّة ممتازاً، ووجه امتيازه هو فهمه الخاصّ، وهذا الشكل من الفهم هو الذي أكسب الأحاديث والروايات شكلها الخاصّ.

أجل، وإن كان في هذه الروايات التي تحمل مثل هذا الفهم وتعكسه في الوسط الباحث، وفي كثير من الأوقات اتّخذ منها استدلالاً واعتبرت معلولة في نقد المتن الدقيق ومحاولة التعرّف عليه، ومن المؤسف أنّنا رأينا هذه الاستدلالات عُزيت إلى الأئمّة المعصومين(ع)، ونُسبت إليهم، ولكن ساحة الأئمّة المقدّسة مبرّأة من مثل هذه الاستدلالات الواهية، وبعيدة عنها على التحقيق بعد المشرقين.

ولكن من الواضح أنّ أصل الأدب الاختصاصيّ ما يزال محفوظاً في تلك الروايات، وهذا يعود إلى الرواة أنفسهم؛ لأنّ أكثرهم يملك الحريزة الكلاميّة، وعلى أساس من هذا الأدب نظّموا الاستدلالات على ضوء خيالهم، وفي حدود قدرتهم وفهمهم الدينيّ..

وهذا ما كان من نتيجة التحقيق الدقيق الذي حصل بأيدينا من موازنة الفئات لمختلف الروايات التي تمّ بحثها.

والجدير بالذكر، العلم بأنّ ما شهدناه من وضع للروايات ذات الصلة بـ «آية المودّة»، فإنّه موجود في سائر الروايات المرتبطة

بسائر آيات الولاية والحوادث التي اصطدم فيها نفع الحزب الحاكممع الجهة المناقضة له والمخاصمة، وشاهد عين اليقين.

بحث في حروب الردة

في ختام البحوث المرتبطة بـ «القسم العشرين» من الكتاب يبقى تذكّر نكتة واحدة لازماً وضرورياً لما هدانا البحث والتحقيق في موضوع «الأحداث التي قارنت وفاة النبيّ(ص) والوقائع التي جرت بعدها إلى العداء العلنيّ من الحزب الحاكم لأهل بيت العصمة والطهارة(ع)»، ورأينا من جهة أخرى في «القسم السادس عشر» من الكتاب أنّ الحزب الحاكم تبانى مع فرقاء سياسيّين مختلفين من أجل الوصول إلى منصّة الحكم يكون عقلائيّاً إلى حدّ الكمال ما يقال: إنّ سائر الحوادث بعد الوفاة لاتعدم وجه ارتباط أيضاً مع عداء الحزب الحاكم وعناده بالنسبة لأهل بيت النبوّة لها.

ومن أشهر هذه الحوادث «حادثة الردّة» وشنّ حكومة أبي بكر الحرب على المسلمين.

أجل، إنّ مَن كان من أهل التحقيق حينما يقوم بالبحث حول«حرب الردّة» الذي خلص إلينا من قعر الأخبار الكاذبة والصادقة في هذا الموضوع، ما أسرع وقوعه على آثار الموضوع المذكور وعلاماته، مثلاً: ذكر ابن الأعثم في «كتاب الفتوح»[1] في «ردّة بني ذهل بن معاوية» وهم قوم من طائفة «كندة»، فقال: ثمّ إنّه

---

(١)الفتوح: ١: ٦٠.

(زياد بن لبيد البياضيّ) سار إلى حيّ من أحياء كندة يقال لهم بنو ذهل بن معاوية فخبّرهم بما كان، ودعاهم إلى السمع والطاعة، فأقبل إليه رجل من سادات بني تميم يقال له: الحارث بن معاوية، فقال لزياد: إنّك تدعو إلى طاعة رجل لم يعهد إلينا ولاإليكم فيه عهد.

فقال له زياد بن لبيد: يا هذا، صدقت، فإنّه لم يعهد إلينا ولاإليكم فيه عهد، ولكنّا اخترناه لهذا الأمر.

فقال له الحارث: أخبرني لِم نحيّتم عنها أهل بيته وهم أحقّ الناس بها؛ لأنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿**وأولُوا الأرْحَامِ بَعْضُهُمْ أوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ**﴾ (١)؟!

فقال له زياد: إنّ المهاجرين والأنصار أنظر لأنفسهم منك.

فقال له الحارث: لاوالله ما أزلتموها عن أهلها إلاّ حسداً منكم لهم، وما يستقرّ في قلبي أنّ رسول الله(ص) خرج من الدنيا ولم ينصّب للناس علماً يتّبعونه، فارحل عنّا أيّها الرجل، فإنّك تدعو إلى غير رضاً، ثمّ أنشأ الحارث بن معاوية يقول:

كان الرسول هو المطاع فقد ... ز المطاع فقد ... صلى عليه الله لم يستخلف

قال ابن أعثم: فوثب عرفجة بن عبدالله الذهليّ فقال: صدق والله الحارث بن معاوية، أخرجوا هذا الرجل عنكم، فما صاحبه بأهل للخلافة ولايستحقّها بوجه من الوجوه، وما المهاجرون والأنصار بأنظر لهذه الأمّة من نبيّها محمّد(ص)».

(١)الأنفال ٨: ٧٥. الأحزاب ٣٣: ٦.

ولابدَّ أنَّ نلاحظ جيّداً كيف ارتبط حديث ردّة قبيلة كندة بموضوع خلافة أهل البيت(ع).

أجل، نعثر مكرّراً في الأحاديث المتصّلة بـ «حادثة الردّة» أنّ المسلمين المرتدّين بزعمهم يكنّون أبا بكر على سبيل الاستهانة والطعن بأبي فصيل (وهو ولد الناقة التي يفصل عنها بعد الولادة) ألايعدّ هذا كناية بانفصال أبي بكر عن الصواب الدينيّ في أمر الخلافة...؟!

نتائج القسم العشرين

إلى هنا ننهي البحث والتحقيق حول وقوع الأحداث التي قارنت الوفاة أو وقعت بعدها، ونقول من منطلق أخذ النتيجة المتصيّدة من مجموع المطالب المذكورة في «القسم العشرين» من الكتاب:

عندما نشاهد الحوادث التي قارنت الوفاة والتي وقعت بعدها مؤيّدة للمطالب التي ظفرنا بها على مدى البحوث القرآنيّة، التي تمّت على أيدينا، وعلمنا أنّ الحزب الحاكم هم أنفسهم «المنافقون المحترفون» الذين احتضنوا فكرة التحكّم في المسلمين برؤوسهم، وحدبوا على تعاهدها وصقلها منذ سنوات وقبل حلول الوفاة، وراحوا يخطّطون للقفز على سرير الخلافة متى واتتهم الفرصة، فإنّه يكون من الثابت القطعيّ أنّ حدوث الوفاة ومن بعدها تناولهم أزمّة السلطان وتحكّم المنافقين المحترفين بأوضاع المسلمين، وتنحيتهم أهل بيت النبيّ(ص)، والتسلّط عليهم، ومحاولة الوقيعة بهم وإيذائهم، وبقاء هذا الوضع الشاذّ سائداً حتّى نهاية المحنة المعبّر عنها بالإسلاميّة ـ كما يزعمون ـ للخلفاء، فإنّ المسيرة الدينيّة لامحالة تتّجه عندئذ وجهة مضادّة لولاية الحقّ، وتسير على غير الصراط المستقيم، ويأخذ تحريف الحقائق مجراه في جميع الواقعيّات الإسلاميّة، وتُعقد له هناك سوقٌ رائجة، كما بيّنا ذلك في بحوث الكتاب كلّها ـ مع محاكمة النصوص التي تنالها أيدينا، وعرضها على محكم آيات القرآن كلام الله الموحى به على نبيّه(ص) ـ وقد رفعنا الستار عن عدد لايستهان به من هذه الانحرافات.

أجل، إنّ محاكمة النصوص الصحيحة من الآثار المتبقية في الثقافة الدينيّة لذلك العهد تثبّت بشكل جيّد القرآن الذي استعرضنا حالات آياته التركيبية، وأيّ محقق نابه عندما يمثل أمام الجوامع الحديثيّة التي تسمّى إسلاميّة بزعم الزاعمين ـ بصرف النظر عمّا يرتبط بالجانب الثقافيّ الخاصّ بتلك الفترة ـ فإنّه يجد نفسه أمام جملة من الأقوال المعلّلة التي لو أنّها عرضت على المحكمات من آيات الكلام الموحى به لما وسع المرء إلاّ شطبها بالقلم الأحمر ووضعها في دائرة النسيان، أو بتعبير أصرح إلقائها في سلّة المهملات.. !!

الخاتمة

وفي الخاتمة ذهاباً إلى تكميل التحقيقات لآيات الولاية التي بحثت بصورة متفرّقة في هذا الكتاب نقدّم بحثاً في الموضوع نفسه هنا، ولمّا كان البحث الذي نجري فيه تثبت نتيجته بصفة مشرقة الرتبة المختصّة بالخمسة الطيّبين وسائر المعصومين من آل محمّد(ص) من ثمّ اخترنا له اسم «بحث الصالحين»، وسوف نتعقّبه على ضوء الآيات القرآنيّة المجيدة، لعلّ التوفيق يسعفنا فنصل من خلال ذلك إلى النتيجة المطلوبة!

الصالحون

فئة من اصحاب الصراط المستقيم

وللتعريف عن ذلك فإنّ: «الصلحون»(فئة من أصحاب الصراط المستقيم).

وقبل الدخول في البحث يقتضينا الأمر استحضار نكتتين اثنتين:

النكتة الأولى: في عرف القرآن المجيد كلمة «صالح» و «صالحين»(بصيغة اسم الفاعل) تعني أصحاب «الصلاح الذاتيّ»، وهذا المقام ينوف على الصلاح في العمل، اللّهمّ إلاّ إذا وجدت قرينة صارفة عن إرادة هذا المعنى.

النكتة الثانية: ما يستفاد من الآيات الشريفة ذات الصلة بموضوع «الصلاح الذاتيّ»، وسوف نواجه ذلك في بحث «الصالحين»من أنّ رتبة «الصلاح الذاتيّ» شأنها شأن الرتب المعنويّة للإنسان، لها مراتب ودرجات بحيث يكون صاحب الدرجة الأعلى له على صاحب الدرجة الأدنى في ذات الرتبة نوع إحاطة وعلوّ وأفضليّة وشهود.

وبناءً على هذا كلما شملت التوفيقات الإلـهيّة صاحب الرتبة الأدنى يلحق ابتداءاً صاحب الرتبة الأعلى ويصبح من رفقائه وخلاّنه،

بحيث يعمّه اللطف الإلـهيّ بصورة أشمل، وبعد الإلحاق هذا يعدّ من رهط صاحب الدرجة العليا، وكلّما تقدّم في الألطاف الإلـهيّة والتوفيقات الربّانيّة صار من أصحاب الرتب العليا وانتمى إليهم، وبعد تذكّر هاتين النكتتين ندخل في أصل البحث فنقول: فريق «الصالحين» طبقاً للآية الشريفة: ﴿وَمَن يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً﴾ (١).

وما لهذه الآية الشريفة من النظارة والإشراف على الآيتين الشريفتين: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾ (٢) التي ثبتت لأولئك الأبرار.

وقد نعت الله المتعال في القرآن المجيد عدداً من الأنبياء العظام صراحة بـ «الصالحين» وعدّهم من زمرتهم، واختارهم على ضوء هذه السمة، ونحن على سبيل التقريب الزمانيّ نثبت أسماءهم فيما يلي من هذا السرد:

نوح، إدريس، إبراهيم، لوط، إسماعيل، إسحاق، يعقوب، يوسف، شعيب، موسى، هارون، داود، سليمان، إلياس، أيّوب، ذو الكفل، يونس، زكريّا، يحيى، عيسى(ع).

والآيات التي يستفاد منها الموضوع المشار إليه هي على سبيل ترتيب السور في القرآن المتداول على النحو التالي:

---

(١)النساء ٤: ٦٩.

(٢)الفاتحة ١: ٦ و ٧.

الآية (٣٩)و (٤٦)«آل عمران».

الآية (٨٤)و (٨٥)«الأنعام».

الآيات (٧٢)، (٧٥)(٨٥)(٨٦)«الأنبياء».

الآية (٢٧)«القصص».

الآيات (١٠٠) و (١٠١)، (١١٢)«الصافات».

الآية (١٠)«التحريم»، وغير ذلك.

وأنتم عندما تتلون الآيات الشريفة التي جرت فهرستها الآن سوف ترون أنّ صريحها كلها على هذا النحو: إنّ جميع الأنبياء والمرسلين الذين ذكرناهم توّاً حين كانوا في الدنيا أحياء هم في رتبة «الصالحين» على التحقيق، وقبل انتقالهم إلى الرفيق الأعلى كانت رتبة «الصلاح الذاتيّ» متحققة لهم فعلاً لأنّهم الحقوا في رتبة الصالحين أو دخلوا في زمرتهم، وبذلك أوكلت لهم رتبة «الصالحين» بالآخرة.

نعم، يستثنى من ذلك يونس(ع) الذي اثبتته لغة الوحي بطبقة «الصالحين» وذلك بعد الابتلاء بقضيّة الحوت ونجاته منها، كما دلت على ذلك الآيات الشريفة: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ * لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ * فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾(١).

---

(١)القلم ٦٨: ٤٨ ـ ٥٠.

وهذه الدلالة مشرقة لايعتريها قتام.

إلاّ أنّ الآيات أعلاه على أي حال حكمها أيضاً أنّ نبيّ الله يونس(ع) وإن أتاه الصلاح وصار من الصالحين بعد نجاته من الحوت، وابتلائه بها، فقد صار قبل انتقاله إلى العالم الأخرويّ من الصالحين، وهذا المقام تحقق له وصارت فعليّته ثابتة فيه قبل الوفاة.

إنّ الدقة في بحث الصالحين تبدأ من هنا حيث نرى: مع أنّ الآيتين الشريفتين: ﴿**وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحاً هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ**﴾(١) نسبت يوسف(ع) إلى زمرة الصالحين صراحة وتحقيقاً، وكان قبل أن يفارق الحياة متمكناً من هذه الرتبة على هذا الوصف وطبقاً لما أوردته الآية الشريفة: ﴿**رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّ فِي الدُّنُيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ**﴾(٢)، وهي تتضمّن الدعاء الذي نطق به يوسف(ع)في آخر عمره وبعد نيله مقامات المخلصين ـ بصيغة اسم المفعول ـ والصدّيقين والصالحين(٣) دعا بهذا الدعاء.

وهنا نلاحظ بأنّ يوسف(ع) بعد نيله لهذه المقامات كلها يتمنّى

(١)الأنعام ٦: ٨٤ و ٨٥.
(٢)يوسف ١٢: ١٠١.
(٣)يوسف ١٢: ٢٤، ٤٦. الأنعام ٦: ٨٤ و ٨٥.

الآن، بل يطلب ويرجو ويدعو في آخر أيّامه وختام سنيّ عمره أن يُلحق بالصالحين، وهو إلحاق بعد الوفاة ومفارقة الحياة.

ولمّا كان الخالق سبحانه قد ذكره في الكلام الموحى به فهو دليل على قبوله واستجابته، يعني أنّ الحقّ (جلّ جلاله) قد استجاب دعاءه وألحقه في الآخرة بـ «الصالحين».

عجباً ألم يكن يوسف طبقاً للآيتين الشريفتين (٨٤) و (٨٥) من سورة «الأنعام» نفسه من الصالحين في الدنيا، وكان قد مُكّن له في هذه الرتبة قبل الوفاة، أتراه يطلب بعد الوفاة الرتبة الأدنى وقد حاز في حياته الرتبة الأعلى، بحيث يتنزّل من وجوده في فريق الصالحين إلى رتبة الإلحاق بهم؟!

إنّ دعاء كهذا لايُعقل من نبيّ كيوسف(ع).

أجل، إنّ حلّ هذا الإشكال بعد استحضار النكتة المذكورة في ابتداء الفصل فنقول: لمّا كان «الصلاح الذاتيّ» كسائر المقامات المعنويّة له نفسه مراتب ودرجات، بناءً على هذا لاإشكال مع كون يوسف(ع) في الدنيا من فريق الصالحين، فقد طلب في آخر عمره أن يُلحق بالصالحين الممتازين، وبهذا يرتفع الإشكال، فلننظر إذن مَن هؤلاء الصالحون الممتازون الذين تمنّى يوسف(ع) الإلتحاق بهم بعد الموت، مَن هم، وما هي هويّتهم؟!

من هم الصالحون الممتازون؟

ويشبه دعاء يوسف(ع) دعاء ابراهيم(ع) وله موضوع آخر متّصل به، وسوف نوضّحه في مستقبل البحث عاجلاً، بدءاً ينبغي إعلام القرّاء أنّ في القرآن المجيد رفع الله منزلة خليله إبراهيم(ع) بعد المنزلة القدسيّة لخاتم الأنبياء، وأثنى عليه ثناءاً جليلاً، وشرّفه حتّى على أولي العزم من الرسل وأعلا قدره بحيازته مقامات الولاية الإلـهيّة، وأظهر بمظهر الأعلى شأناً والأجل قدراً، بناءً على هذا، فإذا كانت الآيات الشريفة [وهي الآيات التي سبقت فهرستها في أوّل بحث «الصالحين»] قد اعتبرت صراحة أمثال إدريس وذا الكفل ولوط ويونس وزكريّا ويحيى وغيرهم(ع) في الدنيا وقبل انتقالهم إلى الآخرة من زمرة «الصالحين».

إذن يكون مسلماً هذه الدرجة من «الصلاح الذاتيّ» ثابتة لإبراهيم بصورة أعلى وأجلى قبل انتقاله إلى الرفيق الأعلى!

علاوة على هذا، فإنّنا حين نتلو الآيات الشريفة التالية: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ * فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ (١).

﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيّاً مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٢).

نراها قد ذكرت دعاء إبراهيم في طلبه أولاداً يكونون من فريق «الصالحين»، فإنّه من المسلم به عندئذ أنّ إبراهيم(ع) في الدنيا وقبل

---

(١)الصافات ٣٧: ١٠٠ و ١٠١.

(٢)الصافات ٣٧: ١١٢.

انتقاله إلى الرفيق الأعلى قد كان يتمتّع بهذا المقام من «الصلاح الذاتيّ»، ولذلك تمنّى أولاداً يكونون في زمرة «الصالحين».

مع ما تقدّم من القول تلاحظون:

في الآية الشريفة: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ * وَاجْعَل لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ﴾(١) تنقل لنا دعاء إبراهيم(ع)، (ونقل الآيات له دليل على استجابته) وفحوى دعائه هو الالحاق بالصالحين، لكنّه على خلاف دعاء يوسف(ع) عندما طلب من الله الالحاق بالصالحين في أيّامه الأخيرة من عمره لافي الدنيا، بل في الآخرة.

وهنا ينحصر طلب إبراهيم(ع) في الدنيا أن يلحقه الله في الصالحين، لأنّ ذلك يعرف من سياق الآيات السابقة في سورة «الشعراء»، ويتجلى لنا أنّ دعاءه في طلب الالحاق كان في أوائل رسالته، يوم كان يحاجج الوثنيّين، وهذا بالطبع يتصوّر في حال حياته وقبل انتقاله إلى الرفيق الأعلى. ضعوا دعاء إبراهيم(ع) المستجاب هذا نصب أعينكم لنعطفكم إلى موضوع شيّق آخر يتعلّق بخليل الرحمان، وفي الختام نستخلص النتيجة اللازمة من هذه المقدّمات.

والموضوع الشيّق الآخر في البحث نفسه هو عبارة عن أنّه في القرآن المجيد من أوّل سورة إلى آخرها لم يعد الله أحداً أن يكون من

---

(١)الشعراء ٢٦: ٨٣ و ٨٤.

الصالحين في الآخرة إلاّ إبراهيم(ع)، وفي ثلاث مواضع في القرآن.. !

١ ـ سورة «النحل»: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً للهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِراً لأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الأَخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾(١).

٢ ـ سورة «العنكبوت»: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الأَخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾(٢).

٣ ـ سورة «البقرة»: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الأَخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾(٣).

والمُلاحظ أنّ الله تعالى في ثلاث مواضع من القرآن المجيد أخبر عن إبراهيم(ع) في جملة واحدة رتيبة لم تتغيّر أنّه في الآخرة من «الصالحين» أنفسهم، وهنا تفرض الأسئلة أدناه نفسها:

أوّلاً: ألم يكن إبراهيم(ع) قبل وفاته من الصالحين لكي يعده الله بهذه الرتبة في الآخره؟!

ثانياً: تشهد الآيات له بأنّه كان في الدنيا وقبل وفاته من الصالحين، فما معنى هذا القيد من كونه من الصالحين في الآخرة

(١)النحل ١٦: ١٢٠ ـ ١٢٢.
(٢)العنكبوت ٢٩: ٢٧.
(٣)البقرة ٢: ١٣٠.

لافي الدنيا، لاسيّما وقد أخبر سبحانه في هذه المواضع الثلاث أنّه قد أعطاه في الطرف المقابل للآخرة، أي في الدنيا «الحسنة» و«الأجر» و«الاصطفاء»، وكونه من الصالحين يختصّ ذلك بآخرته؟!

ثالثاً: لماذا أعطى الوعد بجعله من الصالحين في الآخرة من أوّل القرآن إلى آخره لإبراهيم(ع) وحده دون سائر الأنبياء؟!

رابعاً: انّ طلب الالحاق بالصالحين في الدنيا الوارد في الآية (٨٣) من سورة «الشعراء» نسب إلى إبراهيم(ع) ونقل عنه (وقلنا إنّ وروده في الآي دليل على استجابته، وممّا لاريب فيه أنّه الحق في الصالحين حتماً لأنّه في الدنيا اعتبر من زمرتهم..) فكيف لنا بجمع هذه الآيات مع آيات القرآن المجيد التي تصرّح بأنّه وابنه إسحاق وحفيده يعقوب كانوا من الصالحين؟!

وللجواب على هذهِ الأسئلة المشار إليها وأمثالها من الأسئلة الأخرى التي ربّما عرضت للبحث، ومع استحضار ذلك المطلب الذي ذكرناه في ابتداء الفصل الماضي، وبيّناه في دعاء يوسف(ع) يتّضح الوضع، والإشكالات التي عنّت لنا تحلّ بهذه النكتة.

زيادة إيضاح: لمّا كان كلّ مقام من المقامات المعنويّة يحتوي على درجات ومراتب، فإذا حالف التوفيق صاحب الدرجة الأدنى التحق بدءاً بالدرجة العليا لنفس المقام، أي أنّه ينتظم في سلك المرافقين لصاحب المقام، فإذا ازداد إقبال التوفيق عليه وصار نصيبه من التوفيق الربّانيّ أكثر، فإنّه ينعتق من مرحلة «الالحاق» ويدخل ضمن رهط صاحب الدرجة العليا، وأخيراً باللطف الربّانيّ

والتوفيقات الإلـهيّة قد ينال الدرجة الأعلى، فيسمو برتبته عن رتب مَن انتسب إليهم، ويعلو عليهم.

وعلى هذا جرى الحساب، فإنّ إبراهيم(ع) هو بشهادة الآيات القرآنيّة الشريفة يأتي بالشرف بعد خاتم الأنبياء(ص)، وهو من جميع الأنبياء والمرسلين أعلى، وبالقرب أدنى، لاريب من كونه من زمرة «الصالحين» في الدنيا حتماً، ويطلب الالحاق بالصالحين الممتازين في الدنيا أيضاً، ولمّا كان الدعاء مستجاباً فينبغي أن يلحق بتلك الذوات المقدّسة في الدنيا كذلك.

وأمّا ما يخصّ المواضع الثلاثة التي وعد بها إبراهيم(ع) وحده أن يصبح في زمرة أصحاب «الدرجة الأعلى» من الصالحين، فإنّه لابدّ من القول بأنّ من بين جميع الأنبياء والمرسلين إبراهيم(ع) وحده وصل إلى تلك الموهبة لكي يكون في الآخرة من هؤلاء العظماء الذين التحق بهم في الدنيا، منعتقاً من مراحل الالحاق الواحد تلو الآخر.

والآن يلحّ علينا السؤال التالي:

مَن هم هؤلاء أصحاب الدرجة الأعلى في «الصلاح الذاتيّ»؟!

ومن أجل الحصول على الجواب المريح نقول:

أوّلاً: عرفنا من البحوث المرتبطة بكون الإنسان خليفة الله، وتعليم آدم الأسماء الحسنى، وسجود الملائكة له بأمر الله، وما تبع ذلك من الأمور أنّ أصغر نبيّ في الأنبياء هو أعلى رتبة وأجلّ قدراً

من أقرب مقرّبي الملائكة.

ثانياً: من الواضح بأنّ أولي العزم هم أفضل من جميع الأنبياء والمرسلين، ولهم الدرجات العُلى عليهم.

ثالثاً: إنّ من بين أولي العزم طبقاً لما ذكرته آيات القرآن الكريم إبراهيم(ع) بعد خاتم الرسل محمّد(ص) هو الأفضل والأعلى من جميع الأنبياء أولي العزم(ع)، وبناءً على هذا، فإنّ «الصالحين الممتازين» هم محمّد وآل محمّد، وليس أحد غيرهم.

نعم، بما أنّ كلمة «الصالحين» في الموارد الثلاثة جاءت بصورة الجمع، فإنّه يستفاد من ذلك بأنّ هناك أشخاصاً غير شخص رسول الله(ص) لهم نفس المستوى من لفظ «الصلاح الذاتيّ الممتاز» وأولئك هم «آل محمّد» بما دلّ عليه دليل المطالب المحققة في البحوث المرتبطة بـ«آية التطهير»، «آية الولاية»، «آية التوكيل»، آية «السابقون الأوّلون»، سورة «الإنسان»، وغير ذلك.

وفي الختام ينبغي أن نلفت الانتباه إلى نكتة هي: كما ثبت في الدعاء المستجاب لنبيّ الله يوسف(ع) أنّ الله تعالى قد ألحقه بالصالحين الممتازين بعد وفاته، وإن كان من الصالحين في الدنيا، كما ذكرت ذلك الآيتان (٨٤) و (٨٥) من سورة «الأنعام»، إلاّ أنّ نبيّ الله إبراهيم(ع) قد ألحق بـ«الصالحين الممتازين» في الدنيا قبل الآخرة وليس في الدنيا [أي أنّه في الدنيا ألحق بهم إلحاقاً حتّى إذا انتقل إلى الرفيق الأعلى صار من زمرتهم ورهطهم].

وبناءً على هذا، إنّ لجميع الأنبياء المساوين في الرتبة ليوسف(ع) الالحاق بمحمّد وآل محمّد في الآخرة، وهذا من المسلمات المؤكّدة لأنّ لازمه الشفاعة الكبرى لرسول الله(ص) هو هذا النوع من الالحاق.

وكذلك الأنبياء الذين ترقى رتبة صلاحهم الذاتيّ على رتبة يوسف(ع)، ولكنّهم لايبلغون في الرتبة إلى إبراهيم(ع)، فإنّهم يكون إلحاقهم بمحمّد وآل محمّد في الآخرة أكمل، أي أنّهم يظلّون يتمتّعون مرتبة الالحاق في مراحلها العليا، وقبل أن يتحوّلوا إلى رهط محمّد وآل محمّد ويصبحوا من زمرتهم.

ومن الواضح أنّ إبراهيم(ع) من بين جميع الأنبياء وحده ينال الفخر بما ينتقل إليه من العينيّة لمحمّد وآل محمّد وما يتحوّل إليه من فريقهم في الآخرة.

ولايكون من نافلة القول: أنّ معنى كون إبراهيم(ع) في الآخرة من رهط محمّد وآل محمّد أنّه في رتبة مساوية لهم، لأنّه لو حظي بهذه المساواة لكان في الدنيا منهم أيضاً، أي من أهل البيت (عليهم السلام) بحيث تشمله «آية التطهير» وسائر الآيات المختصّة بهم. ومن الواضح أنّ هذا التساوي غير حاصل بينهم.

نعم، وإن كان في الآخرة من زمرتهم وفريقهم، ولكن صاحب الدار على كلّ حال محمّد وآل محمّد(ع).

بعد أنْ قطعنا الطريق في الاستدلال السالف ثبت لدينا:

«الصالحون الممتازون» الذين يكون إبراهيم(ع) من زمرتهم ورهطهم في الآخرة هم محمّد وآل محمّد ولاأحد غيرهم، ومن هذا الطريق تجلى فضل أهل البيت(ع) على الأنبياء والمرسلين والملائكة المقرّبين، والدقّة في بحث «الصالحين» أوصلنا إلى هذه النقطة حيث تقدمت المباحث المرتبطة بـ «آية التطهير و «آية الولاية» و «آية التوكيل» وآية «السابقون الأوّلون» وسورة «الإنسان» وغيرها.

والآن نواصل بحثنا حول الموضوع لعلنا نعثر من خلاله على شواهد أخرى من القرآن الكريم تؤيّد دعوانا المتقدّمة.

قال الله تعالى في هذه الآية الشريفة: ﴿قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلاَ تُنظِرُونِ * إِنَّ وَلِيِّيَ اللهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ (١) أنّ الله تعالى يأمر رسوله أن يخاطب الكافرين فيقول لهم ادعوا شركاءكم وألهتكم واجمعوا أمركم، ووحّدوا جهودكم، وافعلوا ما قدرتم عليه كلكم، ولاتتمهّلوا في أمركم، فإنّكم لن تقدروا على الاضرار بي بمقدار خردلة، لأنّ وليّي الله والمدافع عنّي، والمحامي لي، الذي أنزل عليَّ الكتاب، وهو يتولى الصالحين..

والملاحظ هنا أنَّ النبيّ(ص) عبّر عن نفسه بأمر الله بأنّه من الصالحين، ولمّا كانت رتبة صلاحه الذاتيّة قرينة بالقرآن الكريم، كانت هذه الدرجة من «الصلاح الذاتيّ» هي الملازمة للاشراف

---

(١)الأعراف ٧: ١٩٥ و ١٩٦.

على القرآن المجيد والكلام الموحى به.

ولمّا كان من الضروريّ أنّ رتبة «الصلاح الذاتيّ» لأيّ واحد من الأنبياء والمرسلين لم تكن في حدود الإشراف على القرآن المجيد.

ومن المسلم به أيضاً أنّ رتبة خاتم الأنبياء وهي الإشراف على القرآن رتبة واقعيّة وليست تعاقديّة واختياريّة. إذن علم من هذا أنّ كلمة «الصالحين» المذكورة في الآية التي بحثنا معناها ترتبط في تلك الدرجة من «الإصلاح الذاتيّ» الذي لاتتصوّر درجة فوقه بحيث يلحق به أمثال نبيّ الله يوسف(ع) في الآخرة، ويصبح إبراهيم(ع)الذي ألحق به في الدنيا وحده من زمرة مصاديقه في الآخرة.

من جهة أخرى، لمّا ذكرت كلمة «الصالحين» ذكر جمع [جمع مذكر سالم] تحتّم أن يدخل تحت مفهومها غير رسول الله جماعة آخرون، وينطبق عليهم مرتبة «الصلاح الذاتيّ» ليكون استعمال صيغة الجمع في موقعها، ولمّا تحقّق أنّه ليس أحد من الأنبياء والمرسلين الماضين في حدود هذا «الصلاح الذاتيّ» يعلم بالضرورة أنّ مَن كان في هذه الرتبة الشامخة من «الصلاح الذاتيّ» هم من أتباع رسول الله(ص) ومن أمّته.

هذا ما كان مختصّاً بمعرفة الفرد الأوّل من «الصالحين الممتازين» أي شخص رسول الله(ص)، وأمّا ما كان راجعاً إلى معرفة الشخص الثاني بعد رسول الله(ص) فينبغي الدقّة في فهم آيات

سورة «التحريم»، وتحديد المصداق الواقعيّ لكلمة «صالح المؤمنين» المذكور في الآية الرابعة من تلك السورة وتعيين هويّته.

بحثنا في قسمٍ سابق من الكتاب بحثاً فيه إثبات الصلة الوثيقة لعائشة وحفصة مع حزب الخلفاء والمنافقين المحترفين في آيات سورة «التحريم»، وكان البحث دقيقاً ومستوعباً.

ومن خلال التحقيق ظهر لنا جليّاً أنّ نزول سورة «التحريم» كان أساساً لدكّ ذينك المرأتين، وإثبات خيانتهما بالنسبة لذات رسول الله(ص) القدسيّة. وهناك أثبتنا أنّ المرأتين مع الإصرار المسبق المعهود وضعتا تصاميم خطّة جهنّمية لاغتيال النبيّ(ص) بالسمّ، وأردن دسّ السمّ لحضرته، ولكنّ الله أطلع نبيّه على السرّ، وأنزل عليه في هذا الشأن سورة «التحريم».

والآن مع الآية الرابعة، وهي أكثر الآيات صراحة في توبيخ المرأتين وتقريعهما، وأيضاً لها ارتباط وثيق ببحثنا، وتلقى الضوء على الشخص الثاني في «الصالحين الممتازين» لنعرفه، فلنزدد توجّهاً إذن إلى هذه الآية الرابعة: **﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾**(١).

والآن نعمد إلى بحث كلمة «صالح المؤمنين» فنقول:

أولاً: لاشكّ في كون هذه الكلمة «صالح المؤمنين» المعهود

(١)التحريم ٦٦: ٤.

مفردة لاجمعاً، وممّا لاشكّ فيه أنّه جمع أريد به الواحد وليس الجنس، لأنّه لو كان استعمل في الجنس لجاء على هذه الصيغة:«الصالح من المؤمنين» أو بهذه الصيغة:«مَن صلح من المؤمنين»، وبناءً على هذا يتمور الحديث في هذا المجال على هذا الفرد الخاصّ مَن يكون؟ الذي عبّر الله عنه في القرآن الكريم وسمّاه «صالح»(أي الذي له صلاح ذاتيّ).

ثانياً: بدا أنّ صلاحه الذاتيّ ذو مرتبة تفوق صلاح كلّ مؤمن آمن برسول الله(ص).

ثالثاً: أثبت له من العظمة في مساعدته نبيّ الله في زمرة «ولاية الحقّ» وقرنه بمساعدة أمين الوحي، ثمّ جعل جميع الملائكة من بعده ظهيراً لرسول الله(ص). وهذا الشخص يتحتّم أن يكون من «الصالحين»، وهم فئة من أصحاب الصراط المستقيم ويعدّون من أهل العصمة لأنّ لفظ «صالح» و «صالحين» يطلق في عرف القرآن الكريم على صاحب «الصلاح الذاتيّ»، وطالما أطلق على الأفضل والأعلى من الصلاح في العمل إلاّ ما نفته القرينة الصارفة، ثمّ إنّ هذا الشخص ينبغي أن يكون من الأتباع المعاصرين لشخص رسول الله(ص) قطعاً، ومن الأمّة المعاصرة له، لأنّ عنوانه هو الصالح الممتاز الذي كان عوناً وعضداً لرسول الله(ص) وذابّاً عنه، وحامياً له، لأنّه من الضروريّ أن ليس أحد من أنبياء السلف الماضين أو المؤمنين بالأديان السالفة ومثلهم المؤمنون القادمون في مستقبل الزمن عند نزول الآية الشريفة، ليس بمقدورهم لتقدّم زمانهم

وتأخّره عن النبيّ(ص) أن يكونوا أعواناً ومساعدين وحماة فعلاً لرسول الله(ص).

وثالث الأمور: أن يكون هذا الشخص معروفاً لدى المرأتين بالمواساة والتضحية والفداء لشخص رسول الله(ص)، وأن يكون ردءاً له، وكذلك يعرف بين المسلمين بأنّه الشجاع القرم الأوّل بين المدافعين عن الإسلام، شخص عرف بنصرة رسول الله(ص) وبذل النفس والنفيس له، وخوض الأخطار في هذا السبيل مراراً وتكراراً، وبذل العناية القصوى في حراسة النبيّ(ص)، وهو في الحروب والغزوات الشجاع الأوّل الذي لايدانيه أحد، ولايشقّ له غبار، ولايدخل الخوف قلبه، وقد شاهد قدرته وشجاعته وحميته العدوّ والصديق، وصارت شجاعته وشهامته حديث الخاصّة والعامّة!

ومن الظاهر البيّن أنّ هذه الصفات لاتطلق إلاّ على أوّل شخص من أهل بيت النبوّة يعني عليّ بن أبي طالب(ع)، كما جاءت أحاديث الخاصّة على شكل «رواية» وأحاديث العامّة على شكل «دراية» في الدلالة على ذلك.

توضيح هذا الكلام المجمل: ذكر جلال الدين السيوطيّ في تعيين مصداق «صالح المؤمنين» المذكور في الآية الشريفة: **﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلاَهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلاَئِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾**(١). في

(١) التحريم ٦٦: ٤.

تفسير الدرّ المنثور(١) تسعة عشر رواية في ذلك.

وكان طبقاً لثلاث روايات منها أنّ المصداق لـ «صالح المؤمنين» الوارد في الآية هم الأنبياء الذين أشير إليهم، وعيّنتهم الرواية وطبقاً لتسع روايات منها أنّ المصداق هو أبو بكر وعمر معاً، وطبقاً لثلاث منها أنّ المصداق هو عمر بن الخطّاب وحده، ورواية واحدة منها ذكرت ثلاث هم أبو بكر وعمر وعليّ هؤلاء جعلتهم مصداقاً واحداً، وأخيراً طبقاً لثلاث روايات باقية هو: عليّ بن أبي طالب(ع) فهو المصداق للمضاف والمضاف إليه﴿**وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾الوارد في الآية المبحوث فيها، وبالنسبة للروايات الثلاث التي جعلت المصداق هم الأنبياء يكفي في إبطالها ما أشرنا إليه في الصفحة السابقة من شرط المعاصرة، أي كون «صالح المؤمنين» والنبيّ(ص) يوجدان في عصر واحد، وهذا أمر واضح سبقت الإشارة إليه.

أمّا ما يعود للروايات التي جعلت أبا بكر وعمر مصداقاً أعمّ من ذكرهما معاً أو الاقتصار على واحد منهما هو عمر بن الخطّاب أو ذكر كليهما مع الإمام عليّ بن أبي طالب(ع)، فإنّه لنا نحن الذين ثبتت عندنا كون الرجلين أبي بكر وعمر من «المنافقين المحترفين» وقد تجلى لنا واضحاً من خلال البحث المتّصل بالموضوع في هذا الكتاب أنّ الروايات الثلاث عشرة موضوعة لاشبهة في ذلك، ولم يبق إلاّ الروايات الثلاث التي اقتصرت على عليّ بن أبي طالب(ع)

(١)الدرّ المنثور: ٦: ٢٤٣.

فهو المصداق الوحيد للآية التي يمكننا الثقة بها والاعتماد عليها.

أجل، إنّ بحثاً من بحوث الدراية لأحاديث العامّة يفيد إثبات مفاد أحاديث الخاصّة، ويهبنا الثقة التامّة والاطمئنان الخالص أنّ المصداق منحصر بفرد واحد هو الإمام عليّ بن أبي طالب(ع)، فهو «صالح المؤمنين» المذكور في الآية التي بين يدي البحث.

نعم، هو وحده وليس أحد غيره وكفى، وبناءً على هذا يتّضح بصورة جليّة أنّ كلمة «صالح المؤمنين» في المتعارف عليه بين المؤمنين هو المؤمن الواقعيّ المعاصر لرسول الله(ص)، وهو الذي يتبادر إليه الذهن عند سماع آيات كلام الوحي وهو عليّ بن أبي طالب(ع) صار لقباً خاصّاً به، وهذا لقب أثبتت له الآيات في كلام الوحي كلّه، وله وحده لايشركه به أحد لأنّ أشخاصاً آخرين من أهل بيت العصمة والطهارة قد يشاركونه في سائر آيات الولاية، أمّا آية «صالح المؤمنين» فله وحده لاتصدق إلاّ عليه، فإنّه مصداقها المتعيّن.

وهذا الكلام الذي عرضناه توّاً هو ما يخصّ الشخص الثاني من أفراد «الصالحين الممتازين» وهو العظيم الذي تعرّفنا عليه في البحث المتقدّم عن مصداق «آية الولاية» و «آية التوكيل»، وقد ثبت وجوب طاعته في «آية الإكمال» و«آية التبليغ»، وكذلك ثبتت وساطة فيضه في سورة «الإنسان» قياساً إلى سائر المقرّبين، وقد فاقهم وتقدّم عليهم.

أجل، من البديهي أنّ أمير المؤمنين عليّاً بن أبي طالب(ع) وحليلته المطهّرة لمكرّمة الصدّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء، وولداه الغاليان العزيزان، هؤلاء هم مصاديق «آية التطهير» المعروفون، والذين حضروا المباهلة مع وفد نجران، وهم الأربعة من الخمسة الطيّبة أصحاب الكساء هم بعد النبيّ(ص) الأفراد الأول في فريق «الصالحين الممتازين» الذين يلتحق بهم إبراهيم الخليل(ع) في الآخرة فيكون من رهطهم!

والآن نذهب إلى تحقيق الآيتين (١٥) و (١٦) من سورة «الأحقاف» من أجل التعرّف على بقيّة «الصالحين الممتازين» وذلك هو الفرض الأساس من بحثنا الختاميّ في الخاتمة المخصّصة لمعرفتهم، ونجد في إدراك المفهوم الواقعيّ لهم، لعلنا نعثر على بقيّة الأفراد من كوكبة «الصالحين الممتازين» إن شاء الله تعالى.

بحث الآيتين (١٥) و (١٦) سورة "الأحقاف"

وطلب المصداق الواقعي لها

قبل الدخول في بيان الآيتين المذكورتين وإيضاحهما يلزمنا ذكر موضوع هو بمثابة المقدّمة للبحث المطلوب إجراؤه.

إنّ الباري تعالى في آيات عدّة من القرآن المجيد أوصى الأولاد بالوالدين، ونحن نذكر موضعين من هذه الوصايا مثالاً على ذلك:

١ - ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾ [١].

في الآيتين أعلاه وما يشبههما من الآيات كانت الوصيّة بالوالدين واحدة دونما تقديم لأحدهما على الآخر، وأمر الله بحفظ حرمة الاثنين بالسويّه والنظر إليهما بعين واحدة.

٢ - ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ * وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ

---

(١)الإسراء ١٧: ٢٣ و ٢٤.

مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١).

نرى في الآيتين أعلاه التغيّر الذي طرأ على لحن الوصيّة، إذ بعد الوصيّة بالوالدين كليهما ابتداءاً ذكر جملتين هما: ﴿**حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ**﴾ يشعر بتعظيم حقّ الأمّ بصورة أجلى وأضبط، وما نريد هنا أن ندقّق فيه هو الإلمام بمعنى كلمة «وهن».

يقول الراغب في كتاب «المفردات» في مادّة «وهن»: «وهناً على وهن أي كلما عظم في بطنها زادها ضعفاً على ضعف» يعني أنّ ما ذكر في الآية (١٤) من سورة «لقمان» ﴿**حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ**﴾ أنّ ضعفها متّصل بقوّة الجنين وكبره، فكلما زاد فيه هذان زاد في الأمّ الضعف. وهكذا يقوى الجنين في بطنها ويضمر جسمها وتضعف قواها. لابدَّ أنْنضع هذه الكلمة في أذهاننا ولنعلم: أنّ كلمة «وهن» هي الضعف والخور والعجز الجسمانيّ، والذي يحصل للأمّهات على أثر حملهنّ واشتمالهنّ على الجنين، ومع تقدّم الجنين الجسمانيّ يزداد ضعف الأمّ وعجزها يوماً بعد يوم!

ولمّا كان ظهور الضعف والخور والعجز في أيّام الحمل، وكذلك رضاع الطفل والإشراف على تغذيته يستوي فيه الأمّهات جميعاً وجميع بني الإنسان يشكّلون حملاً باهضاً للأمّهات، وهم أجنّة في بطونهنّ أمس واليوم وغداً، ومثل ذلك يقال في أيّام الرضاع من حيث إنّ الإشراف على تغذية الأطفال على عاتق الأمّهات، وفي

(١) لقمان ٣١: ١٤ ١٥.

عهدتهنّ، فإنّ هذا كله عناء زائد عن الحدّ يلقى على الأمّهات يتجلى لنا بالضرورة أنّ الألف واللام في الإنسان المذكور في الآية (١٤) من سورة «لقمان» هي ألف ولام الجنسيستغرق النوع كله وتشمل جميع أفراد الإنسان.

بعد هذه المقدّمة المذكورة توّاً نبدأ بشرح الآيتين وإيضاحهما، وهما الآيتان (١٥) و (١٦) من سورة «الأحقاف»، والهدف من تحقيقهما ومن البحث حولهما هو العثور على «بقيّة الصالحين الممتازين»، وإليك ذلك:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾(١).

هاتان الآيتان (١٥) و (١٦) من سورة «الأحقاف» خلافاً لجميع الآيات الشريفة التي وردت فيها الوصيّة بالوالدين.

---

(١)الأحقاف ٤٦: ١٣ ـ ١٦.

(وذكرنا نحن مثالاً على ذلك الآيتين (٢٣) و (٢٤) من سورة«الإسراء»، والآيتين (١٤) و (١٥) من سورة «لقمان» في مقدّمة هذا الفصل) لكونهما عامّتين وشاملتين لكلّ إنسان، ولايستثنى من البشر واحد إلاّ وهما يشملانه.

وفي الآيتين (١٥) و (١٦) من سورة «الأحقاف» ذكر كلام الوحيصفات وامتيازات للإنسان الذي صدرت الوصيّة إليه في برّ الوالدين، ولاتشمل بالضرورة كلّ إنسان، وليس عامّة في جميع البشر.

والآن نحن نعرض الامتيازات المشار إليها مع التوضيح واحدة بعد الأخرى لنقترب من الهدف الأصليّ بعد طيّ هذه الشقة.

الامتياز الأوّل: هذا الإنسان الذي صدرت الوصيّة إليه في الآيتين المعروضتين للبحث ـ الآية (١٥) و (١٦) من سورة «الأحقاف» ـ هو إنسان عندما كان جنيناً في بطن امّه ما فتأت امّه في الغمّ والحزن تعاني منهما معاناة صعبة وحملته كرهاً، وناءت بحمله وهو جنين في بطنها.

الامتياز الثاني: وكذلك عندما وضعته ووقع على الأرض لم تزل في الغمّ والحزن، كما كانت وهو جنين﴿**حَمَلَتْهُ امُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً**﴾ظنّ بعضهم بأنّ لفظ «كره» المذكور في هذه الآية هو لفظ «وهن» عينه المذكور في آية (١٤) من سورة «لقمان»، وظنّوا أنّ ذلك للإشعار بتعظيم الأمّ. قال في الآية (١٤) من سورة «لقمان»: ﴿**حَمَلَتْهُ امُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْن**﴾ورعاية حقها، فإنّه هاهنا

أيضاً يعرض لها الضعف والعجز والتعب وانحلالها الجسمانيّ على أثر نموّ الجنين في الرحم!!

ولكن فاتهم أنّ معنى كلمة «وهن» اللغويّ يختلف عن معنى «كره» اختلافاً ظاهراً، ونوضّحه في الكلام الآتي:

نحن ذكرنا سابقاً كلام الراغب في معنى «وهناً على وهن»، وأنّه قال:«أي كلما عظم في بطنها زادها ضعفاً على ضعف».

أجل، إنّ كلمة «وهن» معناها الضعف والعجز والركود الجسمانيّ بخلاف «الكره» الذي معناه العزوف عن الشيء وعدم انسجامه مع الذوق.. كما جاء في الآية الشريفة: ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ**﴾(١)، وهنا جيئ بكلمة «كره» فيما يقابل كلمة «حبّ» فكأنّهما ضدّان، واستعملت في موارد القتال والحرب، وهو أمر لايحبّه الإنسان ولايريده ولايلائمه ويوجب غمّه وحزنه.

وعلى أيّة حال، فإنّ كلمة «كره» معناها غير المرضي وغير المقبول، والذي تنفر منه النفس وتمجّه، ولاإشكال في ذلك، وهو يلازم الغمّ والحزن والانقباض، فالكره إذن: هو عدم الارتياح النفسيّ.

---

(١)البقرة ٢: ٢١٦.

الامتياز الثالث: الإنسان الذي عنته الآيتان (١٥) و (١٦) من سورة «الأحقاف» هو إنسان لم يكمل مدّة الحمل في الرحم، بل بقي فيه ستّة أشهر، وخرج إلى الدنيا لأنّه ذكر عنه هذه الجملة ﴿**وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاَثُونَ شَهْراً**﴾، أي أنّ المدّة التي استغرق الحمل حتّى آخر يوم من أيّام الرضاع حيث يفطم الطفل لم تتجاوز الثلاثين شهراً، ولمّا كان في القرآن الكريم قد حدّدت مدّة الرضاع لكلّ مولود بدون استثناء بسنتين اثنتين (كما دلّت على ذلك الآية الشريفة: ﴿**وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ**﴾(١) والجملة ﴿**وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ**﴾ المذكورة في الآية (١٤) من سورة «لقمان» وفيها الدلالة الواضحة.

وبناءً على هذا عندما تطرح مدّة الرضاع وأمدها سنتان أي أربع وعشرون شهراً لم يبق من الثلاثين شهراً للحمل إلاّ ستّة أشهر يبقى فيها الإنسان جنيناً في بطن اُمّه، أي أنّ هذا الطفل مع أنّه لم يطو من أشهر حمله إلاّ ستّة أشهر كان فيها جنيناً مع ذلك لم يختلف عن سائر الأطفال الذين أكملوا شهور حملهم ليخرج سويّاً كامل النموّ، مقبلاً على الرضاع، شأنه شأن أبناء الرضاع.

وعلى أيّ حال، فإنّ الامتياز الثالث لهذا الإنسان المعهود أنّ مدّة حمله لم تتجاوز الستّة أشهر.

ومن الواضح أنّ الفرض الأصليّ من هذه الجملة الشريفة: ﴿**وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاَثُونَ شَهْراً**﴾ هو الإشعار بمدّة الحمل، أعني الأشهر الستّة التي

---

(١) البقرة ٢: ٢٣٣.

خلف بها الوضع الجاري لكلّ جنين، وليس الفرض الإخبار بأنّ رضاعه سنتان.

الامتياز الرابع: الإنسان الذي عنته الآية الشريفة هو إنسان، وإن كان ولد لستّة أشهر لكنّه على خلاف المواليد في هذه المدّة الذين نزلوا من بطون اُمّهاتهم بعد طيّهم ستّة أشهر لاغير فيها، فإنّ موت هؤلاء محتّم، ولكنّه بقي حيّاً في الدنيا لم تعرض له الآفات التي تعرض للسقط إلى أن بلغ سنّ الرشد، وأعظم من ذلك أنّه بلغ الأربعين، وهي مرحلة نضج العقل﴿ **حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً** ﴾! ولإيضاح الامتيازين الأخيرين نقول: من ناحية علم الأجنّة:

لا يوجد جنين يسقط لستّة أشهر قادر على التنفس وجذب الهواء ومصّ الثدي، فجنين الستّة أشهر هو إنسان لاقدرة له على الرضاع، ولن يصل أبداً إلى سنّ الرشد ولايقدر على الحياة ولاتكون حياته عادية، بل لن يكون ذلك ميسّراً له.

نعم، في هذا العصر تمكّن العلماء من وضع الجنين الناقص في الجهاز «انكوبانور»(الرحم الصناعيّ)، وفرض الرقابة عليه خارجاً عن الرحم، وقد حصل لهم بعض التوفيق في حفظه وحمايته وتمكينه من الحياة.

ولم يمض على صنع هذا الجهاز إلاّ مدّة قليلة، وكان قبل ذلك بناءً على النظريّة العلميّة لاقدرة له على مصّ الثدي للتغذية باللبن، ولايمكن أن ينمو أو يشتدّ عوده أو يكبر، وهذه الأمور متعذّرة للمواليد ذوي الأشهر الستّة.

وهذا من الناحية النظريّة العلميّة وعلم الأجنّة! يتّضح بصورة جليّة أنّ جميع الروايات التي ضبطت في جوامع العامّة الحديثيّة من أنّه في خلافة عمر وعثمان ولد مواليد لستّة أشهر، وعاشوا كما عاش المواليد الذين أتمّوا أشهر الحمل في بطون اُمّهاتهم، فكانوا أسوياء في الرضاع وغيره، وعاشوا عمراً طبيعيّاً في الدنيا حتّى بلغوا من الرشد.

هذه كلّها يكذّبها الواقع العلميّ ويردّها ردّاً صريحاً. نعم، هذه الروايات كلّها موضوعة لإخفاء الشخص القدسيّ وإبرازه بصورة الفرد العاديّ، وهو المصداق الوحيد للآية المعروضة للبحث وعرف في الصدر الأوّل بهذا الامتياز.

وإن كان بعض علماء الشيعة بحسن نيّة، وكذلك محدّثوهم (من أجل ذكر فضيلة للإمام عليّ بن أبي طالب(ع) فيها)[1] نقلوا جانباً من هذه الروايات في كتبهم، واستدلّوا بهذه الروايات الموضوعة، شأنهم شأن علماء العامّة من أنّ أدنى مدّة الحمل ستّة أشهر.. إلاّ أنّه من حسن الحظّ لم يؤثّر عن أهل البيت رواية واحدة مرويّة على هذا النمط أو مستدلاً بها إطلاقاً، وكما صرّح بذلك العلم من استحالة ولادة مولود لستّة أشهر واستحالة حياته إنْ كان ولد، فإنّ الأحاديث المأثورة عن أهل البيت(ع) ليس فيها حديث ينصّ على ولادة وليد لستّة أشهر ولم يخبر عنه أنّه مولود على هذا النمط، بل الأمر بعكس

---

(١)ومن الصدف أنّ في بعض هذه الروايات رويت واحدة من جنسها لعبدالله بن عبّاس. راجع الدرّ المنثور: ٦: ٤٠.

ذلك، فإنّ في صريح بعض الروايات (بل الروايات الموضوعة المعروضة بين أيدينا الآن) أنّ ولادة وليد لستّة أشهر بحيث يتمّ نموّه ويستلم الثدي، ويبقى على قيد الحياة، ويشتدّ عوده ويكبر غير ممكنة إلاّ في موردين.

في مورد يحيى بن زكريّا والحسين بن عليّ(ع)، وكلا الموردين حدثا على نحو خرق الطبائع والمعجزة بل الكرامة.

من جهة أخرى فمن الواضح بأنّه لو حدث موضوع على هذا النحو من الإعجاز فإنّه لايؤول إلى الصفة العادية، ولايكون عامّاً مطلقاً لكي يستنبط منه حكم شرعيّ، وإلاّ لصحّ الاستدلال بالروايات التي زعمت بأنّ عيسى بقي في بطن أمّه تسع ساعات، واستنبط منها حكم أدنى الحمل أيضاً.

الامتياز الخامس والسادس والسابع: وتستفاد هذه الامتيازات من الجملة الشريفة: ﴿**وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ**﴾ (١) حكيت عن سليمان بلا نقص أو زيادة.

وبناءً على هذا، لكي نصل إلى غور الامتيازات الثلاثة المذكورة ينبغي علينا أن نحصل على مفاد الجملة المشار إليها في الآية من سورة «النمل» ثمّ بعد ذلك نجري تطبيقاً لها على الآية المعروضة للبحث، والجملة المذكورة في الآية (١٩) من سورة «النمل» هي محكيّة قول

---

(١) النمل ٢٧: ١٩.

سليمان(ع)، وذلك لمّا وصل إلى وادي النمل وسمع حديث تلك النملة تقول لموكب زميلاتها: ﴿**ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ**﴾ وجاءت على هذا النحو:

﴿**فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ**﴾ (١).

نلاحظ جيّداً أنّ قائل الجملة المذكورة في سورة «النمل» هو سليمان(ع) الذي هو وأبوه من المعصومين وأصحاب الصراط المستقيم، وهي أجلّ نعمة إلـهيّة بشهادة كلام الوحي (٢).

وعلى هذا التقدير، تكون النعمة الخاصّة التي قصدها سليمان(ع) وطلب التوفيق لإقامة شكرها من الله تعالى تلك هي نعمة الولاية الإلـهيّة والعصمة والطهارة؛ لأنّ هذه هي النعمة التي تخمد شعلة أي ظلم وجور في الإنسان منذ نشأته الأولى بحيث يكون بمنأى عن إيصال الظلم حتّى للنملة: ﴿**فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي...**﴾

نعم، كما أنّ اليهود نسبوا إلى السيّدة مريم العذراء(ع) الظلم الشنيع، وجاء القرآن ليثبت بالقول الصريح طهارة ذيلها، وعفّتها، وشقاوة اليهود ورذ التهم ونذالتهم، كذلك لما جاء في العهد العتيق ـ السفر الثاني صموئيل الفصل ١١ ـ ١٢ تلويث صفحة أمّ سليمان وأبيه

---

(١) النمل ٢٧: ١٩.

(٢) سورة النساء (١٦٣) إلى (١٦٥). سورة الأنعام (٨٤) و (٨٥)، وغيرها.

داود، وألصقوا بهذين الفاضلين الطاهرين تهمة الزنا بالمحصّنة يرى كلام الوحي في قبال ذلك أنْ يعلن طهارة ذيل والد سليمان ووالدته ويبرّئهما من هذه التهمة.

ليس هذا فحسب، بل يعلن تحليهما بنفحة الطهارة والعصمة الذاتيّة، وأنّ لهما بذلك القدح المعلى، والسهم الأوفر (بالطبع مع حفظ التفاوت بين المقامين، وبين مَن يتحلى بهما، فليسوا جميعاً سواءاً في الرتبة والشأن).

وعلى أيّة حال، بما أنّ الجملة الشريفة: ﴿**وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ**﴾محكيّ دعاء سليمان(ع) الذي كان نفسه من المعصومين، وأبوه وأمّه يتّصفان بطهارة الذيل، ونرى نفس الدعاء قد ورد بلا تغيير وبلا نقص أو زيادة في الآية التي عرضناها للبحث، ونجد القائل لنفس الدعاء أيضاً معصوماً بنفسه، وكذلك أبوه وأمّه من المعصومين.

وبعبارة أخرى: بعلاقة التفسير الموجودة بين كلّ آية وآية بالنسبة إلى بعضهما البعض يتّضح لنا أنّ الإنسان المعهود الذي عنته الآيتان (١٥) و(١٦) من سورة «الأحقاف»:

أوّلاً: هو نفسه من المعصومين والمخلصين ـ بصيغة اسم المفعول ـ (الامتياز الخامس).

ثانياً: وأبوه أيضاً من المعصومين المخلصين (الامتياز السادس).

ثالثاً: أمّه أيضاً من المعصومين (الامتياز السابع).

وبالطبع سوف نثبت في بيان الامتياز الثامن والتاسع أنّ رتبة طهارة وعصمة هذا الإنسان المعهود، وكذلك طهارة أمّه وأبيه وعصمتهما أعلى بمراتب من طهارة سليمان وأمّه وأبيه وعصمتهم، وأجلّ منزلة وأعلى درجة.

الامتياز الثامن والتاسع: كما لاحظتم في الآية (١٩) من سورة «النمل» أنّ سليمان بعد تلقظه بالدعاء المذكور في الجملتين: ﴿**رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ**﴾يدعو دعاء آخر ويطلب من الله طلباً أعلى فيقول: ﴿**وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ**﴾، ومعنى ذلك ـ والله أعلم: إلـهي، وحاجتي الأخرى هي طلب أسمى من سدتك العليّة بأن تعطيني برحمتك وتجعلني في هذه الرحمة من عبادك الصالحين، ويعلم من هذا السياق أنّ نبي الله سليمان(ع) عندما يجري الدعاء على لسانه في الجملتين الواقعتين في أول الآية يصاب بالمحو بالنسبة إلى الدعاء الآخر (وهو طلب الدخول في الصالحين) فيرى نفسه غير داخل في زمرتهم.

ولكنّ الإنسان المعهود والمنظور إليه في الآيتين (١٥) و (١٦) من سورة «الأحقاف» بعد أن دعا بنفس الدعاء: ﴿**رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي...**﴾يطلب في الدعاء الآخر الطلب التالي: ﴿**وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي**﴾أي إلـهي، أنعم عليَّ نعمة أخرى خاصّة بأن تجعل الصلاح في أولادي وذريّتي!

أجل، هذا الإنسان فمن المحتوم أنْ كونه من الصالحين بحيث يطلب المقام نفسه لأولاده وذرّيّته، وإلاّ لو لم يكن منهم ولم ينل ذلك المقام الرفيع، ولم يؤت التمكّن منه، ولم تكن من مصاديقه لما كان يطلبه لبعض ذرّيّته.

وليس هذا المقام من طبيعة المقامات الدنيويّة والاعتباريّة حتّى يطلبه أحد لغيره لمحض سماع مفهومه، وإن لم يكن نفسه داخلاً في هذا الاعتبار وهذا الخيال، هذا مقام عينيّ ومقام واقعيّ وما لم يكن الشخص من مصاديقه لايمكنه إدراكه، ناهيك بطلبه لأولاده (كما جرى ذلك لإبراهيم(ع) بعد وصوله إلى مقام الإمامة، وصيرورته من مصاديقه تمكّن من طلبه لبعض أولاده من ربّه) ﴿**وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي...**﴾ (١).

وبناءً على هذا يكون مقام هذا «الإنسان» المعهود أسمى وأفضل من مقام سليمان(ع)، وعلى هذا الأساس تكون نعمة الولاية والعصمة والطهارة الذاتيّة المحبوّ بها هو وأبوه وأمّه بالضرورة أفضل وأعلى من نعمة الولاية والعصمة والطهارة التي حبى بها سليمان(ع) وأبوه وأمّه..

فالطهارة التي أقرّتها «آية التطهير» وأوضحتها، وكذلك العصمة!!

(١) البقرة ٢: ١٢٤.

من جهة أخرى لمّا عدّ سليمان(ع) نفسه من الصالحين أنفسهم بتصريح الآيتين الشريفتين: ﴿**وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحاً هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ**﴾(١).

إذن بالرجوع إلى الآية (١٩) من سورة «النمل» المرتبطة بنبيّ الله سليمان(ع)فنقول:

أنَّ السؤال الملح في هذا المقام من: أنّ سليمان(ع) نفسه من الصالحين بتصريح الآيتين أعلاه وهو لماذا تمنّى الرتبة الأدنى طبقاً لما قصّته الآية (١٩) من سورة «النمل»، وبسط وجهه إلى الله داعياً: ﴿**وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ**﴾؟!

نعم، إنّ التعبير «هو مع الصالحين» أو «هو في الصالحين» و «هو من الصالحين» ثلاثة تعابير مختلفة وتعود إلى مراحل ثلاث مختلفة أيضاً، يعني عندما تنازع الإنسان نفسه أن يبلغ ما يتمناه من مقامٍ من المقامات المعنويّة يلزمه ابتداءاً أن يلحق بأصحاب ذلك المقام، وينتظم في سلك رفقائهم ثمّ يدخل في زمرتهم، ثمّ يتحوّل إلى كائن منهم، وعند ذلك يتمكّن من ذلك المقام لذلك جاء التعبير في المرحلة الأولى بكلمة «مع»، وفي المرحلة الثانية بكلمة «في»، وفي المرحلة الثالثة بكلمة «من»، وممّا لايخفى أنّ هذه المراحل الثلاث تكون المرحلة الثالثة أتمّ كمالاً من الثانية، وهي أتمّ كمالاً من الأولى،

---

(١)الأنعام ٦: ٨٤ و ٨٥.

وبناءً على هذا ينبغي أن يوضع السؤال على النحو التالي:

إنّ سليمان الذي هو طبقاً للآيتين (٨٤) و (٨٥) من سورة «الأنعام» نفسه من «الصالحين» وظاهر حاله أنّه من أهل المرحلة الثالثة، فما باله تمنّى المرحلة الأولى بعد دعائه: ﴿**رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ**... ﴾ الوارد في الآية (١٩) من سورة «النمل» بأن يدخل في عِداد الصالحين، وقال: ﴿**وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ**﴾؟

والجواب على هذا السؤال هو نفسه الجواب الذي بيّنّاه حول دعاء يوسف(ع)ودعاء إبراهيم(ع)، وخلاصتهُ هكذا:

كما بيّنّا في ابتداء الفصل الأوّل «من الخاتمة» وجرى التذكر حول ذلك، وهو أنّه لمّا كان كلّ مقام من المقامات المعنويّة للإنسان نفسه له درجات ورتب، فإذا ما أراد صاحب الرتبة الأدنى في هذا المقام أن يرتقي إلى الرتبة الأعلى في المقام نفسه فعليه أن يلتحق أوّلاً بأصحاب الرتبة الأعلى ثمّ يتحوّل إلى أن يكون من زمرتهم، ويظلّ هكذا حتّى يستحيل إلى كائن منهم تماماً.

وعلى هذا الحساب، مهما كان سليمان(ع) ـ طبقاً للآيتين (٨٤) و (٨٥) من سورة «الأنعام» ـ من الصالحين أنفسهم، إلاّ أنّه وكما وردت به الجملة: ﴿**وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ**﴾ المذكورة في الآية (١٩) سورة «النمل» تمنّى الدخول في زمرة «الصالحين ذوي الرتب الأعلى من رتبته» ولمّا كان الدعاء مستجاباً فقد دخل في هذه الزمرة حتماً.

والضرورة قاضية بأنّ الصالحين هؤلاء الذين تمنّى سليمان(ع) أن يكون من زمرتهم مع كونه منهم هم أنفسهم «الصالحون الممتازون»، والذين تمنّى نبيّ الله يوسف(ع) -مع أنّه نفسه من الصالحين- أن يلحق بهم بعد الحياة، وكذلك نبيّ الله إبراهيم(ع) مع كونه نفسه من الصالحين تمنّى الالحاق بهم في دار الدنيا وقبل وفاته (وكما ألمعنا قبلاً أن إبراهيم وحده من أوّل القرآن إلى آخره جرى له الوعد دون إخوانه من الأنبياء في ثلاثة مواضع من القرآن المجيد أن يحسب من الصالحين الممتازين في الآخرة فلا بدّ من أن يكون قد طوى مراحل الالحاق العالية التي هي عبارة عن الدخول في زمرة الصالحين الممتازين وغير ذلك. فيكون حينئذ قد دخل في رهط الصالحين الممتازين قبل مصيره إلى الآخرة.

وعلى كلّ حال، فإنّ نتيجة البحث تكون هكذا: لمّا حصل العلم لنا بأنّ سليمان(ع) طبقاً للآيتين (٨٤) و (٨٥) من سورة «الأنعام» نفسه «من الصالحين» لمّا قال: ﴿**رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ**...﴾لم يكن من أصحاب رتبة «الصالحين الممتازين» ليس هذا فحسب، بل لم يرتفع إلى درجة الدخول في زمرتهم (لأنّه دعا بعد ذلك وقال: ﴿**وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ**﴾)يثبت من خلال هذا أنّ ذلك «الانسان المعهود»والذي عنته الآية (١٥) و (١٦) من سورة «الأحقاف» قارن قوله: ﴿**رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ**...﴾كونه من «الصالحين الممتازين»، وقد ثبت واستقرّ في هذا المقام بحيث طلب هذا المقام نفسه لأولاده وذرّيّته، فقال: ﴿**وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي**﴾!

وبناءً على هذا يتّضح:

أوّلاً: إنّ «الإنسان» المعهود نفسه كان في الدنيا من «الصالحين الممتازين»(الامتياز الثامن).

ثانياً: إنّ بعض أولاده فحسب الذين هم في الدنيا من بعده يكونون من «الصالحين الممتازين» وسلسلة «الصالحين الممتازين» تكون من نسله إلى آخر الشوط (الامتياز التاسع).

الامتياز العاشر: عاشر الامتيازات لـ«الإنسان المعهود» والذي عنته الآية (١٥) و (١٦) من سورة «الأحقاف» الذي يستفاد من آخر الجملة الشريفة: ﴿**إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾..

إيضاح ذلك: الجملة الشريفة:﴿**إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾لها جانب تعليليّ، ومن الواضح أنّ الجملة المذكورة نسبتها إلى فقرة الدعاء في موارده الثلاث أنّها جاءت تعليلاً للدعاء الثالث: ﴿**وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي**﴾.

لأنّ الدعاء الأوّل والثاني وهما عبارة عن:﴿**وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ**﴾وفي الآية (١٩) من سورة «النمل» جاء أيضاً على لسان سليمان بن داود(ع) من دون أن يعلّل أو يذكر له سبب من الأسباب، بل الأعظم من ذلك أننا لاحظنا بأنّ الدعاء الثالث لسليمان(ع)هو طلب الدخول في زمرة «الصالحين الممتازين» بينما الإنسان المعهود نفسه هو من الصالحين الممتازين أنفسهم.

وبناءً على هذا تكون الجملة﴿**إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾هو قول امرئ أنّه نفسه من الصالحين الممتازين، وجعل الحالة المختصّة به كأنّها تعليل للطلب الثالث ـ أي قوله: ﴿**وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي**﴾ـ ولمّا كانت الجملة المذكورة تعليلاً للطلب الثالث والدعاء الثالث كليهما، فإنّه يعلم من ذلك أنّ هذا الصالح الممتاز له خصوصيّة ربّما لاتتحقق في صالح آخر غيره، وبما كان الصالحون الممتازون في المستقبل هم من نسله؛ لأنّ لفظ) **لِي** (وضعت للاختصاص ولايكون للاختصاص معنىً إلاّ أن يكون معه غيره في موضوعه، وإلاّ إذا لم يكن غيره معه وكانت النعمة مختصّة به شاء أو أبى، فلا يكون لقول﴿**لِي**﴾الذي معناها «لالغيري» معنى يذكر، لنفرض أنّ بين الخمسة الطيّبة مثل رسول الله(ص) وعليّ بن أبي طالب وفاطمة الزهراء(ع) ما من ضرورة تستدعي استعمال لفظ﴿**لِي**﴾لأنّه لايوجد شخص في حضرتهم مؤهّل لأن يخرج من صلبه «الصالحين الممتازين» في المستقبل، ولكن يجد بين الإمامين الحسن والحسين(ع) هذه الأهليّة المشتركة، ولذلك صحّ استعمال قيد﴿**لِي**﴾لأحدهما، ثمّ إنّ استبدال﴿**وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي**﴾بـ «وأصلح في ذرّيّتي» ينبغي أن يكون فيه مثل هذا السرّ.

وعلى أيّة حال، لمّا ذكر الله تعالى دعاء هذا الإنسان المعهود ومعه تعليله، ثمّ أثنى عليه في الآية التالية، وأثنى على ذرّيّته (كما سوف يأتي في الامتيازين الحادي عشر والثاني عشر) علم من ذلك بأنّ الدعاء دعاء مستجاب، وأنّ الله تعالى بواسطة هذه الخصوصيّة جعل الصالحين الممتازين القادمين في ظهر الغيب من نسله.

أجل، في القرآن بأجمعه ومن ألفه إلى يائه جعلت الجملة الشريفة: ﴿**إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾بشكلها المختصّ بها لهذا الإنسان المذكور في الآية المعروضة للبحث، فحسب ولم يرد وصف كهذا لأيّ واحد من الأنبياء والمرسلين وأصحاب الصراط المستقيم!

خلاصة هذا المطلب: الامتياز العاشر لهذا الإنسان المعهود لمّا كان مع صالح آخر من طرازه، وهو يعتبر بمثابة التوأم له، ومن الممكن أن يكون الصالحون الممتازون في المستقبل منتسل هذا الممتاز أيضاً، لذلك كان هذا الإنسان المعهود ذا خصوصيّة مختصّة به دون غيره، حيث تمّ التعبير عنها بقوله تعالى: ﴿**إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾ هذه الخصوصيّة نفسها هي التي استوجبت أن يكون الصالحون الممتازون من نسله وحده ومن أولاده دون من عداه، وسوف نطّلع فيما يأتي على الخصوصيّة في بحث الروايات ذات الصلة بالموضوع.

الامتياز الحادي عشر والثاني عشر: وامتيازان آخران لهذا «الإنسان المعهود» هما الواردان في الآية (١٦) من سورة «الأحقاف» ويَصفه الله تعالى مع إخوانه «الصالحين الممتازين» الوصف التالي: ﴿**أُولَـئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ**﴾، ومن أجل إيضاح هذين الامتيازين لابدّ من بذل عناية أكبر، وجهد أكثر حتّى نصل إلى تحقيقهما بترتيب مقبول.

١ ـ كلمة «تقبّل» في إفادة معناها الخاصّ بها طالما كانت أبلغ وألطف من كلمة «قبول»«القبول»: الأخذ وهو دالّ على الرضا والسرور عند القائل، وبناءً عليه فإنّه يستوجب جزاء الفاعل وحباءه بالمكافئات الحسنة، إلاّ أنّ «تقبل» ينطوي على معنىً أعمق؛ لأنّه القبول نفسه من أعماق النفس والقلب، ولو أردنا التمثيل لهذا المطلب فإنّه يكون على هذا النحو: مثلاً لو عهدت بقضاء أمره إلى شخصين أحدهما خادمك، والآخر صديقك، فقضياه وامتثلا أمرك، الخادم باعتباره مستخدماً عندك، والصديق قضاه بمقتضيات الصداقة والمحبّة والألفة التي بينكما، فإنّك عندئذ تقبل عمل الخادم وتكافئه على أحسن وجه، ولكنّك تتقبّله من صديقك والخادم خائف من جهة أن لايكون تخلّف عن أمرك، ولم يرع شروط الأداء.

ومن جهة أخرى قد شبحت عينه على المكافئة والجزاء، والصديق وإن كان خائفاً من عدم أداء العمل، ولكنّه خائف أيضاً أن يكون أدخل على قلبك الأذى، وأن تكون قد تألمت منه (ويا له من شعور موحش) الصديق ليس له غرض بالأجر والمكافئة، ولم تعلق عينه به، ولاهو أدّى العمل على هذا الأمر، وأمله من نمط خوفه، أن أمّله أن يوطّد أواصر محبّته بقلبك أكثر، وأن يحلّ من قلبك بالمحلّ المكين، ويأتي منه إلى مكان أمين يعني أنه في الواقع يحوم حول قلبك بأمله، وأن يحتلّه بعمله، وإن كنت مزمعاً على أن تعطيه المكافأة والأجر المقدّرين لخادمك دون أن تنقصه عنه منهما مثقال ذرّة خلا أنّ عمل الصديق تقبّلته وجعلته مختصّاً بك، وهذا هو معنى التقبّل وتقدّمه على القبول﴿أولـئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا

عَمِلُوا...﴾[(١)].

ومن الحظ السعيد أن يكون قبول أعمال أصحابه (الذين هم الصالحون الممتازون) من أول القرآن إلى آخره ورد في هذه الآية وحدها بهذا اللفظ نفسه «نتقبل» وأفاد المعنى الذي سلف بيانه.

٢- لعلّ الظانّ يظنّ أنّ الجملة ﴿**وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ**﴾ المذكورة في الآية المعروضة للبحث تبيّن نفس المعنى الذي تبيّنه الجملة ﴿**لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ**﴾ المذكورة في الآية: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[(٢)].

فإنّ ظنّاً كهذا لايصحّ إطلاقاً لأنّ «التكفير» إنّما يقال في موضع يوجد فيه شيء ما ويريدون ستره وإخفاءه، ولكنّ «التجاوز» هو ترك الشيء والابتعاد عنه، والانعتاق من حدوده. يقول الراغب في كتاب «المفردات» في مادّة «كفر»: «والكفّارة ما يغطّي الإثم.. والتكفير ستره وتغطيته حتّى يصير بمنزلة ما لم يعلم».

ويقول في الكتاب نفسه في مادّة «جوز»: «قال الله تعالى: ﴿**فَلَمَّا جَاوَزَهُ**﴾[(٣)]، أي تجاوز جوزه. قال: ﴿**وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ**﴾ وجوز الطريق: وسطه..».

---

(١) الأحقاف ٤٦: ١٦.
(٢) العنكبوت ٢٩: ٧.
(٣) البقرة ٢: ٢٤٩.

ولملاحظة المعنى أنّه مغادرة وسط الشيء والانعتاق من حدوده يعتبر تجاوزاً له «أي تجاوز جوزه» أي كأنّه لمن غادر وسطه وتخطى حدوده وخلفه وراءه ظهريّاً غير موجود أصلاً، ولامفهوم له فعلاً.

وخلاصة المطلب: ﴿وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ﴾يعني: نترك ذنوبهم بحيث لانراها موجودة، وهذا بخلاف قوله: ﴿لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ووضعنا عليها غطاءاً وسترناها عن أعين المشاهدين حتّى لايراها ولايطّلع عليها أحد.

ومن السعادة بمكان أنّه كما قلنا حول لفظ «نتقبّل» من وجوده في القرآن كلّه من أوّله إلى آخره في آية واحدة هي الآية التي دار البحث حولها لاغير، فقد عبّر تعالى عن قبول أعمال أصحابها وهم الصالحون الممتازون بلفظ «تقبّل» وفي مواضع أخرى من القرآن الكريم جرى الحديث عن الجزاء والمكافئة لأعمال أصحابها وليس بلفظ «تقبّل» فقد اختصّها لنفسه.

وكذلك نقول هنا أنّه في القرآن كلّه لم ترد جملة﴿وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ﴾في شكلها الخاصّ به بحيث أسند الفعل إلى نفسه إلا لذلك الإنسان المعهود وأبيه وأمّه وأخيه والصالحين من بنيه الممتازين.

وفي كلّ موضع جاء القول بمعناه بلفظ:«تكفير السيّئات» ونظير ذلك، وليس التجاوز والانعتاق عن حدود الذنب وإبعاده عن دائرة صاحبه.

٣ ـ من البديهيّ لمّا لم يكن للسيّئة مفهوم أصلاً لفئة مقرّبة من عباد الله، وهم «الصالحون الممتازون» فإنّه بالضرورة يكون المتقبّل لأعمالهم هو الله سبحانه، ويختصّ بها بنفسه، وفي ظرف كهذا تكتسب أعمالهم صورة ﴿ **أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا** ﴾ لأنّ أعمالهم فيها الحسن والأحسن.

والجدير بالذكر أنّ قولنا ليس للصالحين الممتازين سيّئة، بل ليس لها مفهوم بينهم لايلازمه القول بأنّ غير الصالحين الممتازين الآخرين أصحاب الصراط السويّ هم أصحاب آثام وذنوب.

كلا(١) بل معناه أنّ تلك الفئة من «الصالحين الممتازين» لما بلغت بقطع مراحل القرب من الله وبالتنقل في رقيّ درجات العبوديّة للحقّ إلى آخر درجة ممكنة، وأنّ الله تعالى تقبّل أعمالهم جميعاً، ونسب تقبّلها إلى نفسه يكون سائر أصحاب الصراط المستقيم من النبيّين والمرسلين والصدّيقين وغيرهم قهراً في درجات أدنى من درجاتهم، ورتب منخفضة عن رتبهم، وهذا التأخّر بالضرورة كان من أجل النقص الذي لحقهم من عدم بلوغهم المقام الرفيع لـ«الصالحين الممتازين(ع)»، وإلاّ فمن المحال أن يجعلهم الله في

---

(١)لمّا كانت العصمة عن الذنب لازم لا يفارق أصحاب الصراط المستقيم (كما دلت على ذلك الآيات: ﴿ **فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ** ﴾ ـ ص ٣٨: ٨٢ و ٨٣ ـ ﴿ **قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ** ﴾ ـ الأعراف ٧: ١٦ و ١٧ ـ وحينئذ أيّة سيئة أو معصية يتصوّر صدورها منهم ؟!.

الرتبة الأدنى من غير نقص عندهم بالنسبة إلى مقام الصالحين الممتازين.

٤ ـإنّ الشروح والإيضاحات التي جرت للأعداد الثلاثة المتقدّمة يتجلى لنا أنّ قيد﴿**فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ**﴾الوارد في الآية المعروضة للبحث هو قيد للفعلين «نتقبّل» و «نتجاوز»، والآية الشريفة تعرض لهذا المعنى، وهو «أنّ بين أهل الجنّة كلهم الله تعالى تقبّل أعمال الصالحين الممتازين، وتجاوز عن سيّئاتهم» أي أبعدها عنهم، ونبذها بأقصى ما يكون النبذ.

وفي الواقع أنّ مفاد الآية المعروضة للبحث هو عين مفاد «آية التطهير»، «آية الولاية»، «آية التوكيل»، وسائر آيات الولاية التي تمّ بحثها فيما مضى من الكتاب، يعني كما أنّ تلك الآيات تتضمّن كلّ آية منها خصوصيّة تختصّ بمحمّد وآل محمّد(ع) من بين جميع أصحاب الصراط المستقيم، فإنّ هذه الآية المعروضة للبحث تختصّ بخصوصيّة التقبّل لأعمالهم جميعاً، وليس لهم مفهوم السيّئة، وهي من امتيازاتهم الخاصّة.

النتيجة المأخوذة من النكات التي احتواها هذا البحث:

«الإنسان» المذكور في الآيتين (١٥) و (١٦) من سورة «الأحقاف» والذي عهد إليه الاهتمام بوالديه يمتلك امتيازات عشرة مختصّة به:

١ ـ عندما كان جنيناً ما فتئت اُمّه تعاني من الغمّ والكآبة وقضت أشهر الحمل على هذه الوتيرة من الألم والغمّ والحزن.

٢ ـ وعندما وضعته اُمّه على الأرض وفرغ رحمها منه ما زالت في نفس الظروف التي صاحبتها في الحمل كلّه من الهمّ والحزن والألم والكآبة.

٣ ـ «الإنسان» هذا المشار إليه لم يبق في بطن اُمّه أكثر من ستّة أشهر وبعدها ولدته اُمّه خلا أنّ نقصان أشهر الحمل لم تؤثّر على نموّه، فكان تامّاً حين الولادة كأبناء الأشهر التسعة، وكان يرتضع كأحسن ما يكون الارتضاع.

٤ ـ «الإنسان المعهود» هو إنسان مع كونه لم يمكث في الحمل أكثر من ستّة أشهر، إلاّ أنّه على خلاف نظرائه ممّن ولدوا في هذه المدّة، وكان موتهم محتّماً فقدعاش سويّاً معافى، وامتدّ به العمر حتّى بلغ سنّ الرشد، وأدرك الأربعين وهي سنّ نضوج العقل؟!

٥ ـ «الإنسان» المشار إليه نفسه من المعصومين والمخلصين

(بصيغة اسم المفعول).

٦ ـ أبوه أيضاً من المعصومين والمخلصين.

٧ ـ وأمّه أيضاً من المعصومين المخلصين.

٨ ـ «الإنسان» المعهود هذا هو نفسه في الدنيا من «الصالحين الممتازين».

٩ ـ يكون بعض أولاده وذرّيّته من بعده في الدنيا من «الصالحين الممتازين» وسلسلة «الصالحين الممتازين» تكون من نسله.

١٠ ـ «الإنسان» المشار إليه بالنسبة إلى الصالح الممتاز الآخر الذي هو قرينة، ويجري معه جريان التوأم يتمتّع بخصوصيّة مختصّة به، وبموجبها جعل الله «الصالحين الممتازين» القادمين من بعده من نسله وحده لا من نسل قرينه.

هذه هي الامتيازات العشرة لـ «الإنسان المعهود» والذي كان مقصوداً للآية (١٥) من سورة «الأحقاف»، وكما لاحظنا من أنّ هذه الامتيازات المذكورة لا تصدق بحقّ كلّ إنسان.

وبناءً على هذا تكون أداة التعريف بـ «ال» قطعاً الداخلة على الإنسان المذكور في الآية المعروضة للبحث ليست للجنس، بل هي «ألف ولام» عهديّة، وتختصّ بإنسان معيّن أو أشخاص معهودين، فمَن هذا الإنسان المعيّن؟ ومَن هم هؤلاء الأشخاص المعهودين..؟!

طبقاً لما تقدّم من البحوث التي تقدّمت في إيضاح الامتيازات

المذكورة، يلزم أن يكون هذا الشخص أو الأشخاص من «الصالحين الممتازين»، ولمّا كانت هذه الصفة لاتصلح في الانطباق إلاّ على محمّد وآل محمّد (كما مرّ إثباته سابقاً) فإذن يلزم أن يكون هذا الشخص أو الأشخاص بصفة قاطعة من أهل بيت العصمة والطهارة.

ولمّا كانت هذه الامتيازات لايصلح انطباقها من أهل البيت إلاّ على واحد منهم، هو الحسين بن عليّ(ع)، فإنّه معدن لانطباق هذه الامتيازات عليه بالقطع واليقين، فتكون النتيجة ـ بناءً على هذه المقدّمات المحبوكة ـ أنّ الإنسان الذي ذكرته الآية وصار محطّ الأنظار حصراً هو الحسين بن عليّ بن أبي طالب(ع)!

أجل، إنّ روايات الشيعة جزمت بذلك، وهو أنّ المقصود من الآية الشريفة: ﴿**وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْراً حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾(١) هو الحسين بن عليّ(ع)، وعمدة الروايات المتّصلة بالموضوع هي الموجودة في تفسير «البرهان»(٢) و تفسير «نور الثقلين».

ونذكر هنا فهرسةً في مضمون الروايات التي رويت على شكل سطحيّ بسيط وبدائي، وهي كالتالي:

---

(١)الأحقاف ٤٦: ١٥.

(٢)تفسير البرهان: ٤: ١٧٢ ـ ١٧٥. تفسير نور الثقلين: ٥: ١١ ـ ١٥، فراجع.

١ ـ هبط جبرئيل على رسول الله(ص) وأخبره عن حمل فاطمة بالحسين، وبشّره بذلك، ثمّ تابع جبرئيل، ولكنّ اُمّتك سوف تقتله، فصعب على رسول الله(ص) تحمّل أمر كهذا، فقال له جبرئيل: انّ الله عوّضه عن الشهادة بأن جعل في ذرّيّته الوصاية والإمامة والولاية إلى الأبد، فطابت نفسه، وحمل البشارة عينها إلى ابنته فاطمة(ع)، وأخبرها بشهادته، وكانت الزهراء(ع) غير مسرورة بوليد كهذا الوليد، ولكن بعد أن أخبرها رسول الله(ص) بأنّ الله تعالى جعل عوضاً عن شهادته في ذرّيّته الوصاية والإمامة والولاية، رضيت بذلك، وطابت نفسها أيضاً.

وجاء في بعض الروايات: أنّ جبرئيل حين أخبرها بذلك تخطّت أيّام حمله بالكره والغمّ، ووضعته أيضاً بالكره والغمّ!

وفي بعضها الآخر: لم ترَ في الدنيا اُمّ تلد غلاماً تكرهه، ولكنّها كرهته لمّا علمت أنّه سيُقتل، وحزنت عند ولادته، وأوجبت لها الهمّ والانقباض.

وجاء في بعض الروايات: قال: حمل الحسين ستّة أشهر، وأرضع سنتين، ثمّ استدلّ بالآية: ﴿**وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاَثُونَ شَهْراً**﴾ بعيسى بن مريم(ع)، ولكنّ في بعضها الآخر جرى تشبيهه بحيى بن زكريّا(ع).

ولمّا جاءت الروايات من طرق الفريقين أنّ مدّة حمل عيسى في بطن اُمّه كان تسع ساعات، والظاهر أنّهم استندوا إلى الآيتين الشريفتين: ﴿**فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِيّاً * فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى**

جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْياً مَنْسِيّاً﴾(١)، فقد جعلت الآية وضع الحمل متصلاً بالحمل - ولانت بالفرار من حيائها إلى مكان قصيّ في الصحراء - فقد اعتبرت الروايات هذه المدّة القصيرة بين الحمل والوضع ستّة أشهر، واستندت بذلك على تعبير الوحي﴿**فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ**﴾فيكون التشبيه المطابق بين الحسين(ع) ويحيى بن زكريّا(ع)؛ لأنّ حمل كليهما دام ستّة أشهر فحسب.

ومن الاتّفاقات الحسنة أنّ كلمة «يحيى» وهي فعل مضارع من «حيى» دليل على ما قلناه، لأنّه لمّا كانت النظرة العلميّة وواقع علم الأجنّة يشير إلى عدم وجود جنين يولد لستّة أشهر ثمّ هو قادر على الحياة، وعلى الاستمرار في الوجود، ويتمكّن من الرضاع كالمواليد الأوصياء، وينفي وجود وليد من هذا النمط نفياً قاطعاً، فإنّ ولادة يحيى بن زكريّا والحسين بن عليّ(ع) ولم يكملا أشهر الحمل على نحو المعجزة وخرق الطبيعة، واختار له الله تعالى اسم «يحيى» أي الوليد الذي ولد لستّة أشهر وبقي على قيد الحياة، وعاش عيشة المواليد الأسوياء، واستمرّ يحيى كسائر الناس وبشّر والده زكريّا بالبشارة التالية: ﴿**يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيّاً**﴾(٢).

نعم، إنّ يحيى لم يسمّ باسمه أحدٌ من قبله، ولم يسمع بوليد من قبله كانت فترة الحمل فيه ستّة أشهر، ولكنّه ولد على نحو طبيعيّ

---

(١)مريم ١٩: ٢٢ و ٢٣.
(٢)مريم ١٩: ٧.

وعاش على نحو طبيعيّ أيضاً.

ومن الواضح أنّ لفظ «سميّ» وعدم التسمية باسمه ليس المقصود به الاسم اللغويّ واللفظيّ، لأنّ الاسم اللفظيّ واللغويّ له جانب عقوديّ واعتباريّ، وسواء كان له سميّ أو لم يكن له ذلك لاتأثير له في تعيّن وجوده حتّى يكون في لغة الوحي من امتيازات وجود الشخص المقصود.

ومن الثابت المقطوع به أنّ عدم وجود سميّ له إشارة إلى تلك الحقيقة الخارقة للعادة، وهي مدّة الحمل به المحدود بالأشهر الستّة، بحيث لم يترك أثراً على حياته وليداً ولاطفلاً أو يافعاً وهكذا، بل عاش على مقتضى طبائع الإنسان، إلاّ أنّ له نظيراً، بل قل سميّاً، وهو ذلك «الإنسان»الذي عنته الآية (١٥) و (١٦) من سورة «الأحقاف»، وهو الحسين بن عليّ(ع).

وجاء في بعض الروايات: لو أنّ الإمام الحسين(ع) قال: وأصلح لي ذرّيّتي ولم يأت بلفظ في دعائه لكان أولاده كلّهم أجمعون من الصالحين، أي أنّهم جميعاً بدون استثناء يبلغون مقام «الصلاح الذاتيّ»، ولابدّ من الإشارة إلى أنّ دعاء شخص مخلص (بصيغة اسم المفعول) هو عين إرادة الله، وإرادته هي عين دعائه، لاانفكاك لهما، ولايصحّ وجود هذا الانفكاك، وإلاّ فإنّ لازم التفكيك أن لايكون صاحب الدعاء مخلصاً.

والشاهد على ذلك الآية الشريفة: ﴿**وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الكَافِرِينَ دَيَّاراً * إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلاَ يَلِدُوا**

إلاَّ فاجِراً كَفّاراً﴾(١) التي اعتبرت دعاء نوح هو الوحي عينه النازل من الله في الآية الشريفة: **﴿وَأوحِيَ إلى نُوح أنّهُ لن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إلاَّ مَن قَدْ آمَنَ فَلا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾**(٢)، وقد أخبرت عنه هذه الآية.

وبناءً على هذا، فإنّ دعاء الحسين(ع) الذي تحدّد بشكله وحدوده الخاصّة هو إرادة الحقّ (جلّ جلاله) عينها، وأنّ إرادة الله منذ الأزل هي دعاء الإمام الحسين(ع)عينه.

وعلى أيّ حال، فإنّ الإمام الحسين(ع) وحده هو الذي يمكن تطبيق الامتيازات عليه بأجمعها، لأنّه وحده الذي تحمّلت أمّه الحزن والغمّ أيّام حمله مع علمها بأنّ جنينها ولد، ولكنّها ناءت بحمله بالأحزان والأكدار، وكانت مغمومة ممّا يجري عليه في مستقبل أيّامه، وأيضاً تكون أمّه الأولى في النساء من نوعها مع علمها بأنّ وليدها ذكر حائز على صفات الجمال والكمال، حزينة مهمومة عند ولادته، وهو الوحيد الذي اضطرب في رحم أمّ كهذه الأم، ثمّ ولدته لستّة أشهر ولم يتمّ أشهر الحمل وهو شبيه يحيى(ع) الذي ولد لستّة أشهر وعاش سويّاً لم ينقصه في الحياة شيء، وأتمّ فترة الرضاع كسائر المواليد الأسوياء، ثمّ بلغ سنّ الرشد وكمال العقل وهو سنّ الأربعين، وكذلك يعتبر الإمام الحسين(ع) هو معصوم وأبوه وأمّه من المعصومين، وأصحاب الصراط المستقيم، وهو في الدنيا من

---

(١)نوح ٧١: ٢٦ و ٢٧.
(٢)هود ١١: ٣٦.

الصالحين الممتازين، ثمّ إنّ الصالحين الممتازين القادمين مع الأيّام هم من نسله، واستقرّت رتبة الإمامة في الطاهرين من ذرّيّته، ثمّ إنّ الإمام الحسين(ع) من بين «الصالحين الممتازين» يتمتّع بخصوصيّة مختصّة به ذلك هو موضوع شهادته بحيث أدّت إلى جعل الإمامة في نفسه من الله تعالى جزاءاً لصبره على الابتلاء، ورضاه بالمحنة، وأيضاً أنّ الإمام الحسين والأئمّة من نسله وسائر الصالحين الممتازين أي محمّد وآل محمّد كلّهم من أهل الجنّة حبوا من الله تعالى بتقبّل جميع أعمالهم، وبعدم وجود السيّئة في حياتهم.

نعم، هذا وإن كانت بعض الامتيازات المذكورة يشاركه غيره بها نظير حمله بستّة أشهر الذي شاركه فيه يحيى بن زكريّا حيث ولد على هذا النحو وعاش عيشة طبيعيّة، ونظير كون أبيه وأمّه من المعصومين الممتازين، فإنّ الإمام الحسن(ع)المجتبى يشترك معه في هذا الامتياز، ولكن لاتجتمع الامتيازات كلّها في أحد إلاّ في الحسين(ع)، ولن تجتمع في غيره.

وفي الختام نلفت عناية القارئ إلى النكتة التالية التي ذيّلنا بها البحث. جاء في تفسير الميزان(١) عن الآية المعروضة للبحث والروايات الواردة في الموضوع الأمر التالي:«واعلم أنّه قد وردت في الآية أخبار تطبّقها على الحسين بن عليّ(ع) وولادته لستّة أشهر وهي من الجري»، ونقول في التعليق على ذلك: وإن كان التطبيق المذكور من نوع الجري، ولكنّه يختلف هنا في ذكر المصداق عنه

---

(١)الميزان في تفسير القرآن: ١٨: ٢٢٥.

في مواضع أخرى من القرآن الكريم، والتفاوت بيّن، لأنّه في المواضع الأخرى لايتعذّر العثور على مصداق ثان لعموم الآيات، ولكن في موضوع الإمام الحسين(ع) والآية لايوجد مصداق آخر يصدق عليه انطباق الامتيازات العشرة ممّا يحتّم وجود مصداق واحد للآية في الدنيا كلّها. إذن مهما كانت الحال، وإن تمّ التطبيق على نحو «الجري» وأنّ مصداقاً للآية قد ظهر لما كانت الآية الشريفة لسانها عامّ، إلاّ أنّ هذا الجري ليس له إلاّ مصداق واحد في العالم كلّه، ولايصحّ تصوّر غير هذا أبداً.

وبناءً على هذا، فإنّ من الثابت والمحقق لايكون للآيتين الشريفتين المعروضتين للبحث ـ الآية (١٥) و (١٦) من سورة «الأحقاف» ـ في الخليقة كلّها من أوّلها إلى آخرها إلاّ مصداق واحد لاغير، وهو الوجود القدسيّ لأبي عبدالله الحسين(ع).

وليُعلم من هذا أنّ الآية تدعى آية الحسين(ع) في العلم الأزليّ لله تعالى، وإن كانت قد نزلت قبل ولادته وليس لأحد أن يقول: انّ الآية من سورة «الأحقاف» وهي مكّيّة، فكيف يصحّ نزولها في الحسين وهو لم يولد بعد، لأنّ الثابت المسلّم به أنّ الجهات المعنويّة حقائق واقعيّة وليست عقوديّة أو اعتباريّة.

وبناءً على هذا، فإنّ من الضروريّ تحرّرها من الزمان والمكان، فلا تتوقف دلالتها عليهما، أي أنّ الإمام الحسين(ع) من الأزل إلى الأبد وحده هو الصالح الممتاز الذي له وحده الامتيازات العشر المذكورة، سواء نزلت في ذلك آية أو لم تنزل، فهو صاحب

هذه الامتيازات وحده!

وفي قول آخر: لو اضطررنا للحكم بأنّ الآية المذكورة لاربط لها في الحسين(ع)، فينبغي أن نقبل حينئذ القول بالنقص في كتاب الله ـ نعوذ بالله ـ فنقول: هناك آية من آياته ليس لها مصداق ومفهومها كذب محض (نعوذ بالله من قول كهذا)!! وبعيداً عن كلّ هذه الأمور عندما بحثنا النظام الترتيبيّ والنظام التركيبيّ للآيات والسورة القرآنيّة في «القسم التاسع عشر» من الكتاب، فقد ثبت لدينا بمشاهدة الأبصار أنّ الحزب الحاكم قد تصرّف بهذا النظام مراراً وتكراراً لإخفاء آثار قبائحه التي ذكرتها الآيات، ودلت عليها، وكذلك لستر الآثار الطيّبة التي صدرت من منافسيه السياسيّين والتي طفحت بها الآيات الكريمة أيضاً.

وكذلك لبلوغ أهدافه الجانبيّة الأخرى وكان يقدر أنّ تصرّفه هذا يحقّق له أمانيه ويخوّله بلوغ أحلامه ويوصله إلى أهدافه! وإذا ما كان حديث النظامين الترتيبيّ والتركيبيّ الموجود على هذا النحو فلا بدّ أن يكون هذا الاحتمال احتمالاً عقلانيّاً، وهو أن نقول: إنّ الآيات المعروضة للبحث قد وضعت في سورة «الأحقاف» وحشرت بها حشراً لكي يتمّ التستّر على الوجهة الأصليّة للمصداق الحقيقيّ الواقعيّ لذلك الشخص، وهو الحسين بن عليّ (عليهما السلام)، ويوضع وراء ستر صفيق وتبقى الآيتان المعهودتان اللتان تحويان مثل هذه النكت الدقيقة والممتازة آيتين بسيطتين بدائيّتين هكذا أرادوا لهما، ولكنّ ردّ الله كيدهم إلى نحورهم، والحمد لله ربّ

العالمين.

وعلى أيّة حال، لاريب في أنّ جهاز الخلافة الحاكم سعى سعيه ليجعل كلّ آية من آيات الولاية في النظام التركيبيّ المعمول به اليوم غير قابلة للتطبيق على أهل بيت العصمة والطهارة(ع)، ويحرفها عن مسارها الطبيعيّ الذي نزلت فيه، وكذلك لاريب في أنّ الآيتين (١٥) و (١٦) من سورة «الأحقاف» مع ما فيهما من النكات الدقيقة واللطيفة التي أجملناها في الموارد الاثنى عشر لابدّ من وجود مصداق محدّد ينطبقان عليه وتصدقان بالانتساب إليه.

أجل، لاريب ولاشبهة في ذلك، وأيضاً ممّا لاشكّ فيه أنّ روايات الشيعة نصّت على انطباقهما على الحسين(ع)، وأنّه مصداقهما الوحيد، ولايمكن أن يدلاّن على مَن عداه، وكذلك الامتيازات الأحد عشر لايمكن أن تشمل غيره، وفي هذا لاتوجد شبهة عند أحد من شيعة أهل البيت(ع).

والذي يحمل المرء على الاعتماد على رأي الشيعة هو وجود هذه اليقينيات وأمثالها حيث تقسر الإنسان على تعيين مصداق الآيتين أخذاً من روايات الشيعة وإن لم يرو عن طريق العامّة شيء من هذا لأنّ البحث القرآنيّ المتّصل بالموضوع لايصحّح إلاّ مثل هذه الروايات.

أمّا نحن فإنّ لنا فيما مضى من بحوث الكتاب مشاهد مكرّرة من هذا القبيل، وتروى حولها روايات للشيعة تناسب موضوعها، ولمّا كان البحث القرآنيّ لايصحّح إلاّ روايات الشيعة فإنّنا ذهبنا إليها،

وعوّلنا عليها وحدها، كما جرى ذلك في تحقيق الآية الثالثة من سورة «التحريم»، وفي بحث الآيات (١١) إلى (٢٦) من سورة «النور»(والمعروفة بآيات الإفك)، وفي تحقيق الآيات (٦١) إلى (٧٤) من سورة«التوبة»(المرتبطة بحكاية العقبة).. اعتمدنا على هذا المنهج في نيل الاستفادة، وحصلت بأيدينا من خلال ذلك نتائج مذهلة، وممّا يسعد الباحث والمحقّق أنّ في هذه الموارد كلّها ـ وإن لم تصلنا روايات صريحة مطابقة للنتائج الحاصلة بأيدينا من تحقيق الآيات المتّصلة بالموضوع ـ شواهد وصلتنا من العامّة، ومؤيّدات في المواضيع التي تعرّضت روايات الشيعة لها تؤكّد مفاد روايات الشيعة نفسها وتثبتها، كما كان حول الآيتين المعروضتين للبحث في سورة «الأحقاف» الآية (١٥) و (١٦) شواهد وقرائن تؤكّد معناهما وتؤيّده.

إيضاح الكلام حول ما قلناه توّاً:

نرى في روايات العامّة التي ذيّلوها على الآيتين اللتين بُحثتا وجرى تحقيقهما فيما سلف في الجوامع الحديثيّة الميسّرة[1] فقد تركز النظر حول أمرين:

أحدهما: ذهبوا مذاهب شتّى ليجعلوا الآيتين (١٥) و (١٦) من سورة«الأحقاف» ينطبقان على أبي بكر بن أبي قحافة (الخليفة الأوّل).

(١) الدرّ المنثور: ٦: ٤٠ و ٤١.

والثاني: أنهم ركبوا المستحيل ليجعلوا ولادة الأجنّة في الشهر السادس من الحمل، قد كانت أمراً شبه طبيعيّ في عهد عمر وعثمان بن عفّان، وقد تكرّر حدوث ذلك مرّات في هذين العهدين، حيث ولدت مواليد عدّة في الشهر السادس من الحمل، واسترضعوا على أحسن وجه، وعاشوا عيشة رغداً.

والعجيب في الأمر أنّ في هذه الروايات الموضوعيّة عليّاً بن أبي طالب(ع)، وعبدالله بن عبّاس(ع)، وهما المنافسان اللذان لايردّ بأسهما للحزب الحاكم، جعلوهما محوراً لمثل هذه القضايا وحملوهما القول بأنّ أدنى مدّة الحمل هي ستّة أشهر استدلالاً منهما بالآية المعروضة للبحث: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ (١)، مع أنّه قد ثبت في البحث القرآنيّ ذي العلاقة الوطيدة بالموضوع أن علم الأجنّة قد جعل من هذه الحكايات والأقوال «أضغاث أحلام»، واعتبر المواليد التي تولد لستّة أشهر تتعذّر حياتهم كما يتعذّر إرضاعهم لأنّهم يعدمون القدرة على مصّ الثدي، وحينئذ لامجال لبقائهم على قيد الحياة بشكل مطلق.

وعلى أيّة حال، فإنّ جعل رئيس المنافقين المحترفين مصداقاً واقعيّاًللآيتين (١٥) و (١٦) سورة «الأحقاف»(مع الامتيازات الاثنى عشر التي اختصّت بها الآيتان المذكورتان من بين كلام الوحي كلّه) وحملهما عليه وإلباسه إيّاهما مع غضّ النظر عن كونه منافقاً محترفاً، فانّ أيّ امتياز من هذه الامتيازات الاثنى عشر لايمكن

---

(١) البقرة ٢: ٢٣٣.

تطبيقه عليه، ورأينا أيضاً الإصرار الغريب ليثبّتوا ولادة مواليد في الشهر السادس من الحمل في صدر الإسلام، لاسيّما في فترة الثلاث والعشرين سنّة من خلافة عمر وعثمان. ووقوع ذلك مكرّراً وبكثرة ملحوظة وصيّروا لهم فترة إرضاع أيضاً.

ورأينا أيضاً كيف أدخلوا الإمام أمير المؤمنين(ع) وعبدالله بن عبّاس من بين جميع الصحابة إلى هذه اللعبة، وجعلوهما شاهدين على وقوع مثل هذه الحوادث وخلافاً لما نسبوه للخلفاء وسائر الناس من أنّ ولادة هؤلاء الأجنّة على هذا النحو دليل على انزلاق اُمّهاتهم في بؤرة الخنا، واعتبروا إجراء الحدّ كما يزعمون لازماً عليهنّ، ولكنّهم جعلوا من الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب(ع) وعبدالله بن عبّاس قاضيين في مثل هذه القضايا، وجعلوهما يعتبران ولادة مواليد من هذا الطراز أمراً طبيعيّاً في مدرسة أهل البيت(ع) بالاستدلال بهذه الآية: ﴿**وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ**﴾والعرض عليها، فأصبحت مثل هذه القضايا المفتعلة أمراً شرعيّاً معترفاً به.

نفهم من مجموع هذه النكات المذكورة بوضوح «أنّ جهاز الوضع السلطوي» عمد إلى تفسير الآيات المعروضة للبحث وبيانها إلى هذا الوضع الذي هو دأبه وديدنه، لكي يجعل ولادة الفرد المقدّس ـ الذي هو في منطق القرآن المصداق الواقعيّ للآيتين المعهودتين وهو من آل النبيّ، ومن أهل بيت العصمة والطهارة(ع)، وقد ولد في صدر الإسلام على نحو الولادة الخارقة للعادة واشتهر بذلك ـ ولادة

عاديّة، وبهذه الطريقة الماكرة يُحرّفون الآية الكريمة من مصداقها الحقيقيّ الذي هو الحسين بن عليّ(ع)!!

وإلى هنا نختم «بحث الصالحين» الذي يرينا الدرجة الممتازة للخمسة الأطهار وسائر المعصومين من آل محمّد(ع)، وبختامه نختتم الكتاب أيضاً، والحمد لله ربّ العالمين.

توصية خطيرة هي مسك الختام:

والنكتة الوحيدة التي يرى المؤلف التذكر بها لازماً هي أنّه يوصي المسلمين أن يتنبّهوا لئلاّ تقع بعض مطالب هذا الكتاب ذريعة بيد الاستعمار، ولئلاّ تصبّ في مصالحه فيتّخذ منها وسيلة لبثّ الفرقة بين أفراد الأمّة المسلمة وحدوث الصدوع بينها التي لايمكن رأبها، ولئلاّ يصيد هذا الاستعمار الخبيث صيده السياسيّ في الماء العكر بعد خبطه.

أجل، على المسلمين جميعاً أن يتوجّهوا عندما وضعت بحوث الكتاب صرفاً على أساس التحقيق اللفظيّ، ودلالات التعابير القرآنيّة، ولسان الآيات الكريمة ـ التي هي المدرك الإسلاميّ الأصيل الأوّل، وما من فرقة إسلاميّة إلاّ وتراه حجّتها ومدركها ـ فيلزم من ذلك أن يقوم جميع المسلمين باحترام القرآن، ورعاية حقّه، وتقديمه، وتقديم كلامه على مذاهب الفرق وآرائها وميولها، لكي نتوحّد تحت ظلّه، وتكون لنا جميعاً عقيدة واحدة صحيحة إن شاء الله.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾(١)

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

المؤلف

---

(١)النازعات ٧٩: ٤٠ و ٤١.

فهرس الموضوعات

هوية الكتاب ٤

القسم التاسع عشر ٦

تحقيق لآيات الاستثنائيّة الواقعة في سورة المائدة ٦

بيان موضّح عن آيات سورة المائدة ٧

حصيلة موجزة عن مفاد آية الولاية ٩

الآيات ٥٤ إلى ٥٦ سورة المائدة ٩

حصيلة مفاد آية التبليغ ١٠

الآية ٦٧ سورة المائدة ١٠

الولاية ... أساس التوحيد الحق: ١٥

الولاية وأصالة الاعتقاد بالنبوة: ١٦

الولاية ... وأداء الفرائض: ١٧

الولاية هي التسليم: ١٩

الخشية لماذا؟: ٢٢

البحث في آية إكمال الدين وإتمام النعمة ٢٤

آخر الفرائض: ٢٦

المفادات الثلاثة: ٢٨

اليوم المشهود: ٣٤
واقعة الغدير ٣٧
واستخراج مفهوم الولاية المذكور فيها ٣٧
واقعة الغدير: ٣٧
ضبط أصل واقعة الغدير طبقاً للبحث القرآنيّ ٤٦
قصّة المنع من رواية حديث النبيّ وتدوينه ٥٣
البحث في النظام الترتيبيّ والتركيبيّ ٦٤
لسورالقرآن وآياته ٦٤
المرحلةالأولى: البحث في النظام الترتيبيّ لسورالقرآن المجيد: ٦٤
ترتيب السور القصار: ٩٢
المرحلة الثانية: بحث النظام التركيبي للآيات في السورة القرآنية ٩٨
آيات المباهلة: ١٠٠
آيات الحجّ: ١٠٤
مسألة التحريف.. وحلولها العينيّة ١٢٦
المرحلة الثالثة نظرة في روايات الباب: ١٤٣
الفصل الثامن من القسم التاسع عشر : ١٥٧
تحقيق الآيات من سورة «الإنسان» ١٥٧
في بحث الأحداث المقارنة لوفاة رسول الله (ص)........... **خطأ!**

الإشارة المرجعية غير معرّفة.

والوقائع التي تلتها........................**خطأ!**

الإشارة المرجعية غير معرّفة.

إيجازما تقدّم من أقسام الكتاب:.......................... ١٩٠

القسم الأول من الكتاب:...................................... ١٩٠

القسم الثاني من الكتاب:..................................... ١٩٢

القسم الثالث من الكتاب:..................................... ١٩٣

القسم الرابع من الكتاب:..................................... ١٩٤

القسم الخامس من الكتاب: ١٩٨

القسم السادس من الكتاب:................................... ٢٠٣

القسم السابع من الكتاب:..................................... ٢٠٤

القسم الثامن من الكتاب:..................................... ٢٠٥

القسم التاسع من الكتاب:..................................... ٢٠٧

القسم العاشر من الكتاب:..................................... ٢٠٨

القسم الحادي عشر من الكتاب:.............................. ٢١٠

القسم الثاني عشر من الكتاب:............................... ٢١٢

القسم الثالث عشر من الكتاب:............................... ٢١٥

القسم الرابع عشر من الكتاب:............................... ٢١٦

القسم الخامس عشر من الكتاب:............................. ٢١٧

القسم السادس عشر من هذا الكتاب:....................... ٢٢١

القسم السابع عشر من الكتاب:.............................. ٢٢٥

القسم الثامن عشر من الكتاب:.............................. ٢٣٠

القسم التاسع عشر من الكتاب:.............................. ٢٣٨

مناقشة بعث أسامة وتحقيقه ٢٤٩

القسم العشرون : تحقيق كيفيّة وفاة رسول الله (ص).............. ٢٦٤

صلاة أبي بكر قبيل وفاة النبي (ص): ٢٧٥

تحقيق وفاة النبيّ (ص) وبحث الروايات حول ذلك.............. ٢٩٥

طلب العباس مبايعة أمير المؤمنين (ع): ٣١٧

تحقيق حديث السقيفة ٣٢٢

ماهو هدف سعد من كل هذا؟.............................. ٣٣٣

تحقيق هجوم القوم على بيت أهل البيت (ع) ٣٧٤

جوانب مرويّة من تلك الحادثة: ٣٧٥

تحقيق الأمر في مصادرة أموال أهل البيت: ٣٨٧

ومنع حقوقهم.............................. ٣٨٧

تحقيق «آية المودّة».............................. ٤١١

بحث في حروب الردة.............................. ٤٤٥

نتائج القسم العشرين.............................. ٤٤٩

الخاتمة ٤٥١

منهم الصالحون؟ ٤٥٢

مَنهم الصالحون الممتازون؟ ٤٥٧

بحث الآيتين (١٥) و (١٦) سورة «الأحقاف» ٤٧٢

وطلب المصداق الواقعي لها ٤٧٢

النتيجة المأخوذة من النكات التي احتواها هذا البحث: ٤٩٦

توصية خطيرة هي مسك الختام: ٥١١

فهرس الموضوعات ٥١٣